

صِيَاةُ الْفُقَرَاءِ  
فِي تَقْيِيدِ الْقَائِمِ

الْحَبَشَانِ

الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





# ضياء الفرقان فی تفسير القرآن جلد ۲

لِـمُؤَلَّفَـه سید محمد تقی النّقوی



سرشناسه	: نقوی قاضی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
عنوان و نام پدیدآور	: ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن / مؤلفه محمد تقی نقوی قاضی.
مشخصات نشر	: تهران: قائن، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری	: ۱۸ ج.
شابک	: دوره 7-24-978-964-8981-26-1 ؛ ج. ۲: 978-964-8981-26-1
وضعیت فهرست نویسی	: فیبا.
یادداشت	: عربی.
موضوع	: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴.
موضوع	: Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century
رده‌بندی کنگره	: ۱۳۹۵ ض ۹۸/۷ BP
رده‌بندی دیوپی	: ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابشناسی ملی	: ۴۴۰۴۹۵۲

## ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن - مجلد الثانی

المؤلف: محمد تقی نقوی قاضی  
الکمیة: ۱۰۰۰  
الطبعة: الاول  
تاریخ الطبع: ۱۳۹۵ ش. - ۱۴۳۶ ق.  
تنسيق الصفحات: محسن نقوی  
لیتوگرافی: لوح محفوظ  
المطبعة: گوهر اندیشه  
انتشارات: قائن

٧	..... الجزء الثانى
٩	..... سورة البقرة
٥٦٣	..... الفهرست



**الجزء**

**الثاني**





سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ  
الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي  
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ  
وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ  
الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ  
يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى  
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ  
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّوْفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ  
وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ  
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ  
فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا  
يَعْمَلُونَ (١٤٤) وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا  
بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ  
بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)

◀ اللغة

السُّفَهَاءُ: جمع سفيه قال الرَّاغِبُ السَّفَهُ خَفَةٌ فِي الْبَدَنِ وَمِنْهُ قِيلَ زَمَامٌ  
سَفِيهِ كَثِيرُ الْإِضْطِرَابِ وَثَوْبٌ سَفِيهِ، وَرَدِي النَّسِجِ، وَاسْتَعْمَلَ فِي خَفَةِ النَّاسِ  
لِنَقْصَانِ الْعَقْلِ، فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ فَقِيلَ سَفِهَ نَفْسَهُ.

وَلِيَهُمْ: يقال وَلَيْتَ سمعي كذا وَلَيْتَ عيني كذا وَلَيْتَ وَجْهي كذا، أَقْبَلْتُ به عليه وإذا عَدَيْ، بَعَنَ لَفْظاً أو تقديرًا اقتضى معنى الإعراض وترك قرْبِهِ. قَبِلْتَهُمْ: القبلة بكسر القاف في الأصل إسم للحالة الَّتِي عَلَيْهَا المقابل نحو الجلسة والقعدة وفي التعارف صارت إسمًا للمكان المقابل الْمُتَوَجِّه اليه للصَّلَاة. الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ: مكان الشُّرُوق ومكان الغروب.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ: معناه الطَّرِيق المستهْل أصله السَّيْن في سرطت الطَّعام وَزَرَدته أي ابتلَعته فقليل سراط، تصوّر أَنَّهُ يبتلعه سالكه أو يبتلع سالكه. أُمَّةٌ وَسَطًا: الأُمَّة كُلُّ جماعةٍ يجمعهم أمرٌ ما، أمّا دينٌ واحدٌ أو زمان واحد أو مكان واحد وجمعها أُمَمٌ، وَالْوَسَطُ ماله طرفان متساويا القَدْر. يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ: أي يرجع على مُؤَخَّرِهِ، فَأَنَّ الْعَقْبَ مُؤَخَّرَ الرَّجُل عقبه لسكون القاف وجمعه أعقاب.

تَقَلَّبَ: مصدر باب التفعّل بمعنى التصرّف يقال رجلٌ قَلَبَ حَوْلَ كثير التقلّب. قَوْلٍ: أمر من وَلَّى يُوَلِّي أي أقبل. شَطْرُهُ: شطر الشيء نصفه وَ وَسْطُهُ والمراد به في المقام الجهة أي فَوَلَّ وَجْهَكَ جهته.

اتَّبَعَتْ: الإِتِّبَاع الإِتِّدَاء. أَهْوَاءُهُمْ: جمع هَوًى بمعنى الميل.

### الإِعْرَاب

مِنَ النَّاسِ في موضع نصب على الحال والعامل فيه، يقول، مَا وَلَّيَهُمْ إِبْتِدَاءً وخبر في موضع نصب بانقول كَانُوا عَلَيْهَا فيه حذف مضاف تقديره، على توجَّهها.

و على اعتقادها وكذلك، الكاف في موضع نصب صفة لمصدر محذوف

تقديره ومثل هدايتنا من نشاء جَعَلْنَاكُمْ جَعَلْنَا يَمْنَزِلَة صَيْرَنَا عَلَى النَّاسِ متعلق بالشهداء الْقِبْلَةَ هي المفعول الأول والمفعول الثاني محذوف الَّتِي صفة ذلك المحذوف والتقدير وما جعلنا القبلة القبلة الَّتِي وقيل الَّتِي صفة للقبلة المذكورة والمفعول الثاني محذوف تقديره وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عليها قبلة مَنْ يَتَّبِعْ من بمعنى الَّذِي في موضع نصب تبعكم مِمَّنْ يَنْفَلِبْ متعلق، بتعلم عَلَى عَقِبَيْهِ في موضع نصب على الحال أي راجعاً وَإِنْ كَانَتْ إِنْ المخففة من المثقلة وإسمها محذوف واللام في قوله لَكَبِيرَةٌ عوض من المحذوف وقيل فصل باللام بين إِنْ، المخففة من الثقيلة وبين غيرها من أقسام، إِنْ، وقال الكوفيون، إِنْ، بمعنى، ما، واللام بمعنى، إلا، وهو ضعيف جداً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ عَلَى، متعلقة بكبيرة ودخلت، إِلَّا لِمَعْنَى ولم يغير الإعراب وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ خبر كان محذوف واللام متعلقة بذلك المحذوف تقديره وما كان الله مريداً ليضيع إيمانكم لَرْوْفٌ رَحِيمٌ ابتداء وخبر قَدْ نَرَى لفظه مستقبل والمراد به المعنى فِي السَّمَاءِ متعلق بالمصدر ولو جعل حالاً من الوجه لجاز قَوْلٌ يَتَعَدَّى إِلَى مفعولين فالأول، وَجْهٌ وَالثاني، شَطْرَ المسجد، وقد يتعدى إلى الثاني، بالي، كقولك وَلِي وَجْهه إلى الْقِبْلَة شَطْرُ قال التَّحَاس أَنَّهُ ظَرْفٌ بِمَعْنَى النَّاحِيَةِ حَيْثُ ظَرْفٌ لَوْ لَوْ وَأَنْ جَعَلَهَا شَرْطاً ائْتَصَب بقوله: كُنْتُمْ لِأَنَّهُ مَجْزُومٌ بِهَا وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ بِهِ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَوْ لِأَنَّ آتَيْتِ، اللام موطئة للقسم وليست لازمة بدليل قوله: وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ<sup>(١)</sup> مَا تَبِعُوا أَي لَا يَتَّبِعُوا فَهُوَ مَاضٍ فِي مَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ وَدَخَلَتْ، مَا حَمَلًا عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي، وَحُذِفَ الْفَاءُ فِي الْجَوَابِ لِأَنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ مَاضٍ إِذَا حُرِفَ وَالتَّوْنُ فِيهِ أَصْلٌ وَلَا تَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الْجَوَابِ وَلَا تَعْمَلُ هُنَا شَيْئًا.

بَابُ التَّرْقَاتِ فِي تَرْكِسِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّرْقَاتِ فِي تَرْكِسِ الْقُرْآنِ

## التفسير

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا. **إِعلم** أَنَّ الآية وما بعدها نزلت في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وما قالوا فيه ولذلك أخبر الله تعالى نبيه قبل التحويل بما سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ فيه والمراد بالسُّفَهَاءُ في الآية اليهود وقال الحسن مشركوا العرب و إنما عبر عنهم بالسُّفَهَاءُ لأنَّ السَّفيه يستعمل لِنقصان العقل في الأمور الدنيوية والأخروية:

أما الدنيوية فقد قال الله تعالى: **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ** (١)  
 أما الأخروية فقد قال الله تعالى: **وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا** (٢).

فهذا من السُّفه في الدين والسَّفيه حقُّ السَّفيه من إعتراض على صنع الله و فعله وقوله وذلك لما ثبت في محله أَنَّهُ تعالى عليمٌ حكيمٌ، فلا يُخفى عليه ذرَّةٌ لا في الأرض ولا في السماء ولا نقص في فعله وتديره فهو الحكيم الذي أحسن كلَّ شيء خلقه وقدره وحيث أنَّ اليهود أو مشركي العرب عابوا تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة على الله تعالى فَهُم السُّفَهَاءُ بلا كلامٍ لأنَّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يُسأل عما يفعل وهم يسئلون هذا كله مضافاً إلى أنَّ الأحكام تتبع المصالح والمفاسد الواقعية التي لا يُحيط بها إلا هو وإذا كان الأمر على هذا المنوال فلا يمتنعُ اختلاف المصالح بحسب اختلاف الجهات وهنا مسائل:

**الأولى:** قال ابن عباس ومجاهد المراد بالسُّفَهَاءُ في الآية اليهود وذلك لأنَّهم كانوا يأنسون بموافقة الرسول لهم في القبلة فكأنَّهم ظنُّوا أنَّ موافقته لهم

في القرآن  
في تفسير

جزء ٢

الجلد  
والنصف

فيها ربّما تدعوه الى أن يصير موافقاً لهم بالكليّة فلّما تحوّلت القبلة استوحشوا وأغتمّوا وقالوا قد عاد الى طريق آبائه وأشتاق الى دينهم ولو ثبت على قبلتنا لعلّمنّا أنّ الرّسول المنتظر المُبشّر به في التّوراة هو هذا فقال الله تعالى حكاية عنهم ما قال.

**الثانية:** قال البرّاء والحسن والأهمّ أنّهم مُشركوا العرب وذلك لأنّه عليه السّلام كان متوجّهاً الى بيت المقدّس حين كان بمكّة والمُشركون كانوا يتأذون منه بسبب ذلك فلّما جاء الى المدينة وتحوّل الى الكعبة قالوا ابي إلا الرّجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان أولى به.

**الثالثة:** أنّهم المنافقون وبه قال السّدي وهؤلاء إنّما ذكروا ذلك إستهزاءً من حيث لا يتميّز بعض الجّهات عن بعض فجاهلية معقولة تقتضي تحويل القبلة اليها فكان هذا التّحويل مُجرّد العبث والعمل بالرأى.

و الشّهوة قال وإنّما حملنا لفظ السّفهاء على المُنافقين لأنّ هذا الاسم مختصّ بهم:

قال الله تعالى: **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** <sup>(١)</sup>

**الرابعة:** أنّ المراد بالسّفهاء كلّ هؤلاء الفرق وذلك لأنّ اللفظ عام دخل فيه الألف واللام ولا دليل على التخصيص فوجب حملة على العموم كائنات من كان الى يوم القيامة هذا بحسب العقل.

**أما النّقل:** فتقوله تعالى: **وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** <sup>(٢)</sup>

مضافاً الى أنّ الأعداء في كلّ عصر وزمان محكومون على القدح والطعن فإذا وجدوا مجالاً لم يتركوا مقالاً البتّة وأما قوله تعالى: **مَا وَلِيَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا** إستفهام على جهة الإستهزاء والتعجّب ومعنى ولّى عنه، صرفه عنه، ولّى اليه بخلافه أي رغب أو أقبل اليه وقد قلنا في شرح اللّغات



أنّه إذا تعدّى بعن، يفيد الإعراض وقد ذكروا في المراد بالتّولي في المقام وجهان.

**أحدهما:** ما نسب الى المشهور من المُفسّرين وهو أنّه لما حوّلت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة غاب الكُفّار المُسلمين بما حكى الله عنهم بقولهم ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فالضمير أعني به، هم، للرسول والمؤمنين. **ثانيهما:** قول أبي مسلم وهو أنّه لما صحّ الخبر بأنّ الله حوّل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وجب القول به ولولا ذلك لكان من المحتمل أن يُراد بقوله: **كَانُوا عَلَيْهَا** أي السّفهاء كانوا عليها فإنّهم كانوا لا يعرفون منها إلا قبلة اليهود وقبلة النصارى فالأولى الى المغرب والثانية الى المشرق وما جرت عادتهم بالصّلوة حتّى يتوجّهوا الى شيء من الجهّات فلمّا رأوا رسول الله متوجّهاً نحو الكعبة كان ذلك عندهم مستنكراً فقالوا كيف يتوجه أحد الى غير هاتين الجهتين فقال الله تعالى راداً عليهم.

**قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ.** ثمّ أنّ القبلة هي الجهة التي يستقبلها الإنسان وهي من المقابلة وإنّما سمّيت بها لأنّ المُصلي يقابلها وتقابله ونقل عن قطرب أنّه قال يقولون في كلامهم ليس لفلان قبلة أي جهة يأوي اليها وهو أيضاً مأخوذ من الإستقبال وقال غيره إذا تقابل الرجلان فكلّ واحد منهما قبلة لِأُخر إذا عرفت معنى القبلة لغة فنقول قال بعض المحقّقين فإن قيل ما الحكمة في تعيين القبلة أولاً ثمّ ما الحكمة في تحويلها من جهة الى جهة روى ثانياً.

أما المسألة الأولى ففيها الخلاف الشّدِيد بين أهل السّنة فإنّهم يقولون أنّ أفعال الله وأحكامه لا تُعلّل بوجه من الوجوه وذلك لما ذكروه بما لا طائل تحته لأنّ القائلين بهذه المقالة ذهبوا الى الجبر فاذا بطل الجبر في الإسلام بطل القول به وللبحث فيه موضع آخر وأما المعتزلة فإنّهم قالوا أنّه تعالى حكيم

والحكيم لا يجوز أن تكون أفعاله خالية من الأغراض لأنه يلزم منه العبث  
بذلك علمنا أنَّ له سبحانه في كل أفعاله وأحكامه حكماً وأغراضاً ثمَّ أنها  
تارة تكون ظاهرة جلية لنا وأخرى مستورة خفية عنا ومانحن فيه أيضاً من هذا  
القبيل فإننا لا نشك في وجود المصلحة في تعيين القبلة كما أنه لا نشك في  
وجودها في تحويلها من جهة إلى جهة أخرى وأما أنَّ المصلحة ما هي فلا  
نعلم بها.

**أقول** وهذا أي قول المعتزلة هو الحقَّ الحقيق بالاتباع وقد فرغنا عن  
البحث فيه في مباحثنا العقلية والأصولية وأما تعيين القبلة في الصلاة فقد  
ذكرناه فيه وجوهاً.

**أحدها:** أنَّ الله تعالى خلق في الإنسان قوتين، عقلية وخيالية فالأولى  
مُدركة للمجردات والمعقولات على سبيل الكلية لأنَّ العقل مدرك للكمالات  
والثانية متصرفة في عالم الأجساد والجزئيات ثمَّ أنَّ هاتين القوتين فلما تنفك  
أحدهما عن الأخرى بل تكونان مقارنتين مصاحبتين فإذا اراد الإنسان  
إستحضار أمرٍ عقليٍّ مجرد وجب أن يصنع له صورة خيالية يحسها حتى تكون  
تلك الصورة الخيالية مُعنية على ادراك تلك المعاني العقلية فإستقبال القبلة  
في الصلوة يجري مجرى كون المصلي مُستقبلاً لله تعالى لا معرضاً عنه  
والقراءة والاذكار تجري مجرى الثناء عليه تعالى والركوع والسجود من علائم  
الخُضوع مقابل الحق.

**ثانيها:** أنَّ المقصود من الصلوة حضور القلب وهذا لا يحصل إلاَّ مع  
السكُون وترك الإلتفات إلى الجهات المختلفة والحركة فالحضور يستدعي  
ترك الإلتفات في جسمه وقلبه إلاَّ إلى المطلوب فإذا بقى المكلف في جميع  
صلواته مُستقبلاً لجهة واحدة على اليقين فقد حصل الحضور فإذا إختص  
بعض الجهات بمزيد شرف كان الإستقبال إليها أولى.

ثالثها: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْإِلَافَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ:

قال الله تعالى: **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.**

ولو توجه كل واحد منهم في صلاته الى ناحية أخرى لكان ذلك مؤمهاً للإختلاف فعين الله لهم جهة معلومة وأمرهم جميعاً بالتوجه نحوها ليحصل لهم الإتفاق والوحدة بسبب ذلك.

**رابعها:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّ الكعبة بإضافتها اليه في قوله: بيتي وخصَّ المؤمنين بإضافتهم بصفة العبودية اليه فقال (عبادي) وكلتا الإضافتين للتكريم والتخصيص فكأنه قال يا مؤمن أنت عبدي والكعبة، بيتي، والصلاة خدمتي وعبادتي فأقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك إليّ وذكروا وجوهاً كثيرة كلها لا يرجع الى مُحصل لأنها إستحسانية إستخراجية لا يمكن التعويل عليها في جعل الأحكام الشرعية ونحن نقول أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قد أمرنا بالتوجه الى الكعبة وإستقبالها حين الصلاة فلو أمرنا بغيرها لكان هو المأمور به ونُصلي اليه وأما المصلحة الواقعية في جعل القبلة فلا يعلمها إلا هو وعدم الخوض في هذه المباحث الغامضة الدقيقة أولى وأقرب الى الحق وفيه سلامة الدين والدنيا وذلك لأنَّ العقول ناقصة ومع ذلك مشوبة بالأوهام الفاسدة والأسرار خفية دقيقة فوصول العقل اليها مشكل بل مُمتنع جداً أين التراب ورب الأرباب كيف وقد قال الله تعالى: **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** <sup>(٢)</sup>.

**يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.** فقد مضى البحث في معنى الهداية في أوائل البقرة من أنها تجئ بمعنى إرائة الطريق، والإيصال الى المطلوب فلا تطيل الكلام باعادة البحث في المقام والذي نقول هو أَنَّ الآية ومثالها لا تدل على الجبر بمعنى أنه لا اختيار للعبد في قبول الهداية وعدمه بل

بَابُ التَّوْحِيدِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

العبد لله

المراد أن الله يهدي والعبد يهتدي فالهداية منه تعالى والإهداء من العبد فمنه الإفاضة ومن العبد الإستفاضة وحيث أن الكل لا يقبل الإهداء والإستفاضة كما هو ظاهر فصَحَّ أن يقال أن الله: **يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ** أي أن الله يهدي من يهتدي ويستعد لقبول الهداية إلى صراطٍ مُستقيمٍ فالتقصير والنقص في القابل لا في الجواد الفياض.

وقد خطر ببالي في حل الإشكال الوارد على ظاهر الآية ونظائرها ما يرتفع الإشكال عنها بالكلية وهو أن قوله: **يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** معناه على المشهور بين المفسرين أن الضمير المستتر في الفعل أعني به، يشاء، يرجع إلى الله تعالى أي من يشاء الله يهديه إلى صراطٍ مُستقيمٍ وتوضيح ذلك أن قوله: **يَهْدِي**، فعل مضارع، ومن مفعول والفاعل هو الله على قول والضمير المستتر في الفعل أعني به هو، على قولٍ آخر وعليه فقوله: **يَهْدِي** فعل وفاعل ومن، مفعوله هذا ثم أن قوله: **يَشَاءُ** أيضاً فعل مضارع و فاعله الضمير المستتر فيه أو مرجع الضمير على الاختلاف وقوله: **إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** متعلق بقوله: **يَهْدِي** وهذا مما لا كلام فيه وإنما الكلام في تعيين مرجع الضمير المستتر في **يَشَاءُ** وأنه إلى أي شيء يعود فعلى المشهور أنه يعود إلى الله تعالى أي من يشاء الله يهديه إلى كذا وهذا هو الذي أوجد الإشكال في ظاهر الآية ويؤهم الجبر وهو واضح وأما على ما اخترناه وهو أن مرجع الضمير في قوله: **يَشَاءُ** كلمة من، أو الهدي المستفاد من قوله: **يَهْدِي** أي من يشاء الهدي، فلا إشكال في الآية أصلاً لأن من يشاء الهدي ويطلبه فالله تعالى يهديه إلى صراطٍ مُستقيمٍ ومن لم يشاء فلا وهذا معنى قولنا على الله الهداية وعلى العبد القبول والإهداء بها فالقبول من القابل أولاً والإفاضة من المفيض ثانياً والعجب أنهم لم يتفطنوا لهذه الدقيقة فوقعوا فيما وقعوا من الإشكال وليت شعري أي دليل دل على إرجاع الضمير المستتر في الفعل إلى الله وأن الهداية بمشيئته لا غير من دون قبول أو إختيار للعبد في قبولها و

عَدَمه ليلزم الجبر و مُحَصَّل الكلام هو أَنَّ المشيئة المُستفادَة من قوله: يَشَاءُ للعبد لا لِلَّهِ تعالى فحسب فمعنى الآية أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي العبد الى صراطٍ مُستقيم إذا شاء العبد لا مُطْلَقاً وهذا المعنى يُؤَيِّدُه الْعَقْل وَالشَّرْع فتأمل في المقام فَأنَّهُ من مَزَال الأقدام.

بقى في المقام شيء وهو تعيين المُدَّة، فقال ابن عَبَّاس كانت الصَّلَاة الى بيت المقدس بعد مَقْدَم النَّبِيِّ المدينة سبعة عشر شهراً و قيل سِتَّة عشر شهراً وروي عن إنس ابن مالك أَنَّهُ قال تسعة أشهر وفي رواية عشرة أشهر و عن معاذ بن جَبَل ثلاثة عشر شهراً و غير ذلك من الأقوال والذي حصل لنا من الأخبار الواردة في المقام أَنَّها ثلاثة عشر سنة في مَكَّة وهذا مُتَّفَق عليه وسبعة عشر أو سِتَّة عشر شهراً في المدينة.

ذلك لما رواه في الإحتجاج عن العسكري عليه السلام قال عليه السلام: لَمَّا كَانَ رسول الله بِمَكَّة أمره الله تعالى أَنْ يَتَوَجَّهَ نحو بيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن و إذا لم يتمكن إستقبل بيت المقدس كيف كان فكان رسول الله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاثة عشرة سنة فَلَمَّا كَانَ بالمدينة و كان متعبداً بِإِسْتِقْبَالِ بيت المقدس إستقبله وأنصرف من الكعبة سبعة عشر شهراً أو سِتَّة عشر شهراً و جعل قوم من مردة اليهود يقولون والله ما ندري مُحَمَّدٌ كيف يصلي حتَّى صار يتوجَّه الى قِبَلتنا ويأخذ في صلاته بهدينا و نسكنا وأشدَّت ذلك على رسول الله صلوات الله عليه وآله لَمَّا إتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاء جبرئيل فقال له رسول الله صلوات الله عليه وآله يا جبرئيل لو وَدت لو صرفني الله عن بيت المقدس الى الكعبة فقد تَأَذَّيْتُ بما يتَّصل بي من قِبَلِ الْيَهُودِ من قبلتهم فقال جبرئيل فأَسْئَلُ رَبَّكَ أَنْ يَحَوِّلك اليها فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّكَ عَنْ طَلْبِكَ وَلَا يُخَيِّبُكَ مِنْ بَغْيَتِكَ فَلَمَّا إِسْتَمْتَمَ دَعَاؤُهُ صَعِدَ جبرئيل ثُمَّ عاد من ساعته إقرأ يا مُحَمَّدُ قد



نرى تَقَلَّبَ وجهك في السَّماء، الآية فقال اليهود عند ذلك ما وَلَّيْهِمْ عن قبليتهم التي كانوا عليها فأجابهم الله بأحسن جواب فقال، قُلْ لِلَّهِ لَمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَهُوَ يَمْلِكُهُمَا وَتَكْلِيفُهُ التَّحَوُّلُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ كَتَحْوِيلِهِ لَكُمْ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ أَوْ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هُوَ مُصْلِحَتُهُمْ وَتُؤَدِّيهِمْ طَاعَتُهُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الْقِبْلَةُ بَيْتُ الْمَقْدَسِ قَدْ صَلَّيْتُ إِلَيْهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ تَرَكْتُهَا الْآنَ أَفَحَقًّا كَانَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَقَدْ تَرَكْتَهُ إِلَى بَاطِلٍ فَأَنْ مَا يُخَالِفُ الْحَقَّ بَاطِلٌ، أَوْ بَاطِلًا كَانَ ذَلِكَ فَقَدْ كُنْتُ عَلَيْهِ طَوِيلَ هَذِهِ الْمَدَّةِ فَمَا يُؤْمِنَانِ أَنْ تَكُونَ الْآنَ عَلَى الْبَاطِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا وَهَذَا حَقٌّ يَقُولُ اللَّهُ، قُلْ لِلَّهِ لَمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِذَا عَرَفَ صِلَاحَكُمْ بِأَيِّهَا الْعِبَادَ فِي إِسْتِقْبَالِ الْمَشْرِقِ أَمَرَكُمْ بِهِ وَإِذَا عَرَفَ صِلَاحَكُمْ فِي إِسْتِقْبَالِ الْمَغْرِبِ أَمَرَكُمْ بِهِ وَأَنْ عَرَفَ صِلَاحَكُمْ فِي غَيْرِهِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَلَا تَنْكُرُوا تَدْبِيرَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَقَصْدَهُ إِلَى مَصَالِحِكُمْ أَنْتَهَى.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ مِنْ أَعْيَانِ الْعَامَّةِ فِي تَفْسِيرِهِ وَرَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رِفَاعَةَ ابْنَ قَيْسٍ وَقُرْدَمَ بْنَ عَمْرٍو وَكَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ وَالرَّبِيعَ بْنَ الرَّبِيعِ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ مَا وَلَّاكَ عَنْ قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ أَرْجِعْ إِلَى قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا تَتَّبِعُكَ وَنَصَدِّقُكَ وَنُتَمَّا يَرِيدُونَ فَتَنَّتَهُ عَنْ دِينِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ سَيَقُولُ السَّفَهَاءُ الْآيَةَ.

وَأَيْضًا بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي الظَّهْرَ بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ أَنْصَرَفَ

بوجهه الى الكعبة فقال السّفهاء، ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها انتهى.

وأيضاً بأسناده عن عكرمة والحسن البصري قالاً أول ما نسخ من القرآن القبلة و ذلك أنّ النبي كان يستقبل صخرة بيت المقدس و هي قبلة اليهود فاستقبلها النبي سبعة عشر شهراً لتؤمنوا به و تتبّعوه و يدعوا بذلك الأميين من العرب فقال الله عزّ وجلّ والله لمشرق والمغرب الآية انتهى.

أقول والأحاديث الواردة من الطرفين قريبة المأل وكلها يدل على أنّ تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة كان في المدينة على اختلاف في المدّة كما عرفت والأمر واضح.

وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. الى آخر الآية فيه مسائل:

الأولى: في المراد بقوله: وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا قال القرطبي في تفسيره، كما أنّ الكعبة وسط الأرض وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم والوسط العدل وأصل هذا أنّ أحمد الأشياء أوسطها وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

قال ﷺ عدلاً هذا حديث حسن صحيح وفي التنزيل قال أوسطهم أي أعدلهم لهم وخيرهم قال زهير:

هُم وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ  
وَقَالَ الْآخَرُ:

أَنْتُمْ أَوْسَطُ حَيٍّ عَالِمُوا  
بصغير الأمر أو احدث الكبر  
ثم قال و وسط الوادي خير موضع فيه وأكثره كلاء وماء لما كان الوسط

مجانِباً لِلْفَلَقِ وَالتَّقْصِيرِ كَانَ مَحْمُوداً أَي هَذِهِ الْأُمَّةُ لَمْ تَغْلُ غَلَقَ النَّصَارَى فِي أَنْبِيَائِهِمْ وَلَا فَصَّرُوا وَتَقْصِيرُ الْيَهُودِ فِي أَنْبِيَائِهِمْ وَفِي الْحَدِيثِ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا إِلَى آخِرِ مَا قَالَ انْتَهَى مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْهُ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا كَمَا هَدَيْنَاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَخَصَّصْنَاكُمْ بِالتَّوْفِيقِ بِقَبِيلَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمِلَّتِهِ وَفَضَّلْنَاكُمْ بِذَلِكَ عَلَى مَنْ سِوَاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَلِكِ كَذَلِكَ خَصَّصْنَاكُمْ وَفَضَّلْنَاكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ بِأَنْ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْقَرْنُ مِنَ النَّاسِ وَالصَّنْفُ مِنْهُمْ وَغَيْرُهُمْ وَأَمَّا الْوَسْطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْخِيَارُ يُقَالُ مِنْهُ فُلَانٌ وَسَطٌ الْحَسَبُ فِي قَوْمِهِ أَيِ مَتَوَسِّطُ الْحَسَبِ إِذَا أَرَادُوا بِذَلِكَ الرَّفْعَ فِي حَسَبِهِ وَهُوَ وَسَطٌ فِي قَوْمِهِ وَوَاسِطٌ كَمَا يُقَالُ شَاةٌ يَابَسَةُ اللَّبَنُ وَبَيْسَةُ اللَّبَنُ وَكَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ رَيْساً قَالَ وَأَمَّا أَرَى أَنَّ الْوَسْطَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْوَسْطُ الَّذِي بِمَعْنَى الْجِزَاءِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ مِثْلُ وَسَطِ الدَّارِ مُحَرَّكَ الْوَسْطُ مِثْقَلُهُ غَيْرُ جَائِزٍ فِي سِينِهِ التَّخْفِيفُ وَارْأَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ، أُنْثَمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ وَسَطٌ لَتَوْسَطَهُمْ فِي الدِّينِ فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوِّ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا بِالْتَّرَهيبِ وَقِيلَهُمْ فِي عَيْسَى مَا قَالُوا فِيهِ وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَقَتَلُوا أَنْبِيَائَهُمْ وَكَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِهِ وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوْسِطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ إِذْ كَانَ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ أَوْسَطُهَا.

وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَإِنَّهُ جَاءَ بِأَنَّ الْوَسْطَ الْعَدْلُ وَذَلِكَ مَعْنَى الْخِيَارِ لِأَنَّ الْخِيَارَ مِنَ النَّاسِ عَدُولُهُمْ انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ مِنْ طَرَفِهِمْ فِي تَأْيِيدِ مُدَّعَاهُ.

الثَّانِيَةُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ أَيِ فِي الْمَحْشَرِ لِلأَنْبِيَاءِ عَلَى أُمَّمِهِمْ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

الخدي قال قال رسول الله يُدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول لبك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم، فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهدك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله عز وجل: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ثم قال وذكر هذا الحديث مطوّلاً ابن المبارك بمعناه وفيه:

فتقول تلك الأمم كيف يشهد علينا من لم يُدركننا فيقول لهم الرب سبحانه كيف تشهدون على من لم تدركوا فيقولون ربنا بعثت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصت علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب صدقوا فذلك قوله عز وجل: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** والوسط العدل لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً قال ابن أنعم، فبلغني أنه يشهد يومئذ أمة محمد صلّى الله عليه وآله إلا من كان في قلبه حنة على أخيه وقالت طائفة معنى الآية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت.

كما ثبت في صحيح مسلم عن أنس عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: حين مرّت به جنازة فأتني عليها خيراً فقال صلّى الله عليه وآله: وجبت وجبت وجبت ثم مرّ عليه بأخرى فأتني عليها شرّاً فقال صلّى الله عليه وآله: وجبت وجبت وجبت فقلت فقال عمر فداء لك أبي وأمي مرّ بجنازة فأتني عليها خيراً فقال وجبت وجبت ومُرّ بجنازة فأتني عليها شرّاً فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أثنيتُم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتُم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض، أخرجه البخاري بمعناه وفي بعض طرقه وتلا، **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**.

وروى أبان و ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن صامت قال قال رسول الله ﷺ: (سمعتُ رسول الله) أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث نبياً قال له أدعني أستجب لك وقال لهذه الأمة أدعوني أستجب لكم و كان الله إذا بعث النبي قال له ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الأمة و ما جعل عليكم في الدين من حرج، و كان الله إذا بعث النبي جعله شهيداً على قومه و جعل هذه الأمة شهداء على الناس خرج الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوارد الأصول ثم قال.

**الثالثة:** قال علماؤنا أنبأنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه بما أنعم علينا من تفضيله لنا بإسم العدالة وتوحيته خطير الشهادة على جميع خلقه فجعلنا أولاً مكاناً وأن كنا آخراً زماناً كما قال عليه السلام، نحن الآخرون الأولون وهذا دليل على أنه لا يشهد إلا العدو ولا ينفذ قول الغير على الغير إلا أن يكون عدلاً ثم قال:

**الرابعة:** وفيه دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لأنهم اذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس فكل عصرٍ شهيدٌ على من بعده فقول الصحابة حجة وشاهدٌ على التابعين وقول التابعين على من بعدهم واذا جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم ولا معنى لقول من قال أريد به جميع الأمة لأنه حينئذٍ لا يثبت مجمعٌ عليه الى يوم قيام الساعة وبيان هذا في كتب أصول الفقه انتهى ما ذكره بعبارة وألفاظه <sup>(١)</sup>.

**أقول** هذا ما ذكره القُرطبي في تفسير كلام الله ومثله قال الطبري في تفسيره بأدنى تغيير في الألفاظ وحيث أن الطبري كان مقدماً على القُرطبي وغيره من مفسري العامة فكلهم أخذوا ما أخذوا منه ولا سيما الأخبار والروايات وقد ذكر الطبري أخباراً كثيرة في المقام كلها من هذا النمط من حيث المعنى دون



اللفظ ونحن أعرضنا عن نقلها خوفاً من الإطالة إن شئت الإطلاع عليها فراجع الطبري والدّر المنثور للسيوطي وغيرهما من تفاسيرهم والذي نقول في المقام هو أن ما ذكروه من الروايات لا يقبله العقل السليم ولا يذعن به من آمن بالله واليوم الآخر وكيف يقبل العقل ما ذكروه في حديث، وَجِبَتْ وَجِبَتْ وَجِبَتْ، وَأَنْ كُلَّ مَا أَتْنِي عَلَيْهِ خَيْرٌ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَكُلَّ مَا أَتْنِي عَلَيْهِ شَرٌّ وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ ثم قول رسول الله في تعليقه، من، أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، نعوذ بالله من هذه الخرافات والأباطيل الدّالة على عدم حيائه ناقله وانتسابه إلى الرسول وزاد الطبري في حديثه أن الرسول قال، أن الملائكة شهداء الله في السماء وأنتم شهداء الله في الأرض فما شهدتم عليه وَجِبَتْ ثُمَّ قَرَأُوا قُلْ إِعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ الْآيَةَ وَفِي الْحَقِيقَةِ زَادَ الطَّبْرِي فِي الطَّبُورِ نَعْمَةً أُخْرَى وَلِقَائِلَ أَنْ يَقُولَ أَيُّهَا الشَّيْخُ الطَّبْرِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ.

أَنَّ الْمَلَائِكَةَ شُهَدَاءَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ عَلَى، مَنْ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ فِي السَّمَاءِ لَيْسَ إِلَّا الْمَلِكُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ أَتُهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَذَا أَوَّلًا وَثَانِيًا لَوْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ حَقًّا فَقَدْ وَجِبَتْ النَّارُ عَلَى عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ وَفِي رَأْسِهِمْ خَالَ الْمُؤْمِنِينَ بِزَعْمِهِمْ أَعْنِي بِهِ مُعَاوِيَةَ قَدْ أَتَوْا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ سَنَةً وَأَيُّ شَرِّ أَقْبَحَ وَأَشَدَّ مِنَ السَّبِّ وَاللَّعْنِ وَالمَفْرُوضِ أَنَّ اللَّاعِنِينَ السَّابِينَ صَحَابَةَ الرَّسُولِ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ حَذَى حَذْوَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَعَلَى هَذَا الْحَدِيثِ كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَمِنْ قَبْلِهِ وَبَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَتَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا فَرَضْنَا ثَنَاءً قَلِيلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَاحِبِ جَنَازَةٍ بِالْخَيْرِ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ وَبِالشَّرِّ يُدْخِلُهُ النَّارَ فَمَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ سَبَّوْهُ وَلَعَنُوهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَفَوْقِ الْمَنَابِرِ وَحَتَّى فِي الْقُنُوتِ فِي مَدَّةِ الْفِ سَهْرٍ.

ثالثاً: أين عدل الله تعالى إذا كان تابعاً في حكمه لخلقه، فمن أثنى عليه معاوية وعمر وبن العاص وأنس وأمثالهم بالخير حكم بدخوله الجنة وأن كان فاسقاً ظالمأبل كافراً في نفسه ومن أثنوا عليه بالشر حكم بدخوله النار وأن كان مؤمناً في نفسه، إنظروا يا أهل الإنصاف الى هذه الأقاويل والإعتقادات والأحاديث والتفاسير فأعتبروا يا أولي الأبصار وقولوا لهم هنيئاً لكم هذه المنزل والشرف عند الله فأنكم شهداء على الأرض فإذا كانت شهادتكم بالخير توجب دخول الجنة فأنتم أولى بدخولها والله من ورائكم لبالمرصاد. حيث يقول لكم ولنا:

قال الله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ<sup>(١)</sup>.

الثالثة: قوله تعالى: وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً.

قالوا أي بأعمالكم يوم القيامة، وقيل أي يشهد لكم بالإيمان، وقيل يشهد عليكم بالتبليغ لكم وقيل أي مؤدياً للدين اليكم وسمي الشاهد شاهداً لأنه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة، وقيل أنهم يشهدون للإنباء على أممهم المكذبين لهم وأنهم قد بلغوا وجاز ذلك لإعلام النبي أيامهم بذلك، وقيل شاهداً عليكم بما يكون من أعمالكم وقيل شهيداً لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به وأمثال ذلك من الأقوال.

وعن بصائر الدرجات بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: في قوله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نحن الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ بما عندهم من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه انتهى.

و عن أصول الكافي بأسناده عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فقال عليه السلام: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحُججه في أرضه انتهت.

قد رواه علي ابن إبراهيم أيضاً في تفسيره.

وبأسناده الى أبي جعفر الباقر عليه السلام والحديث طويل يقول عليه السلام: فيه ولقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين إختلاف و لذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد صلوات الله عليه وآله علينا ولنشهد على شيعتنا و لتشهد شيعتنا على الناس انتهت.

و روي الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بأسناده عن سليم ابن قيس الهلالي عن علي عليه السلام أن الله تعالى أيانا غني بقوله: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحُججه في أرضه و نحن الذين قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا انتهت.

و في تفسير العياشي عن إبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول نحن نمط الحُجَاز فقلْتُ و ما نمط الحُجَاز قال أوسط الأنماط أن الله يقول وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ثم قال عليه السلام: إيلنا يرجع الغالي وبنا يلحق المُقَصِّر انتهت.

و بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ قال بما عندنا من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه.

و عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا الى قوله: عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ فَأَنْ ظَنَنْتَ أَنْ

اللَّهُ عَنِي بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ أَفْتَرِي، أَنْ مِنْ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى صَاعٍ مِنْ تَمْرٍ يَطْلُبُ اللَّهُ شَهَادَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَقْبَلُهَا مِنْهُ بِحَضْرَةِ جَمِيعِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ كَلَّا لَمْ يَعْنِ اللَّهُ مِثْلَ هَذَا فِي خَلْقِهِ يَعْنِي الْأُمَّةَ الَّتِي وَجِبَتْ لَهَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ كُنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، الْآيَةِ وَهُمْ الْأُمَّةُ الْوَسْطَى وَهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ انْتَهَى.

و فِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ هُمْ انْتَهَى.

و فِي رَوَايَةِ حَمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّمَا أُنْزِلَ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا يَعْنِي عُذُولًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ لَا يَكُونُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ إِلَّا الْأُمَمَةُ وَ الرَّسُلُ فَأَمَّا الْأُمَّةُ فَأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَسْتَشْهَدَهَا اللَّهُ وَ فِيهِمْ مَنْ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى حَزْمَةِ بَقْلِ انْتَهَى الْأَحَادِيثُ نَقَلْنَاهَا عَنْ تَفْسِيرِ نَوْرِ الثَّقَلَيْنِ <sup>(١)</sup>.

أَقُولُ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ تَدُلُّنَا عَلَى تَفْسِيرِ الْآيَةِ :

أَمَّا أَوَّلًا: فَلَأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَدْرَى بِمَا فِي الْبَيْتِ وَهُوَ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ لِأَحَدٍ إِلَّا الْمَعَانِدُ فَأَنَّهُ لَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ، كَيْفَ وَقَدْ جَعَلَهُمُ الرَّسُولُ أَحَدَ الثَّقَلَيْنِ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ بِحَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنِّي تَارِكٌ أَوْ مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابُ اللَّهِ وَ عِثْرَتِي الْحَدِيثُ.

أَمَّا ثَانِيًا: فَلَأَنَّ مَا ذَكَرُوهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مُؤَيَّدٌ بِالْعَقْلِ مِنْ وَجْهِ:

أَحَدُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ لَا يَخْلُو مِنْ وَجْهَيْنِ.

الأول: أن يكون المخاطب بقوله، لتكونوا جميع الأمة كما هو مذهب الخصم.

الثاني: أن يكون المخاطب بعض الأمة دون الجميع.

على الثاني: أما أن يكون المراد بالبعض أفراداً على سبيل التعين او البعض إجمالاً فهذه هي الشقوق المحتملة عقلاً في الآية.

أما الوجه الأول: وهو أن يكون المراد جميع الأمة فلا سبيل اليه لأن في الأمة عادلاً و فاسقاً و منافقاً و ظالمً فإن كان المراد جميعهم يلزم منه قبول شهادة الناس من الله تعالى في حق الغير و قد قال الله في كتابه أن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تُصيبوا قوماً بجهالة، الآية فكيف ينهانا عن قبول قول الفاسق وهو يقبل قوله ومن قال بتجويز ذلك على الله فهو ممن لا يعرفه قطعاً هذا أولاً ونقول ثانياً كيف قرن الله تعالى شهادة العادل بشهادة الفاسق والعالم بالجاهل و ساوى بين الشهادتين في القبول أليس هذا منه قبيحاً أن لم يكن ظلماً.

ثالثاً: نقول أن الأمة تشهد في حق من فإن كانت الشهادة في حق غيرها من الأمم كما يقول به الخصم فهو غير معقول اذ لا معنى لشهادة الأمة الإسلامية على الأمم الماضية بأنهم فعلوا كذا أو لم يفعلوا كذا وما معنى هذه الشهادة وأي أثر يترتب عليها والمفروض أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً مضافاً الى أن الأمة المرحومة لم تُدرك قوم نوح ولا قوم بني إسرائيل ولا النصاري و لا غيرهم هذا اذا كانت الشهادة في حق الغير و أن قلنا أنهم يشهدون على أنفسهم أي يشهد كل واحد منهم في حق الغير فهو أيضاً لا معنى له لأن زيداً مثلاً يشهد في حق عمر و بأنه فاسق مثلاً و هو أي عمرو يشهد في حق زيد كذلك فشهادة أيهما تُقبل وهكذا ثبت أن الجميع ليسوا بمراد في الآية.

أما الوجه الثاني: وهو أن يكون المراد بعض الأمة فإن كان لا على التعيين

فهو أيضاً محال لكونه ترجيحاً من غير مُرْجَح مضافاً إلى أنَّ الإبهام ينافي الشهادة التي معناها الحضور وأن كان المراد البعض معيناً فإنَّ ذلك أيضاً لا يخلو من وجهين.

أحدهما: البعض العادل.

ثانيهما: البعض الفاسق ولا واسطة بينهما فإن كان الثاني فهو كما ترى لأنَّ شهادة الفاسق لا تُقبل عند الخلق فكيف تقبل عند الخالق وأن كان الأول أعني العدول منهم فهو المطلوب فثبت وتحقق عقلاً أنَّ المخاطب بقوله: **لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** العدول من أمة محمدٍ لا جميع الأمة والقدر المتيقن من العدول من الأمة الائمة المعصومون الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأما غيرهم كائناً من كان فليس يعادل واقعاً لأنَّ شرط العدالة الواقعية ظاهراً وباطناً العصمة وهي لا توجد في غيرهم فهم الشهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً كما عرفت من الأخبار وعليه فالمراد بالأمة في قوله **وَسَطًا**، الأئمة لا غير والخطاب في قوله: **جَعَلْنَاكُمْ** أيضاً متوجه إليهم لا إلى جميع الأمة لأنهم أمة الوسط بين الرسول وبين الناس.

الوجه الثاني، أنَّ لكل أمة من الأمم رسول أو نبي والعقل يحكم بشهادة الرسول في حق أئمة نفيًا وإثباتاً وأما شهادة أمة أخرى التي جاءت بعدها في طول الزمان في حق تلك الأمة أمرٌ غير معقول ثم أي رجحانٍ وفضيلة لهذه الأمة على غيرها حتى تشهد لها أو عليها فإن كانت الأمم الماضية لم تعملوا بكتاب الله وُسَّنة نبيهم فكذلك هذه الأمة و مجرد بيننا أفضل من أنبياءهم لا يكفي في المقام والحاصل أنَّ العقل السليم لا يقبل هذه الاستخراجات والوهميات التي لا أساس لها لأنَّ الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً.

**وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ**

عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ.

فقد بين الله تعالى في هذا الكلام علّة تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا قِيلَ المراد بها القبلة الأولى أعني بها بيت المقدس وهو المشهور بين المفسرين وقيل المراد بها القبلة الثانية و هي الكعبة فتكون الكاف زائدة والتقدير أنت عليها الآن إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ذكروا في معنى لِنَعْلَمَ، وجوهاً.

أحدها: أنه بمعنى لنرى والعرب تضع العلم مكان الرؤية و هي مكان العلم قال الله تعالى: تَرَكَيْتُ فَعَلَ رَبُّكَ<sup>(١)</sup> أي ألم تعلم.

ثانيها: أن المعنى لتعلموا أننا نعلم فأَنَّ المنافقين كانوا في شكٍّ من علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها.

ثالثها: أن المعنى لتمييز أهل اليقين من أهل الشكّ نُقِلَ هذا عن ابن عباس.

رابعها: المعنى ألا يعلم النبي وأتباعه وأخبر تعالى بذلك عن نفسه كما يقال فعل الأمير كذا وأنما فعله أتباعه.

خامسها: معناه ليعلم محمد ﷺ فأضاف علمه الى نفسه تعالى تخصيصاً وتفضيلاً كما كُنِيَ عن نفسه سبحانه يابن آدم مرضت فلم تعدني الحديث، و الآية جواب لقريش في قولهم ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها.

وقيل لليهود بناءً على أنهم قالوا ذلك وكانت قريش تألف الكعبة كما أن اليهود كانوا يألفون بيت المقدس فأراد الله عزّ وجلّ أن يمتحنهم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممّن لا يتبعه وقرأ الزهري ألا ليعلم فعلى هذه القراءة من، في موضع رفع وعلى المشهور في موضع نصب يتبع الرسول فيما أمر به من إستقبال الكعبة مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ يعني ممّن يرتد عن دينه لأن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القبلة لَمَّا حَوَّلَتْ ارْتَدَّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَوْمٌ وَنَافَقٌ قَوْمٌ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً أَيْ تَحْوِيلُهَا وَقِيلَ أَيْ الْقَبْلَةُ وَقِيلَ أَيْ التَّوَلَّى لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ لِقَوْلِهِ: أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ<sup>(١)</sup> وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ فَهُمْ مُطِيعُونَ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ فَلَيْسَ لَهُمْ رَدٌّ وَلَا إِنكَارٌ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ قَالُوا أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيْمَنْ مَاتَ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ لَمَّا.

روي عن ابن عباس قال: لَمَّا وَجَّهَ النَّبِيُّ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ بَأَخْوَانِنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيْمَانًا لِإِشْتِمَالِهَا عَلَى نِيَّةٍ وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوِّفٌ رَحِيمٌ أَيْ أَنَّهُ رَحِيمٌ بِكُمْ فِي جَمِيعِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَلِذَلِكَ لَا يَكْفَى اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسُعْهَا وَأَمَّا الْأَخْبَارُ:

ما رواه في كتاب الإحتجاج في حديثٍ مَرَّ شَطْرًا مِنْهُ قِيلَ يَا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ أَمْرٌ بِالْقَبْلَةِ الْأُولَى فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا جَعَلْنَا الْقَبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ: إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقَبَيْهِ إِلَّا لِنَعْلَمَ مِنْ ذَلِكَ وَجُودًا بَعْدَ أَنْ عَلِمْنَاهُ وَسِيُوجِدُ ذَلِكَ أَنَّ هَوَى أَهْلِ مَكَّةَ كَانَ فِي الْكَعْبَةِ فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ مُتَّبِعَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِمَّنْ خَالَفه بِاتِّبَاعِ الْقَبْلَةِ الَّتِي كَرَهَا وَمُحَمَّدٌ يَأْمُرُ بِهَا وَمِمَّا كَانَ هَوَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ أَمْرُهُمْ بِمُخَالَفَتِهَا وَالتَّوَجُّعَ إِلَى الْكَعْبَةِ لِئُبَيِّنَ مَنْ يُوَافِقُ مُحَمَّدًا فِيمَا يَكْرَهُهُ فَهُوَ يَصَدِّقُهُ وَيُوَافِقُهُ ثُمَّ قَالَ، وَأَنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ أَتَمَّا كَانَ التَّوَجُّعَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ كَبِيرَةً إِلَّا عَلَى



من يهدي الله فَعَرَفَ أَنَّ اللهَ يَتَعَبَّدُ بخلاف ما يريدُه المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه والديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.  
ومنها ما رواه في أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام:  
والحديث طويل يقول فيه بعد أن قال أَنَّ اللهَ تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن دُمَ وقَسَمه عليها وفرقه فيها وقال: فيما فرض على الجوارح من الطهور والصلاة بها وذلك أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا صَرَفَ نَبِيَّه إلى الكعبة عن بيت المقدس فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ الْآيَةَ فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيْمَانًا أَنْتَهَى<sup>(١)</sup>.

و روي في تفسير البرهان عن محمد بن يعقوب بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما صَرَفَ الله نَبِيَّه إلى الكعبة عن بيت المقدس أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيْمَانًا.

و عن تفسير العياشي قال: أبو عمرو والزبيري قلت له عليه السلام ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل فقال عليه السلام الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل مفروض من الله مبين في كتابه واضح نوره ثابت حجته يشهد له بها الكتاب ويدعو اليه ولَمَّا أَنْ صَرَفَ الله نَبِيَّه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي رأيت صلاتنا التي كنَّا نُصَلِّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وما حال من مضى من أخواننا وهم يُصَلُّون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيْمَانًا فَمَنْ اتَّقَى اللهَ حَافِظًا لجوارحه مُوَفِّيًا كُلَّ جَارِحَةٍ من جوارحه بما فرض الله عليه لَقِيَ اللهَ مُسْتَكْمَلًا

لأَيْمَانِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَوْ تَعَدَّى مَا أَمَرَ اللَّهُ فِيهَا لَقِيَ اللَّهَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ انْتَهَى وَالْأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ.

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلْنُوَلِّتِكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا قَوْلٍ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْتَظِرُ الْوَحْيَ فِي أَمْرِ الْقِبْلَةِ وَقِيلَ فِي سَبَبِ تَقْلِيْبِ وَجْهِهِ فِي السَّمَاءِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ وَعَدَ بِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِنْتِظَارًا وَتَوَقُّعًا لِلْمَوْعُودِ وَقِيلَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ قِبْلَةَ الْيَهُودِ وَيَهْوِي قِبْلَةَ الْكَعْبَةِ وَكَانَ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَسْأَلُوا شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ فِيهِ لَجُوزِ أَنْ تَكُونَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ فَلَا يُجَابُونَ إِلَى ذَلِكَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِتْنَةً لِقَوْمِهِمْ.

وَقِيلَ أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا مَا أَدْرَى مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قِبْلَتِهِمْ حَتَّى هَدَيْنَاهُمْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَحْبُونَ الْكَعْبَةَ وَتَعْظُمُونَهَا غَايَةَ التَّعْظِيمِ فَكَانَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا إِسْتِحَالَةً لِقُلُوبِهِمْ لِيَكُونُوا أَحْرَصَ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَيْهَا فَلْنُوَلِّتِكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا أَيْ لِنَصْرِفْكَ إِلَى قِبْلَةٍ تَرْضَاهَا وَتَحْبَاهَا قَوْلٍ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَيْ حَوْلَ نَفْسِكَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِأَنَّ وَجْهَ الشَّيْءِ نَفْسُهُ وَقِيلَ أَنَّ مَا ذَكَرَ الْوَجْهَ لِأَنَّ بِهِ يَظْهَرُ التَّوَجُّهُ وَنَقَلَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِي أَنَّهُ قَالَ أَرَادَ بِالشَّطْرِ النِّصْفَ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوَجُّهِ إِلَى نِصْفِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَكُونَ مُقَابِلَ الْكَعْبَةِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ أَيْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ فَحَوَّلُوا وَجُوهَكُمْ نَحْوَهُ وَعَلَيْهِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: قَوْلٍ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَوْلُهُ: وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ خُطَابٌ لِأَهْلِ الْأَفَاقِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَ

زمانٍ وروي عن ابن عباس أنه قال البيت كله قبله وقبله البيت الباب والبيت قبله أهل المسجد وهو قبله أهل الحرم والحرم قبله أهل الأرض كلها وقيل الشطر معناه الناحية وقيل الجهة وهو ظرف مكان كما تقول تلقاء وجهته ونقل عن ابن مسعود أنه قال، قَوْل وجهك تلقاء المسجد الحرام كما قال الشاعر:

أقول لأم زنباغٍ أقيمي      صدور العيس بني تميم  
وقال آخر:

وقد أظلمكم من شطر ثغركم      هولٌ له ظلمٌ يغشاكم قطعاً  
وقال آخر:

ألا من مبلغٌ عمرواً رسولاً      وما تغني الرسالة شطر عمروٍ  
و شطر الشيء نصفه قيل ومنه الحديث الطهور شطر الإيمان ويكون من الأضداد يقال شطرأ إلى كذا إذا أقبل نحوه وشطر عن كذا إذا أبعد منه وأعرض عنه قاله القرطبي في تفسيره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم قيل أريد به علماء اليهود وقيل هم والنصارى أي أنهم يعلمون أن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة حقٌّ مأمورٌ به من ربهم وأما علموا ذلك لأنه كان في بشارة الأنبياء لهم أن يكون نبي من صفاته كذا وكذا ومنها أنه يصلي إلى القبلتين.

وروي أنهم قالوا ما أمرت بهذا يامحمد وأما هو شيء تبذعه من تلقاء نفسك مرة إلى هنا ومرة إلى هنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وبيّن لهم أنهم يعلمون خلاف ما يقولون وما الله بغافل عما يعملون أي أن الله ليس بغافل عما يعمل هؤلاء اليهود أو مطلق أهل الكتاب من كتمانهم صفة الرسول عناداً وتعصباً فهو تعالى لا يهتمل أعمال العباد ولا يغفل عنها نفى الآية نهى في الحقيقة عن كتمان الحق وهو كذلك قال ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر ابن بشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن ثم أنهم اختلفوا في صلاة النبي إلى بيت

المقدس فقال قوم كان رسول الله يُصلي بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمر الله أن يصلي الى بيت المقدس ثم أُعيد الى الكعبة وقال قوم كان يُصلي بمكة الى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينها وقال قوم بل كان يُصلي بمكة وبعد قدومه المدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه أن يجعل الكعبة بينه وبينها ثم أمر الله بالتوجه الى الكعبة وأما الأخبار الواردة في المقام.

فمنها، ما عن الصدوق فيمن لا يحضره الفقيه قال و صلى رسول الله الى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشر سنة بمكة وتسعة عشر شهراً بالمدينة ثم غيرته اليهود فقالوا له أنك تابع لقبلتنا فأغتم لذلك غمّاً شديداً فلما كان في بعض الليل خرج يُقلب وجهه في أفاق السماء فلما أصبح صلى الغداة فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل فقال له قَدْ نَرَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، ثم أخذ بيد النبي فحول وجهه الى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال فكان أول صلاته الى بيت المقدس وأخرها الى الكعبة وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة فكان أول صلاتهم الى بيت المقدس وأخرها الى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين فقال المسلمون صلاتنا الى بيت المقدس تضيع يا رسول الله فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ.

وَلَيْنِ اتَّيْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

أَي لَأَن أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِكُلِّ آيَةٍ، بِكُلِّ حُجَّةٍ وَدَلَالَةٍ، مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ، لِغِيهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَكَ الْمَتَابَعَةُ لَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ، قِيلَ فِي مَعْنَاهُ أَنَّ الْيَهُودَ لَيْسَتْ مُتَّبِعَةٌ قِبْلَةَ النَّصَارَىٰ وَلَا النَّصَارَىٰ مُتَّبِعَةٌ قِبْلَةَ الْيَهُودِ كَمَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَتَّبِعُونَ قِبْلَةَ الْيَهُودِ وَلَا قِبْلَةَ النَّصَارَىٰ قَالَ الْحَسَنُ وَهَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ بِالْغَيْبِ.

وَقِيلَ أَنَّ الْمُرَادَ إِسْقَاطَ إِعْتِلَالِهِمْ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ مَخَالَفَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا وَرَثُوهُ عَنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَنَّ بَيْتَ الْمَقْدَسِ لَمْ يَزَلْ كَانَ قِبْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ فَهُوَ أَوْلَىٰ بِأَنْ يَكُونَ قِبْلَةً وَقَوْلُ ثَالِثٍ وَهُوَ أَنَّ الْآيَةَ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا وَلَا وَجْهَ لِلتَّأْوِيلِ فِيهَا وَمَعْنَاهَا أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ يَهُودِيًّا تَنْصَرُ وَلَا أَنَّ نَصْرَانِيًّا تَعُودُ لِأَنَّ كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ قِيلَ أَنَّ الْخَطَابَ وَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ أُمَّتَهُ مِمَّنْ يَجُوزُ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ فَيُصِيرُ بِاتِّبَاعِهِ ظَالِمًا وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَ النَّبِيُّ مَا يَكُونُ بِهِ ظَالِمًا فَهُوَ مُحْمُولٌ عَلَىٰ إِرَادَةِ أُمَّتِهِ لِعَصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مِنْهُ وَأَمَّا خُوطْبُ بِهِ تَعْظِيمًا لِلأَمْرِ وَلأَنَّهُ الْمَنْزِلُ عَلَيْهِ وَالْقَوْلُ الْآخِرُ أَنَّ الْمُرَادَ، أَنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ فِي الْمُدَارَاةِ لَهُمْ حِرْصًا عَلَىٰ أَنْ يُؤْمِنُوا أَنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ لِنَفْسِكَ مَعَ إِعْلَامِنَا بِإِنَّا أَتَيْنَاهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. رَوَى هَذَا الْقَوْلَ عَنِ الْجَبَائِي وَثَلَاثُ الْأَقْوَالِ أَنَّ مَعْنَاهُ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ فُسَادِ مَذَاهِبِهِمْ وَتَبْكِيَّتِهِمْ بِهَا وَأَنَّ مَنْ تَبِعَهُمْ كَانَ ظَالِمًا.

**رَابِعُهَا:** أَنَّهُ عَلَىٰ سَبِيلِ الزَّجْرِ عَنِ الرُّكُوفِ إِلَيْهِمْ وَمُقَارَنَتِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ أَي مِنَ الْآيَاتِ وَالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ الْعِلْمِ ذَكَرَهُ الطَّبْرَسِيُّ ﷺ وَقِيلَ مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحَقَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْقِبْلَةِ وَالَّذِينَ، إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ: لِإِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ ﷺ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ فُسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ أَنَّهُ لَا يَصَحُّ الْوَعِيدُ

بشرطٍ وأن من علم الله أنه يؤمن لا يستحق العقاب أصلاً لأن الله علّق الوعيد بشرطٍ يوجب أنه متى حصل الشرط يحصل إستحقاق العقاب وفيها دلالة على فساد قول من زعم أن في المقدور لطفاً لو فعله الله بالكافر لأمن لا محالة لقوله: **إِنْ أَتَيْتَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ** فعلى قول من قال المراد به المعاند لا ينفعه شيء من الآيات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم أيضاً يؤمنون عنده فعلى الوجهين معاً يبطل قولهم وفيها دلالة على أن الكفار لا يؤمنون انتهى ما ذكره رحمته.

**أقول** ما ذكره لا يرجع إلى محصلٍ وما ذكره رحمته أيضاً كذلك وللبحث فيه موضع آخر وسيأتي الكلام فيه.

**اعلم** أن هم إختلفوا في المقام في أمرين لا بأس بالإشارة إليهما. **أحدهما:** إختلفوا في المراد من الآية هل أريد به العموم بمعنى أن جميع أهل الكتاب من علماءهم وعوامهم كذلك أو أريد به خصوص العلماء منهم. **ثانيهما:** هل المراد فيه الإستقبال أو الحال بمعنى أنهم دائماً إلى يوم القيامة ماتبعوا قبلك أو أنهم في الحال كذلك وبعبارة أخرى نفي المتابعة مخصوص بالموجودين في عصر النبي صلّى الله عليه وآله أو الأعم من الموجودين ومن سيوجد منهم.

**أما الأول:** فالحق فيه العموم كما هو مقتضي ظاهر الآية والخصوص يحتاج إلى دليل واذ ليس فليس كما ثبت في الأصول والوجه فيه أن العوام في كل عصر وزمان يتبعون علماءهم سواء كانوا على الحق أم على الباطل فاذا فرضنا أن علماء اليهود بأيّ داع كان يخالفون الحق فالعوام أيضاً كذلك وهو معلوم. **وأما الثاني،** فالحق أن يقال أن الحكم بعدم متابعة اليهود قبله غيرهم لا فرق فيه بين الحال والإستقبال وذلك لأنه أي الحكم على سبيل النوع لا على سبيل الإستيعاب والشمول لكل الأفراد والمعنى أنهم أي اليهود والنصارى

على هذه الصفة بغيرهم لعنادهم ولجأهم وخروج شخص أو أشخاص في الحال أو الإستقبال لا يضرّ بكلية الحكم فإنّ الحكم دائماً يكون بإعتبار الأكثر نعم في الأحكام العقلية ليس الأمر كذلك فاذا قلنا الإنسان حيوان ناطق فليس الحكم بإعتبار الأغلب بل الحكم يشمل جميع أفراد الإنسان بمعنى أنّه لو وجد فرد واحد خارج عن الحكم فالكلي لا يصدق والحكم باطل وأمّا الأحكام العرفية فليست كذلك فاذا قلنا المؤمن لا يكذب أو لا يزني مثلاً ليس معناه أنّ جميع المؤمنين كذلك بل المراد أنّهم كذلك بإعتبار الأكثر ولا يضرّه مخالفة الفرد أو الأفراد وما نحن فيه من هذا القبيل فهذا البحث ممّا لا فائدة فيه رأساً وهو ظاهر لا خفاء فيه.



الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ  
 أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ  
 يَعْلَمُونَ (١٤٤) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ  
 مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٥) وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيُّهَا  
 فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ  
 جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)

### ◀ اللغة

لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ: الكتمان ستر الحديث.  
 مِنَ الْمُمْتَرِينَ: فاعل من الإمتراء والممارسة المحاجة فيما فيه مرية وأصله  
 من مريت الناقة اذا مسح ضرعها للحلب.  
 وَوَجْهَةٌ: أصل الوجه الجارحة ويقال للقصد وجه وللمقصود جَهِة وَوَجْهَةٌ  
 وهى حيثما تتوجه للشيء والمراد بها فى الآية الشريفة فانها مقصودة للسالك.

### ◀ الإعراب

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مبتدأ يَعْرِفُونَهُ الخبر كما صفة لمصدر محذوف و  
 ما، مصدرية الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مبتدأ وخبر وقيل الحق خبر مبتدأ محذوف  
 تقديره ما كتموا الحق وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ، وجهه، مبتدأ ولكل خبره والتقدير لكل  
 فريق وجه وهى مصدر فى معنى التوجه اليه كالخلق بمعنى المخلوق وهى  
 مصدر محذوف الزوائد أن الفعل توجه أو إتجه والمصدر التوجه أو الإتجاه و  
 لم يستعمل منه، وجه كوعده هو مَوْلِيَّهَا بكسر اللام وفي هو وجهان.  
 أحدهما: هو ضمير إسم الله والمفعول الثانى محذوف أى الله مولى تلك  
 الجَهِة ذلك الفريق أى يأمره بها.



**الثاني:** هو ضمير كل أي ذلك الفريق مؤلى الجهة نفسه ويقرأ مؤلاها بفتح اللام وهو على هذا هو ضمير الفريق ومولى لما لم يسم فاعله والمفعول الأول هو الضمير المرفوع فيه وها، ضمير المفعول الثاني وهو ضمير الوجهة وقيل للتولية أين ما تكونوا أينما ظرف لتكونوا، يأت بكُم الله يأت مجزوم بينما والباقي واضح.

### ◀ التفسير

**الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ** أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكِتَابُ وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ، **يَعْرِفُونَهُ**، أَي يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا ﷺ لِأَنَّهُ كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ **كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ** وَقِيلَ يَعْرِفُونَ نَبُوته وَصَدَقَ رِسَالَتُهُ وَقِيلَ يَعْرِفُونَ تَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ عَنِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ لِأَنَّهُ كَانَ مَذْكُورًا فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ يُصَلِّي إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ وَأَمَّا قَالَ تَعَالَى: **كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ** وَلَمْ يَقُلْ كَمَا يَعْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ مِثْلًا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَمَرُّ عَلَيْهِ مِنْ زَمَنِهِ بَرَهَةٌ لَا يَعْرِفُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا يَمَرُّ عَلَيْهِ وَقْتُ لَا يَعْرِفُ فِيهِ ابْنَهُ هَكَذَا قِيلَ وَرُوي عَنْ طَرِيقِ الْعَامَّةِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عُمَرَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، أَتَعْرِفُ مُحَمَّدًا كَمَا تَعْرِفُ ابْنَكَ قَالَ نَعَمْ وَأَكْثَرَ بَعَثَ اللَّهُ أَمِينَهُ فِي أَرْضِهِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ فَعَرَفْتَهُ وَابْنِي لَا أَدْرِي مَا كَانَ مِنْ أُمِّهِ.

**وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ** يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ وَقِيلَ اسْتِقْبَالَ الْكَعْبَةِ وَكَلِمَةُ الْحَقِّ، تَشْمَلُهَا وَغَيْرُهَا وَهُمْ **لَيَعْلَمُونَ** أَي وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ثُمَّ يَكْتُمُونَهُ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كِتْمَانَ الْحَقِّ مِنَ الْعَالَمِ بِهِ أَقْبَحُ وَأَسْوَأُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْعَقْلِ مِنْ كِتَامَتِهِ عَنِ الْجَاهِلِ بِهِ فَعَلَى هَذَا آيَةُ نَزَلَتْ فِي ذَمِّ عُلَمَاءِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ لَا عَوَاهِمَ وَجُهَالَهُمْ وَالْحَقُّ أَنَّ آيَةَ نَزَلَتْ فِي الْعُمُومِ لِأَنَّ الْجُهَالَ أَيْضًا مُقْصِرُونَ فِي مِتَابَعَتِهِمْ عُلَمَاءَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ فَحَصِّ

وَتَحْقِيقٍ عَنْ حَالَاتِهِمْ فَأَنَّ الْمَسَائِلَ الْإِعْتِقَادِيَّةَ يَجِبُ الْفَحْصُ عَنْهَا وَلَا يَجُوزُ التَّقْلِيدُ فِيهَا إِجْمَاعًا وَلَيْسَ الْجَاهِلُ مَعْذُورًا فِيهَا إِذَا كَانَ مُقْصِرًا بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ قَادِرًا عَلَى كَشْفِ الْحَقِيقَةِ وَلَمْ يُقَدِّمْ عَلَيْهِ نَعْمَ لَوْ كَانَ قَاصِرًا فَهُوَ مَعْذُورٌ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ ثُمَّ أَنَّ هَذَا الْمَرَضَ لَا يَخْتَصُّ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَنَّ كَانَتِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي حَقِّهِمْ فَأَنَّ شَأْنَ النَّزُولِ لَا يَنَافِي عُمُومَ اللَّفْظِ وَإِطْلَاقَهُ فَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى ذَمِّ كُلِّ عَالَمٍ عَارِفٍ بِالْحَقِّ وَهُوَ كَاتِمٌ لَهُ وَهَكَذَا كُلُّ تَابِعٍ لَهُ إِذَا كَانَ مُقْصِرًا فِي تَابِعَتِهِ إِيَّاهُ كَمَا هُوَ شَأْنُ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَّالِ فِي الْإِسْلَامِ أَيْضًا فَأَنَّ عُلَمَاءَهُمْ قَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا وَعَوَامَهُمْ وَجُهَّالَهُمْ تَبِعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ: **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** <sup>(١)</sup> فَالْعُلَمَاءُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنْكَرُوا نَبُوَّةَ الرَّسُولِ ﷺ وَعَوَامُهُمْ قَلَّدُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَالْعُلَمَاءُ فِي الْإِسْلَامِ أَنْكَرُوا وَصِيَّ الرَّسُولِ وَعَوَامُهُمْ قَلَّدُوهُمْ عَلَيْهِ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ وَلَيْسَ مُحَمَّدٌ ﷺ فِيهِمْ بِأَعْرَفٍ مِنْ عَلِيٍّ فِيهِمْ بَلْ مَعْرِفَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعَلِيٍّ وَأَنَّهُ وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ كَانَتْ أَكْثَرَ وَأَوْضَحَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذْ مَعْرِفَتُهُمْ لَهُ ﷺ كَانَتْ بِالصُّفَةِ وَمَعْرِفَةُ الْمُسْلِمِينَ لِعَلِيٍّ كَانَتْ بِالْمَعَانِيَةِ وَالْمُشَافَهَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَكَيْفَ هَذَا الْحَقُّ أَشَدُّ وَأَصْعَبُ مَنْ كَتَمَانَ الْيَهُودَ إِلَّا أَنَّ أَعْدَاءَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ**، **قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ** **قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ** <sup>(٢)</sup> صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ.**

أَيُّ مِنَ الشَّاكِينَ قِيلَ الْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ وَالْمَعْنَى بِهِ الْقِبْلَةُ أَيْ إِسْتِقْبَالُ الْكَعْبَةِ مِنْ رَبِّكَ أَيُّ مَا أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهِ فِي أَمْرِ الْقِبْلَةِ فَهُوَ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ أَوْ لَا يَنْبَغِي الْمَرِيَّةُ فِيهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْحَقِّ فِي الْآيَةِ هُوَ الْوَحْيُ وَالْكِتَابُ وَالشَّرَائِعُ.

أقول كلمة الحقّ تشمل الكلّ فحمل اللفظ على العموم أولى وأنسب.

وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا قال بعضهم أنّ المراد بالوجهة هنا القبلة والمعنى لكلّ أهل ملّة من اليهود والنصارى قبله يُصلون إليها.

وقال الآخرون أنّ لكلّ نبيّ وصاحب ملّة وجهة أي طريقة وهي الإسلام وأنّ إختلف الأحكام كقوله تعالى: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا<sup>(١)</sup> يعني شرائع الأنبياء وثالث الأقوال، أنّ لكلّ من المسلمين وأهل الكتاب قبله يعني صلاتهم إلى بيت المقدس وصلاتهم إلى الكعبة.

ورابعها، لكلّ قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة أو قدّامها أو عن يمينها أو عن شمالها هذه الوجوه ذكرها الطبرسي رحمته الله وغيره.

وقال بعض المفسّرين المراد بها القبلة ومعناها أنّهم أي اليهود والنصارى لا يتبعون قبلتك وأنت لا تتبع قبلتهم ولكلّ وجهة أمّا بحقّ وأمّا بهوى.

وأما قوله: هُوَ مَوْلِيهَا هو عائد على لفظ كلّ، لا على معناه لأنّه لو كان على معناه لقال هم مَوْلُوها وجُوههم والمعنى ولكلّ صاحب ملّة قبله صاحب القبلة مَوْلِيها وجهة على لفظ كلّ، وقيل مَوْلِيها أي مَوْلِيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أي إلى الخيرات فحذف الحرف أي بادروا ما أمركم الله عزّ وجلّ من إستقبال البيت الحرام وحمل اللفظ على العموم أولى أي بادروا إلى جميع الطاعات والخيرات:

قال الله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَلَكِنْ لِيَنْبَلُوكُمْ فِي مَا أَنْتُمْكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

قال الله تعالى: وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ<sup>(٢)</sup>.

و يظهر من كلمات بعض المفسرين من العامة تخصيصه الخيرات في المقام بالصلاة ولعله بقرنية البحث في القبلة والآن وجه لهذا التخصيص ومع ذلك كله لا بأس بما ذكره وذلك لأن الصلاة من مصاديقها الأتم الأكمل.

وقال الطبري المراد بها الأعمال الصالحة أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً أي حيثما مِتَم من بلاد الله يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة إنَّ الله على كل شيء قدير أي هو قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء. وفي أصول الكافي بأسناده عن الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال عليه السلام: فيه فأما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى يقول الله عز وجل الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم وأن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون، الحق من ربك أنك الرسول اليهم فلا تكونن من الممترين.

وفي تفسير علي ابن إبراهيم بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول الله تبارك وتعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ يعني رسول الله لأن الله عز وجل قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد ﷺ و صفة أصحابه و مبعثه و مهاجرته و هو قوله تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُ فِي وُجُوهِهِمْ

مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ <sup>(١)</sup>.

فهذه صفة رسول الله في التَّوراة والإنجيل وصفة أصحابه فلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عرفه أهل الكتاب كما قال جَلَّ جلاله، فَلَمَّا جَاءَهُمْ ما عرفوه وكفروا به انتهَى.

و في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بأسناده عن عبد العظيم الحسني عليه السلام قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام أُنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْقَائِمُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً فَقَالَ عليه السلام: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا مِنَّا إِلَّا وَهُوَ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَادٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَلَكِنَّ الْقَائِمَ الَّذِي يُطَهِّرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَيَمْلأُهَا عَدَلاً وَقِسْطاً هُوَ الَّذِي تَخْفِي عَلَى النَّاسِ وَلادته وَيَغِيبُ عَنْهُمْ شَخْصَهُ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ تَسْمِيَتَهُ وَهُوَ سَمِّيَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَتَبَهُ صلى الله عليه وآله وَهُوَ الَّذِي تَطْوِي لَهُ الْأَرْضَ وَيَدُلُّ لَهُ كُلَّ صَعْبٍ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَلَاثَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: **إِنَّمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْخَبَرِ.**

و بأسناده إلى أبي خالد الكابلي عن سيّد العابدين علي ابن الحسين عليه السلام قال: المفقودون عن فُرْشِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرِ فَيَصْبَحُونَ بِمَكَّةَ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً وَهُمْ أَصْحَابُ الْقَائِمِ عليه السلام.

و بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: لَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُفْتَاقِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ عليه السلام قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ

بَابُ التَّوَارُثِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

جميعاً، أَنَّهُمْ لَيَفْتَقِدُونَ عَنْ فُرْشِهِمْ لَيْلاً فَيَصْبِحُونَ بِمَكَّةَ وَ بَعْضُهُمْ يَسِيرُ فِي السَّحَابِ يَعْرِفُ إِسْمَهُ وَإِسْمَ أَبِيهِ وَصِلَتُهُ وَنَسَبُهُ قَالَ فَقُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ أَيُّهُمْ أَعْظَمُ إِيمَانًا قَالَ ﷺ الَّذِي يَسِيرُ فِي السَّحَابِ نَهَاراً أُنْتَهَى.

و فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابَلِيِّ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ﷺ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْقَائِمِ وَقَدْ اسْتَدَّ ظَهْرُهُ إِلَى الْحِجْرِ ثُمَّ يُنْشِدُ حَقَّهُ إِلَى أَنْ قَالَ هُوَ وَاللَّهُ الْمُضْطَرُّ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَبْيَعُهُ جَبْرِئِيلُ ثُمَّ الثَّلَاثُ مِائَةَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَمَنْ كَانَ بِالْمَسِيرِ وَافِيَ وَمَنْ لَمْ يَبْتَلْ بِالْمَسِيرِ فَقَدْ عَنِ فِرَاشِهِ وَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ هُمُ الْمَفْقُودُونَ عَنْ فُرْشِهِمْ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تُكَونُوا يَأْتُكُمْ بِاللَّهِ جَمِيعاً قَالَ ﷺ الْخَيْرَاتِ الْوَلَايَةُ انْتَهَى.

و فِي رَوْضَةِ الْكَافِي بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تُكَونُوا يَأْتُكُمْ بِاللَّهِ قَالَ ﷺ: الْخَيْرَاتِ الْوَلَايَةُ وَقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيْنَمَا تُكَونُوا يَأْتُكُمْ بِاللَّهِ جَمِيعاً، يَعْنِي أَصْحَابَ الْقَائِمِ الثَّلَاثَ مِائَةَ وَالْبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَهُمْ وَاللَّهُ الْأُمَّةُ الْمَعْدُودَةُ قَالَ ﷺ يَجْتَمِعُونَ وَاللَّهُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ كَقَرْعِ الْخَرِيفِ انْتَهَى اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ وَالْأَحَادِيثُ نَقَلْنَاهَا عَنْ تَفْسِيرِ نَوْرِ الثَّقَلَيْنِ <sup>(١)</sup>.



وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ  
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ  
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي  
وَلَا تِمْنِعْكُمْ عَنْكُمْ وَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

### ◀ اللغة

قد مضى معنى هذه اللغات في الآيات السابقة فلا نُعيد.

### ◀ الإعراب

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ، مِنْ مَتَعَلِقِ بَقَوْلِهِ فَوَلِّ، وَحَيْثُ هُنَا لَا تَكُونُ شَرْطًا  
لَأَنَّهُ لَيْسَ مَعَهَا، مَا وَأَنْمَا يَشْتَرِطُ بِهَا، مَا، وَأَنَّهُ لَلْحَقُّ الْهَاءُ ضَمِيرُ التَّوَلَّى  
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَرْطًا لِئَلَّا اللَّامُ مَتَعَلِقَةٌ بِمَحذُوفٍ  
تَقْدِيرُهُ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِئَلَّا حُجَّةٌ إِسْمُ كَانَ وَالْخَبَرُ لِلنَّاسِ وَ عَلَيْكُمْ صِفَةُ  
الْحُجَّةِ فِي الْأَصْلِ قَدَمَتْ فَبِإِنْتِصَبٍ عَلَى الْحَالِ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا إِسْتِثْنَاءٌ  
مِنْ غَيْرِ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مَا عَلَيْهِمْ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ مَتَعَلِقٌ بِأَتَم.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ التفسير

قل في تكرار قوله تعالى: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قولان.  
أحدهما: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فَرْضًا نَسَخَ مَا قَبْلَهُ كَانَ مِنْ مَوَاضِعِ التَّأْكِيدِ لِيَنْصَرِفَ إِلَى  
الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْحَالِ الْأُولَى عَلَى يَقِينٍ.

**الثاني:** أنه مقدّم لما يأتي بعده ويتّصل به فأشبهه الاسم الذي تكررهُ لتُخبر عنه بأخبار كثيرة كقولك زيد كريم وزيد عالم وزيد حليم وما أشبه ذلك ممّا تذكرهُ لتعلّق الفائدة به وأن كانت في نفسها معلومة للسامع ومعنى قوله:

وَأَنَّهُ لَلْحَقُّ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ وَجوب المحافظة من حيث كان حقًّا لِلَّهِ فِيهِ طَاعَةٌ وَمَعْنَى قَوْلِهِ: وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ هَاهُنَا التَّهْدِيدُ كَمَا يَقُولُ الْمَلِكُ لِعَبِيدِهِ لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: إِنَّكَ لِبِالْمِرْضَادِ ذَكَرَهُ فِي التَّبَيَّنِ.

أقول ونحن نتكلّم أولاً في وجه التكرار وثانياً، في المراد والمقصود منها. أمّا البحث الأول: فأعلم أنّ قوله تعالى: قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قد تكرر في ثلاث آيات.

أحدها: قوله تعالى: قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

ثانيها: قوله تعالى: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

ثالثها: قوله تعالى: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.

للمفسرين في وجه التكرار أقوال:

أحدها: أنّ الأحوال بالنسبة إلى القبلة ثلاثة، أولها، أن يكون المصلي في المسجد الحرام.

ثانيها: أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد.

ثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض قالوا فالآية الأولى (١٤٩) محمولة على الحالة الأولى والثانية على الثانية والثالثة على الثالثة لأنّه قد يتوهم أن للقرب حرمة ليست للبعد فلاجل هذا التوهم كرّر الله تعالى هذه الآيات.



**والجواب الثاني:** أنه سبحانه أنما أعاد ذلك ثلاث مرّات لأنه علّق بها كلّ مرّة فائدة زائدة أمّا في المرّة الأولى فبيّن أنّ أهل الكتاب يعلمون أنّ أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حقّ لأنهم شاهدوا ذلك في التّوراة والإنجيل. وأمّا في المرّة الثانية فبيّن أنّه تعالى يشهد أنّ ذلك حقّ وشهادة الله بكونه حقّاً مغيرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقّاً.

وأمّا في المرّة الثالثة فبيّن أنّه أنما فعل ذلك لئلا يكون للنّاس عليكم حجة فلمّا اختلفت هذه الفوائد حسّنت إعادتها لأجل أن يترتّب على كلّ واحدة من المرّات واحدة من هذه الفوائد ونظيره قوله تعالى: **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْنَرُوا بِهِ ثَمَّناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ<sup>(١)</sup>.**

**والجواب الثالث:** أنّ هذه الواقعة أعني بها تحويل القبلة أوّل ما نسخ في شرعنا فدعت الحاجة الى التّكرير لأجل التّأكيد والتّقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البيّنات ذكر هذه الوجوه وغيرها الرّازي في تفسيره والله أعلم بمراده.

**البّحث الثّاني:** في المراد من الآية فنقول أمّا قوله في الآية الأولى **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** أي فإستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وأنه للحقّ من ربّك، معناه أنّ التوجّه الى الكعبة في صلاتك أينما كنت هو الحقّ المأمور به من ربّك فإنّ الحقّ المطلق لا يأمر إلا بما هو حقّ وصدق ويحتمل أن يكون المراد بكونه حقّاً الثّابت الذي لا ينسخ أبداً الى يوم القيامة وذلك لأنّ الحقّ على ما قيل هو الثّابت العين الذي لا يتغير ولا يتبدّل وكون الكعبة قبلة كذلك والسّر فيه أنّ حلال محمد ضلال الى يوم القيامة وحرامه كذلك لأنّ دائرة البعثة قد ختمت بوجود الرّسول الذي هو خاتم الأنبياء وأنه لا نبي بعده وأحكامه أيضاً كذلك ومنها القبلة فهي ثابتة

بَابُ فِي تَقْرِيرِ آيَةِ التَّوْحُّدِ

جزء ٢

بَابُ فِي تَقْرِيرِ آيَةِ التَّوْحُّدِ

أبدأ وهو المراد بالحق وقوله: وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ مُشعر بالتهديد أي واطبوا على أعمالكم وأعلموا أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْكُمْ وذلك لَأَنَّ غفلة العلة عن المعلول توجب فناء المعلول لَأَنَّهُ في بقائه محتاج إلى المؤثر كما في حدوده محتاج إليه والغفلة في الحقيقة قطع الرابطة بينهما وهو محال عقلاً ولذلك قال هو أقرب اليكم من حبل الوريد:

قال الله تعالى: فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: وَارْتَبِعُوا إِبْنِي مَعَكُمْ رَقِيبٌ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ<sup>(٣)</sup>

وأمثال ذلك من الآيات وأما قوله في الآية الثانية قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ فالمعنى، من حيث خرجت منصرفاً عن التوجه إلى بيت المقدس أَيْنَ كُنْتَ مِنَ الْبِلَادِ فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ أي لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة إذا لم تصلوا في المسجد الحرام بأن يقول ليس هذا هو النبي المبشّر به إذ ذاك نبي يصلي إلى القبلتين، وقيل أي لا تعدلوا عما أمركم الله به فيكون لهم عليكم حجة بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أَنَّهُ من عند الله لَمَا عدلتم عنه وفي المقام قول ثالث وهو أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا أَنَّ النَّبِيَّ الْمُبْعُوثَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قِبَلْتَهُ الْكَعْبَةُ فَلَمَّا رَأَوْا مُحَمَّدًا ﷺ يُصَلِّي إِلَى الصَّخْرَةِ بِذَلِكَ فَصَرَفَتْ قِبَلْتَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ لِئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ هَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ الْمُنْصَفِينَ مِنْهُمْ مِمَّا لَا كَلَامَ فِيهِ وَأَمَّا الْمُعَانِدُ فَهُوَ بِمَعْرِزٍ عَنِ الْإِنْصَافِ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ أَيْ إِلَّا الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا عَرَفُوا عِندَاداً وَلِجَاجاً عَبَّرَ عَنْهُمْ بِالظَّالِمِينَ لِأَنَّ كَيْتَمَانَ الْحَقِّ مِنْ أَشَدِّ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلاً وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالظَّالِمِينَ فِي آيَةِ قَرِيشَ، حَيْثُ قَالُوا

قد علم أننا على هدى فرجع إلى قبلتنا و سیرجع إلى ديننا والحق أن المراد بهم العموم لأن الضمير يرجع إلى الناس فلا تخشَوْهُمْ أي لا تخافوهم ولا تلتفتوا إلى ما يكون معهم إذ لا حجة لهم عليكم، وقيل لا تخشوهم في إستقبال الكعبة وأخشوني أي وأخشوا عقابي في ترك إستقبالها ولا تَمْنَعْنِي عَلَيْنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ المراد بهذه النعمة على ما قيل نصرتهم على الأعداء أي أنصركم عليهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم هذا في الدنيا وأما في الآخرة فجتني ورحمتي لكم وعذابي وعقابي لهم، وقيل المراد بالنعم الإسلام والقرآن ومحمد ﷺ في السر والعلانية والغني عما في أيدي الناس وقيل غير ذلك والكل ممّا لا بأس به وذلك لأن النعم كثيرة وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والخشية أصلها طمأنينة في القلب تبعث على التوقي، والخوف فرع القلب تخف له الأعضاء ولخفة الأعضاء به سمي خوفاً، وضد الخشية الإضطراب في القلب فكأنه قال تعالى لا تضطربوا من أقوالهم وأعمالهم لأنهم لا حجة لهم ولا يقدرّون على شيء، وأخشون، أي إبتئوا قلوبكم على الحق وأعلموا أن النصر لكم في الدنيا والرحمة والرأفة لكم في الآخرة فإن العاقبة للمتقين.



كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ  
آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

### ◀ اللغة

أَرْسَلْنَا: أصل الرّسل الإنبعاث على التّوّدّة ومنه الرّسول المُنبعث والرّسول  
يقال تازّة للقول المتّحمل ققول الشّاعر:  
أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا      وَ تازّة لِمُتَحَمِّلِ الْقَوْلِ وَالرّسَالَةِ  
وَالرّسول يقال للواحد والجمع وجمعه رسل.  
يَتْلُو، التّلاوة تختصّ بإتباع كتب الله المنزّلة تازّة بالقراءة وتازّة بالأرتسام.  
وَيُزَكِّيكُمْ التّزكية التّطهير.

### ◀ الإعراب

كَمَا الْكَافُ فِي مَوْضِعِ نَصْبِ صِفَةٍ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ تَهْتَدُونَ هِدَايَةً،  
كَإِرْسَالِنَا أَوْ تَمَامًا كإِرْسَالِنَا أَوْ نِعْمَةً كإِرْسَالِنَا وَقِيلَ التَّقْدِيرُ فَأَذْكُرُونِي كَمَا أَرْسَلْنَا  
فَعَلِيّ هَذَا يَكُونُ صِفَةً لِلذَّكَرِ مَنْصُوبًا بِهِ أَيِ ذِكْرًا مِثْلَ إِرْسَالِي، وَ، مَا، مَصْدَرِيَّةٌ  
مِّنْكُمْ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِقَوْلِهِ رَسُولًا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: يَتْلُو وَمَا بَعْدَهُ فِي  
مَوْضِعِ الصِّفَةِ مَّا لَمْ تَكُونُوا مَا مَفْعُولٌ ثَانٍ لِقَوْلِهِ يَعْلَمُكُمْ.

### ◀ التفسير

قلنا أَنَّ الْكَافَ فِي، كَمَا مَصْدَرِيَّةٌ وَالْعَامِلُ فِيهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ أَمْرَيْنِ:  
أَحَدُهُمَا: الْفِعْلُ الَّذِي قَبْلَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَلَئِنْ نِعَمْتِي عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ وَ  
عَلَيْهِ فَالْمَعْنَى هُوَ أَنَّ إِرْسَالَنَا الرّسولَ إِلَيْكُمْ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ.

**الثاني:** أن يكون العامل فيه الفعل الذي بعده وهو قوله: فأذكروني والمعنى فأذكروني.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ أَي من القرب أو من أنباء نوعكم من جنس البشر. يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا المراد بهما القرآن وَيُزَكِّيْكُمْ أَي يُعْرِضُكُمْ لما تكونوا به أزكيا من الأمر بطاعة الله وإتباع مرضاته وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وقيل المراد بهما القرآن أيضاً إِلَّا أَنَّهُ جَمَعَ بين الصفتين لاختلاف فائدهما وقيل المراد بالكتاب القرآن وبالحكمة الوحي من السنة وما لا يعلم إلا من جهته بالأحكام أَي وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ وقد بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ ونظائرها وظيفة الرسول وهي ثلاثة.

تلاوة الآيات على الناس والتزكية وهي النسبة إلى الإزدياد من الأفعال الحسنة التي ليست بمثوبة ويُقال أيضاً على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء إليه واللطف فيه والتعليم وهو الأصل.



## فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون (١٥٢)

### ◀ اللغة

فَاذْكُرُونِي: الذِّكْرُ حُضُورُ المعنى لِلنَّفْسِ فقد يكون بِالِالْقَلْبِ وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى في النَّفْسِ وفي أكثر الإستهمال يقال الذِّكْرُ بعد النِّسيان قالوا الفرق بين الذِّكْر والخاطر أَنَّ الخاطر مرور المعنى بِالْقَلْبِ والذِّكْر قد يكون ثابتاً في القلب وقد يكون بالقول. وَاشْكُرُوا: حقيقة الشُّكْرِ الإعتراف بالنِّعْمَةِ مع ضربٍ من التَّعْظِيمِ. وَلَا تَكْفُرُون: الكُفْرُ هو ستر النِّعْمَةِ وجحدها.

### ◀ الإعراب

وَاشْكُرُوا لِي أي إشكروا لي نِعْمَتِي وَلَا تَكْفُرُون فِيهِ حذف والتقدير ولا تكفروا نِعْمَتِي.

### ◀ التفسير

اختلفوا في المراد بالذِّكْرِ في الآية على أقوالٍ.

أحدها: اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي قاله سعيد بن جبیر.

ثانيها: اذكروني بالشُّكْرِ، اذكركم بالثُّوَابِ.

ثالثها: اذكروني بالدِّعَاءِ، اذكركم بالإِجَابَةِ.

رابعها: اذكروني بالثَّنَاءِ بالنِّعْمَةِ اذكركم بالثَّنَاءِ بِالطَّاعَةِ.

نقلها الشيخ ٢٢٢ في التبيان وقال الطبرسي ٢٢٢ قيل معناه اذكروني بطاعتي

اذكركم برحمتي عند سعيد بن جبیر بيانه:

قال الله تعالى: **وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَلْرُسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** <sup>(١)</sup>.

وقيل إذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي عن ابن عباس وبيانه:

قال الله تعالى: **وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** <sup>(٢)</sup>.

وقيل إذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة عن ابن كيان بيانه:

قال الله تعالى: **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** <sup>(٣)</sup>.

وقيل إذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء

إذكروني عند البلاء إذا نسيني الناسون وقيل إذكروني في الدنيا أذكركم في

العقبى وقيل إذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء والأقوال

كثيرة ولا شك أن هذه الأقوال كلها من مصاديقه.

**أقول** الأمر بالذكر منه تعالى ليس مختصاً بهذه الآية بل جاء الأمر به في كثير

من الآيات:

قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ**

**تُقْلِحُونَ** <sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: **وَ أَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ** <sup>(٦)</sup>

قال الزاغب في المفردات، الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن

أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال إعتباراً بإحرازه

والذكر يقال إعتباراً باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء في القلب أو القول و

لذلك قيل الذكر ذكران، ذكر بالقلب و ذكر باللسان وكل واحد منهما ضربان

ذكر عن نسيان و ذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ وكل قول يقال له الذكر

فمن الذكر باللسان:

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

٢- العنكبوت = ٦٩

٤- الأحزاب = ٤١

٦- البقرة = ٢٠٣

١- آل عمران = ١٣٢

٣- إبراهيم = ٧

٥- الجمعة = ١٠

قال الله تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَنْزَلْنَاهُ<sup>(٢)</sup>

أي القرآن، وقد أطلق الذكر على الرسول أيضاً:

قال الله تعالى: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا<sup>(٣)</sup>

ومن الذكر عن النسيان:

قال الله تعالى: فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

أَذْكُرَهُ<sup>(٤)</sup>

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً:

قال الله تعالى: فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا<sup>(٥)</sup>

فهذه هي أقسام الذكر بحسب اللغة ويستفاد من كلماتهم حول الذكر وما قالوا في معناه أن معناه يختلف بحسب موارد الاستعمال وهو كذلك ولنشر الى بعض الأخبار الواردة فيه ثم نتكلم فيه فنقول.

عن كتاب معاني الأخبار بأسناده عن محمد بن مسلم في حديث طويل في آخره تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير الذي قال الله عز وجل: فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.

عن تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله لذكر الله أكبر، يقول: ذكروا الله لأجل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه ألا ترى أنه يقول إذكروني أذكركم ومنها ما رواه في مجمع البيان عن أبي جعفر عليه السلام الباقر قال قال النبي صلى الله عليه وآله: أَنْ الْمَلِكُ يَنْزِلُ الصَّحِيفَةَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ وَأَوَّلِ اللَّيْلِ يَكْتُبُ فِيهَا عَمَلَ ابْنِ آدَمَ فَأَمَلْتُوا فِي أَوَّلِهَا خَيْرًا وَفِي آخِرِهَا.



فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَادْكُرُونِي  
أَذْكُرْكُمْ وَمِنْهَا مَا عَنِ الْخِصَالِ فِيمَا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثٌ  
لَا تَطْلِقُهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ، الْمَوَاسَاةُ لِلْأَخِ فِي مَالِهِ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ  
نَفْسِهِ وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَيْسَ هُوَ سَبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا  
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَكِنْ إِذَا وَرَدَ عَلَى مَا يَحْرِمُ اللَّهُ عَلَيْهِ خَافَ اللَّهُ  
تَعَالَى عِنْدَهُ وَتَرَكَهُ انْتَهَى<sup>(١)</sup>.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ مِنْ طَرُقِ أَهْلِ السَّنَةِ فَهِيَ أَيْضاً كَثِيرَةٌ.  
مِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ: فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، يَقُولُ أَذْكُرُونِي يَا مَعَاشِرَ الْعِبَادِ  
بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي.

مِنْهَا، مَا رَوَاهُ عَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ أَذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ  
بِمَغْفِرَتِي فَمَنْ ذَكَرَنِي بِمَغْفِرَتِي وَهُوَ مُطِيعٌ فَحَقُّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَهُ  
بِمَغْفِرَتِي وَمَنْ ذَكَرَنِي وَهُوَ لِي عَاصٍ فَحَقُّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَهُ بِمَقْتٍ.  
مِنْهَا، مَا رَوَاهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَعْطَى  
أَرْبَعاً أَعْطِيَ أَرْبَعاً وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَنْ أَعْطَى الذِّكْرَ ذَكَرَهُ  
اللَّهُ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَمَنْ أَعْطَى الدَّعَاءَ أَعْطِيَ  
الْإِجَابَةَ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وَمَنْ أَعْطَى الشُّكْرَ  
أَعْطِيَ الزِّيَادَةَ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لئنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ<sup>(٢)</sup> وَمَنْ أَعْطِيَ  
الِاسْتِغْفَارَ أَعْطِيَ الْمَغْفِرَةَ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ  
غَفَّاراً.

مِنْهَا، مَا رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ قُلْ لِلظَّالِمَةِ لَا  
يَذْكُرُونِي فَأَنَّ عَلَيَّ حَقًّا أَنْ أَذْكُرَ مِنْ ذِكْرَنِي وَأَنْ ذَكَرَنِي إِيَّاهُمْ أَنْ  
أَلْعَنُهُمْ انْتَهَى.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وقد ذكر السيوطي في كتابه أخباراً كثيرة بهذه المضامين أن شئت فراجعه والذي حصل لنا من مجموع الأخبار هو أن المراد بالذكر في الآية معناه العام الشامل لأقسامه الثلاثة أعني الذكر اللساني، والقلبي والعقلي وزاد بعض العرفاء قسماً رابعاً وإصطلحوا عليه بالذكر الحالي وحيث إنجر الكلام إلى الذكر ولا شك أنه ممدوح على كل حال وقد حث إليه في الشريعة كتاباً وسنة فلا بأس بذكر بعض الكلمات من العرفاء فيه.

فعن مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام أنه قال من كان ذا كراً لله على الحقيقة فهو مُطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاص والطاعة علامة الهداية والمعصية علامة الضلالة وأصلهما من الذكر والغفلة انتهى.

أقول وإلى هذا المعنى أشير بالفارسية:

هر آنكو غافل از حقیق زمان است در آندم کافراشت اما نهان است  
اگر آن غافلی پیوسته بودی در اسلام بروی بسته بودی  
وإلى هذا المعنى أشار بعض العرفاء بقوله، فأجعل قلبك لسانك لا تحرك  
لسانك إلا بإشارة القلب وموافقة العقل ورضى الإيمان فأَنَّ الله تعالى عالمٌ  
بسرّك وجهرك وكن كالتأزاع روحه أو كالواقف في عرض الأكبر غير شاغلٍ  
نفسك عما عناك ممّا كلفك به ربك في أمره ونهيه وعده وعيده ولا  
تشغلها دون ما كلفك به وأغسل قلبك بماء الخوف والحزن وأجعل ذكر الله  
من أجل ذكره لك فأنّه ذكرك وهو غنّى عنك فذكره لك أجلّ وأشهر وأتمّ من  
ذكرك له وأستبق معرفتك بذكره لك يورثك الخضوع والخشوع والإستحياء و  
الإنكسار ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق وتصغر عند ذلك  
طاعتك وأن كثرت في جنب منته وتخلص لوجهه سُئل بعضهم عن حقيقة  
المعرفة، قال الحياة بذكر الله وسُئل عن حقيقة الجهل فقال الغفلة عن الله ما  
سلك السالك طريقاً أصح وأوضح من الذكر ولو لم يكن في مدحه سوى قوله

تعالى أنا جليس من ذكرني فكلّ عملٍ يعملهُ العبد يقابله الله ويجاز به بثوابٍ وعطاءٍ إلا الذّكر فأنّه تعالى يجاز به بتشريف المجالسة فالذّكر عنوان الولاية وبينان الوصلة وتحقيق الإرادة وعلامة صحّة البداية.

و عن كتاب فردوس العارفين عن أمير المؤمنين أنّه قال: أنّ الله تعالى يتّجلى على عباده الذّاكرين عند الذّكر وعند تلاوة القرآن من غير أن يروه ويُرهم نفسه من غير أن يتّجلى لهم لأنّه أعزّ من أن يُرى وأظهر من أن يخفى فتفردوا بالله سبحانه وإستأنسوا بذكره. روي أنّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم وقال: أتدري لِمَ إتّخذتك خليلاً قال ﷺ لا قال الله تعالى لأنك بين يدي قائماً لا يغفل قلبك عني وعلى كلّ حال لا أراك تنساني.

و روي أنّه تعالى قال لموسى ﷺ: أنّي لا أقبل صلاةً ولا ذكراً إلا لمن يتواضع لعظمتي ويلزم قلبه خوفاً ويقطع عمره بذكرى. وفي الجواهر السّنية عن الكافي عن الباقر ﷺ: مكتوب في التّوراة التي لم تتغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال ياربّ أقربْ منّي فأناجيك أم بعيدُ فأناذكُ فأوحى الله عزّ وجلّ ياموسى أنا جليس من ذكرني فقال موسى ياربّ من في سترك يوم لا ستر إلا سترك قال الله تعالى: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابّون في فأحبّهم فأولئك الذين أن أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فيهم قد نعتُ بهم عنهم.

وأما ما ذهب إليه أهل التّصوف في معنى الذّكر وكيفيّة فهو راجع إليهم لا إلى الكتاب والسّنة ولنذكر بعض ما قالوا فيه:  
قال المولى عبد الصّمد الهمداني في كتاب بحر المعارف<sup>(١)</sup> حكى أنّ عبد

اللَّهُ النَّبَاجِي بَعَثَ رَسُولًا إِلَى أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ حَتَّى قَالَ لِأَبِي يَزِيدَ أَنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَنَّ لِي مَعَكَ أَحَادِيثَ سَرِيَّةٍ فَيَعَادُنَا تَحْتَ شَجَرَةِ طُوبَى فَقَالَ أَبُو يَزِيدَ لِلرَّسُولِ قُلْ لَهُ نَحْنُ شَجَرَةُ طُوبَى مَا دَمْنَا عَلَى ذِكْرِهِ فَإِنْ لَمْ تَصَدَّقْنِي فَأَقْبِلْ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِقَوْلِهِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** <sup>(١)</sup> انتهى.

وَأَنَا أَقُولُ أَنْظِرْ إِلَى هَذِهِ الشَّطْحَاتِ وَاسْتِدْلَالِهِ بِالْآيَةِ وَلَمْ يَعْلَمْ الْفَرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: **طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** وَقَوْلِهِ هُمْ طُوبَى مَثَلًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ طُوبَى لَهُمْ، فَقَوْلُهُ لَهُمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا يَرِيدُ شَيْءٌ وَطُوبَى شَيْءٌ آخَرُ لَا أَنَّهُ هُوَ هُوَ وَأَمَّا قَالُوا كَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ بِوَحْدَةِ الوجود والموجود معاً، وَنَقَلَ فِي الْكِتَابِ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَصْطُرٍّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَيْضًا مَا لَفِظَهُ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّبَاجِي أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى جَنَّتَهُ مِنْ دَخْلِهَا كَانَ أَمْنًا طُوبَى لَهُ وَحَسَنُ مَآبٍ قِيلَ مَا هِيَ قَالَ بِذِكْرِ اللَّهِ انْتَهَى.

يُظْهِرُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي فِيهَا طُوبَى لَيْسَ لَهَا وَجُودٌ فِي الْخَارِجِ بَلْ أَنَّهَا تَوْجَدُ بِوُجُودِ الْأَنْسِ بِذِكْرِ اللَّهِ وَهُوَ خِلَافُ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ.

ثُمَّ قَالَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَضْعِ الْكِتَابِ، أَوْلِيَانِي وَأَحْبَائِي تَنْعَمُوا بِذِكْرِي وَاسْتَأْنَسُوا بِي فَأَنْتِي نَعَمُ الرَّبُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثُمَّ قَالَ وَكَانَ أَبُو يَزِيدَ رَيْبًا يَقُولُ أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ وَلَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَا يَذْكُرُ سِوَى اللَّهِ فَأَخَافُ أَنْ أَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَقُولَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ أَبُو يَزِيدَ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي رَفَعْتُ إِلَى السَّمَوَاتِ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيَّ الْمَلَائِكَةُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ فَقَالُوا يَا أَبَا يَزِيدَ تَعَالِ حَتَّى نَذْكُرَ اللَّهَ الَّتِي الْمَوْتُ فَقُلْتُ أَنِّي لَا أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ ذِكْرِي لَهُ فِي عَمْرِ قَصِيرٍ دُونَ الْإِبْدِ وَيَكُونَ لَذِكْرِي لَهُ حَدٌّ مُحَدَّدٌ وَأَجَلٌ مُعَدَّدٌ وَهُوَ يَقُولُ أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، لِأَبِي

يزيد تعال نذكر الله تعالى ساعة فقال ليس لي السّاعة لسان ذكر قيل ومتى يكون لك لسان الذّكر قال اذا اشتغل أهل النّعيم بالنّعيم وأهل الجحيم بالجحيم فأقوم بين يدي المُنعم بقدمي الأبدية من الابد الى الأبد أقول الله الله، وأمثال ذلك من الكلمات التي لا طائل تحتها منهم كثيرة ولولا مخافة أن يخرج الكتاب عن موضوعه لذكرت لك من أقوالهم فصلاً مشبعاً.

أن قلت فما المراد بالذّكر والشّكر في الآية قلت الذّكر من مصاديق الشّكر في الحقيقة وكلّ واحدٍ منهما لسانيّ وقلبيّ وحاليّ وعمليّ فاللسانيّ منهما ما يذكر باللسان والقلبيّ منهما توجه القلب الى المعبود وتخليته عن كلّ ماسواه والحاليّ منهما شهادة الحال بأنّه ذاكر شاكر، وأنّه راض برضاه في جميع الأحوال في الفقر والغنى والشّدّة والرّخاء والصّحة والمرض وهكذا. والعمليّ منهما عبارة عن حكاية العمل عنهما بأن يصرف العبد جميع أعضائه وجوارحه فيما خلقت له ومحصل الكلام توجه العبد الى ربّه بلسانه وقلبه وإعراضه عمّا سواه والعمل بمقتضى أوامره ونواهيه والتسلّم بقضائه وقدره فهذا هو الذّكر الحقيقي والشّكر المأمور به في الشريعة ولا نعلم في تحقّق الذّكر أو الشّكر إلا هذا.

والفرق بينهما بالإعتبار لا بالحقيقة فالتوجه الى المعبود من حيث هو مع قطع النظر عن كونه منعماً خالقاً يسمّى بالذّكر والتوجه اليه بإعتبار النعم يسمّى بالشّكر فالذّكر أفضل وأشرف من الشّكر وسيأتي البحث فيهما في تفسير الآيات في المستقبل إن شاء الله تعالى وفيما ذكرناه كفاية في المقام وقد تكلمنا في معنى الشّكر فيما مضى بقدر الحاجة اللهم أجعلنا من الذّاكرين.

## يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)

أقول قد مضى تفسير الصبر والصلاة في ما مضى أية<sup>(١)</sup> وأما قوله: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ أي أَنَّ اللَّهَ معهم بالمعونة والنصرة وقيل معهم بالتوفيق والتسديد أي يسهل عليهم أداء العبادات والإجتناب من المحرمات، ومعلوم أَنَّ المعية ليست بمعنى الاجتماع في المكان لأنها من شأن الأجسام وهو تعالى منزّه عن الجسمية ولوازمها بل المراد بها القرب المعنوي الذي يحصل للسانك بحسب الطاعات والعبادات وترك المحرمات كما يقال فلان وصل الى مقام القرب أي قطع المراحل في السلوك الى الله حتى وصل الى مقصده وحيث أَنَّ الصبر عبارة عن حبس النفس عما تشتهي من المقبحات وحملها على ما تنفر عنه من الطاعات قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ اذ لا طريق للعبد للوصول الى مقام القرب أحسن من حبس النفس عنها وحملها عليها، وأما خاطب المؤمنين في الآية دون الناس فلم يقل يا أَيُّهَا النَّاسُ، لأنَّ الاستعانة بالصبر والصلاة لا تتمشى إلا من المؤمن وقد قلنا سابقاً في تفسير الآية أَنَّ الصبر فسرت بالصوم لما فيه من الصبر على المشاق ولذلك يطلق الصبر على الصوم رأساً وتفصيل الكلام هناك أن شئت فراجع وموضع الذين آمنوا في الآية من حيث الإعراب رفع بأنه صفة لأي كما أَنَّ الناس أيضاً كذلك في قوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ وهو قول جميع النحويين إلا الأخفش.

بِ  
الْقُرْآنِ  
فِي  
الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ  
أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

### ◀ اللغة

سَبِيلِ اللَّهِ: السَّبِيلُ الطَّرِيقُ الَّذِي فِيهِ سَهُولَةٌ وَجَمْعُهُ سُبُلٌ وَسَبِيلُ اللَّهِ طَرِيقُ مَرْضَاتِهِ وَأَتَمَّا قِيلَ لِلْجِهَادِ سَبِيلُ اللَّهِ لِأَنَّهُ طَرِيقُ الْإِلَهِ إِلَى ثَوَابِ اللَّهِ.  
أَمْوَاتٌ: الْمَوْتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ كَمَا أَنَّ الْأَحْيَاءَ ضِدُّ الْأَمْوَاتِ.  
لَا تَشْعُرُونَ: الشَّعُورُ ابْتِدَاءُ الْعِلْمِ بِالشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشَاعِرِ وَهِيَ الْحَوَاسُ وَ قِيلَ هُوَ إِدْرَاكُ اللَّطْفِ الْحَسَنِ.

### ◀ الإعراب

أَمْوَاتٌ جَمْعٌ عَلَى مَعْنَى مَنْ وَأَفْرَدَ يُقْتَلُ عَلَى لَفْظٍ مِنْ وَهُوَ مَرْفُوعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَيُّ هُمْ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ أَيُّ بَلْ قَوْلُوا هُمْ أَحْيَاءٌ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ بِقَوْلِهِ وَلَا تَقُولُوا لِأَنَّهُ مُحْكِيٌّ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ الْمَفْعُولُ هُنَا مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ لَا تَشْعُرُونَ بِحَيَاتِهَا.

### ◀ التفسير

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ قَالَ: وَلَا تَقُولُوا وَ ذَلِكَ لَمَّا فِي الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ مِنْ تَحْصِيلِ الْإِزْدِيَادِ فِي الْقُوَّةِ بِهِمَا عَلَى الْجِهَادِ لِأَنَّ الْمَشَقَّةَ فِيهِ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَأَنْ شُتَّتْ قَلْتُ بِسَبَبِهِمَا تَصِيرُ النَّفْسُ مُسْتَعِدَّةً لِقَبُولِ الْجِهَادِ الَّذِي فِيهِ زَوَالُ الرُّوحِ عَنِ الْجَسَدِ بِالْمَرَّةِ وَقَطْعُ الْعِلَاقِ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِالْكَلْبَةِ وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَتْلِ وَ الْمَوْتِ بَعْدَ إِشْتِرَاكِهِمَا فِي زَوَالِ الرُّوحِ عَنِ الْجَسَدِ هُوَ أَنَّ الزَّوَالَ إِنْ كَانَ بِفِعْلِ الْمُتَوَلَّى لِذَلِكَ يَعْبَرُ عَنْهُ بِالْقَتْلِ وَأَنْ كَانَ بِفِعْلِ الْغَايَةِ وَانْقِضَاءِهَا يَعْبَرُ عَنْهُ بِالْمَوْتِ:

قال الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ  
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ<sup>(١)</sup>.

ولذلك قال الله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَـقُلْ لِمَنْ  
يَمُوتْ لِأَنَّ المَـجَاهِدَ بفعل المتوَلَّى له وهو القاتل ثم أَنَّ هذا القتل اذا كان في  
سبيل الله وطريق طاعته ومرضاته فهو الذي يكون مصداقاً للآية وأما اذا قُتل  
لا كذلك فلا يكون مصداقاً لها ثم أَنَّ في الآية للمفسرين أقوالاً:  
أحدها: أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ الى أن تقوم السَّاعَةُ وهو قول ابن عباس و  
قتادة ومجاهد وجمهور المفسرين.

ثانيها: أَنَّ المشركين كانوا يقولون أَنَّ أصحاب مُحَمَّد ﷺ يقتلون نفوسهم  
في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فأعلمهم الله أَنَّهُ ليس الأمر على ما  
قالوه وَأَنَّهُمْ سَيَجِيئُونَ يوم القيامة ويثابون.

ثالثها: لا تقولوا هم أموات في الدِّين بل هم أَحْيَاءٌ بالطَّاعَةِ والهُدَى.  
رابعها: أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ لِمَا نَالُوا من جميل الذِّكْرِ والثناء نقل هذه الأقوال  
الطَّبْرَسِيّ مَنِعٌ فِي المَجْمَعِ ثم قال والمُعْتَمَدُ هو القول الأوَّل لِأَنَّ عليه إجماع  
المفسرين ولأنَّ الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون أَنَّ الشَّهَدَاءَ عَلَى الْحَقِّ  
والهُدَى وَأَنَّهُمْ يَحْشَرُونَ وَيَجِيئُونَ يوم القيامة فلا يجوز أن يقال لهم وَلَكِنْ  
لَا تَشْعُرُونَ من حيث أَنَّهُمْ كانوا يشعرون ذلك وَيَقْرُونَ به ولأنَّ حملة على  
ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا أيضاً أَحْيَاءٌ بما حَصَلَ لهم من  
جميل الثناء كما قيل أيضاً وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ لَأَنَّهُمْ كانوا يشعرون ذلك و  
وجه تخصيص الشَّهَدَاءَ بكونهم أَحْيَاءٌ وَأَن كان غيرهم من المؤمنين قد يكون  
أَحْيَاءٌ فِي البرزخ أَنَّهُ عَلَى جِهَةِ التَّقْدِيمِ بذكر حالهم ثم البيان لِمَا يَخْتَصُّون به  
من أَنَّهُمْ يَرْزُقُونَ كما في الآية الأُخْرَى يَرْزُقُونَ فَرَحِينَ بما أتاهاهم الله من فضله  
انتهى.



إِعلم أَنَّ الموت على أقسام و ذلك لأنَّ الموت عبارة عن عدم الحياة فلا محالة تكون أنواعه بحسب أنواعها:

**فالأول:** ما بإزاء القوَّة الناميَّة الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات والى هذا المعنى أُشير في الكتاب بقوله يُحيي الأرض بعد موتها: قال الله تعالى: **أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً<sup>(١)</sup>**.

**الثاني:** زوال القوَّة الحاسَّة والى هذا المعنى أُشير: قال الله تعالى: **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا<sup>(٢)</sup>**

قال الله تعالى: **أَعِذَا مَا مِيتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا<sup>(٣)</sup>**.

**الثالث:** زوال القوَّة العاقلة وهي الجهالة ومنه:

قال الله تعالى: **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ<sup>(٤)</sup>**

قال الله تعالى: **إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى<sup>(٥)</sup>**.

**الرابع:** الحزن المُكْدِر للحياة:

قال الله تعالى: **وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ<sup>(٦)</sup>**.

**الخامس:** المنام فليل النَّوم مَوْتُ خَفِيفٌ وَالْمَوْتُ نَوْمٌ ثَقِيلٌ وعلى هذا النحو سَمَّاها الله تعالى تَوَفِيًّا:

قال الله تعالى: **هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ<sup>(٧)</sup>**.

قال الله تعالى: **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا<sup>(٨)</sup>**.

إذا عرفت أقسام الموت فنقول المراد بالمَوْتُ هو هذا الأخير من الأقسام الخمسة، فقوله تعالى: **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ**

٢- مريم = ٢٣

٤- الانعام = ١٢٢

٦- ابراهيم = ٧

٨- الزمر = ٤٢

١- ق = ١١

٣- مريم = ٦٦

٥- النمل = ٨٠

٧- الانعام = ٦٠

أَحْيَاءٌ معناه أَنَّهُمْ ليسوا بأَمْوات حَقِيقَةً وَأَنْ كَانَ اللَّفْظُ يَطْلُقُ عَلَيْهِمْ عُرْفاً وَلِغَةً  
وَذَلِكَ لِأَنَّ بِالْمَوْتِ تَقَطُّعَ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ بِالْكَلْبَةِ وَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا  
كَذَلِكَ لِأَنَّ عِلَاقَتَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي نَشْأَةِ الْبَرَزَخِ بَاقِيَةٌ فَمَوْتُهُمْ كَالنَّوْمِ حَيْثُ  
يَنْفَصِلُ الرُّوحُ عَنِ الْبَدَنِ فِيهِ وَمَعَ ذَلِكَ تَكُونُ الْعِلَاقَةُ بَيْنَهُمَا بَاقِيَةً وَبِهَذَا فَرَّقُوا  
بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ الطَّبِيعِيِّ فَالْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِالشَّهِيدِ كَأَنَّهُ نَامَ  
وَإِسْتَرَحَ مِنْ تَكَدَّرِ الْحَيَاةِ الَّتِي بِالْبَلَاءِ مُحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْ  
هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الَّتِي نَسَمَّيْهَا بِعَالَمِ الْبَرَزَخِ لِكُونِهِ بَرَزْخاً أَيْ وَاسِطَةً بَيْنَ عَالَمِ الْمَادَّةِ  
وَالْقِيَامَةِ بِالْمَوْتِ ظَاهِراً وَبِالنَّوْمِ وَالْحَيَاةِ وَقَعاً وَلِذَلِكَ يَقَالُ نَفْيُ الْمَوْتِ فِيهِمْ  
يَرْجِعُ إِلَى أَرْوَاحِهِمْ لَا إِلَى أَبْدَانِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ صَارُوا بِذَلِكَ مِنَ  
الْمُنْتَعِمِينَ الْمَتَلَذِّذِينَ بِالنَّعْمِ وَاللَّذَاتِ الرُّوحَانِيَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ فِي اللَّذَّةِ وَ  
أَمَّا الْجِسْمُ الْعُنْصُرِيُّ فَلَيْسَ لَهُ دَخْلٌ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِ وَأَمَّا هُوَ مَرْكَبٌ لِلرُّوحِ  
فِي دَارِ الدُّنْيَا وَأَلَّةٌ وَسَبَبٌ لِاسْتِكْمَالِ الرُّوحِ فَإِذَا أَكْمَلَ الرُّوحُ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى  
الْمَقْصَدِ وَبِهِ تَقَطُّعُ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِسْمِ فَهُوَ بَاقٍ وَالْجِسْمُ فَإِنْ وَهَذَا مَعْنَى  
قَوْلِ الْفَلَاسِفَةِ أَنَّ النَّفْسَ جِسْمَانِيَّةَ الْحُدُوثِ وَرُوحَانِيَّةَ الْبَقَاءِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ  
يَكُونَ الْمُرَادُ بِنَفْيِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ نَفْيُهُ بِالْمَعْنَى الرَّابِعِ أَعْنِي بِهِ نَفْيُ الْحُزْنِ عَنْهُمْ  
بِالشَّهَادَةِ أَيْ لَا تَقُولُوا أَنَّهُمْ مَحْزُونُونَ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ بَلِ الْحُزْنُ وَالْهَمُّ  
قَدْ زَالَا عَنْهُمْ بِالشَّهَادَةِ إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا مِنْ نَعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ فِي حَقِّهِمْ، أَوْ يَقَالُ  
نَفَى اللَّهُ عَنْهُمْ الْحُزْنَ فِي عَالَمِ الْبَرَزَخِ بِبَرَكَةِ الشَّهَادَةِ فَهُمْ مُسْرَرُونَ مُتَنَعِّمُونَ  
فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** <sup>(١)</sup> وَأَمَّا الْمَوْتُ بِمَعْنَى زَوَالِ  
الْقُوَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَإِبَانَةِ الرُّوحِ عَنِ الْجَسَدِ أَوْ زَوَالِ الْقُوَّةِ النَّامِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي  
الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ فَلَا شَكَّ فِي تَحَقُّقِهِ فِيهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:  
**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** وَمَحْضَلُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى نَفَى عَنْهُمْ الْمَوْتَ فِي

بَابُ التَّوَقُّفِ فِي نَفْسِ الْقَدَرِ

جزء ٢

بَابُ التَّوَقُّفِ فِي نَفْسِ الْقَدَرِ

الآية و نظائرهما كقوله: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**<sup>(١)</sup> ونفي الموت يستلزم الحياة بل هو عينها لدوران الأمر بين الموت والحياة فإذا نفي الموت فالموجود حيٌّ وإذا انشقت نفيت الحياة فهو ميت و حيث أَنَّ اللَّهَ تعالى قد صرَّح بعدم كونهم من الأموات فلا محالة يكونون أحياء وهذا القدر ممَّا لا كلام فيه لأحدٍ وأنما الكلام في معنى الحياة. فنقول أنَّها عبارة عن الحياة في نشأة البرزخ وهم في هذه النشأة كالتائم فكما أنَّه حيٌّ في نومه وتصل إليه اللذات مع أنَّه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السُّرور والالتذاذ حتَّى أنَّه يؤد أن يطول نومه فكذلك الشهيد الذي قُتل في سبيل الله كأنه نائم في عالم البرزخ فيرى في هذا النوم الطويل ما يجد به السُّرور والالتذاذ بحيث يؤد أن يطول نومه ولعله إلى هذا يشير ما في بعض الأحاديث، ثم نومة العروس وفي بعض آخر أنه يفسح له مدة بصره وهذا هو الموافق لأخبارنا المروية عن المعصومين كما سيأتي وأما القوم فقد سلكوا في حل الإشكال وتحقيق المقال مسالك مُتفرقة مُختلفة لا ترجع إلى محصل ونحن نُشير إلى بعضها:

منها ما قاله القرطبي في تفسير قوله تعالى: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**<sup>(٢)</sup> قال وقد اختلف العلماء في هذا المعنى فالذي عليه المُعظم هو ما ذكرناه وأنَّ حياة الشهداء مُحَقَّقة ثمَّ منهم من يقول ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون.

وقال مجاهد يرزقون من ثمر الجنة أي يجدون ريحها وليسوا فيها وصار قوم إلى أنَّ هذا مجاز والمعنى أنَّهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة وهو كما يقال ما مات فلان أي ذكره حيٌّ كما قيل فيه.

موت التقي حياة لا فناء لها قد مات قومٌ وهم في الناس أحياء

بَابُ التَّوَقُّفِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّوَقُّفِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

فالمعنى أَنَّهُمْ يَرْزُقُونَ الثَّأْنِ الْجَمِيلِ ، و قَالَ آخَرُونَ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ و أَنَّهُمْ يَرْزُقُونَ فِي الْجَنَّةِ و يَأْكُلُونَ و يَتَنَعَّمُونَ و هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنَ الْأَقْوَالِ لِأَنَّ مَا صَحَّ بِهِ الثَّقَلُ فَهُوَ الْوَاقِعُ و حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ نَصُّ يَرْفَعُ الْخِلَافَ و كَذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ اِنْتَهَى.

أَقُولُ مَقْصُودُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا رَوَاهُ فِي صَدْرِ الْبَحْثِ عَنْ كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أُصِيبَ أَخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرْدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا و تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلَقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا أَكَلَهُمْ و مَشْرَبَهُمْ و مَقِيلَهُمْ قَالُوا مِنْ يَبْلُغُ أَخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نَرْزُقُ لَنَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ و لَا يَنْكَلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَ لَا تَخْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ.

و هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَ الثَّقَلُ أَصْلُ أَقْوَالِهِمْ وَ أُسَاسُ إِعْتِقَادِهِمْ فِي مَعْنَى الْآيَةِ فَإِنَّ الْغَرِيقَ يَتَشَبَّهُ بِكُلِّ حَشِيشٍ وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ نَقْلُوهُ فِي تَفَاسِيرِهِمْ وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهِ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ مُلْخَصًا.

و قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ تَعَارَفَ فِي طَيْرٍ بَيضٍ يَأْكُلْنَ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ و أَنَّ مَسَاكِنَهُمْ سَدْرَةُ الْمُنْتَهَى الْحَدِيثُ وَ قَدْ نَقَلَهُ بِطَرَقٍ كَثِيرَةٍ.

و مِثْلُهُ السَّيُّوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْثَوْرِ حَيْثُ رَوَى حَدِيثَ الطَّبْرِيِّ بِطَرَقٍ مُخْتَلِفَةٍ و ابْنُ كَثِيرٍ الدَّمَشْقِيُّ رَوَاهُ عَنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ الْخ.

وَالْأَلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِ رُوحِ الْمَعَانِي وَ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَعْيَانِ مُفَسَّرِي الْعَامَّةِ إِلَّا أَنَّ بَعْضَهُمْ رَوَى أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ

لَقَلَّقَ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الْجَنَّةِ وَ بَعْضَهُمْ رَوَى أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ فِي حَوَاصِلِ الطَّيُورِ أَوْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورِ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ فَالْأَلْفَاظُ وَأَنَّ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً إِلَّا أَنَّ الْمَالَ فِيهَا وَاحِدٌ وَالَّذِي يُسْتَفَادُ مِنْ أَخْبَارِنَا الْمَرْوِيَّةِ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خِلَافَ ذَلِكَ.

فَقَدْ رَوَى الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ التَّهْذِيبِ مُسْنَدًا إِلَى عَلِيِّ ابْنِ مَهْزِيَارٍ بِأَسْنَادِهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِسًا فَقَالَ عليه السلام: مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ قُلْتُ يَقُولُونَ فِي حَوَاصِلِ طَيْرِ خَضِرٍ (الْحَوْصَلَةُ مِنَ الطَّائِرِ بِمَنْزِلَةِ الْمَعْدَةِ لِلْإِنْسَانِ) فِي قَنَادِيلٍ تَحْتَ الْعَرْشِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام سَبِّحَا اللَّهَ الْمُؤْمِنُ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ رُوحَهُ فِي حَوْصَلَةِ طَائِرٍ أَخْضَرَ يَا يُونُسَ الْمُؤْمِنُ إِذَا قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَيَّرَ رُوحَهُ فِي قَالِبٍ كَقَالِبِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ الْقَادِمُ عَرَفُوهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا انْتَهَى.

وَعَنْهُ ابْنُ عَمِيرٍ عَنْ حِمَادٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى صُورِ أَجْسَادِهِمْ لَوْ رَأَيْتَهُ لَقُلْتَ فَلَانٌ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ يَفْسَحُ لَهُ مَدَدٌ بَصْرَهُ وَيَقَالُ لَهُ نُمُ نَوْمَةٍ الْعُرُوسِ انْتَهَى.

أَقُولُ يَظْهَرُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَمْثَالِهِ أَنَّ حَدِيثَ الطَّيْرِ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ إِذْ كَيْفَ يَعْقِلُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي نَسَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فِي حَوْصَلَةِ طَيْرٍ.

أَمَّا أَوَّلًا: فَلَا تَلْزِمُ مِنْهُ التَّنَاسُخُ الَّذِي اتَّفَقُوا عَلَى بَطْلَانِهِ وَاسْتِحَالَتِهِ وَمَعْنَاهُ تَعَلُّقُ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِ إِلَى بَدَنِ آخَرَ مُغَايِرٍ لَهُ وَ مَا نَحْنُ فِيهِ كَذَلِكَ فَأَنَّ حَوْصَلَةَ

الطَّيْر مغايرة للجسم الَّذِي كان الرُّوح متعلّقاً به في دار الدُّنْيَا وهو معلوم لا خفاء فيه ولا نعني بالتَّناسُخ إلّا هذا.

ثانياً: لقائل أن يقول لم جعل الله أرواحهم في حواصل الطَّيُور وأي شَرَف وفضيلة فيه للمؤمن أو الشَّهيد.

ثالثاً: أنَّ مراتب الكمال من النَّبات إلى الحيوان ومنه إلى الإنسان فالإنسان أفضل المواليد فلو فرضنا أنَّ روحه بعد الوصول إلى الكمال يرجع إلى حوصلة الطَّائر يلزم منه العَوْد من الكمال إلى النِّقص وهو خلاف العقل والنَّقل فثبت وتحقّق أنَّ هذا الحديث وأمثاله بالخرافات أشبه فلا يجوز التَّعويل عليه أصلاً والمُعتمد.

ما روي عن الصَّادق عليه السلام: وهو أنَّ الله تعالى صيّر رُوحه في قالب كقالبه في الدُّنْيَا وهذا هو الموافق للعقل السَّليم وقد يعبر عنه في بعض الأخبار بالبدن المثالي الَّذِي هو عين البدن الدُّنيوي ومع ذلك هو غيره وقد ورد في بعض الأخبار بهذا التَّعبير، هو وهو غيره، ونحن نقول به تبعاً لأكثر المحقِّقين وسيأتي البحث في إثباته بل وجوده حتّى في دار الدُّنْيَا قبل المَوْت فإن البدن المثالي هو الَّذِي يتعلّق الرُّوح به في حالة النُّوم وهو من أقوى الدَّلائل على إثباته ووجوده وهذا البدن المثالي هو الَّذِي يتعلّق الرُّوح به في عالم البرزخ وتصل إليه اللِّذات فيصيراً مبتهجاً مَسروراً أن كان من السَّعداء أو مُعذَّباً مهموماً أن كان من الأَشقياء وهو يدرك اللَّذَّة والألم في تلك الحالة كما أنَّ النَّائم يدرك اللَّذَّة والألم في النُّوم، لذلك قال الله تعالى ولكن لا تشعرون ولم يقل ولكن لا يشعرون لأنَّهم يشعرون حقّاً نعم إنّنا لا نشعر ولا نحسّ ما هم فيه من اللَّذَّة والسُّرور لأنَّ علائق الطَّبيعة والمادّة مانعة عن الشُّعور والإدراك

في عالم البرزخ وأما النفوس الكاملة والأرواح الطيبة التي لها تعلق  
بغواشي المادة وعلائق الطبيعة كالأنبياء والأوصياء والكليّن من  
أتباعهم فأنّهم يرون ما يراه الشهيد والسّعيد في برزخه ولذلك قال  
أمير المؤمنين عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وبالجملة  
السّعداء والشّهداء موتهم كالنّوم الثقيل بحسب الظّاهر واما  
بحسب الواقع فنحن النّائمون وهم المتنبّهون كما قال رسول الله  
النّاس نيام إذا ماتوا انتبهوا.

وهذا الموت هو الذي يليق بأنّ يقال فيه:

ألا موت يباع فأشتره فهذا العيش ما لا خير فيه  
ألا موت لذيذ الطّعم يأتي يخلّصني من الموت الكريه  
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو أننما ممّا يليه  
ألا رحم المهيمن نفس حيّ تصدّق بالوفاء على أخيه

هذاكلّه في عالم البرزخ، وأما في الدّنيا فسيبقى منهم ذكر جميل عند النّاس و  
محبتّه مكنونة في القلوب وذلك لأنّ أبدانهم وأن كانت مفقودة إلّا أنّ أعيانهم  
في القلوب موجودة فهم أحياء بذلك المعنى أيضاً فإنّ الميّت الحقيقي من  
مات ذكره، النّاس موتى وأهل العلم أحياء، ولنعم ما قيل:

لما سقاني حبيبي كأسه الصّافي طابت به وصفت في النّاس أوصافي  
وهزّني من شذاها نفحة عبقت من كأسها فأنال السكر أعطاني  
بها تعارفت الأرواح من قدم وحسن كلّ الى كلّ بأنصاف  
لولا سناها ولولا نور بهجتها ما كنت أعرف أشكالي وآلاني

وأما ما قيل أنّ الآية مخصوصة بعدّة من شهداء بدر أو أحد فلا دليل عليه  
فإنّ الآية تفيد العموم وحملها على المخصوص يحتاج الى دليل وإذ ليس  
فليس.

قال الطَّبَّاطْبَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ <sup>(١)</sup> مَا لَفْظُهُ فَمَعْنَى الْآيَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ وَلَا تَعْتَقِدُوا فِيهِمُ الْفَنَاءَ  
وَالْبَطْلَانُ كَمَا يَفِيدُهُ لَفْظُ الْمَوْتِ عِنْدَكُمْ وَمَقَابِلَتُهُ مَعَ الْحَيَاةِ وَكَمَا يَعِينُ عَلَى هَذَا  
الْقَوْلِ حَوَاسِكُمْ فَلْيَسُوا بِأَمْوَاتٍ بِمَعْنَى الْبَطْلَانِ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ حَوَاسِكُمْ لَا  
تَنَالُ ذَلِكَ وَلَا تَشْعُرُ بِهِ وَالْقَاءُ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَعَ أَنَّهُمْ جَمِيعاً أَوْ  
أَكْثَرُهُمْ عَالِمُونَ بِبَقَاءِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَدَمِ بَطْلَانِ ذَاتِهِ أَنَّمَا هُوَ  
لِإِبْقَاظِهِمْ وَتَبْيِينِهِمْ بِمَا هُوَ مَعْلُومٌ عَنْهُمْ يَرْتَفِعُ بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَيْهِ الْحَرْجُ عَنْ  
صُدُورِهِمْ وَالْإِضْطِرَابِ وَالْقَلْقِ عَنْ قُلُوبِهِمْ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةُ الْقَتْلِ فَأَنَّهُ لَا  
يَبْقَى مَعَ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ الْقَتْلِ عِنْدَ أَوْلِيَاءِ الْقَتْلِ إِلَّا مَفَارِقَةٌ فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ فِي الدُّنْيَا  
وَهُوَ هَيِّنٌ فِي قِبَالِ مَرْضَاةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَا نَالَهُ الْقَتِيلُ.

مِنَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالنَّعْمَةِ الْمَقِيمَةِ وَرِضْوَانِ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَهَذَا نَظِيرُ خُطَابِ  
النَّبِيِّ بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** <sup>(٢)</sup>.

مَعَ أَنَّهُ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ كُنِيَ بِهِ عَنْ وَضُوحِ  
الْمَطْلَبِ وَظُهُورِهِ بِحَيْثُ لَا يَقْبَلُ أَيُّ خَطُورٍ نَفْسَانِي لَخِلَافِهِ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.  
**أَقُولُ** يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ لَيْسَتْ بِصَدَدِ بَيَانِ شَيْءٍ لَمْ يَعْلَمُوا بِهِ  
بَلْ كُنِيَ بِهَا عَنْ وَضُوحِ الْمَطْلَبِ لِأَنَّهُمْ جَمِيعاً أَوْ أَكْثَرُهُمْ عَالِمُونَ بِبَقَاءِ حَيَاةِ  
الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَدَمِ بَطْلَانِ ذَاتِهِ، فَأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنْهُ صَرِيحٌ فِيمَا  
إِسْتَفَدْنَاهُ مِنْ كَلَامِهِ وَأَصْرَحَ مِنْهُ قَوْلُهُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ وَلَكِنَّهُ كُنِيَ بِهِ عَنْ  
وَضُوحِ الْمَطْلَبِ وَهَكَذَا إِسْتَدْلَالُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ**.

وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا زَعَمَهُ أَمَّا أَوَّلًا فَلَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ نَزُولِ الْآيَاتِ لَمْ  
يَكُونُوا عَالِمِينَ بِبَقَاءِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا عِلْمُوا بِذَلِكَ بَعْدَ نَزُولِ  
الْآيَاتِ وَذَلِكَ وَاضِحٌ عَلَى الْمُتَّبِعِ الْخَبِيرِ بِأَحْوَالِهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَلَى فَرَضِ



التسليم بكونهم عالمين بالبقاء بعد الموت لم يكونوا عالمين بكيفية الحياة و البقاء في عالم البرزخ فأن العلم بأصل الحياة لا يلازم العلم بكيفيتها وأنهم أحياء يرزقون عند ربهم.

ثالثاً: العلم ببقاء حياة الإنسان بعد الموت عام يشمل الجميع والآية ناظرة الى حياة خاصة لأفراد مخصوصين وهم الشهداء فأن كيفية حياتهم بعد الموت تغاير كيفية حياة غيرهم بعده فالذي يقوي في النظر هو أن الآية بصدد بيان كيفية الحياة بعد الموت لهؤلاء الأشخاص أعني بهم المقتولين في سبيل الله وأنهم في عالم البرزخ متنعمون بالنعم الروحانية ولما كانت بهذا المعنى مختصة بطائفة خاصة ولم يكن الناس عالمون بها فالآية أعلمهم بذلك تشويقاً لهم ليرغبوا في الجهاد في سبيل الله فلا معنى لقوله، بل كُنِّي بها عن وضوح المطلب، ومن أين ثبت له أن هذا الأمر كان واضحاً عندهم.

أما قوله وهذا نظير خطاب النبي بمثل قوله: **أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرينَ** مع أنه أول الموقنين فيقال له أن بين الأيتين فرق واضح وهو أن الآية أعني بها، الحق من ربك، وأن كان الخطاب فيها ظاهراً الى النبي إلا أن المقصود أمته كسائر الخطابات في القرآن وأنما خوطب بها تشريفاً وتكريماً كما هو ثابت عند الكل وما نحن فيه ليس من هذا القبيل لأن الله تعالى في الآية المبحوثة عنها بصدد التفهيم والتعليم واقعاً ولم يكن هناك وضوح أصلاً وعلى فرض التسليم وهو أن يكون الخطاب للرسول ﷺ وأن الكلام كُنِّي به عن وضوح المطلب كما أعترف به فإثبات هذا المعنى فيما نحن فيه مُشْكَل فكيف يثبت التنظير بين الأيتين، وبما ذكرناه يظهر ما في كلامه بعد ذلك حيث قال، فالآية تدل دلالة واضحة على حياة الإنسان البرزخية كالأية النظيرة لها وهي قوله: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** (١).

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

و ذلك لأنَّ الأيتين لا دلالة لهما على حياة الإنسان البرزخية أصلاً و أيّ دلالة فيهما على حياة الإنسان البرزخية بل تدلان على أنَّ المقتول في سبيل الله حيّ عند ربّه و أمّا أنَّ الحياة في عالم البرزخ فلا تستفاد من الأيتين فلو كُفا هاتين الأيتين لم يكن لنا قول بوجود البرزخ والإعتقاد به لعدم دلالتهما عليه فضلاً عن وضوحها و أمّا نقول و نعتقد بوجود البرزخ من قوله تعالى: **وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**<sup>(١)</sup> و غيرها من الآيات الدّالة على المُدّعي و محصل الكلام هو أنَّ الآية المبحوثة عنها و نظائرها يستفاد منها أنَّ الذي يقتل في سبيل الله له مقامٌ عند ربّه ليس لغيره و هـنـو متنعّم مرزوقٌ عنده و هذا القدر ممّا لا كلام فيه و أمّا ما زاد عليه فهو محتاج الى الإنبات فالدّلالة الواضحة على حياة الإنسان البرزخية مَمْنُوحَة نعم و جود البرزخ ثابت بغيرها.

و أمّا قوله تعالى: **وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** الفرق بين الشّعور و العلم أنَّ الشّعور بمعنى الجِسّ كما قالوا المشاعر الحواس فقلوه: **وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** أي لا تُدركونه بالحواس، و أمّا العلم فهو إدراك الشّيء بحقيقته و ذاته و لذلك يقال الله تعالى عالم و لا يقال الله شاعر لعدم وجود الحواس فيه إذا علمت هذا فنقول في قوله تعالى: **وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** إشارة الى أنَّ النّعم الواصلة الى الشّهداء في البرزخ ليست بمحسوسات لكم فأنكم لا تحسّونها بحواسكم أعني بها السّامعة و الباصرة و الّلامسة و الذّائقة و الشّامة و غيرها فلا تسمعون أصواتهم و لا تبصرون ما هم فيه من النّعم و هكذا و هو كذلك و أمّا لم يقل و لكن لا يعلمون، لأنّ العلم بما هم فيه في تلك النشأة ربما يكون حاصلًا للأحياء من طريق الكتاب و السنّة فإنّ قوله تعالى: **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** و أمثاله من الآيات يوجب العلم بتلك النشأة و ما فيها من النّعم و ذلك لأنّه يقول، هذا كلام الله تعالى و كلّ كلام الله صدق و حقّ فهذا صدق

وَحَقٌّ وَهَذَا الْقِيَاسُ يُعْطِيهِ الْعِلْمُ بِكَوْنِهِ صَدَقًا وَحَقًّا فَالْعِلْمُ حَاصِلٌ بِخِلَافِ  
 الْمَشْهُورِ وَهَذِهِ الدَّقِيقَةُ هِيَ الَّتِي صَارَتْ سَبَبًا لِنَزُولِ الْآيَةِ فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ  
 أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ عَدَمَ شُعُورِهِمْ بِالْقَضِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ إِنْكَارُهَا بِمَجْرَدِ عَدَمِ  
 الشُّعُورِ إِذِ الْإِنْكَارُ رَاجِعٌ إِلَى عَدَمِ الْعِلْمِ لَا إِلَى عَدَمِ الشُّعُورِ فَمَنْ أَنْكَرَ عَالَمَ  
 الْبَرَزَخِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ اللَّذَاتِ وَالْأَلَمِ يَفْرِقُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالشُّعُورِ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ  
 لَا يُعْتَنِي بِقَوْلِهِ وَإِنْكَارِهِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْمَى لَا يَبْصُرُ الضَّوْءَ وَسَائِرَ الْمُبْصِرَاتِ  
 مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْجِبَالِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ وَ  
 هَكَذَا سَائِرُ الْحَوَاسِّ وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُنْكَرُهَا وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَنْكَرُهَا عَقْلًا لِأَنَّهُ يَعْلَمُ  
 بِوُجُودِهَا وَالْإِنْكَارُ فِي عَدَمِ الْعِلْمِ لَا فِي عَدَمِ الشُّعُورِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا  
 الْقَبِيلِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمَوْجُودَ فِي الْخَارِجِ قَدْ يَكُونُ مُحْسُوسًا وَقَدْ يَكُونُ  
 مَعْلُومًا مَعْقُولًا فَكُلُّ مُحْسُوسٍ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ كُلُّ مَعْلُومٍ مُحْسُوسٍ كَمَا أَنَّ وُجُودَ  
 الْحَقِّ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ بِمُحْسُوسٍ وَالنَّفْسُ النَّاطِقَةُ مَعْلُومَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُحْسُوسَةٍ وَ  
 هَكَذَا وُجُودُ الْمَلِكِ وَالْجِنِّ وَالشَّيْطَانِ وَغَيْرِهَا فَالْعَاقِلُ إِذَا لَمْ يَحْسُ شَيْئًا لَا يَقُولُ  
 أَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.



وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ  
مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ  
الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ  
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ  
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

### ◀ اللغة

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ: يقال بلى الثوب بلاءً وبلاءً أي خلق ومنه بَلَوْتُهُ أي أَخْبَرْتُهُ كَأَنَّهُ  
أَخْلَقْتَهُ من كثرة إختباري له يقال أبليت فلاناً إذا أَخْبَرْتَهُ وَسُمِّيَ الْغَمُّ بَلَاءً من  
حيث أَنَّهُ يُبْلَى الْجِسْمُ.

بِشَيْءٍ: الشَّيْءُ قِيلَ هُوَ الَّذِي يَصَحُّ أَنْ يَعْلَمَ وَيَخْبَرُ عَنْهُ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُ  
يَطْلُقُ عَلَى الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ لَكُونِهِ مَشْتَرَكِ الْمَعْنَى وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُ لَا  
يَطْلُقُ إِلَّا عَلَى الْمَوْجُودِ وَأَصْلُهُ مَصْدَرٌ شَاءَ.

مِنَ الْخَوْفِ: الخوف مصدر خَافَ يَخَافُ خَوْفًا وَهُوَ عَلَى مَا قِيلَ تَوَقَّعَ  
مَكْرُوهٍ عَنْ إِمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ أَوْ مَعْلُومَةٍ وَضَدَهُ الرَّجَاءُ وَهُوَ تَوَقَّعَ مَحْبُوبٍ كَذَلِكَ وَ  
قِيلَ ضِدُّ الْخَوْفِ الْأَمْنُ أَوْ الْجُوعُ، الْجُوعُ الْأَلَمُ الَّذِي يَنَالُ الْحَيَوَانَ مِنْ خُلُوعِ  
الْمَعْدَةِ عَنِ الطَّعَامِ.

وَنَقْصٍ: النَقْصُ الْخُسْرَانُ فِي الْحِظِّ.

وَالْأَنْفُسِ: جَمْعُ النَّفْسِ وَهِيَ الرُّوحُ وَفِي اللَّهِ تَعَالَى ذَاتَهُ.

وَالثَّمَرَاتِ: وَاحِدُهَا ثَمَرَةٌ وَالتَّاءُ لِلْوَحْدَةِ الثَّمَرُ إِسْمٌ لِّكُلِّ مَا يَتَطْعَمُ مِنْ  
أَعْمَالِ الشَّجَرِ.

**مُصِيبَةٌ:** يقال أصاب السَّهم إذا وَصَلَ إلى المرمى بالصَّواب والمُصِيبَةُ أصلها في الرَّمِيَةِ ثمَّ إِيخْتَصَّتْ بالنَّائِبَةِ.  
**صَلَوَاتُ:** جمع صلاة كالفلوات جمع الفلاة.

### الإعراب.

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ جَوَابَ قِسْمٍ مَحذُوفٍ وَالفعل المضارع يَبْنِي مع نون التأكيد و  
 حَرَكَتِ الواو بالفتحة لَخَفَتْهَا مِنَ الْخَوْفِ في موضع جرّ صفة لشيءٍ مِنَ الْأَمْوَالِ  
 في موضع نصب صفة لمحذوف تقديره وَشيءٍ من نقص الأموال وَالْأَنْفُسِ  
 وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ كُلَّهَا معطوف على الأموال الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ  
 في موضع نصب صفة للصَّابِرِينَ أو بِإِضْمَارِ أعني وَيجوز أن يكون مبتدأ  
 أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ خَبَرَهُ إِنَّ اللَّهَ الْجَمْهُورَ على تَضْخِيمِ الألف في إِنَّا، عَلَيْهِمْ  
 مبتدأ صَلَوَاتٌ مبتدأ ثانٍ وَعَلَيْهِمْ خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر أُولَئِكَ،  
 أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ هُمُ مبتدأ والمهتدون خبره.

### التفسير

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ أَي وَلَنَصِيبَنَّكُمْ إصَابَةَ الْمُخْتَبَرِ هَلْ تَصْبِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ وَ  
 تَسْتَسْلِمُونَ لِلْقَضَاءِ بِشَيْءٍ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا وَطَرَفٍ مِنْهُ.  
 مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ. أَمَّا أَتَى بِكَلِمَةٍ مِنَ التَّبَعِيضِيَةِ لِلدَّلَالَةِ  
 عَلَى أَنَّ الْإِخْتِبَارَ بِبَعْضٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَهَكَذَا لَا بِكُلِّ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ  
 ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّي يَصْدَقُ عَلَى مُصَادِقٍ كَثِيرَةٍ دَاخِلَةٍ تَحْتَهُ  
 ثُمَّ أَنَّ صَدَقَ الْكُلِّي عَلَى مُصَادِقِهِ لَيْسَ عَلَى طَرِيقِ التَّوَاطُّى بَلْ صَدَقَهُ عَلَيْهَا  
 عَلَى سَبِيلِ التَّشْكِيكِ لِأَنَّ الْخَوْفَ مِثْلًا لَهُ مَرَاتِبُ كَثِيرَةٌ مُتَفَاوِتَةٌ شَدَّةً وَضَعْفًا وَ  
 كَمَالًا وَنَقْصًا وَتَقَدُّمًا وَتَأَخُّرًا وَهَكَذَا فَالْخَوْفُ مِنَ الْأَسَدِ مِثْلًا أَشَدَّ مِنَ الْخَوْفِ  
 مِنَ الذَّنَبِ وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ مِنَ الثَّعْلَبِ وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ مِنَ الْهَرَّةِ وَ

الخوف من الحية أشدّ من الخوف عن العقرب وهكذا في جانب الجوع فإن الإنسان اذا لم يأكل شيئاً في اليوم فهو جائع لا محالة في آخر اليوم ثم اذا ضمّ الى اليوم الليل يصير جوعه أشدّ واكمل واذا ضمّ اليه اليوم والليله يصير أشدّ وأكمل حتّى يصل الى الموت جوعاً ومعلوم أنّ المرتبة الأولى منه أضعف من المرتبة الأخيرة المتصلة بالموت ثم أنّ النقص في الأموال يصدّق على نقص درهم أو درهمين من المال وعلى الثلاثة والأربعة والخمسة الى آخر المراتب فكلّها من مصاديق النقص مع وجود الشدة والضعف والكمال والنقص في المراتب وهكذا في الثمرات فثبت أنّ كلّ واحد منها كلّي مشكك وهو المطلوب.

اذا عرفت هذا فنقول دلّت الآية على أنّ الإختبار بأحد هذه الأمور أو بأكملها وهذا ممّا لا كلام فيه أنّما الكلام في أنّ الإختبار بالخوف أو الجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات في أي مرتبة من مراتبها في المرتبة الضعيفة أو المتوسطة أو القليلة أو الكثيرة والجامع منها النقص والكمال بأن يقال في المرتبة الناقصة أو الكاملة.

والجواب أنّ شرائط الإستطاعة والقُدرة في المقام معتبرة فكلّ إنسان يُختبر بحسب قدرته وإستعداده فكما أنّ الله تعالى لا يكلف نفساً إلّا وسعها، في دائرة التشريع والتكليف كذلك لا يختبر نفساً إلّا وسعها في دائرة الإمتحان والإبتلاء وإلّا يلزم الظلم.

النّاشي من التكليف بما لا يطاق وهو غير معقول في حقّه تعالى الله عنه و اذا كان الأمر على هذا المنوال بالإمتحان بالخوف مثلاً يتفاوت في حقّ الأفراد وهكذا في سائر الامور ثمّ أنّ التّفاوت بحسب تفاوت الإستعداد والقابليّات فلا يختبر إنسان بجميع مراتب الخوف بل ببعضها ولا يختبر بجميع مراتب الجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات بل يختبر ببعضها على حسب قدرته

وإستعداده والمصلحة التي روعيت فيه ولأجل ذلك قال الله تعالى بشئ من الخوف ولم يقل بالخوف والجوع مثلاً فالإتيان بكلمة من المفيد للتبعض لأجل هذه الدققة الخفية على جميع المفسرين ولذلك لا ترى أحداً منهم تعرض لها ومن أراد أن يبين وجه التبعض منهم ما قال الطبرسي رحمته الله في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه وأنما قال من الخوف على وجه التبعض لأنه لم يكن مؤبداً معناه أن الإختبار بالخوف والجوع لما لم يكن مؤيداً دائماً من أول عمره إلى آخره مثلاً بل كان في برهة من الزمان فلذلك أتى بالتبعض أي نختبركم في برهة من الزمان بالخوف والجوع إلى آخرها لا دائماً ولم يلتفت رحمته الله أن التبعض في الجوع والخوف غير التبعض في الزمان الذي وقع الجوع والخوف فيه فلو كان المعنى كما ذكره فحق الكلام أن يقال ولنبلونكم بشئ مما يقع فيه الخوف والجوع وأمثالها أي من بعض الزمان الذي يقع فيه الخوف والجوع ولم يقل هكذا بل قال من الخوف والجوع فجعل التبعض في نفس الخوف والجوع والأنفس إلى آخرها فيصير المعنى ببعض من الخوف والجوع أي ببعض مراتبه فإذا قلنا أكلنا من الثمرات معناه أكلنا بعض الثمرات وليس معناه أكلنا بعض الزمان منها لا دائماً وهذا واضح لا خفاء فيه والشيخ الطبرسي رحمته الله ليس من لم يعلم بهذا والفرق بينهما ولكنه قد غفل عنه وكم ترك الأوائل للأواخر وهذا منه وأمّا غيره من المفسرين لم يتوجهوا إلى الدققة أصلاً ولذلك لم يتعرضوا لها وبشر الصابرين على الشدائد والبيات النازلة بهم وفي الآية دلالة على أن الإختبار لا محالة واقع وأنواعه وأقسامه تتفاوت لما ذكرناه من تفاوت الإستعدادات والقابليات وينبغي التوجه إلى أمور تستفاد من الآية الشريفة:

أحدها: أن الإبتلاء على إختلاف أقسامه وتفاوت أنواعه كمّا وكيفاً أمر لا محيص عنه وهو لا محالة واقع لجميع الأفراد ولا إستثناء فيه ويدل عليه قوله: **لَنَبْلُوَنَّكُمْ** فإن الخطاب لجميع الناس كائناً من كان:

قال الله تعالى: **الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**، **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** <sup>(١)</sup> وهو عام يشمل جميع الناس من آدم الى وقت نزول الآية:

قال الله تعالى: **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** <sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** <sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: **وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** <sup>(٧)</sup>.

والآيات كثيرة فثبت وتحقق أن أصل الإبتلاء واقع لا محالة في حق الكل مسلماً كان أو كافراً مؤمناً أو فاسقاً عالماً أو جاهلاً رجلاً أو امرأة وهذا مما لا خلاف فيه.

**ثانيها:** أن الإبتلاء يختلف كمّاً وكيفاً ونوعاً ويدل عليه قوله: **مِنْ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ** ومن المعلوم إختلاف هذه الأمور بحسب النوع فإن الخوف شيء والجوع شيء آخر مغاير له ونقص الأموال شيء آخر مغاير لهما والأنفس مغاير لهما والثمرات مغايرة للكل هذا كله بحسب الإختلاف في النوع وأما الإختلاف في الكم فلا أن الخوف والجوع وهكذا سائر الأنواع تتفاوت بالنسبة الى الأشخاص كميةً على حسب القابليات

بَابُ التَّوْقَاتِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

٢- ص ٣٤.

٤- التوبة = ١٢٦

٦- الكهف = ٧

١- العنكبوت = ١/٢/٣

٣- الذّحان = ١٧

٥- الانبياء = ٣٥

٧- الأعراف = ١٦٨



والإستعدادات لما مرّ وأما الإختلاف في الكيف فهو أيضاً ثابت فإنّ الخوف مثلاً تارة يكون من الأعداء وتارة من النفس الأمارّة بالسوء وتارة من الفقر وتارة من المرض وتارة من الموت وتارة من العذاب وهكذا في سائر الأمور فإنّ الكثرة والقلة في الكمّ والشدة والضعف مثلاً في الكيف وهذا أيضاً معلوم بل محسوس بالمشاهدة.

**ثالثها:** أنّ الأمور المذكورة في الآية خمسة، الخوف، والجُوع ونقص الأموال، نقص الأنفس، نقص الثمرات، أثنان منها مختصّان وثلاثة منها مشتركة بين الناس.

أما المختصّتان فأحدهما، نقص الأموال وثانيهما نقص الثمرات فإنّ الأول مختصّ بصاحب المال والثاني بصاحب الثمرة وأما الذي لا مال له أو لا ثمرة له فلا يمتحن بهما وأما الثلاثة المشتركة فالخوف والجُوع ونقص الأنفس وأنما قلنا أنّها مشتركة لأنّ جميع الناس في الإبتلاء بها على حدّ سواء.

**رابعها:** أنّ موارد الإمتحان لا تختصّ بالخمسة المذكورة في الآية وأنّما خُصّ الذّكر بها في الآية لكونها أصول الإبتلاء وأساسه بمعنى أنّ غيرها كائناً ما كان يرجع إليها أو أنّها ذكرت من باب المثال، وذلك لأنّ العالم مثلاً يختبر بعلمه والزّاهد بزُهده والعابد.

بعبادته والسّلطان بحكومته وسلطنته والفقير بفقره وبالجملّة كلّ شاغلٍ بشغله وكلّ فاعلٍ بفعله وكلّ متكلمٍ بكلامه وهكذا وأن كان إرجاع الكلّ إلى الأصول ممكناً والمقصود أنّ كلّ فردٍ من أفراد النّاس يمتحن ويختبر بما هو فيه ولا يخرج من تحت القاعدة أحد فالمرآبة لازمة والغفلة ندامة.

**خامسها:** أنّ المراد بالقابليّات في الإختبار القابليّات بحسب مراتب الإيمان فمن كان أكثر إيماناً أكثر إبتلاءً وأشدّ محنةً ومن كان أقلّ إيماناً أقلّ إبتلاءً كما ورد في الحديث الذي رواه في علل الشّررائع

بأسناده الى سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال أن في كتاب علي أن أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل وأنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة فمن صح دينه وصح عمله إشتد بلاؤه وذلك أن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثوباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر ومن سخر دينه وضعف عمله فقد قل بلاؤه والبلاء أسرع الى المؤمن المتقي من المطر الى قرار الأرض انتهى.

وقال أمير المؤمنين في نهج البلاغة:

إِنَّ اللَّهَ يَنْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ يَنْقُصُ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ  
وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ وَيَتَذَكَّرُ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرُ مُرْذَجِرٌ.

ولنعم ما قيل بالفارسية:

هر که در این بزم مقرب تر است جام بلا بیشتر می دهند  
قال بعض العلماء لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء  
والمصيبة الهموم التي تعرض للقلوب كفارات الذنوب، وسمع حكيم  
رجلاً يقول لاخر لا أراك الله مكروهاً، فقال كأنك دعوت عليه بالموت  
فأن صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروهاً، وقيل الدنيا كلها عموم فما  
كان فيها من شرور فهو ربح، بعضهم إذا تناهى الغم إنقطع الدمع، وعن  
جابر ابن عبد الله أنه قال يؤد أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم كانت  
تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله لأهل البلاء وعن النبي صلى الله عليه وآله  
قال إذا أحبب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ إقتناه قالوا وما  
إقتناه، قال لا يترك له مالاً ولا ولداً ولنعم ما قيل:

وما هذه الأيام إلا منازل فمن منزلٍ رحب الى منزلٍ ضنكٍ  
وقد دهمتك الحادثات و أنما صفا الذهب الأبريز قبلك بالسبك

أما في نبي الله يوسف إسوة لِمَثَلِكِ محبوس على الظلم والإفك  
 إمام جميل الصبر في السجن برهة قَالَ به الصبر الجميل الى الملك  
 وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل العباسي لعنه الله.  
 قالوا حبست فقلتُ ليس بضائري حبسى وأى مهندٍ لا يغمد  
 والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد  
 والتار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي إن لم تثرها الأزند  
 ولذلك قال الله تعالى: **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** والبشارة لا تكون إلا في الخبر  
 وفي هذا الكلام حثٌ و ترغيب على الصبر في جميع البلايا والمحن  
 النازلة المنبثثة من القضاء و القدر على المصلحة التي لا علم لنا بها  
 حقيقة ولكن نعلم حسننها إجمالاً لأن الله تعالى معطي الخيرات ومزول  
 البركات كيف و هو تعالى خيرٌ محض والخير لا يصدر منه إلا الخير لأنه  
 رؤف رحيم.

هي المقادير تجري في أعنتها فأصبر فليس لها صبر على حالٍ  
 يوماً تراك خسيس الأصل ترفعه الى العلاء ويومٌ تخفض العالي  
 و قد سأل عن بزجمهر عن حاله في نقطة فقال عولت على أربعة  
 أشياء:

أولها: أتني قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما.

الثاني: أتني قلت أن لم أصبر فما أصنع.

الثالث: أتني قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا.

الرابع: أتني قلت لعل الفرج قريب ثم أن الصابرين في الآية جمع صابر  
 من الصبر وهو حبس النفس عن إظهار الجزع وعن بعض الإعلام الصبر  
 حبس النفس على المكروه إمتثالاً لأمر الله وهو من أفضل الأعمال  
 حتى قال النبي ﷺ الإيمان شطران، شطرٌ صبرٌ و شطرٌ شكرٌ ولذلك  
 مدح الله الصابرين في كثير من الآيات.

قال الله تعالى مخاطباً نبيه: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنْ  
الرُّسُلِ (١)

قال الله تعالى: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢)

قال الله تعالى وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (٣)

قال الله تعالى وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ أَجْرَهُنَّ بِأَحْسَنِ  
مَا كُنْنَ يَعْمَلُونَ (٤)

و غيرها من الآيات وفي الحديث الصبر صبران، صبر على ما تكره و صبر على ما تحب (عما تحب) فالصبر الأول مقاومة النفس للمكاره الواردة عليها وثباتها و عدم إنفعالها وقد يسمى سعة الصدر وهو داخل تحت الشجاعة.

الثاني: مقاومة النفس لقوتها الشهوية و هو فضيلة داخلية تحت العفة.

وفي الحديث يأتي زمان الصابر على دينه كالصابر على الجمر، الجملة صفة زمان أي كما لا يقدر القادر على الجمر أن يصبر عليه لأحراق يده كذا المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته في دينه لغلبة العصاة و انتشار الفتن و ضعف الإيمان انتهى.

أقول هذا الزمان الذي أشير اليه في الحديث هو زماننا هذا بلا كلام و هو من معجزات الكلام و قال امير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ شَدِيدٍ (كنود خ ل)، يُعَدُّ الْمُحْسِنُ فِيهِ مُسِيئًا، وَيزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عِتْوًا، لَأَنْتَفِعَ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوُّ قَارِعَةً حَتَّى تَجِلَّ بِنَا.

صدق مولانا أمير المؤمنين في نهج البلاغة و اذ كان زمان امير المؤمنين عليه السلام هكذا مما ظنك بهذا الزمان الذي نحن فيه نسأل الله أن

يجعل عواقب أمورنا خيراً وقد رُوي عن الصادق عليه السلام أنه قال نحن صُبر وشيعةتنا أصبر مِنّا و ذلك أَنّا صَبَرنا على ما نعلم وصَبَرُوا على ما لا يعلمون، ثم عَرَفَ الله الصّابرين في الآية وَبَيَّنَ حالهم ومقالهم حين الإبتلاء فقال تعالى:

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

أي أَنَّ الصّابرين اذا أَصَابَتْهم مُصِيبَة قالوا كذلك فقولهُ تعالى: إِنَّا لِلَّهِ إشارة بالمبدأ و قوله: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إشارة الى المعاد ومحصل المعنى أَنَّ العبد وما في يده كان لمولاه فكُلّ ما يصل من خالقه اليه فهو خير له، ويمكن أَن يكون المراد أَنَّ الإبتلاء والمُصِيبَة من الحوادث التي لا تبقى على حالها كغيرها من الحادثات و اذا انت كذلك فلا ينبغي التأسف عليها وبعبارة أُخرى المصيبة و صاحبها في معرض الفناء والزوال والمقصد والمنتهى هو الله تعالى كما أَنَّ المبدأ هو الله فالكُلّ منه و اليه لَأَنَّهُ المبدء والمعيد فالمؤمن ينبغي له أَن يكون في مقام الرضا والتسليم في جنب الله فلا يشاء إِلاّ ما قُدِّر له ولا يرضى إِلاّ بما قضى له وهو مع ذلك يعلم أَنَّ الدُّنْيَا و حوادثها لا تبقى على حالة واحدة لِأَنّها متغيرة حادثة فكما أَنَّ السّرور لا يدوم كذلك المُصِيبَة والهَم لا تدوم و اذا كان الأمر في الدُّنْيَا على هذا المنوال فالتأسف و التحسّر على المصيبة لماذا كما أَنَّ الفرح والسّرور أيضاً كذلك قال الله تعالى: لِيَكُنَّ تَأْسُؤُا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ<sup>(١)</sup> والسّرّ فيه هو ما ذكرناه فَإِنَّ العاقل لا يعتمد على ما لا بقاء له و الدُّنْيَا وما فيها كذلك ولنعم ما قيل:

إذا أَشْتَمَلت على البؤس القلوب و ضاق بما به الصدر الرّحيب  
و أوطنت المكاره و اطمأنت و أَرَسَتْ في مَكَامِهَا الخُطوب

بِسْمِ  
الْقُرْآنِ  
فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثالث

وَلَمْ تَرِ لِاتِّكَافِ الضَّرِّ وَجْهًا  
أَتَاكَ عَلَى قَنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ  
عَسَى الْهَمُّ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ  
فِيَا مَنْ خَائِفٌ وَيَغَاثُ عَانٍ  
تَصْبِرُ أَيُّهَا الْعَبْدُ اللَّبِيبُ  
لَعَلَّكَ بَعْدَ صَبْرِكَ مَا نَحِيبُ  
وَكُلَّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ  
يَكُونُ وَرَاءَهَا فَرْجٌ قَرِيبٌ

وقال آخر:

لئن صدع البين المُشْتَتِ شملنا  
وللنجم من بعد الرجوع إستقامة  
وأن نعمة زالت عن الحرِّوإنْقَضَتْ  
فكن واثقاً بالله وأصبر لحُكمه  
فللبين حكمٌ في الجموع صدوعٌ  
وللشمس من بعد الغروب طلوعٌ  
فإن لها بعد الزوال رجوعٌ  
فإن زوال الشر عنك سريعٌ  
ثم بين الله تعالى بعد قول المصاب: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ما يترتب  
من الأثر عليه من الأجر والثواب عند الله تعالى فقال تعالى:

**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ.**  
رَبَّ الله على قول المصاب في مقام التسليم لقضاء وقدره بقوله: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** أموراً ثلاثة:  
أحدها: الصلاة من الرب.  
ثانيها: الرحمة منه.

ثالثها: الهداية إلى الطريق المستقيم.

قال الزاغبي في المفردات، والصلاة قال كثير من أهل اللغة هي الدعاء والتبريك والتمجيد يقال صَلَّيْتُ عليه أي دعوتُ له وزكيتُ إلى أن قال وصلاة الرسول وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق التزكية أي تزكية إياهم ومن

الملائكة هي الدَّعَاء والإستغفار كما هي من النَّاس قال الله: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ<sup>(١)</sup> انتهى.

أقول فعلى ما قاله الرَّاعِب معنى قوله: أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ تَزْكِيَةُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَزْكِي الْقَائِلِينَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ عَنِ الْأَرْجَاسِ وَالْخَبَائِثِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْمَقْصُودُ تَوْفِيقُهُم وَاللُّطْفُ بِهِمْ وَالرَّحْمَةُ لَهُمْ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الْوَاوُ لِلْعُطْفِ التَّفْسِيرِي بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: وَرَحْمَةً تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَأَنَّهُ قِيلَ مَا مَعْنَى الصَّلَاةِ مِنْ رَبِّهِمْ فَقَالَ مَعْنَاهَا شَمُولُ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَهُمْ وَالْمُرَادُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ رَحْمَتُهُ الْخَاصَّةُ وَقَوْلُهُ: أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ الْكَلَامُ يَفِيدُ الْحَصْرَ أَي حَصَرَ الْهَدَايَةِ فِيهِمْ لِتَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ أَي أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ حَقًّا.

روي في كتاب الخصال بأسناده عن عبد الله ابن سنان قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى أَنِّي أَعْطَيْتُ الدُّنْيَا بَيْنَ عِبَادِي فَيِضًا فَمَنْ أَقْرَضَنِي مِنْهَا قَرْضًا أَعْطَيْتَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَشْرًا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ وَمَا شِئْتُ مِنْ ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ يَقْرَضْنِي مِنْهَا قَرْضًا فَأَخَذْتُ مِنْهُ عَشْرًا أَعْطَيْتَهُ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَوْ أَعْطَيْتُ وَاحِدَةً مِنْهُمْ مَلَائِكَتِي لَرَضُوا الصَّلَاةَ وَالْهَدَايَةَ وَالرَّحْمَةَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ أَثْنَتَيْنِ وَ أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ثَلَاثَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ هَذَا لِمَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَصَبَرَ أَنْتَهَى.

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي نَوْرِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ مَنْ كَانَتْ عِصْمَةً أَمْرُهُ

شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ومن إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الحديث.

وفي أصول الكافي من بأسناده عن هارون بن الفضل قال رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفى فيه أبو جعفر فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى أبو جعفر فقيل له وكيف عرفت قال لأنه تداخلني ذلة لم أكن أعرفها انتهى.

وفيه بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: ما من عبدٍ يصاب بمُصيبةٍ فيسترجع عند ذكره المُصيبة ويصبر حين تفجعه إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه و كلما ذكر مُصيبة فاسترجع عند ذكره المُصيبة غفر الله له كل ذنب فيما بينهما انتهى.

وبأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ذكر مصيبة ولو بعد حين فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ألحمد لله رب العالمين اللهم أجرني على مصيبي وأخلف علي أفضل منها كان له من الأجر مثل ما كان عند أول صدمة انتهى.

وبأسناده عن ابن أبي حماد رفعه قال جاء أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس يُعزيه بأخٍ له فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أن جزعت فحقّ الرّحم أتيت وأن صبرت فحقّ الله أدّيت على أنك أن صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم فقال له الأشعث إنا لله وإنا إليه راجعون فقال أمير المؤمنين أترى ما تأويلها فقال الأشعث لا أنت غاية العلم ومنتهاه فقال عليه السلام: له أما قولك، إنا لله إقرار منك بالملك، وأما قولك: إنا إليه راجعون فإقرار منك بالهلك انتهى والأحاديث كثيرة.



إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ  
الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا  
وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)

### ◀ اللغة

إِنَّ الصَّفَاَ: أصل الصَّفَاء خلوص الشئ من الشوب ومنه الصفا للحجارة  
الصافية والصَّفَاء في الآية إسم لموضع مخصوص وهو الجبل المشهور بمكة.  
وَالْمَرْوَةَ: في الأصل هي الحجرة الصلبة اللينة قيل أنها لغة في المرو  
قيل أنه جمع تمر وتمر والمرو نبت والأصل الصلابة وهما أي الصفا والمروة  
الجبلان المعروفان بالحرم وهما من الشعائر.

شَعَائِرُ: جمع الشَّعِيرَة والشَّعَائِرُ المعالم للأعمال فشعائر الله معالم الله التي  
جعلها الله مواطن للعبادة وهي إعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحرو  
هو مأخوذ من شعرت به أي علمت.

حَجَّ الْبَيْتِ: الحج في أصل اللغة القصد وفي الشرع قصد البيت بالعمل  
المشروع من الإحرام والطواف والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة و  
البيت الكعبة.

أَوْ اعْتَمَرَ: الإعتمار والعمرة الزيارة التي فيها عمارة وجعل في الشريعة  
للقصد المخصوص.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ: الجناح هو الميل عن الحق وأصله من جَنَحَ اليه جُنُوحاً  
إذا مال اليه.

أَنْ يَطَّوَّفَ: أصله يتطوَّف فأدغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها والطاء  
أقوى بالجهر منها.

تَطَوُّعَ: التَّطَوُّعُ التَّبَرُّزُ بِالنَّافِلَةِ خَاصَّةً وَالطَّاعَةَ مُوَافَقَةَ الْإِرَادَةِ فِي الْفَرِيضَةِ وَ  
النَّافِلَةِ وَأَصْلُهَا الطَّوْعُ الَّذِي هُوَ الْإِنْقِيَادُ.

### ◀ الإعراب

إِنَّ الصَّافَا أَلْفَ الصَّفَاءِ مُبَدَلَةٌ مِنْ وَاوٍ لِقَوْلِهِمْ فِي تَثْنِيَةِ صَفَوَانٍ وَهُوَ إِسْمٌ (أَنْ)  
وَالْمَرْوَةَ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ خَبَرٌ أَنْ فَمَنْ حَجَّ فَمِنْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ  
بِالْإِبْتِدَاءِ وَهِيَ شَرْطِيَّةٌ وَالْجَوَابُ فَلَا جُنَاحَ وَالْبَيْتُ، مَفْعُولٌ حَجَّ أَنْ يَطَّوَّفَ  
خَبَرٌ لَا مُحَذَّوْفٌ لِأَنَّ الطَّوْفَ وَاجِبٌ أَيْ لَا جُنَاحَ فِي احْتِجٍّ وَمَنْ تَطَوَّعَ مَنْ  
بِمَعْنَى الَّذِي وَالْخَبَرُ فَأَنَّ اللَّهَ وَالْعَائِدُ مُحَذَّوْفٌ تَقْدِيرُهُ لَهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ،  
شَرْطِيَّةٌ وَالْمَاضِي بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبَلِ.

### ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ إِمْتِحَانَ الْعِبَادِ بِالتَّكَالِيفِ وَالْمَصَائِبِ  
وَالْأَلَامِ عَقِبَ كَلَامِهِ بِذِكْرِ الْحَجِّ إِشْعَارًا بِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ الصَّافَا وَ  
الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أَيْ أَنَّهُمَا مِنْ إِعْلَامِ مُتَعَبَّدَاتِهِ أَوْ مِنْ مَوَاضِعِ تُسَكَّهُ وَ  
طَاعَاتِهِ وَقِيلَ مِنْ دِينِ اللَّهِ وَقِيلَ فِي الْكَلَامِ حَذَفَ وَتَقْدِيرُهُ الطَّوْفُ بَيْنَ الصَّفَا  
وَالْمَرْوَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ. وَقَدْ رَوَى فِي أَخْبَارِنَا فِي وَجْهِ التَّسْمِيَةِ بِهِمَا أَنَّ آدَمَ لَمَّا  
نَزَلَ وَقَعَ عَلَى الصَّفَا وَحَوَّاءَ عَلَى الْمَرْوَةِ فَسَمَّى الصَّفَا بِاسْمِ آدَمِ الْمُصْطَفَى وَ  
الْمَرْوَةَ بِاسْمِ الْمَرْأَةِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَيْ فَمَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ بِالْأَفْعَالِ الْمَشْرُوعَةِ  
أَوْ اعْتَمَرَ أَيْ أَتَى بِالْعُمْرَةِ بِالْمَنَاسِكِ الْمَشْرُوعَةِ عَلَى مَا بَيَّنَّ فِي مَوْضِعِهِ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَيْ لَا حَرَجَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا أَيْ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا  
وَالْمَرْوَةِ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا أَيْ مَنْ تَبَرَّعَ بِالطَّوْفِ وَالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ  
بَعْدَ مَا أَدَّى الْوَاجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَنْ تَطَوَّعَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بَعْدَ أَدَاءِ  
الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ الْمَفْرُوضَيْنِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَنْ تَطَوَّعَ بِالْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَ مِنْ

قال أَنَّ السَّعْيَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ قَالَ مَعْنَاهُ مِنْ تَبَرَّعٍ بِالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرَوَةِ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ أَيُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ قِيلَ ذَكَرَ لَفْظَ الشَّاكِرِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّلَطُّفِ وَيُظْهِرُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرَوَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَلَا خِلَافَ فِيهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّا الْخِلَافُ فِي الْوُجُوبِ وَعَدَمِهِ فَهُوَ عِنْدَنَا فَرْضٌ وَاجِبٌ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا وَأَمَّا عِنْدَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ تَطَوُّعٌ وَالْأَقْوَالُ مَسْطُورَةٌ فِي الْفَقْهِ وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْبَابِ.

فَمِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي كِتَابِ الْعِلَلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: تُسَمَّى الصَّافَا صِفَا لِأَنَّ الْمُصْطَفَى آدَمَ هَبَطَ عَلَيْهِ فَقَطَعَ الْجَبَلَ إِسْمٌ مِنْ إِسْمِ آدَمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup> وَ قَدْ هَبَطَ حَوَاءٌ عَلَى إِبْنِ الصَّافَا وَ الْمَرَوَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ. الْمَرَوَةُ وَأَمَّا سَمِيَتِ الْمَرَوَةُ مَرَوَةً لِأَنَّ الْمَرْأَةَ هَبَطَتْ عَلَيْهَا فَقَطَعَ لِلْجَبَلِ إِسْمًا مِنْ إِسْمِ الْمَرْأَةِ انْتَهَى.

وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا خَلَفَ إِسْمَاعِيلَ بِمَكَّةَ عَطَشَ الصَّبِيَّ وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرَوَةِ شَجَرٌ فَخَرَجَتْ أُمُّهُ حَتَّى قَامَتْ عَلَى الصَّافَا فَقَالَتْ هَلْ بِالْوَادِي مِنْ أَنْيَسٍ فَلَمْ تَجِبْ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى الصَّافَا فَقَالَتْ كَذَلِكَ حَتَّى صَنَعَتْ ذَلِكَ سَبْعًا فَأَجْرَى اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْهُ.

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَارَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّافَا وَالْمَرَوَةِ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ فَأَمَرَهُ جِبْرِئِيلُ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَهَرَبَ مِنْهُ فَجَرَتْ بِهِ السُّنَّةُ يَعْنِي بِالْهَرُولَةِ انْتَهَى.

وبأسناده عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام لم يجعل السَّعي بين الصَّفا والمروة قال عليه السلام: لأنَّ الشَّيطانَ تَرأى لِإبراهيم في الوادي فسعى وهو منازل الشَّيطان.

أن قلت ظاهر قوله تعالى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا عدم الوجوب لأنَّ معنى لا جناح عليه لا حَرَجَ عليه أو لا إثم عليه فلو كان السَّعي واجباً ينبغي أن يقال يجب أن يَطَّوَّفَ بهما، قلتُ في الجواب أنَّ الأمر ليس كما نذهب وأنَّ السَّعي بينهما واجب عندنا وأنما قال فلا جناح عليه لأنَّ المسلمين كانوا يرون أنَّ الصَّفا والمروة ممَّا إبتدع أهل الجاهلية فأنزل هذه الآية وقيل أنَّه كان على الصَّفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مَسَّحُوها فتحرَّج المسلمون عن الطَّواف بهما لأجل الصَّنمين فأنزل الله هذه الآية فَرَجَعَ رُفَعَ الجناح عن الطَّواف بهما الى تحرَّجهم عن الطَّواف لأجل الصَّنمين لا الى عين الطَّواف وسيأتي تفصيل الكلام في الحجَّ إن شاء الله تعالى.



إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ  
الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ  
أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)

### ◀ اللغة

يَكْتُمُونَ: الكتمان ستر الحديث.

الْبَيِّنَات: جمع البينة وهي الشاهد عرفاً وأما في أصل اللغة فهو الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة.

يَلْعَنُهُمُ: اللعن الطرد والإبعاد على سبيل السخط وذلك من الله تعالى في الأخرة عقوبة وفي الدنيا إنقطاع من قبول رحمته وتوفيقه ومن الإنسان دعاءً على غيره.

تَابُوا: أصل التوبة الرجوع يقال تاب إذا رَجَعَ.

### ◀ الإعراب

مِنَ الْبَيِّنَاتِ من يتعلّق بمحذوف لأنها حال من ما، أو من العائد المحذوف إذ الأصل ما أنزلناه مِنْ بَعْدِ من يتعلّق بيكتمون فِي الْكِتَابِ فِي، يتعلّق ببيّناه وكذلك اللَّام ويجوز أن يكون فِي، حالاً أي كائناتاً فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ مبتدأ وخبر فِي موضع خبر أَنْ يَلْعَنُهُمْ يجوز أن يكون معطوفاً على يلعنهم الأولى ويجوز أن يكون مستأنفاً.

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ التفسير

قال ابن عباس نزلت الآية في ذمّ علماء اليهود والنصارى مثل كعب ابن الأحطب وابن صوريا وأمثالهما من علماء النصارى الذين كانوا يكتُمون أمر

محمّد ﷺ ونبوته وأوصافه الثابتة في الإنجيل والتّوراة وقال أكثر المفسّرين أنّ الآية عامّة متناولة لكلّ من كتّم ما أنزل الله في كتابه سواء كان الكتاب التّوراة أو الإنجيل أو القرآن أو غيرها وهو أقوى لأنّه أعمّ فيدخل فيه الكلّ ثمّ أنّ المراد بالكتمان الإخفاء لا مطلقاً بل إخفاء ما أنزلنا من البَيِّنَات أي من الشّواهد الدّالة على الحقّ والهُدَى قيل المراد به الدّلائل العقليّة كما أنّ المراد بالأوّل علوم الشّرع وقال بعضهم المراد بالأوّل الحجج الدّالة على نبوته وبالثّاني ما يؤدّيه إلى الخلق من الشّرائع من بعد ما بيّناه للنّاس في الكتاب أي في التّوراة والإنجيل على القول الأوّل والكتب المنزلة على القول الثّاني المراد بقوله: ما أنزلنا من البَيِّنَات الكتب المتقدّمة والمراد بالكتاب القرآن، أولئك يلعنهم الله أي أولئك الذين كتموا ما أنزلنا من البَيِّنَات، يبعدهم الله من رحمته بإيجاب العقوبة في الآخرة واللعن في الدّنيا لأنّ من لا يستحقّ العقوبة من الله تعالى، لا يجوز لعنه ولا يلعنهم اللاعنون قيل المراد بهم الملائكة والمؤمنون وقيل دواب الأرض وهوامها وقيل كلّ شيء سوى الثّقليين الجنّ والإنس عن ابن عبّاس، قال الشّيخ في التّبيان وعموم الآية يدلّ على أنّ من كتّم شيئاً من علوم الدّين وفعل مثل فعلهم في عظم الجرم أو أعظم منه فإنّ الوعيد يلزمه وأما ما كان دون ذلك فلا يعلم بالآية بل بدليل آخر.

وقد روي عن النّبي ﷺ أنّه قال: من سأل عن علمٍ يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ.

وقال أبوهريرة لولا آية في كتاب الله قد حدّثكم وإنّ الذين يكتُمون ما أنزلناهم فهذا تغليظٌ للحال في كتمان علوم الدّين انتهت ما ذكره.

وقال القرطبي من العامّة أخبر الله تعالى أنّ الذي يكتّم ما أنزل من البَيِّنَات والهُدَى ملعون ثمّ نقل بعض الأقوال فيه إلى أن قال وقيل المراد كلّ من كتّم الحقّ فهي عامّة في كلّ من كتّم علماً من دين الله يحتاج إلى بثّه وذلك مفسّر

في قوله ﷺ من سأل عن علم يعلمه فكتمه ألجمعه الله يوم القيامة بلجام من نار رواه أبو هريرة وعمر بن العاص ثم نقل قول أبو هريرة لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم حديثاً وهى قوله: **إِنَّ الَّذِينَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالَ وَبِهِمَا اسْتَدَلَّ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ وَجوب تبليغ العلم الحقّ و تبيان العلم على الجملة دون أخذ الأجرة عليه ثم قال و تحقيق الآية هو أنّ العالم اذا قصد كتمان العلم عصي و اذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ اذا عرف أنّه مع غيره و أمّا من سأل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية وللحديث انتهى موضع الحاجة من كلامه.**

**أقول** ذكر هذا المعنى قبل القرطبي وبعده أكثر مفسري العامة بل جميعهم وكثير من مفسري الخاصة أيضاً ونحن نقول تحقيق الحقّ في الآية يستدعي التكلم فيها وملخص الكلام في المقام هو أنّ المراد بقوله تعالى:

**الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْخ لَا يَخْلُو مِنْ وَجْهين:**

**أحدهما:** أن يكون المراد بهم علماء اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ الذي كان ثابتاً في التوراة والإنجيل.

**ثانيهما:** أن يكون المراد بالآية العموم وكذلك بالكتاب و عليه فكلّ شيء ممّا أنزل الله في كتبه فهو مصداق للوعيد، و بعبارة أخرى أمّا أن يراد بها معناها العام و أمّا أن يراد بها الخاصّ من اليهود والنصارى فعلى الوجه الثانى و هو أن يكون المراد بهما اليهود والنصارى فلا بحث لنا فيها لأنهم كتموا أوصاف الرسول الثابتة في التوراة والإنجيل وكانوا مأمورين بإعلامها وإبلاغها للناس فلمّا لم يفعلوا ذلك و كتموها صاروا بذلك مستحقّين للوعيد لأنهم عصوا و تمردوا لأمر الله بغضاً و عناداً أو حسداً أو لغير ذلك من الدواعي و من كان كذلك فهو ملعون مطرود لأنّه أخفى على الناس ما كان مأموراً بإظهاره و إبلاغه و إعلامه لهم وحيث لم يفعل ذلك فقد صار الحقّ مستوراً عن الناس فضّل و أضلّ و هو واضح.

وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ الْاَوَّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمُرَادُ بِهِمْ عُلَمَاءُ الدِّينِ مُطْلَقاً وَأَنَّ يَكُونَ الْمَعْنَى كِتْمَانُ عُلُومِ الدِّينِ مُطْلَقاً عَلَى مَا ذَكَرُوهُ فِي أَقْوَالِهِمْ فَالْإِلْتِزَامُ بِهِ مُشْكَلٌ جَدّاً لَوْجُوه:

**أحدها:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّ اللَّعْنَ بِمَنْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهَا لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَأَمْثَالِهَا مِمَّا بَيَّنَّه فِيهِ وَأَمَّا مَا لَمْ يَبَيَّنْ فِيهِ فَلَا وَأَتَمَّا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَيَّدَ الْكِتْمَانَ فِي الْآيَةِ بِمَا أَنْزَلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، وَالْبَيِّنَاتُ الْوَاضِحَاتُ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي لَا خِفَاءَ فِيهَا فَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ كِتْمَانُهُ وَمَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَلَا.

**ثانيهما:** أَنَّ التَّقْيَةَ وَاجِبَةٌ عِنْدَنَا مَعَ وَجُودِ شَرَائِطِهَا وَكِتْمَانُ الْعِلْمِ مِنْ مَصَادِقِهَا الْأَتَمِّ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ بِعَدَمِ جَوَازِ كِتْمَانِ عُلُومِ الدِّينِ.

**ثالثها:** أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَسَائِلِ لَا يَجِبُ عَلَى الْمَسْئُولِ عَنْهُ الْجَوَابُ عَنْهَا بَلْ قَدْ لَا يَجُوزُ.

**رابعها:** أَنَّ السَّائِلَ قَدْ يَسْأَلُ شَيْئاً لَا يَنْاسِبُ مَقَامَهُ وَحَالَهُ بِمَعْنَى أَنَّ السَّوْالَ خَارِجٌ عَنْ حُدُودِ شَأْنِهِ أَوْ أَنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي إِخْفَاءِهِ عَنْهُ ضَرَرٌ عَلَى دِينِهِ أَوْ أَنَّ إظهارَهُ لَا مَصْلَحَةَ فِيهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْتِمَالَاتِ فَالْقَوْلُ بِأَنَّ كِتْمَانَ عُلُومِ الدِّينِ مُطْلَقاً مِمَّا مَنَعَتْهُ الْآيَةُ خُرُوجَ عَنِ الْإِنْصَافِ نَعَمْ إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِدِينِ السَّائِلِ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ لِلْمَسْئُولِ مُحْذُورٌ فِي جَوَابِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ الْجَوَابُ فَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي الْبَابِ إِذَا كَانَتْ مُطْلَقَةً يَجِبُ حَمْلُهَا عَلَى الْمُقَيَّدِ مِنْهَا كَمَا تَقْتَضِيهِ الْقَاعِدَةُ وَنَحْنُ نُورِدُ فِي الْمَقَامِ بَعْضَ الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّقْيِيدِ وَأَنَّ كِتْمَانَ عُلُومِ الدِّينِ فِي بَعْضِ الْمَوَارِدِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ.



منها ما رواه المجلسي رحمته الله في البحار عن عبد الله ابن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى أن الحسن البصري يزعم إن الذين يكتُمون العلم تؤذي ريح بطونهم من يدخل النار فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذا مؤمن آل فرعون والله مدحه بذلك (ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عز وجل رسوله نوحاً فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا) فهذه الرواية صريحة في المدعى وأن كتمان العلم في بعض الموارد وعن بعض الأفراد ممّا لا إشكال فيه. ومنها ما رواه عن العسكري عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من سأل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره وتزول عنده التّقية يوم القيامة ملجماً بلجامٍ من النار انتهى.

أقول ويظهر منه أن الكتمان حيث لا يجب إظهاره وكذا عند التّقية لا إشكال فيه وهو المطلوب.

ومنها ما رواه عن زيد الشّحام قال سأل أبو عبد الله عن عذاب القبر قال عليه السلام: أن أبا جعفر حدّثنا أن رجلاً أتى سلمان الفارسي فقال حدّثني فسكت عنه ثم عاد فسكت فأدبر الرجل وهو يقول ويستلو هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ فقال عليه السلام له أقبل إنّا لو وجدنا أميناً لحدّثناه الحديث <sup>(١)</sup>.

والأخبار بهذه المضامين كثيرة والذي حصل لنا من الجمع بين الأخبار هو أن كتمان العلم عن أهله وعن لا ينكره ولا يخاف منه الضرر مذموم وفي

كثير من الموارد محرم وفي مقام التقيّة وخوف الضرر أو الإنكار وعدم القبول لضعف العقل أو عدم الفهم و حيرة المُستمع لا يجوز إظهاره بل يجب أن يحمل على النَّاس ما تطيقه عقولهم ولا تأبى عنه أحلامهم والآية لا تدل على أكثر منه وأما قوله تعالى:

**أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ وَجِه الطُّرْدِ وَقَالَ الشَّاعِرُ:**

ذعرت به القطا ونقيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين

واللعين في الحكم الإبعاد من رحمة الله بإيجاب العقوبة فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة وقول القائل لعنة الله دعاء كائن قال أبعد الله فإذا لعن الله عبداً فمعناه الإخبار بأنه أبعد من رحمته ثم أن المراد باللاعنين في الآية.

ما رواه في تفسير البرهان بأسناده عن الإمام العسكري عليه السلام:  
 قيل لأمير المؤمنين عليه السلام من خير الخلق بعد أئمة الهدى ومصابيح الدجى قال عليه السلام: العلماء إذا صلحوا قيل ومن شرار خلق الله بعد إبليس وفرعون وبعد المسلمين بأسماءكم والمتلقين بألقابكم والآخذين لامكنتكم والمتآمرين في ممالككم قال عليه السلام: العلماء إذا فسدوا وأنهم المظهرون للأباطيل الكاتمون للحقائق وفيهم قال الله عز وجل: **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** انتهى.

**تنبيه**

يظهر من الآية الشريفة أن كل من كتم شيئاً ممّا أنزله الله في كتابه على سبيل التبيين للناس فهو ملعون مطرود عند الله وعند اللاعنين وذلك لأن من لعنه الله يلعنه كل ما سواه بصريح الآية وعليه فكل من كتم ولاية علي بن أبي طالب وأخفاه على الناس فهو ممن لعنه الله ومن لعنه الله لعنه كل ما سواه فكاتم ولايته ملعون مطرود عن رحمة الله في الدنيا والآخرة مستحق للعقوبة لأنه لو لم يستحق العقوبة لم يُجز لعنه وأما قلنا ذلك لأنه مصداق الإثم و

الأكمل لهذه الآية بيان ذلك إجمالاً أَنْ ولايته عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بدليل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ <sup>(١)</sup> وهي نزلت في غدير خم كما سيأتي الكلام فيها عند تفسيرها وإذا كانت ولايته عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَبَيَّنَّهَا الرُّسُولُ لِلنَّاسِ الْحَاضِرِينَ وَكَتَمُوهَا وَأَخْفَوْهَا عَنِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِ الرُّسُولِ فَالْمُدْعَى ثَابِتٌ فَلَايَةٌ تَرشِدُنَا إِلَى جَوَازِ لَعْنِ الْمُخَالَفِ لِلْحَقِّ الْكَاتِمِ لَهُ وَصُورَةُ الْقِيَاسِ هَكَذَا، هَذَا كَاتِمٌ لِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَكُلٌّ كَاتِمٌ كَذَلِكَ مُلْعُونٌ، فَهَذَا مُلْعُونٌ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وكم له من نظير في الإسلام وتفصيل البحث فيه عند قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى ولكنَّ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْعَامَّةِ كَانَتْهُمْ يَلْتَزِمُونَ بِجَوَازِ اللَّعْنِ فِي حَقِّ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَتَمُوا صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي التَّوْرَةِ وَلَمْ يَظْهَرُوهَا لِلنَّاسِ فَبِذَلِكَ صَارُوا مُسْتَحَقِّينَ لِلْعَنْ وَالطَّرْدِ وَالْعُقُوبَةِ وَأَمْثَالِهَا. وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ رَأَوْا مَا رَأَوْا وَسَمِعُوا مَا سَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَدِيرِ خُمٍّ عِنْدَ نَزُولِ الْآيَةِ وَيَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ بَعْدَ الْبَيْعَةِ بَخٌّ بَخٌّ لَكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ثُمَّ أَنْكَرُوا الْوَاقِعَةَ وَالْبَيْعَةَ وَالْمَقَالَةَ بِالْكَلِيَّةِ، كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجَّوْنَ عَلَى الصِّفَةِ أَنْيَسَ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ فَهَمَّ مَرْحُومُونَ مُقَرَّبُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ وَهُوَ عَجِيبٌ بَلْ أَعْجَبَ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ.



إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ  
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا  
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (١٦٢)

### ◀ اللغة

تَابُوا: التَّوْبَةُ الرَّجُوعُ يقال تاب إذا رجع.  
وَأَصْلَحُوا: الصَّلَاحُ ضِدُّ الفساد.  
لَا يُخَفَّفُ: الْخَفِيفُ بِإِزَاءِ الثَّقِيلِ.

### ◀ الإعراب

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا إِسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، الضَّمِيرُ  
فِي يَلْعَنُهُمْ وَقِيلَ هُوَ مُنْقَطِعٌ لِأَنَّ الَّذِينَ كَتَمُوا الْعُنَا قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا وَإِنَّمَا جَاءَ  
الْإِسْتِثْنَاءُ لِبَيَانِ قَبُولِ التَّوْبَةِ خَالِدِينَ فِيهَا هُوَ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ فِي عَلَيْهِمْ  
لَا يُخَفَّفُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَالِدِينَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَأْنَفًا لَا مَوْضِعَ لَهُ.

### ◀ التفسير

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ.

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ مَنْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ  
وَالْهُدَى وَحَكَّمَ عَلَيْهِمْ بِاللَّعْنَةِ إِسْتِثْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ التَّائِبَ وَالْمُصْلِحَ وَالْمُبَيَّنَّ

عن حكم اللعن فقال **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** أي رجعوا عما كانوا فيه وندموا عليه **وَأَصْلَحُوا** نياتهم ومقاصدهم في المستقبل **وَيَسْتَوْفُوا** ما كتموه من البشارة بالنبي أو يبينوا ما كتموه من الحق على إختلاف التفسيرين في الآية وقيل بينوا التوبة بإخلاص العمل **فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ** أي أقبل توبتهم وأنا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ والثواب مُبالغة أما لكثرة ما يقبل التوبة أولاً لأنه لا يرد تائباً على كل حال وفي قوله الرَّحِيمُ عَقِيبُ التَّوَّابِ قيل للدلالة على أن إسقاط العقاب بقبول التوبة تَفَضُّلٌ منه تعالى ورحمة لأنه واجب عليه عقلاً كما قيل.

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ.**

أي ماتوا في حال الكفر قبل الرجوع الى الحق.  
**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.**

ظاهر الآية أن الحكم عام في حق كل من كان كذلك وقال بعض المفسرين يجب حمله على الذين تقدّم ذكرهم وهم الذين يكتُمون الآيات وأحتج على مدّعه بأنه تعالى لما ذكر أن الكاتمين ملعونون حال الحياة بين في هذه الآية أنهم ملعونون أيضاً بعد الممات، وأجيب عنه أن هذا إنما يصحّ حتى كان الذين يموتون من غير توبة لا يكونون داخلين تحت الآية الأولى فأما إذا دخلوا تحتها إستغنى عن ذكرهم فيجب حمل الكلام على أمر مستأنف وفي الآية دلالة على أن الكافر إذا تاب قبل الموت لا يكون مصداقاً لهذه الآية فلا يكون مطروداً ملعوناً وذلك لأن الوعيد في الآية علّق على الشرط وقد ثبت أن المشروط ينتفي بإنتفاء شرطه.

بَابُ التَّوْبَةِ  
فِي تَرْجُومَةِ  
الْقُرْآنِ

جزء ٢

الْعَلَمُ  
الْقُرْآنِ

**خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**

إختلفوا في مرجع الضمير في قوله: **فِيهَا** فالمشهور أن الضمير يرجع الى اللعنة لتقدّم ذكرها أي أنهم مُخلّدون في اللعنة وقيل مرجع الضمير، النار، إلا

أَنَّهَا أَضْمَرَتْ تَفْخِيماً لِشَأْنِهَا، أَقُولُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ وَجْهٌ إِلَّا أَنَّ الثَّانِي أَوْجَهُ وَأَقْوَى وَذَلِكَ لِأَنَّ الْخُلُودَ فِي اللَّغَةِ لَا مَعْنَى لَهُ وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْخُلُودَ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى الْخُلُودِ فِي النَّارِ لِأَنَّ لَازِمَ اللَّعْنَةِ مِنْ لَوَازِمِ النَّارِ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ ذِكْرِ اللَّازِمِ وَإِرَادَةِ الْمَلْزُومِ مَدْفُوعٌ بِأَنَّ ذَلِكَ شَائِعٌ فِي الْمَحَاوِرَاتِ وَالْمَقَالَاتِ أَمَّا عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى اللَّازِمِ بِإِعْتِبَارِ الْمَلْزُومِ لَا مَعْنَى لَهُ.

وَأَمَّا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فَلَا إِشْكَالَ فِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ<sup>(١)</sup> وَمَرْجِعُ الضَّمِيرِ الْقُرْآنَ بِالِاتِّفَاقِ وَقَدْ حُذِفَ تَضْخِيماً لِشَأْنِهِ، ثُمَّ أَنَّ الْخُلُودَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَكثِ الدَّائِمِ عِنْدَ قَوْمٍ وَعَنِ الْمَكثِ الطَّوِيلِ عِنْدَ آخَرِينَ وَفِي قَوْلِهِ لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ إشارَةً بِأَنَّ الْعَذَابَ مُتَشَابِهَ الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا لَا يَتَفَاوَتُ قَلَّةً وَكَثْرَةً وَشِدَّةً وَضَعْفًا وَأَمَّا قَوْلُهُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ الْأَنْظَارُ هُوَ التَّأْجِيلُ وَالتَّأْخِيرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَنَنْظِرُهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ<sup>(٢)</sup> وَالْمَعْنَى أَنَّ عَذَابَهُمْ لَا يُؤَجَّلُ بَلْ يَكُونُ حَاضِرًا مُتَّصِلًا بِعَذَابٍ مِثْلِهِ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُنَا أَنَّ حُكْمَ دَارِ الْعَذَابِ وَالثَّوَابِ بِخِلَافِ حُكْمِ الدُّنْيَا فَاتَّهَمَ يَمْهَلُونَ فِيهَا إِلَىٰ أَجَالٍ قَدَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا مَهْلَةَ لَهُمْ الْبَتَّةَ فَإِذَا اسْتَمْهَلُوا لَا يَمْهَلُونَ وَإِذَا اسْتَغَاثُوا لَا يُعَاثُونَ وَإِذَا اسْتَعْتَبُوا لَا يُجَابُونَ وَلَا يَعْانُونَ وَقِيلَ لَهُمْ إَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهُ.



## وَالْهَيْكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٤٣)

### ◀ اللغة

لَا إِلَهَ: المعبود من آلِه يَأْلَه، أى عبد وقيل هو من آلِه، بكسر اللام بمعنى تَحَيَّرَ وذلك لأنَّ العبد إذا تفكَّر في ذاته و صفاته تَحَيَّرَ فيها.  
وَاحِدٌ: الواحد ما لا ثاني له.  
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: مضى معناها في البسملة مفصلاً.

### ◀ الإعراب

وَالْهَيْكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. الْهَيْكُمُ مبتدأ إِلَه خبر المبتدأ وَاحِدٌ صفة له لَا لِنَفْيِ الجنس إِلَّا هُوَ المُسْتَشْنَى في موضع رفع بدلاً من موضع لا إله، لأنَّ موضع لا، وما عملت فيه رفع بالابتداء الرَّحْمَنُ بدل من، هو، أو خبر مبتدأ.

### ◀ التفسير

في الآية أبحاث لا بد لنا من التكلّم فيها لأنَّ بها يثبت التّوحيد الذي هو الأساس والأصل في كلّ الأديان فنقول الأوّل في معنى الإله، قال في المنجد، آلِه يَأْلَه أُلُوهُة وإِلاهة وأُلُوهُية أي عبد عبادة، إله إلهاء، تَحَيَّرَ، ثم قال، الإله المعبود مطلقاً جمع، آلهة.

وقال في المجمع، إله على فعال بمعنى لأنّه هالوه أي معبود مثل كتاب بمعنى مكتوب وقال بعض أهل اللغة، آلِه يَأْلَه من باب تعب، وقال، تألّه، تعبّد والاله المعبود.

أقول قد تكلمنا في معنى الإله في أوّل الكتاب عند تفسير قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والذي يستفاد من كلام أهل اللغة هو أنّ الإله إن كان من،

أَلَهُ يَأْلَهُ، بفتح اللّام فمعناه المعبود لأنّ، أَلَهُ بمعنى عبد وإن كان من أَلِهِ يَأْلَهُ، بكسر اللّام فهو بمعنى تَحْيَرٍ وكلاهما محتمل في اللفظ أمّا بمعنى عبد، فلا خفاء فيه و أمّا على الثّاني أعني، تَحْيَرٍ، فلان المخلوق مُتَحَيِّرٌ في ذاته و صفاته ولذلك روي تفكّروا في آلاء الله و لا تفكّروا في الله و في المقام قول آخر وهو أنّه من وِلاه فأبدلت الواو همزة فصار إلاه، و عليه فهو مأخوذ من، وَكَلَهُ، قيل في تسميته بذلك أنّ أَل كخلقٍ و اله نحوه أمّا بالتخيّر فقط كالجمادات و الحيوانات و أمّا به وبالإرادة معاً كعص النّاس و من هذا قال بعض الحكماء، الله محبوب الأشياء كلّها، و قيل أصله من لاه يَلُوهُ لياهاً أي احتجب و ذلك إشارة الى قوله: لَا تَذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُذَرِكُ الْأَبْصَارَ<sup>(١)</sup> و المشار اليه بالباطن في قوله (والظّاهر والباطن) والى هذا المعنى أشار السّبزواري في منظومة الحكمة بقوله:

بِمَنْ هُوَ إِخْتَفَى لِقَرطُ نُورِهِ الظّاهر الباطن في ظهوره  
والحقّ فيه أن لا يجمع إذ لا معبود سواه ولكنّ العرب لإعتقادهم إنّ ههنا  
معبودات جمعوها فقالوا آلهة، كما قال تعالى حكاية عنهم أَمْ لَهُمْ إِلَهَةٌ تَمْنَعُهُمْ  
مِنْ دُونِنَا<sup>(٢)</sup>.

**البحث الثّاني:** في معنى الواحد، قال الرّاعب في المفردات فالواحد لفظ  
مشترك يستعمل على سِتّة أوجه، فالأوّل ما كان واحداً في الجنس أو في النوع  
كقولنا الإنسان والفرس واحد في الجنس و زيد و عمرو واحد في النوع.

**الثّاني:** ما كان واحداً بالإتصال أمّا من حيث الخلقة كقولك شخص واحد  
وأمّا من حيث الصّناعة كقولك حرفة واحدة.

**الثّالث:** ما كان واحداً لعدم نظيره إمّا في الخلقة كقولك الشّمس واحدة و  
أمّا في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره.



الرابع: ما كان واحداً لإمتناع التجزي فيه إمّا لصِغره كالهباء و إمّا لصلابته كالألماس.

الخامس: ما يقال للمبدء إمّا لمبدء العدد كقولك واحد اثنان، و إمّا المبدء الخُط كقولك النقطة الواحدة والوَحدة في كلّها عارضة و اذا وصف الله سبحانه بالواحد معناه هو الذي لا يصحّ عليه التجزي و لا اتكثّر ولصعوبة هذه الوحدة قال الله تعالى: **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** (١) انتهى كلام الرّاعب في المفردات.

و نقل عن ابن سينا أنّه قال الواحد تارة يكون إسمًا و تارة يكون صفةً فالمستعمل في الأعداد محو واحد و اثنان و ثلاثة من الإسم وليس بوصفٍ و أمّا كونه صفة فنحو قولك مررت برجلٍ واحدٍ وهذا شيء واحد فاذا أُجري على الله تعالى يحتمل أن يكون وصفاً كالعالم و القادر و يحتمل أن يكون إسمًا كقولنا شيء و يقوى الأول أعني كونه وصفاً قوله تعالى: **وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ** انتهى.

و قال بعض المحقّقين والواحد تعالى الفرد الذي لم يزل وحده و لم يكن معه آخر.

و قال بعضهم الواحد الأحد إسمان دالّان على معنى الوجدانية والواحد الحقيقي ما يكون منزّه الذات عن التركيب الخارجي والذهني والفرق بين الواحد والأحد على ما ذكره بعض الإعلام من وجوه:

**الأول:** أنّ الواحد هو المتفرد بالذات والأحد هو المتفرد بالمعنى.

**الثاني:** أنّ الواحد أعمّ موردًا لكونه يطلق على من يعقل و من لا يعقل و لا يطلق الأحد إلّا على من يعقل.

**الثالث:** أنّ الواحد يدخل في الضرب والعدد و يمتنع دخول الأحد في

بَابُ التَّرْقَاةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّرْقَاةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

ذلك والواحد هو أول الأعداد و يجمع على أحدان و وُحْدان بضمّ الهمزة و الواو انتهى ما ذكره.

إذا عرفت هذا فنقول إعلم أنّ الواحد معناه ذاتٌ ثبت له الوحدة كما أنّ الضّارب ذاتٌ ثبت له الضّرب والقاتل ذاتٌ ثبت له القتل وهكذا ولذلك عدّده من الأسماء التي ثبت لها الوصف فهو من المشتقات بحسب اللغة والعرف و لما كان كذلك فإذا قلنا، إلهٌ واحد، ربّما يتخيّل أنّ هناك ذات و صفة أي أنّ الله تعالى ذاتٌ ثبتت له الوحدة فيلزم التركيب لأنّ الصّفة غير الموصوف و هو غيرها وكلّ صفةٍ فهي مسبوق بالموصوف وكلّ مسبوقٍ فهو حادث وكلّ حادثٍ ليس بقديم فالله تعالى حادث نعوذ بالله منه وأنّما قالوا ذلك لأنّهم لم يعرفوا أقسام الواحد وظنّوا أنّ الواحد في جميع الموارد على حدٍّ سواء فلا فرق بين قولنا الله واحد وبين قولنا الكتاب واحد والفرس واحد وأمثاله ونحن نتكلّم في معنى الواحد وأقسامه إجمالاً.

فنقول الواحد أمّا حقيقي وأما غير حقيقي، فالحقيقي منه ما لا يحتاج في الإتيان بالوحدة إلى الوسطة في العروض و بعبارة أخرى ما هي وصفه بحاله لا بحال متعلّقة و غير الحقيقي ما يحتاج في الإتيان بها إلى الوسطة فالوحدة وصف له بحال متعلّقة ثمّ الحقيقي على قسمين لأنّه أمّا ذاتٌ له الوحدة أم لا بل نفس الوحدة العينية و بعبارة أخرى أمّا أن تكون الذات فيه معتبرة أو لا تكون.

و الأول، أي ما تكون الذات فيه معتبرة أمّا واحد بالخصوص وأمّا واحد بالعموم والواحد بالعموم أمّا واحد بمعنى السّعة الوجوديّة وأمّا واحد بالعموم المفهومي وهو أمّا نوعي أو جنسي أو عرضي على مراتبها والواحد بالخصوص أمّا غير منقسم وأمّا منقسم إلى آخر المراتب هذا كله في الواحد الحقيقي.

وَأَمَّا الْوَاحِدُ إِذَا كَانَ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ وَهُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ فِي إِتِّصَافِهِ بِالْوَحْدَةِ إِلَى الْوَاسِطَةِ فِي الْعُرُوضِ، فَهُوَ أَمَّا وَاحِدٌ بِالنَّوْعِ أَوْ بِالْجِنْسِ أَوْ بِالْكَيفِ إِلَى آخِرِ أَقْسَامِهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَكِيمُ السَّبْزَوَارِيُّ فِي الْمَنْظُومَةِ إِذَا عُرِفَتْ أَقْسَامُ الْوَاحِدِ إِجْمَالًا فَاعْلَمْ أَنَّ الْوَاحِدَ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيُقَالُ أَنَّهُ وَاحِدٌ غَيْرَ الْوَاحِدِ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَاحِدَ فِيهِ تَعَالَى هُوَ الْوَاحِدُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ نَفْسُ الْوَحْدَةِ الْعَيْنِيَّةِ لَا مَفْهُومَهَا الذَّهْنِي الْعَنَوَانِي وَيَعْبَرُ عَنْهُ بِالْوَحْدَةِ الْحَقَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي هِيَ حَقُّ الْوَحْدَةِ فَهُوَ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ فِي الْإِتِّصَافِ بِالْوَحْدَةِ إِلَى الْوَاسِطَةِ فِي الْعُرُوضِ لِأَنَّ الْوَحْدَةَ وَصَفَ بِحَالِهِ لَا بِحَالٍ مُتَعَلِّقَةٍ وَأَنْ شِئْتَ قُلْتَ هُوَ نَفْسُ الْوَحْدَةِ لَا ذَاتَ ثَبَتٍ لَهُ الْوَحْدَةُ وَالسَّرْفُ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْوَحْدَةَ مُسَاوِقَةٌ لِلْوُجُودِ وَالْوُجُوبُ فَكَمَا أَنَّهُ تَعَالَى مُوجُودٌ بِذَاتِهِ وَاجِبٌ بِذَاتِهِ لَا شَيْءٌ ثَبَتَ لَهُ الْوُجُودُ وَالْوُجُوبُ كَذَلِكَ وَاحِدٌ بِذَاتِهِ لَا ذَاتَ ثَبَتٍ لَهُ الْوَحْدَةُ فَالْوَحْدَةُ فِيهِ تَعَالَى كَالْوُجُودِ وَالْوُجُوبِ مِنْ قَبِيلٍ خَارِجِ الْمَحْمُولِ لَا مِنْ قَبِيلِ الْمَحْمُولِ بِالضَّمِيمَةِ مِثْلَ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ لِلْجِسْمِ وَالْوُصْفِ إِذَا كَانَ مِنْ خَارِجِ الْمَحْمُولِ كَالْإِمْكَانِيَّةِ لِلْمُمْكِنِ وَالْوُجُوبِ لِلوَاجِبِ تَعَالَى لَا يُغَايِرُ الْمَوْصُوفَ عَيْنًا وَأَنْ يُغَايِرَهُ مَفْهُومًا وَالتَّغَايُرُ الْمَفْهُومِيُّ لَا يُوجِبُ التَّرْكِيبَ وَهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ فِي الْبَابِ هُوَ الَّذِي نَقُولُ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ فَإِنَّ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ الْأَوْصَافِ الثَّابِتَةِ هُنَاكَ كُلُّهَا عَيْنُ ذَاتِهِ تَعَالَى فَإِذَا قُلْنَا اللَّهُ عَالِمٌ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى ذَاتَ ثَبَتٍ لَهُ الْعِلْمُ كَمَا هُوَ فِينَا كَذَلِكَ بَلْ ذَاتُهُ عِلْمُهُ وَهَكَذَا فِي سَائِرِ صِفَاتِهِ فَهُوَ عِلْمُ كُلِّهِ وَهَذَا مَعْنَى عَيْنِيَّةِ الصِّفَاتِ لِلذَّاتِ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بَابُ التَّغَايُرِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

أَوَّلُ الَّذِينَ مَعْرِفَتِهِ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّضَدُّيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّضَدُّيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَقْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ النَّحْ.

فقوله كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ليس معناه نفي الصفات عنه بالكلية بمعنى أنه ليس بعالم ولا قادر وهكذا فإنه يوجب التعطيل في باب الصفات بل معناه أن صفاته عين ذاته مصداقاً وأن تبايرها مفهوماً وبعبارة أخرى ليس هناك إلا الذات المجردة البسيطة ولذلك قالوا أن الذات أي المهيبة في الوحدة التي ليست بحقة معتبرة مأخوذة في مفهوم الصفة أعني بها الواحد وأما في الوحدة الحقّة الحقيقية بخلافها أعني الواحد فيها نفس الوحدة والوحدة نفس الوجود العيني الذي لا مهيبة له وما نحن فيه كذلك بإلهكم إله واحد، معناه أن إلهكم الله هو نفس الوحدة الحقّة التي هو الوجود العيني الذي لا مهيبة له وإلى هذا المعنى أشار في المنظومة:

فالذات في الوحدة غير الحقّة قد أخذت في الصفة المشتقة

و يؤيد ما ذكرناه مارواه المجلسي في البحار بأسناده عن شريح ابن هاني عن أبيه قال: أن إعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام أتقول أن الله واحد فحمل الناس عليه وقالوا يا إعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب فقال أمير المؤمنين دعوه فإن الذي يريده الإعرابي هو الذي يريده من القوم ثم قال عليه السلام: يا إعرابي أن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام.

فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل وجهان يثبتان فيه فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل، واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أما ترى أنه كفر من قال أنه ثالث ثلاثة.

وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنه تشبه وجل ربنا تعالى عن ذلك.

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا، وقول القائل أنه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل انتهى<sup>(١)</sup>

وقد رواه في تفسير البرهان أيضاً فأَنَّ هذه الرواية تشعر بل تصرّح بأنّ الواحد الذي يطلق عليه تعالى معناه لا شبه له تعالى أو أنه أحدي المعنى يعني لا ينقسم إلى ذات وصفة ولما كان كذلك فلا شبه له ولا نظير اذ لو كانت الصفة فيه غير ذاته عارضة عليها فهو كسائر المخلوق فلا معنى لقوله **عَلَيْهِ السَّلَام** ليس له في الأشياء شبه أو لا ينقسم في الوجود وهو واضح صدق ولي الله الأعظم الذي هو باب مدينة العلم هذا كله في معنى الواحد في حقّه تعالى و أما قوله: **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** فهو في الحقيقة تفسير وتوضيح لقوله **إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** لأنّ الواحد بالمعنى الذي ذكرناه مُنْحَصَرٌّ في عالم الوجود به تعالى اذا المفروض أنه واحد بالوحدة الحقّة على ما مرّ تفصيله والإله بهذا المعنى لا إله إلا هو أي لا ثاني له ولا شبه له ولأجل هذا قالوا: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** كلمة التوحيد ومن قالها مخلصاً وجبت له الجنة:

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد  
وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنه واحد  
ولله في كلّ تحريك تسكينة في الوري شاهد

وأما أنّ هذه الكلمة كيف تفيد التوحيد فموكول إلى محلّه وسنتكلّم فيها إن شاء الله تعالى وأما قوله **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** فقليل أنّ معنى **الرَّحْمَنُ** الواسع الرحمة على عباده بالرزق والإنعام عليهم و **الرَّحِيم** معناه أنه رحيم بالمؤمنين خاصّة أي يخصّهم برحمته في عاقبة أمرهم ثم أنّ **الرَّحْمَنُ** أشدّ مبالغة من

ضبط القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

الرَّحِيمَ لَأَنَّ زِيَادَةَ الْبِنَاءِ تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى وَذَلِكَ أُنَّمَا يُعَبَّرُ تَارَةً بِإِعْتِبَارِ  
 الْكَمِّيَّةِ وَأُخْرَى بِإِعْتِبَارِ الْكَيْفِيَّةِ فَعَلَى الْأَوَّلِ قِيلَ يَارَحْمَنُ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَعْمَمُ الْمُؤْمِنَ  
 وَالكَافِرَ وَرَحِيمَ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ يَخْصُّ الْمُؤْمِنَ وَعَلَى الثَّانِي قِيلَ يَارَحْمَنُ الدُّنْيَا وَ  
 الْآخِرَةِ وَرَحِيمَ الدُّنْيَا لِأَنَّ النَّعْمَ الدُّنْيَوِيَّةَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَوِيَّةِ قَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ جَدًّا  
 وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِيهِمَا عِنْدَ الْبَحْثِ فِي الْبَسْمَلَةِ فَلَا نَعِيدُ الْكَلَامَ بِذِكْرِهِ ثَانِيًا وَالْحَمْدُ  
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ  
النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ  
فَأَخْيَاهَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ  
دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٤٤)

### ◀ اللغة

الْفُلْكِ: بسكون اللام وضم الفاء السَّفينة يستوي فيه الواحد والجمع.  
بَثَّ: أصل البَثّ التفريق واثارة الشيء كَبَثَ الرِّيحُ التُّرابَ و بَثَّ النَّفْسَ ما  
إنطوت عليه من الغم والسُّرِّ وفيه إشارة الى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً و  
إظهاره إياه.

دَابَّةٌ: الدَّبّ والدَّبِيب مَشَى خفيف و يستعمل ذلك في الحيوان  
والحشرات أكثر والدَّابَّة كُلُّ ما يَدْبُ على الأرض.  
تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ: الصرف ردّ الشيء من حالة الى حالة أو إبداله بغيره يقال  
صرفته فإنصرف والرياح جمع الرِّيح والرِّيح فيما يقلّ الهواء المتحرّك.  
وَالسَّحَابِ: أصل السَّحَب الجَرَّ كَسَحَبَ الدَّيْلَ والإنسان على الوجه و  
منه السَّحَابُ إمَّا لَجَرَّ الرِّيحِ له أو لجرّه الماء أو لإنجراره في مرّه و السَّحَاب  
الغيم فيها ماء أو لم يكن ولهذا يقال سحاب جهام وقد يُذكر لفظه ويراد به الظِّل.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ الإعراب

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَا، بمعنى الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ مِنَ الْأُولَى لابتداء الغاية  
و الثانية لبيان الجنس وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ مفعول بَثَّ محذوف وتقديره و

بَتْ فِيهَا دَوَابٌّ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ هُوَ مُصَدَّرٌ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ وَ  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَضْيَفٌ إِلَى الْفَاعِلِ وَيَكُونُ الْمَفْعُولُ مُحَذَوْفًا وَالتَّقْدِيرُ وَ  
تَصْرِيفِ الرِّيحِ السَّحَابَ بَيْنَ السَّمَاءِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِلْمُسَخَّرِ وَأَنْ يَكُونَ  
حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِيهِ.

### ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ وَاحِدٌ لِشَرِيكَ لَهُ وَهُوَ الرَّحْمَنُ  
الرَّحِيمُ بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ  
الَّتِي لَا يَخْفَى إدْرَاكُهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ وَالْحَوَاسِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّرِيقَ  
إِلَى اللَّهِ وَأَنْ كَانَتْ بَعْدُ أَنْفَاسُ الْخَلَائِقِ إِلَّا أَنَّهَُا تَنْتَهِي بِالْآخِرَةِ إِلَى الْعَقْلِ  
وَالْحَسِّ فَالطَّرِيقَ مُنْحَصَرٌّ فِيهِمَا وَلَا شَكَّ أَنَّ طَرِيقَ الْمَحْسُوسِ أَسْهَلُ مِنْ  
الْمَعْقُولِ وَقَدْ يَعْبُرُ عَنْ طَرِيقِ الْمَحْسُوسِ بِالذَّلَالَةِ أَيْ دَلَالَةِ الْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ، أَوْ  
بِالْكَشْفِ لِأَنَّ الْأَثَرَ كَاشَفٌ عَنِ الْمُؤَثِّرِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَابِيرِ وَنَحْنُ نُفَسِّرُ أَوَّلًا  
أَلْفَاظَ الْآيَةِ ثُمَّ نَتَكَلَّمُ فِيهَا بِقَدْرِ الْمَيَسُورِ فَنَقُولُ:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ صِفْ لَنَا رَبَّكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى  
وَالْهَيْكُلُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

أَقُولُ لَمَّا كَانَتْ الْآيَةُ مِنْ قِبَلِ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الذَّاتِ بِالذَّاتِ الَّذِي هُوَ مِنْ  
أَشْرَفِ الدَّلَائِلِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَجْلَهَا وَلَكِنَّ الْوُقُوفَ عَلَيْهِ مَسْكَلٌ جَدًّا وَلَا  
سَيْمًا فِي حَقِّ الْعَوَامِّ الَّذِينَ لَا يَتَجَاوَزُونَ الْمَحْسُوسَاتِ فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا لَأَنْفَهُمْ  
مَعْنَى الْآيَةِ ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ إِلَهُنَا إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَنَحْنُ لَا  
نَرَاهُ وَلَا نَشَاهِدُهُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (لَايَاتٍ وَعَلَامَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ أَيْ أَنْ كُنْتُمْ لَا تَرَوْنَهُ بِالْعَيَانِ فَقَدْ تَرَوْنَ أَثَرَهُ وَأَفْعَالَهُ فِي الْعَالَمِ وَالْأَثَارِ



تَدَلُّ عَلَى الْمُؤَثِّرِ عِنْدَ الْمُقْلَاءِ فَأَنْتُمْ أَيْضاً أَنْظَرُوا إِلَيْهَا لِتَرَوْا مُؤَثِّرَهَا وَخَالِقَهَا فِي وَجُودِهَا وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَعْنِي الْعِلْمَ بِوُجُودِ الْمُؤَثِّرِ مِنْ وَجُودِ الْأَثَرِ طَرِيقَةً عَقْلِيَّةً مُسْتَمِرَّةً فِي النَّاسِ فِي كُلِّ عَصْرٍِ وَزَمَانٍ وَمَنْ أَنْكَرَهَا فَقَدْ أَنْكَرَ عَقْلَهُ وَدَرْكَهُ وَالْأَثَارَ الَّتِي تَفِيدُ الْعِلْمَ بِوُجُودِ الْمُؤَثِّرِ فِي الْآيَةِ أُمُورٌ:

**أَحَدُهَا:** وَجُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَقْرِيرِ الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ هُوَ أَنَّهُ لَا شَكَّ لِأَحَدٍ فِي وَجُودِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَ** أَمَّا قُلْنَا لَا شَكَّ لِأَحَدٍ فِيهِ لِأَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَشْكُ فِي الْمَحْسُوسِ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الشَّكِّ فِي الْحِسِّ مَثَلًا إِذَا رَأَيْنَا زَيْدًا بِالْبَصَرِ وَقُلْنَا إِنَّا نَشْكُ فِي وَجُودِهِ مَعْنَاهُ الشَّكُّ فِي أَصْلِ الرِّوَايَةِ وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ إِجْتِمَاعِ النَّقِیْضِیْنِ فَأَنَّ الرِّوَايَةَ وَعَدْمَهَا نَقِیْضَانِ وَعَلَيْهِ فَأَنْ تَحَقِّقَ الرِّوَايَةَ بِالْبَصَرِ فَكَيْفَ يَشْكُ فِيهَا.

وَأَنْ كَانَ شَاكًّا فِيهَا فَلَمْ يَتَحَقَّقْ فَنَبَّهَ أَنَّ الشَّكَّ فِي الْمَحْسُوسِ لَا مَعْنَى لَهُ وَحَيْثُ إِنَّا نَرَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَعْيُنِنَا فَلَا مَعْنَى لِلشَّكِّ فِي وَجُودِهَا وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

ثُمَّ نَقُولُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِوُجُودِهَا أَنَّ هَذَا الْمَوْجُودَ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ مُوجِدٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَوْجُودَ لَا يَخْلُو مِنْ وَجْهَيْنِ. الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ وَفِي نَفْسِهِ وَلِنَفْسِهِ بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ الْوُجُودَ عَيْنَ ذَاتِ الْمَوْجُودِ لَا أَمْرًا زَائِدًا عَلَيْهِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ زَائِدًا عَلَيْهِ عَارِضًا عَلَى مَاهِيَّتِهِ وَيَعْبَرُ عَنِ الْأَوَّلِ بِالْوَاجِبِ وَعَنِ الثَّانِي بِالْمُمْكِنِ وَلَا ثَالِثَ فِي الْمَقَامِ فَأَنَّ الْمَوْجُودَ أَمَّا وَاجِبٌ أَوْ مُمَكِّنٌ إِذَا عُرِفَتْ هَذِهِ فَتَقُولُ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَوْجُودَتَانِ فِي الْخَارِجِ بِالْحِسِّ وَالْعِيَانِ كَمَا مَرَّ وَكُلٌّ مَوْجُودٌ إِمَّا وَاجِبٌ وَإِمَّا مُمَكِّنٌ فَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِمَّا مِنْ سِنَخِ الْمُمْكِنَاتِ وَإِمَّا مِنْ سِنَخِ الْوَاجِبِ لَا سَبِيلَ إِلَى الثَّانِي لِأَنَّ

الوجود لو كان واجباً لهما يجب أن تكون السموات والأرض أزليّة أبدية كما هو شأن الواجب وهما من الحوادث قطعاً وكما حادث ليس بأزلي ليس بأبدي و ما كان كذلك فهو ممكن فالسموات والأرض من الممكنات وكل ممكن محتاج إلى المؤثر فهما محتاجان إلى المؤثر ثم إن الموجود ان كان ممكناً فهو أيضاً محتاج إلى مؤثر آخر وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى مؤثر ليس من سنخ الممكن وغير الممكن هو الواجب لإحصار الوجود فيهما فالمؤثر في السموات والأرض وخالقها هو الواجب الوجود وهو المطلوب.

فثبت وتحقق أن خلق السموات والأرض يدل على وجود خالقهما وهذا غني العلم بوجود المؤثر من طريق الأثر يُسمى بالبرهان الآتي.

**ثانيهما: إختلاف الليل والنهار** أي في مجي كل واحد منهما خلف الآخر وتعاقبهما آية و علامة على وجود الخالق الحكيم، وأنما قال:

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. حيث عبر هناك بالخلق وفي المقام بالإختلاف مع أن الليل والنهار أيضاً مخلوقتان له لقوله تعالى: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ<sup>(١)</sup> لأن المحسوس من السموات والأرض وجودهما ومن الليل والنهار تعاقبهما أي مجي كل واحد منهما خلف الآخر وهذا التعاقب هو الذي يراه العوام من الناس لا وجودهما إذ لقائل أن يقول إننا لا نرى شيئاً موجوداً قابلاً للإشارة الحسية بل الذي نراه ونحس هو الضوء والظلمة وتعاقلهما العدم والملكة فأذاً الظلمة عدم النور والنور عدم الظلمة وقد ثبت أن عدم الملكة له حظ من الوجود في غاية الضعف عند العقل ولا وجود له خارجاً وجوداً محسوساً بالحواس فوجودهما ليس محسوساً بل يكون معقولاً لذوي العقول الصافية والعوام ليسوا كذلك وأما تغايرهما وتعاقبهما فهو محسوس لا خفاء فيه عند أدنى العوام هذا أولاً.

ثانياً: ذهب بعض الفلاسفة الى أنَّ الإيجاد تعلق أولاً بالذَّات بالسَّموات والأفلاك الموجودة فيها ثمَّ بالليل والنَّهار بتبعها أي أنَّهما مخلوقان ثانياً و بالعرَض وذلك لأنَّهما أي اللَّيل والنَّهار يتحقَّقان ويوجدان من حركة الأفلاك فلو لا وجود الفلَّك لم يكن لهما وجود فهما في الحقيقة مثل وجود الحركة للمتحرِّك ومعلوم أنَّ المخلوق هو المتحرِّك و أمَّا الحركة فهي مخلوقة له ولأجل الشَّبهة قال تعالى وإختلاف اللَّيل والنَّهار اذ لا شبهة فيه وكيف كان فطريق الإستدلال به على وجود الصَّانع المؤثر من وجهين:

**أحدهما:** أنَّ الإختلاف فيهما دليل على حدوثهما وذلك لمجيئ كلِّ واحد منهما عقيب الآخر فإنَّ الحادث على قول المتكلِّمين عبارة عمَّا وُجد بعد أن لم يكن موجوداً و ان شئت قلت كلَّ موجود اذا كان مسبوقاً بالعدم فهو حادث.

و أمَّا على قول الفلاسفة كلَّ موجود اذا كان مسبوقاً بالغير فهو حادث و مرادهم بالغير العِلَّة، وإختلاف اللَّيل والنَّهار دليل على حدوثهما بكلا المعنيين.

**أمَّا الأوَّل:** فلأنَّ كلَّ واحدٍ منهما مسبوق بالعدم فإنَّ اللَّيل مثلاً مسبوق بالنَّهار الَّذي هو عدم اللَّيل والنَّهار أيضاً مسبوق باللَّيل الَّذي هو عدم النَّهار فالحدوث على مَسلك المتكلِّمين ثابت فيهما و أمَّا على قول الفلاسفة فلأنَّ الإختلاف والتعاقب فيهما مسبوقان بعِلَّة لا محالة لأنَّ كلَّ ما وجد بالغير لا بدَّ من أن ينتهي الى ما بالذَّات و حيث أنَّ التعاقب فيهما من حركة الأفلاك والأفلاك لمحدوثها تحتاج الى العِلَّة فالإختلاف فيهما ينتهي بالأخرة الى العِلَّة الموجدة إيَّاهما وهو المطلوب فهذا من طريق الحدوث.

**الوجه الثَّاني:** أنَّ هذا التعاقب في اللَّيل والنَّهار يدلُّ على وجود الخالق الحكيم مع قطع النَّظر عن بحث الحدوث و تقريره إجمالاً أنَّ التعاقب أي

مجئ كل واحد منهما خلف الآخر لا يمكن أن يستند الى نفس الحركة في الفلك لأن الحركة بما هي هي تقتضي سنجاً واحداً إما الليل مطلقاً وإما النهار مطلقاً وأما ذهاب الليل ومجئ النهار بعده وبالعكس فهو أمر عارض على نفس الحركة في الفلك لأن هذا النظم الخاص لا يكون إلا من الموجد الحكيم والحكمة والتدبير من ثمرات الإرادة ولعلم واذ قد ثبت أن الفلك لا علم له ولا إرادة فيجب أن يستند الى الخالق الحكيم وهو المطلوب فثبت أن اختلاف الليل والنهار يدل على المؤثر الحكيم من جهة الحدوث تارةً ومن جهة التعاقب والنظم تارةً أخرى وقد أشار الله تعالى في كثير من الآيات الى هذا المعنى:

قال الله تعالى: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** <sup>(٣)</sup>.

والآيات كثيرة هذا كله بناءً على أن يكون المراد بقوله تعالى: **وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** تعاقبهما ومجئ كل واحد منهما خلف الآخر وهنا قول آخر وهو أن المراد باختلاف الليل والنهار اختلافهما في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان قال الكسائي يقال لكل شيء اختلفا هما خلفان وعلى هذا التفسير يصير المعنى أن هذا التغيير بحسب الأزمنة لا يمكن إستناده الى نفس الليل والنهار أو حركة الفلك لعدم وجود العلم والإرادة في الفلك فلا محالة يدل على المؤثر العالم المريد الحكيم وهو المطلوب.

وهكذا اذا قلنا أَنَّ المراد بالاختلاف في الآية الاختلاف في الليل والنَّهار بحسب الأمكنة المختلفة اذ على القول بكُرُوبَةِ الأرض تختلف الأوقات بحسب الليل والنَّهار.

**ثالثها: وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ** نقل عن الواحدي أَنَّهُ قال الْفُلُكُ أصله من الدَّوران وكلُّ مستدير فلك و سَمِيَتِ السَّفِينَةُ فُلْكَاً لِأَنَّهَا تَدُورُ بالماء أسهل دَورانَ وأما في الْبَحْرِ فقليل سُمِّيَ الْبَحْرُ بَحْراً لِإِسْتِبحارِهِ وهو سَعْتُهُ وإنبساطُهُ ويقال إِسْتَبَحَرَ فلان في العلم اذا إِتَّسَعَ فيه وقيل سُمِّيَ الْبَحْرُ بَحْراً لِأَنَّهُ شَقٌّ في الأرض وَالْبَحْرُ الشَّقُّ ومنه الْبُحِيرَةُ اذا عرفت معنى الْفُلُكِ وَالْبَحْرِ وجه تسميتهما بهما فنقول في كَيْفِيَّةِ الْإِسْتِدْلَالِ بِجَرَيَانِ الْفُلُكِ فِي الْبَحْرِ على وجود الصَّانِعِ تعالى وتقدُّس وجوه:

منها أَنَّ السَّفْنَ وأن كانت من صنع النَّاسِ إلَّا أَنَّهُ تعالى هو الَّذِي خلق الألات الَّتِي بهما يمكن تركيب هذه السَّفْنَ فلو لا خلقه لها لما أمكن ذلك.

ومنها، أَنَّهُ لو لا الرِّيحُ المَعِينَةُ على تحريكها لما تكامل النَّفْعُ بها.

ومنها، ما يقال لو لا هَذِهِ الرِّيحُ وعدم عصفها لما بقيت ولما سلمت وهذه الوجوه ذكرها الرَّازِي وذكر وجوهاً لا فائدة في نقلها لِأَنَّهَا من الإِسْتِخْرَاجَاتِ الظَّنِّيَّةِ الَّتِي لا يعتمد عليها في تفسير كلام اللَّهِ وَأَتَى بعد التَّفَحُّصِ في سائر التَّفاسِيرِ من العامَّةِ وَالْخاصَّةِ لم أَظفر بشيءٍ مقنعٍ في الباب فَأَنَّ ما ذكروه كُلُّهَا يرجع الى منافع الْفُلُكِ وَأَنَّهُ ممَّا يَنْتَفِعُ به وهو خارج عن محلِّ البحث اذ البحث في كَيْفِيَّةِ دلالاته على المؤثر قال صاحب تفسير الميزان عند تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه:

وفي عَدِّ الْفُلُكِ في طَيِّ المَوجودات والحوادث الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لا دخل لِإِختِيارِ الْإِنْسَانِ فيها كالسَّماءِ والأرض وإِختلاف الليل والنَّهار دلالة على أَنَّهَا أيضاً تنتهي مثلاً الى صنع اللَّهِ سبحانه في الطَّبِيعَةِ فَأَنَّ نسبة الفعل الى الْإِنْسَانِ

بحسب الدقة لا تزيد على نسبة الفعل الى سبب من الأسباب الطبيعية والإختيار الذي يتبجح به الإنسان لا يجعله سبباً تاماً مستقلاً غير مفتقر الى إرادة الله سبحانه ولا يجعله أقلّ احتياجاً اليه تعالى بالنسبة الى سائر الأسباب الطبيعية فلا فرق من حيث الاحتياج الى إرادة الله سبحانه بين أن يفعل قوة طبيعية في مادة فتوجد بالفعل و الإنفعال والتحرّيف و التركيب والتحليل صورة من الصور كصورة الحجارة مثلاً وبين أن يفعل الإنسان بالتحرّيك و التقريب والتباعد في المادة صورة من الصور كصورة السفينة مثلاً في أنّ الجميع تنتهي الى صنع الله وإيجاده لا تستقلّ شيء مستغنياً عنه تعالى في ذاته و فعله فالفلك أيضاً مثل سائر الموجودات الطبيعية تفتقر الى الإله في وجودها و تفتقر الى الإله في تدبيرها أمرها من غير فرق و قد أشار تعالى الى هذه الحقيقة بقوله: **وَٱللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ**<sup>(١)</sup> الى آخر ما قال **مُؤَيَّدٌ** والذي يحصل من كلامه هو أنّ الفلك كسائر الموجودات في الحقيقة مخلوقة له تعالى لأنها مخلوقة لمخلوقه و مخلوق المخلوق مخلوق في الحقيقة.

**أقول** ما ذكره **مُؤَيَّدٌ** صحيح متين ولكن لا كلام لنا فيه فعلاً اذ من المعلوم أنّ السفينة كسائر مصنوعات البشر مثل الكرسي والبيت واللباس وأمثالها مخلوق له تعالى بواسطة الإنسان فالتشاغل بهذه الأمور خروج عن طور البحث فإنّ هذه الجهة التي ذكرها موجودة في جميع مصنوعات الإنسان، فما وجه اختصاص الفلك وجريها على الماء بالذكر ولم يقل أنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وما تعملون أو ما تصنعون وأمثال ذلك اذ لا خصوصية للفلك على ما ذكره فهي وغيرها من المصنوعات على حدّ سواء و حيث خصّها الله تعالى بالذكر نعلم أنّ لها خصوصية ليست في غيرها وهي التي خفيت على جميع المفسرين والذي يختلج بالبال في حلّ

الإشكال والله أعلم بحقيقة الحال هو أن أساس الاستدلال في الآية الشريفة على طريق البرهان الأتني وهو العلم بالمؤثر من طريق الأثر وذلك لأن علماء الطبيعة يستدلون على وجود الصانع من طريق الطبائع المحسوسة وهم المخاطبون بهذه الآية وأمثالها في الواقع لا الإلهيون الذين يستدلون على وجود الذات بالذات فأنهم مخاطبون بقوله تعالى: **أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**<sup>(١)</sup> وسيأتي البحث فيها وإذا كان المخاطب بالآية من يستدل بالأثر على المؤثر من مجاري الطبيعة والحس فنقول:

وجه اختصاص الفلك بالذكر هو أن فيها حركة لقوله تعالى: **الْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ** والجري في البحر معناه حركة الفلك على وجه الماء والطبيعيون من الحكماء يستدلون على وجود الواجب بالحركة لأن الحركة هي الموضوع عندهم في الطبيعيات وإجمال الكلام على طريقتهم هو أن الحركة بما أنها عارضة على الجسم تحتاج إلى الموضوع وهو الجسم المتحرك ثم أن الجسم المتحرك أيضاً يحتاج إلى محرك خارج عن ذاته ولا يمكن أن يكون مُحَرَّكاً أيضاً لأن الشيء الواحد لا يكون فاعلاً وقابلاً وحيث أنه يقبل الحركة فلا يمكن له أن يوجد الحركة فالموجد للحركة فيه موجود آخر غيره ثم أن الموجود المحرك أمّا أن يكون جسماً وأمّا أن يكون غير جسم لا سبيل إلى الأول لأنه لو كان جسماً فحالته حال الجسم إذ حكم الأمثال واحد فكما أن الجسم المتحرك لا يصلح أن يكون مُحَرَّكاً فكذلك ذلك الجسم إذ لا فرق بينهما في الجسمية والمانع هو الجسمية لا غيرها وهي حاصلة في كل جسم وحيث أن الجسم بما هو موضوع للحركة منفعل عنها لا يكون فاعلاً لها أيضاً كما مرّ والملاك موجود في جميع الأجسام فإذ لا بد من أن يكون المُحَرِّك غير الجسم والجسماني وهو الله تعالى وهو المطلوب.

بَابُ التَّرْكَابِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّرْكَابِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

إذا عرفت هذا فنقول لاشك لراكب السفينة ورائيها أنها تجري في الماء فالحركة فيها موجودة ثم أن الحركة تحتاج إلى ما فيه الحركة وهو الموضوع الذي يُعبر عنه في الاصطلاح بالمتحرك وهذا أيضاً مما لا خلاف فيه أنما الشك والخلاف في المحرك لهذه الحركة هل هو نفس المتحرك أم شيء آخر غيره لا سبيل إلى الأول لأن الشيء الواحد لا يكون قابلاً وفاعلاً من جهة واحدة فالمحرك فيه شيء آخر غيره ثم أن المحرك لا يكون جسماً لأن حكم الأمثال واحد فلا محالة ينتهي الأمر إلى موجود وهو المحرك وليس بجسم ولا جسماني وهذا هو الخالق المجرد عن المادة ولوازمها وهو المطلوب فثبت أن حركة السفينة وجريها على الماء معلول لموجدها وخالقها فالمراد من الفلك في الآية وإختصاصها بالذكر من جهة حركتها.

وقال بعض المفسرين المقصود من الكلام هو أن الله تعالى جعل الماء جسماً مائعاً سيالاً صالحاً لحركة السفينة عليه فكأنه قال الله تعالى ألا تنظرون إلى الماء والفلك يجري عليه فمن جعل الماء سائلاً مائعاً إلا الله تعالى وكيف كان ففي قوله تعالى: **الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْمَاءِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ دَلَالَةٌ عَلَى** وجود الخالق وهو المطلوب.

**رابعها: وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَبَهَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** في هذا الكلام دلالة على وجود الخالق من جهتين.

أحدهما: يستفاد من قوله: **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ.**

ثانيهما: يستفاد من قوله: **فَأَخْيَبَهَا الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا.**

**أما الأول:** فلا شك لنا أن الماء ينزل من السماء والمراد بالسماء جهة العلو قالوا أن حقيقته عناصر مختلفة يحملها ماء البحار وغيره ثم يتكاثف بخاراً متصاعداً حاملاً للحرارة حتى ينتهي إلى زمهرير الهواء فيتبدل ماءً متقاتراً على صورة المطر أو يجمد ثانياً فيصير ثلجاً أو برداً فينزل لثقله إلى



الأرض فتشربه وتحیی به أو خزنه فیخرج علی صورة ینابیع فی الأرض بها حیاة کل شیء و دلالتہ علی الصّانع من وجوه:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا یَقْدِرُ عَلَى إِیْجَادِ الْمَاءِ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ یَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ<sup>(١)</sup>.

وحيث لا یقدر علیہ أحد فهو یدل علی وجود خالقہ الذی هو خارج عن سلسلة الممكنات و هو الله تعالى.

ثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ سَبَبًا لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ بَلْ لِكُلِّ مَوْجُودٍ حَيٍّ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ<sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ<sup>(٣)</sup>.

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا جَعَلَهُ سَبَبًا لِحَيَاةِ الْحَيَوَانَ وَالْإِنْسَانَ جَعَلَهُ سَبَبًا لِرِزْقِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ<sup>(٤)</sup>.

أَمَّا الثَّانِي: أَعْنِي قَوْلَهُ: فَأَخْيَابِهَا الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَقَالُوا أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ مِنْ جِهَاتٍ.

أَحَدُهَا: ظُهُورُ النَّبَاتِ الَّذِي هُوَ الْكَلَاءُ وَالْعُشْبُ وَمَا شَاكِلُهُمَا مِمَّا لَوْلَاهُ لَمَا عَاشَتْ دَوَابُّ الْأَرْضِ.

ثَانِيهَا: أَنَّهُ لَوْلَاهُ لَمَا حَصَلَتْ الْأَقْوَاتُ لِلْعِبَادِ.

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى يَنْبِتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ لِأَنَّهُ تَعَالَى ضَمِنَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَالْحَيَوَانَاتِ بِقَوْلِهِ: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا<sup>(٥)</sup>.

٢- الواقعة = ٦٨/٦٩

٤- الزاريات = ٢٢

١- الملك = ٣٠

٣- الانبياء = ٣٠

٥- هود = ٦

رابعها: أنه يوجد فيه من الألوان والطَّعوم والزَّوائج وما يصلح للملابس لأنَّ ذلك كلُّه ممَّا لا يقدر عليه إلَّا الله تعالى.

خامسها: أنه يحصل للأرض بسبب النَّبات حُسْنٌ ونضرة فذلك هو الحياة فإنَّ حياة كلِّ شيءٍ بسببه كما أنَّ موته كذلك قال بعض المفسِّرين أنَّ وصفه تعالى ذلك بالأحياء بعد الموت مجاز لأنَّ الحياة لا تصحُّ إلَّا على من يُدرك ويصحُّ أن يعلم وكذلك الموت إلَّا أنَّ الجسم إذا صار حيًّا حصل فيه أنواع من الحُسْن والنضرة والبهاء والنَّشو والنَّماء فأطلق لفظ الحياة على حصول هذه الأشياء وهذا من فصيح الكلام الَّذي على إختصاره يجمع المعاني الكثيرة والحقُّ أنَّ أنواع الموت بحسب أنواع الحياة وإختصاصه بالمدرَك لا دليل عليه ولنعم ما قال الشَّاعر:

تفكَّر في نبات الأرض وأنظِرْ إلى أثار ما صَنَعَ المليك  
ففي رأس الزَّبرجد شاهداتٌ بأنَّ الله ليس له شريك  
وقال الآخر:

أنظِرْ لتلك الشَّجَرَة ذات الغصون النضرة  
كيف نمت من حَبَّة وكيف صارت شَجَرَة  
فأفحص وقلْ من ذا الَّذي يُخرج منه الثمرة  
وأنظِرْ إلى الشَّمس التي جذوتها مُستعرة  
فيها ضياءٌ وبهاء حرارةٌ مُنتشرة  
مَنْ ذا الَّذي أوجدها في الجوّ مثل الشَّررة  
ذاك هو الله الَّذي أُنعمه مُنهمرة  
ذو حكمةٍ بالغةٍ وقُدرةٍ مُقتدرة  
أنظِرْ إلى اللَّيل فَمَنْ أوجد فيه قَمَره  
وزائنه بأنجمٍ كالذَّرالمُنتشرة

وَأَنْظِرْ إِلَى الْغَيْمِ فَمَنْ أَنْزَلَ فِيهِ قَطْرَةً  
 فَصَبَّرَ الْأَرْضَ بِهِ بَعْدَ إغْبَارِ حَضْرَةٍ  
 وَأَنْظِرْ إِلَى الْمَرءِ وَقُلْ مَنْ شَقَّ فِيهِ بَصْرَهُ  
 مَنْ ذَا الَّذِي جَهَّزَهُ بِقُوَّةٍ مَفْكِرَةٍ  
 ذَاكَ الْإِلَهِ الَّذِي أَنْعَمَ مِنْهُمْ مَهْمَةً  
 ذُو حَكْمَةٍ بِالْغَةِ وَقُدْرَةٍ مُقْتَدِرَةٍ

خامسها: وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ الدَّابَّةُ إسمٌ لكلِّ شيءٍ يدبُّ والْبَثُّ الإِنتِشَارُ والتفريقُ أي أَنَّ اللَّهَ تعالى بَثَّ أي إِنْتَشَرَ وتَفَرَّقَ في الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ عَلَى أَقْسَامِهَا وَأَنْوَعِهَا وَمَا لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تعالى ثُمَّ أَنَّ الْمَنَافِعَ الْمُتَرْتِبَةَ عَلَى وَجُودِهَا وَالْأَسْرَارَ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهَا وَالْأَشْكَالَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ حَلِيهَا وَغَيْرَهَا مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ فَسُبْحَانَ مَنْ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عُروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل

أَمُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ أَمْحُوا بِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمانِ الْأَوَّلِ  
 نَقَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
 كَيْفَ أَحْكَمَ وَاتَّقَنَ تَرْكِيبَهُ وَخَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَسَوَّى لَهُ الْعِظْمَ  
 وَالْبَشَرَ إِنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جَنْثَتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا لَا تَكَادُ  
 تَنَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ وَ  
 وَسَعَتْ فِي مَنَاقِبِهَا وَطَلَبَتْ رِزْقَهَا تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى حَجَرِهَا تَجْمَعُ فِي  
 حَرِّهَا لِیَرُدَّهَا وَفِي وَرَدِّهَا لَصَدْرُهَا لَا يَغْفُلُ عَنْهَا الْمَنَانُ وَلَا يُحَرِّمُهَا  
 الدِّيانُ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلُوقِهَا وَسَفْلِهَا وَمَا فِي

الجوف من شاسيف بطنها و ما في الرأس من عَيْنِها وأذنها لقفيت  
 من خلقها عَجَباً وللقيت من وَصفها تعباً فتعالى الله الَّذِي أَقامها  
 على قوائمها وبنائها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر و لم  
 يعنها على خلقها قادر لا إله إلا هو و لا مَعْبُود سواه و قيل إذا خافت  
 على حَبِّها أن يعفن أخرجته الى ظهر الأرض ليَجَفَّ و قيل أنها تغلق  
 الحَبَّ نصفين خوفاً من أن تنبت فتفسد إلا الكزبرة فأنتها تغلقها  
 أربعاً لأنها من دون الحَبَّ ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة  
 يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك و قيل أنها تشم رائحة الشيء من  
 بعيد ولو وضعت على أنفك لم تجد له رائحة و إذا عجزت عن حمل  
 شيء إستعانت برفقتها فيحملونها جميعاً الى باب حجرها و قيل إذا  
 إنفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنخاً أو كبريتاً هجرته ثم أن ما  
 ذكرناه في النملة قليل بالنسبة الى ما لم نذكره خوفاً من الإطناب  
 وقس على النملة سائر الحيوانات.

نقل المسعودي في كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق في  
 الأرض قبل آدم ثمانياً وعشرين أمة على خلقٍ مختلفة وهي أنواع منها ذوات  
 أجنحة وكلامهم قرقة ومنها ماله أبدان كالأسود ورؤس كالطير ولهم شعور و  
 أذنان وكلامهم دوي ومنها ماله وجهان واحد من قبله و واحد من خلفه و  
 أرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الإنسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح  
 الغرائق ومنها ما وجهه كالأدمي وظهره كالسلحفاة وفي رأسه قرن وكلامهم  
 مثل عوي الكلاب ومنها ماله شعر أبيض وذنّب كالبقرة ومنها ماله أنياب بارزة  
 كالخناجر وأذان طوال ويقال أن هذه الأمم تناكحت وتناسلت حتى صارت  
 مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من  
 الإنسان فتبارك الله أحسن الخالقين.

فيا عجباً كيف يعصي الإله أم كيف يَجْحُذُه الجاحد  
 ومن كل شيء له آية تَدُلُّ على أنه واحد  
 سادسها: وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 الرِّيحَ جمع الرِّيح وهو الهواء المتحرك قيل كل موضع ذكر الله تعالى فيه  
 إرسال الرِّيح بلفظ الواحد فعبرة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع  
 فعبرة عن الرِّحمة، فمن الأول قوله إنا أرسلنا ريحاً صرصراً، ومن الناس قوله:  
 وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ، وما نحن فيه من هذا القبيل، قالوا الرِّيح أربع.  
 الشَّمال والجنوب والصَّبا والدُّبور، فالشَّمال من نقطة الشَّمال والجنوب  
 من نقطة الجنوب والصَّبا مشرقيَّة والدُّبور مغربيَّة.

وفي قوله: تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ دلالتان على وجود الصَّانع.  
 الأولى: نفس الرِّيح وذاته.

الثَّانية: تصريفه وتغييره.

أما الأول: فلاَّه لا شك لنا في وجود الهواء وأن وجوده كوجود سائر  
 المخلوقين يدلُّ على وجود خالقه والجِس يدلُّ على نفعه وأنه لولاه لما كان  
 للموجود حياة.

أما الثَّانية: فلاَّن المراد بالتَّصريف إنقاله من مكان الى مكان آخر وفيه نفع  
 عظيم وأما وجه دلالته على الصَّانع فلاَّه لو كان بمقتضى ذاته وطبعه لكان  
 دائم الوجود في جميع الأمكنة وفي جميع الأزمنة ونحن نرى خلاف ذلك  
 فتصريف الرِّيح في زمان معين وفي مكان معين وشدة معينة وخفة كذلك  
 يدلُّ على أن زمام الأمر بيد الخالق وأنه المُصَرِّف في الحقيقة ولذلك أسنده  
 الى نفسه في كثير من الآيات:

قال الله تعالى: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** <sup>(٢)</sup>

و غيرها من الآيات و أما قوله تعالى: **وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** السَّحَاب بفتح السين الغيم و في الحديث جعل الله السَّحَاب غرابيل للمطر تُذيب البَرَد حتَّى يصير ماءً لكي لا يضرَّ شيئاً يُصيبه والذي ترون فيه من البرد والصَّواعق نعمة من الله يصيب بها من يشاء من عباده.

قال الرَّاغِب السَّحَب الجَرّ ومنه السَّحَابُ أَمَّا لَجَرَّ الرِّيح له أو لَجَرَّه الماء أو لإنجراره في مرّه قال الله تعالى: **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ** <sup>(٣)</sup>.

أي يجرون في النَّار وقال تعالى: **يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ** أي ينجرون فيه إلى أن قال والسَّحَاب الغيم فيها ماء أو لم يكن ولهذا يقال سحبَّ جهام:

قال الله تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا** <sup>(٥)</sup>

و في دلالة الكلام على وجود الصَّانع وجهان:

**أحدهما:** وجود السَّحَاب فأنه على ما قيل يوجد من الأبخرة المتصاعدة من الماء إلى السماء كما أنَّ الإنسان يتولد من النطفة.

**ثانيها:** من جهة التسخير أي التذليل و أنَّما سمَّاه مُسَخَّرًا، لأنَّ طبع الماء ثقيل يقتضى.

النزول فكان بقاءه في جوِّ الهواء على خلاف طبعه فلا بدَّ من تاسيرٍ قاهرٍ يقهره على ذلك وهو الله فلذلك سمَّاه بالمُسَخَّر.

١ - الحجر = ٣٢

٢ - الزم = ٤٦

٣ - القمر = ٤٨

٤ - النور = ٤٣

٥ - الاعراف = ٥٧

ثانياً: أَنَّ هذا السَّحَاب لو دام لَعَظُم ضرره من حيث أنه يستر ضوء الشَّمْس ويكثر الأمطار والابتلال ولو إنقطع لَعَظُم ضرره أيضاً لأنه يقتضي القَحْط وعدم العُشب والزَّراعة فكان تقديره بالمقدار المعلوم هو المصلحة ولا نعني بالتَّسخير إلا هذا.

ثالثاً: أَنَّ السَّحَاب لا يقف في موضع معيَّن بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك الرِّيح التي حيث أراد وذلك هو التَّسخير:

قال الله تعالى: **الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ**  
**قال الله تعالى: وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ**  
**مَيِّتٍ<sup>(١)</sup>**

**لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** أي أَنَّ في هذه الأمور المذكورة المتقدمة لآيات ولذلك جمع الآيات وفي قوله: **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** معناه أَنَّ فيما ذكرناه آيات وعلامات على واحداً لله للعقلاء ووجه التخصيص بهم هو أَنَّ العاقل يتمكن من النظر فيه والاستدلال به على ما يلزمه من توحيد ربِّه وعدله وحكمته ليقوم بشكره وأما الجاهل الغافل الذي هو أسير شهوته فلا كلام معه وهو الأكثر قال أمير المؤمنين **عليه السلام**: ما أكثر العبر وأقل الاعتبار.

وقال الله تعالى: **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا** الى قوله: **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ<sup>(٢)</sup>**.

**صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى** ومن أصدق من الله قيلاً اللهم إجعلنا من المُعتبرين ولا تجعلنا من الجاهلين الغافلين لأياتك يارب العالمين وخير الناصرين.

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)  
 إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

### ◀ اللّغة

أَنْدَاداً: قال الرّاغب نديد الشيء مشاركته في جوهره و ذلك ضربٌ من المماثلة فأَن المثل يقال في أي مشاركة كانت فكلُّ نَدٍّ مثل وليس كلُّ مثل نَدّاً.

تَبَرَّأَ: أصل البرء والبراء والتبري التّفصي مما يُكره مجاورته يقال برأت من المَرَضِ وبرأت من فلان وأبرأته من كذا. تَقَطَّعَتْ: من القَطْع.

حَسَرَات: جمع حسرة وهي الندامة على ما مضى وقيل هي الضمّ على ما فات منه من الأعمال والأقوال ولذلك سُميت يوم القيامة بيوم الحسرة.

### ◀ الأعراب

مَنْ يَتَّخِذُ من نكرة موصوفة ويجوز أن تكون بمعنى، الذي يُحِبُّونَهُمْ في موضع نصب صفة للأنداد ويجوز أن يكون في موضع



رفع صفة، لمن، إذا جعلتها نكرة وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مَا  
يتعلق به، أشد، محذوف تقديره وأشد حُبًّا لِلَّهِ من حُبِّ هؤلاء  
لِلْإِنْدَادِ وَلَوْ يَرَىٰ جَوَاب، لو، محذوف والتقدير، لعلموا أَنَّ الْقُوَّةَ أَوْ.  
لعلموا أَنَّ الْإِنْدَادَ لَا تَقْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ إِذْ يَرَوْنَ ظَرْفَ لَيَرَىٰ جَمِيعاً حَال  
من الضمير في الجارِّ والعامل معنى الإستقرار إِذْ تَبَرَّأَ هَذِهِ بَدَل مَنْ  
إِذَا الْأَوَّلَىٰ أَوْ ظَرْفَ لِقَوْلِهِ شَدِيدَ الْعَذَابِ أَوْ مَفْعُولُ أَذْكَرُ وَهُوَ بِمَعْنَى  
يَتَبَرَّأُ وَرَأَوْا الْعَذَابَ مَعْطُوفٌ عَلَى تَبَرَّأَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالاً فَتَبَرَّأَ  
مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ أَنْ كَذَلِكَ الْكَافِ فِي مَوْضِعِ رَفْعِ يُرِيهِمْ مِنْ رُؤْيَا  
الْعَيْنِ فَهُوَ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولَيْنِ هُنَا بِهَمْزَةِ النَّقْلِ حَسَرَاتٍ حَالٌ عَلَيْهِمْ  
صفة لحسرات أي كائنة عليهم ويجوز أن يتعلق بنفس حسرات  
على أن يكون في الكلام حذف مضاف.

### ◀ التفسير

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا. مِنَ اللَّتَبْعِيضِ أَي بَعْضُ  
النَّاسِ كَذَلِكَ وَالْمَرَادُ بِالْإِنْدَادِ قِيلَ إِلَهَتِهِمْ مِنَ الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَقِيلَ  
رُؤْسَانِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَهُمْ طَاعَةَ الْأَرْيَابِ مِنَ الرِّجَالِ فَيَحِلُّونَ لِمَكَانِ  
طَاعَتِهِمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَهَذَا الْقَوْلُ رُويَ عَنِ السَّدي  
وَرَجَّحُوا هَذَا الْقَوْلَ أَمَّا أَوَّلًا فَبِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى:

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ الْهَاءُ وَالْمِيمُ ضَمِيرُ الْعُقُلَاءِ فَلَوْ كَانَ الْمَرَادُ بِالْإِنْدَادِ  
الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ وَهَمْ لَيْسُوا بِذَوِي الْعُقُولِ كَانَ حَقَّ الْكَلَامِ أَنْ يَقَالَ يُحِبُّونَهَا.  
ثَانِيًا: أَنَّهُ يَبْعَدُ حُبُّهُمْ لِلْأَصْنَامِ كَحُبِّهِمْ لِلَّهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَنْفَعُ.  
ثَالِثًا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوا وَذَلِكَ يُلِيْقُ إِلَّا بِمَنْ اتَّخَذَ الرِّجَالُ أَنْدَادًا، وَأَمْثَالًا لِلَّهِ تَعَالَى يَلْتَزِمُونَ مِنْ

تعظيمهم والإنقياد لهم ما يلتزمونه المؤمنون من الإنقياد لله تعالى وفي المقام قول آخر في معنى الأنداد منسوب إلى الصوفية وهو أن الند عبارة عن كل شيء شغلت قلبك به سوى الله فقد جعلته في قلبك ندّاً له قالوا وهو المراد من قوله: **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ** <sup>(١)</sup> وفي الآية دلالة على أن الله تعالى ليس له ند أي مثل وشبيه يشاركه في جوهره أي في ذاته لأنه تعالى واجب الوجود وما سواه كائناً من كان ممكن الوجود والممكن لا يكون ندّاً للواجب أي ممكن كان وذلك لأن الممكن من ذاته أن يكون ليساً ومن علته أن يكون آيساً فذات الممكن من حيث هو هو مع قطع النظر عن علته لا إقتضاء فيه من الوجود والعدم وهذا بخلاف الواجب لأن ذاته تعالى يقتضي الوجود بل هو عين الوجود و واجب الوجود بمعنى أن حيثية ذاته أبية عن العدم وبعبارة أخرى ذات الممكن متساوى النسبة إلى الوجود والعدم وذات الواجب عين الوجود وحقيقة الوجود فالمشاركة في الجوهر والذات لا معنى له أين التراب ورب الأرباب سواء كان ما أخذه ندّاً له الأصنام والأوثان أم الرؤساء أم الهوى كل ذلك باطل ثم كيف يمكن أن يقال ذلك وكلّ جمالي ممّا سواه رشح من بحر جماله وكلّ كمالي ظلّ كماله فهو الحقيقة وما عداه مجازاته وهو النير وما سواه إشراقاته وهو الأصل وما وراءه فروعه:

أَرَأَيْتَ حُسْنَ الرُّوضِ فِي أَصَالِهِ	أَرَأَيْتَ بَدْرَ التَّمِّ عِنْدَ كَمَالِهِ
أَرَأَيْتَ كَأْساً مَشِيبَ صَفْوِ شَمُولِهَا	أَرَأَيْتَ رَوْضاً رِيفِي خَيْلِ شَمَالِهِ
أَرَأَيْتَ طَيْبَ الْعَيْشِ فِي عَهْدِ الصَّبِيِّ	أَرَأَيْتَ عَيْشَ الصَّبِّ لَيْلِ وَصَالِهِ
أَرَأَيْتَ رَائِحَةَ الْخِزَامِيِّ سَحَرَةً	فَغَمَتِ خِيَاشِمَ الْعَلِيلِ الْوَالِهِ
هَذَا وَذَاكَ وَكُلُّ شَيْءٍ رَائِقٍ	أَخَذَ التَّجَمُّلَ مِنْ فُرُوعِ جَمَالِهِ
هَلَكَ الْقُلُوبَ بِأَسْرَافِهَا فِي إِسْرِهِ	شَغَفَاً وَشَدَّ عَقُولَنَا بِعَقَالِهِ

وقد ورد في الدعاء المعروف بالجوشن الكبير (يَا مَنْ تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ، يَا مَنْ اسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ، يَا مَنْ دَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ يَا مَنْ خَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ يَا مَنْ انْقَادَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ خَشْيَتِهِ يَا مَنْ تَشَقَّقَتِ الْجِبَالُ مِنْ مَخَافَتِهِ يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَوَاتُ بِأَمْرِهِ يَا مَنْ اسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُونَ بِإِذْنِهِ يَا مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ يَا مَنْ لَا يَعْتَدِي عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ الْخ).

قال الله تعالى: قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِإِذْنِ خَلْقِ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا<sup>(١)</sup>.

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ أَي أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْأُنْدَادَ كَحُبِّ اللَّهِ قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي مَعْنَى الْأُنْدَادِ وَقُلْنَا هُنَاكَ أَنَّ السَّيِّدِي وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ قَالُوا الْمُرَادُ بِالْأُنْدَادِ رُؤَسَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَطِيعُونَهُمْ وَاسْتَدَلُّوا عَلَى الْمَدْعَى بِوُجُوهِ ثَلَاثَةٍ وَ قَدْ ذَكَرْنَاهَا فَعَلِيهِ مَعْنَى الْكَلَامِ يُحِبُّونَ رُؤَسَاءَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ.

أَقُولُ لَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ الرُّؤَسَاءَ لَا يَقُولُونَ بِأَنَّهُمْ آلِهَةٌ لَهُمْ وَأَمَّا أَتْبَاعُ الْأَصْنَامِ يَقُولُونَ بَلْ يَقْرَءُونَ لَهُمْ بِاللَّوْهِيَّةِ وَمَجْرَدُ كَوْنِ الضَّمِيرِ فِي الْآيَةِ لِلْعُقُلَاءِ وَالْأَصْنَامِ مِنْ غَيْرِهِمْ لَا يُصَحِّحُ مَا ذَكَرُوهُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَكَمَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْنَامُ بِزَعْمِهِمُ الْفَاسِدُ وَظَنَّهُمُ الْكَاسِدُ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ جَعَلَ الْجِمَادَ مَعْبُودًا لِنَفْسِهِ لَا يَبْعَدُ مِنْهُ الْإِعْتِقَادُ بِعَقْلِهِ وَشُعُورِهِ وَكَيْفَ كَانَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْأُنْدَادَ كَحُبِّ اللَّهِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الْجِمَادِ الَّذِي لَا يَفْهَمُ وَلَا يَشْعُرُ وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَبَيْنَ الْخَالِقِ الْمُدَبِّرِ الْحَكِيمِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْخَيْرَاتِ وَمِنْشَأُ الْبَرَكَاتِ وَالْكَمَالَاتِ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ فَرْعٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ وَمَنْ أَحَبَّهُ لَا يُحِبُّ غَيْرَهُ إِلَّا لَهُ وَالْمُؤْمِنُ كَذَلِكَ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَحَبَّ أَثَارَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْحُبُّ لِلْأَثَرِ تَابِعٌ لِحُبِّ الْمُوَثَّرِ وَحَيْثُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ مَحْبُوبًا غَيْرَ ذَاتِهِ تَعَالَى فَلَا مُحَالَةَ لَا يُحِبُّ غَيْرَهُ بِالْأَصَالَةِ فَهُوَ الْمَحْبُوبُ وَالْمَطْلُوبُ وَاقْعًا فَيَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ:

تَوَحِيدِهِ إِيَّاهُ تَوَحِيدِهِ وَنَعَتْ مِنْ بَنَعْتَهُ لِأَحَدٍ  
 قَالَ الْمَفْسُورُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ لَأَنَّ  
 إِخْلَاصَهُمُ الْعِبَادَةَ وَالتَّعْظِيمَ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِشْرَاقِ يُوجِبُ حُبَّهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَ  
 قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ الْوَجْهَ فِيهِ هُوَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَهُ عَنْ عِلْمٍ بِأَنَّهُ الْمَنْعَمُ ابْتِدَاءً وَأَنَّهُ  
 يَفْعَلُ بِهِمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مَا هُوَ الْأَصْلَحُ لَهُمْ فِي التَّدْبِيرِ وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 لَهُ الصِّفَاتَ الْعُلَى وَالْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَأَنَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا  
 نَظِيرَ يَمْلِكُ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُ فَهُمْ أَشَدُّ  
 حُبًّا لِلَّهِ مِمَّنْ عَبْدُ الْأَوْثَانِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ: أَشَدُّ أَيُّ أَثْبَتٌ وَأَدْوَمُ قِيلَ لَأَنَّ الْمُشْرِكَ  
 يَنْتَقِلُ مِنْ صَنِمٍ إِلَى صَنِمٍ وَالْمُوَحِّدُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَقَالَ بَعْضُ أَنَّ الْمُشْرِكَ يَعْْبُدُهُ  
 بِوَسْطَةِ الْمُؤْمِنِ يَعْْبُدُهُ بِلَا وَسْطَةٍ.

الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
 الْعَذَابِ.

المراد بالظالمين في الآية هؤلاء أعني بهم المتخذين لله أنداداً وذلك لأنَّ  
 الشُّرْكَ بِاللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ لَقْمَانَ: وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ  
 لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup> وَجَوَابُ لَوْ،  
 مُحَذُوفٌ وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ وَلَوْ يَرَى الظَّالِمُونَ كَذَا عِلْمُوا أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.  
 وَأَمَّا قَالَ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا حَيْثُ نَفَى الْقُوَّةَ عَنْ غَيْرِهِ بِالْكَلِّيَّةِ لِأَنَّ كُلَّ قُوَّةٍ فِي  
 غَيْرِهِ فَهِيَ أَخَذَتْ مِنْهُ تَعَالَى وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا سِوَاهُ كَائِنًا مِنْ كَانَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ  
 تَعَالَى أَيُّ أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَدَهُ وَقَدْ ثَبَّتَ أَنَّ الصِّفَاتَ فِي الْمَخْلُوقِ مِنْ تَوَابِعِ

الوجود شدةً وضعفاً وكمالاً ونقصاً والشئ مالم يكن موجوداً لا يُوصف بالعلم والقدرة وغيرهما من الصفات وحيث أن الوجود منه تعالى فالصفات أيضاً منه فالمخلوق ليس له إلا الفقر والحاجة الى خالقه في جميع شئونه:

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١).

وهذا أصل يعتمد عليه في جميع شئون المخلوق فكما أن القوة له كذلك العلم والحياة والعزة وغيرها لله تعالى بالذات ولغيره بالعرض وسيأتي البحث فيه في محله والمقصود أن الظالم في الدنيا يحسب لنفسه قوة ولا يعلم أنه ضعيف حقير وأما في القيامة فيقطع بضعفه وعجزه وأنه لا يقدر على شيء وأن أزمة الأمور بيد الله وهو على كل شيء قدير وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أن المراد بقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ آل محمد ﷺ.

فمن تفسير العياشي بأسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: في قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ قال عليه السلام: هم آل محمد ﷺ انتهي.

أقول هذا الذي ذكره عليه السلام في الرواية من باب أكمل المصاديق وهو لا ينافي وجود الحب في غيرهم وإنما قلنا ذلك لأن الحب لله فرع على معرفته ولا شك أنهم (ومن عليهم السلام أعرف بالله من غيرهم فاذا كانوا أعرف بالله فلا شك في كونهم أشد حُباً لله تعالى).

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا زَاوَا الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ.

معناه اذ تَبَرَأَ المتَّبِعُونَ عن التَّابِعِينَ والمراد بالمتَّبِعِينَ هؤلاء الذين  
يَتَّخِذُوهُمْ أُنْدَاداً لِلَّهِ تعالى.

أَنْ قُلْتَ الْأُنْدَادُ عبارة عن الأصنام والأوثان على أحد التفسير ومن المعلوم  
أَنَّ الصَّنَمَ وَالْوَثْنَ من الجمادات والجماد لا عقل له ولا شعور له والتَّبَرُّعُ فرع  
الإدراك والفهم فكيف يعقل تَبَرُّعُ الجماد عن المشركين، قلت.

أَمَّا أَوَّلًا: فلا إشكال في تَبَرُّعُ الجماد إتماماً للحِجَّةِ واللَّهِ تعالى قادر على  
ذلك كما أَنَّ الأحجار والنباتات والحيوانات في الدُّنْيَا قد تَكَلَّمَتْ وشهدت  
بالرَّسَالَةِ من طريق الإعجاز للأنبياء.

ثانياً: أَنَّ هذا الإشكال هو الَّذِي دَعَاهُم إِلَى القول بِأَنَّ المراد بالأنْدَادِ  
رُؤَسَاءُ هُم الَّذِينَ كَانُوا يَطِيعُونَهُمْ فعلى هذا التفسير لا إشكال في الآية وهذا هو  
الأقْوَى فِي النَّظَرِ لِأَجْلِ أَنَّ الْحَجَرَ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّكَلُّمِ كَمَا قَالُوا لِأَنَّ اللَّهَ تعالى  
قادر على إيجاد الكلام فيه بل لِأَجْلِ أَنَّ التَّبَرُّعَ لَا مَعْنَى لَهُ فِي حَقِّ الصَّنَمِ وَ  
الْوَثَنِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّبَرُّعَ لَا يُصَدَّقُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمُتَّبَرِّعُ عَاقِلًا مَكْلَفًا وَقَعَ مَظَانُّ  
التَّهْمَةِ وَالتَّنَسُّبِ الَّتِي لَا يَرْضَى بِهَا مِثْلُ أَنْ يَتَّهَمَ زَيْدٌ بِالسَّرْقَةِ مِثْلًا وَهُوَ لَمْ يَسْرِقْ  
فَيَرْفَعُ الْإِتِّهَامَ عَنْ نَفْسِهِ بِالتَّبَرُّعِ وَيَقُولُ أَنَا لَمْ أُسْرِقْ أَوْ أَنَا لَا أَعْرِفُ هَذَا الشَّخْصَ  
فَالْتَّبَرُّعُ أَمَّا يَكُونُ تَخَلُّصًا مِنْ مَظَانِّ الْإِتِّهَامِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ  
لِأَنَّ اللَّهَ تعالى يَعْلَمُ أَنَّ الصَّنَمَ وَأَمْثَالَهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ لَا ذَنْبَ لَهُ فَلَا يَكُونُ فِي  
مَعْرِضِ الْعِقَابِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْهُ بِالتَّبَرُّعِ وَهَذَا وَاضِحٌ وَعَلَيْهِ فَالتفسير الثَّانِي  
أَقْوَى وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ المراد بالأنْدَادِ رُؤَسَاءُ هُم الَّذِينَ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا  
يَطِيعُونَهُمْ وَهَذَا التفسير في الآية نسبوه إِلَى السَّيِّدِ فِي جَمِيعِ التفسيرات من  
العامة والخاصة ولم يعلموا أَنَّ السَّيِّدَ أَخَذَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فَأَنَّ الرِّوَايَاتِ تَدُلُّ  
عَلَيْهِ وَنَحْنُ نُشِيرُ إِلَى بَعْضِ مَنَاهَا:

روى الشيخ الطوسي رحمته الله في أماليه بأسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام

أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَىٰ مِنْادٍ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْضِ أَيْنَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَيَقُولُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَأْتِي النَّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِسُنَايَاكَ أَرَدْنَا وَأَنْ كُنْتَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ خَلِيفَةً، ثُمَّ يَنَادِي ثَانِيَةً أَيْنَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ فَيَقُومُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَيَأْتِي النَّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَامَعْشَرَ الْخَلَائِقِ هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَّتُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ فَمَنْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَلْيَتَعَلَّقْ بِحَبْلِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَيْسْتَ تَضِيئُ بَنُورِهِ وَيَتَّبِعُهُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ مِنَ الْجَنَانِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَيَقُومُ النَّاسُ الَّذِينَ قَدْ تَعَلَّقُوا بِحَبْلِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَتَّبِعُونَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ثُمَّ يَأْتِي النَّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَلَا مَنْ إِنَّتُمْ بِإِمَامٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَلْيَتَّبِعْهُ إِلَىٰ حَيْثُ يَذْهَبُ بِهِ فَحِينَئِذٍ يَتَّبِعُ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ إِنْتَبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ إِنْتَبَعُوا الْآيَةَ انْتَهَىٰ.

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمْ وَاللَّهُ أَوْلِيَاءُ فَلَانِ وَفَلَانٍ إِنْتَحِذُوهُمْ أُنْمَةً مِنْ دُونِ الْإِمَامِ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ إِلَى قَوْلِهِ: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُمْ وَاللَّهُ يَأْجِبُ أُنْمَةَ الظَّالِمَةِ وَأَشْيَاعَهُمْ انْتَهَىٰ.

وَعَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُمْ أَعْدَاءُ عَلِيٍّ هُمْ مُخْلَدُونَ فِي النَّارِ أَبَدَ الْأَبْدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ، وَالرَّوَايَاتُ نَقَلْنَاهَا عَنْ تَفْسِيرِ نُورِ الثَّقَلَيْنِ.

وقوله: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ قيل في معناه أَنَّ الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها في الدنيا وقيل الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها وقيل العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها.

الزَّابِج: أعمالهم التي كانوا يوصلونها.

الخامس: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ النِّجَاة.

أقول هذه الوجوه ذكرها المفسرون ولا يبعد أن يكون المراد بقطع الأسباب ما كانوا يُظَنُّونه شفعاً لهم عند الله وذلك لأنهم اعتقدوا بأن الأوثان والأصنام شفعاءهم يوم القيامة عند الله كما حكى الله تعالى عنهم.

قال الله تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَ مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ<sup>(٣)</sup>

فعبر الله تعالى عن الشفعاء بالأسباب فَأَنَّ الشَّفِيع هو السَّبَب لغفران الذنب وعفو الله تعالى عن المذنب ففي الآية إخبار بأن الأسباب التي كانوا يعتمدون عليها مُنْقَطِعَةٌ عنهم يوم القيامة، أن قلت الآية تدل على قطع الأسباب يوم القيامة ولازم ذلك هو القول بنفي الشفاعة وأنتم تقولون أَنَّ الأنبياء والأوصياء والمؤمنين يشفعون في القيامة فكيف الأمر قلت الآية لم تنفي الشفاعة والسبب بقول مطلق وعن الجميع بل حكمت بقطع الأسباب عن المشركين



الَّذِينَ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الْوُثَانَ شَفَعَاءُ لَهُمْ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ قَطْعَ الْأَسْبَابِ عَنِ الْمَشْرِكِينَ لَا يَدُلُّ عَلَى قَطْعِهَا عَنِ الْكُلِّ وَذَلِكَ بِوَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا، أَنَّ الشَّرْكَ ذَنْبٌ لَا يَغْفَرُ وَثَانِيَهُمَا، أَنَّ الْوُثْنَ وَالصُّنَمَ لَا يَصْلَحُ لِلشَّفَاعَةِ فَقِيَّاسَ الْمَشْرِكِ وَظَنَّهُ الْفَاسِدَ بِالْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنِ الْعَاصِي الَّذِي يَقُولُ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ قِيَاسٌ مَعَ الْفَارَقِ وَسَيَأْنِي الْكَلَامُ فِي بَحْثِ الشَّفَاعَةِ مَفْصَلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالْيَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا.

يَقُولُونَ الْآتِبَاعُ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً، أَيِ عَوْدَةٍ إِلَى الدُّنْيَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ أَيِ مِنَ الْقَادَةِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا، فِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآتِبَاعَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَظُنُّونَ فِي الْمَتَّبِعِينَ خَيْرًا وَأَنَّهُمْ سَيُشْفَعُونَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَمَّا عَلِمُوا فُسَادَ عَقِيدَتِهِمْ فِي حَقِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا مِنَ الرَّجْهَةِ وَلَمْ يَعْلَمُوا بِعَدَمِ إِمْكَانِ الرَّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ حِكَايَةَ عَنِ الظَّنَّانِ (رَبِّ أَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا).

كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ.

كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَاهُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ. فَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الْمُرَادُ بِالْحَسَرَاتِ أَنَّهُمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى الْمَعَاصِي لَمْ يَعْمَلُوهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى تَرْكِهِمُ الطَّاعَاتِ فِي الدُّنْيَا لِمَ لَمْ يَعْمَلُوهَا وَقَوْلُ ثَالِثٍ هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ يَكْتَسِبُ الْمَالَ وَلَا يَعْمَلُ فِيهِ خَيْرًا فَيَرِثُهُ مَنْ يَعْمَلُ فِيهِ صَالِحًا فَيَرَى الْأَوَّلَ مَا كَسَبَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ.

الرَّابِعُ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيهِمْ مَقَادِيرَ الثَّوَابِ الَّتِي عَرْضَهُمْ لَهَا لَوْ فَعَلُوا الطَّاعَاتِ فَيَتَحَسَّرُونَ عَلَيْهِ لِمَ فَرَّطُوا فِيهِ أَقُولُ وَالْكَلِّ مُحْتَمَلٌ وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ هُوَ الْأَفْوَى.

لما روي في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل كذلك يُريهم الله أعمالهم خسران عليهم.

قال هو الرجل يدع ماله لم ينفقه في طاعة الله بخلاً ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله أو معصية الله فأن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فأراه خسارة وقد كان العمل له وأن كان عمل فيه بمعصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله انتهى.

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام:

إِنَّ أَكْبَرَ الْخَسِرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَسِرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

ثم أن الخسارة عبارة عن الندامة الشديدة والفرق بين الخسارة والارادة أن الخسارة تتعلق بالماضي والإرادة تتعلق بالمستقبل لأن الخسارة أتت على ما فات بوقوعه أو ينقضي وقته وهي أي الخسارة نقيض العبطة وفي الآية دلالة على أنهم كانوا قادرين على البراءة منهم لأنهم لو لم يكونوا قادرين عليها لم يحسروا أن يتحسروا على ما فات عنهم كما لا يتحسر الإنسان على عدم صعوده إلى السماء مثلاً ولا من كونه في الأرض وأمثال ذلك مما هو خارج عن قدرته.



يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالً طَيِّبًا وَ  
لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ  
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)

### ◀ اللغة

كُلُوا: الأكل هو البلع عن مَضغ.  
حَلَالٌ: الحلال هو الجائز من أفعال العباد ومأخوذ من أنه طلق لم يعقد بخطر.  
طَيِّبًا: الطيب هو الخالص من شائب منغص وهو على ثلاثة أقسام، الطيب  
المستلذ، والطيب الطاهر، والطيب الجائز.  
خُطُواتِ الشَّيْطَانِ: الخطوات جمع خطوة وهي بُعد ما بين قدمي الماشي  
والخطوة المرّة من الخطو والخطوة بالفتح المصدر بالضم ما بين القدمين و  
المراد بالشيطان الجنس وليس المراد به واحداً.  
عَدُوٌّ مُبِينٌ: العدو المبعاد عن الخير إلى الشر والولي نقيضه.

### ◀ الإعراب

حَلَالٌ طَيِّبًا حَلَالاً مفعول كُلُوا وطَيِّبًا صفة لحلال، ومن في قوله فيما  
لإبتداء الغاية خُطُواتِ الشَّيْطَانِ، خُطُوات مفعول، لِاتَّبِعُوا وَأَنْ تَقُولُوا في  
موضع جرّ عطفاً على بالسوء أي وبأن تقولوا.

### ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى في ما مضى من الآيات التَّوْحِيدَ وَالشَّرْكَ وَأَمثالهما اشارهُ  
إلى اِئْتِ بَيْنَ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ مِنَ النِّعَمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَهَاَهُمْ عَنْ مُتَابَعَةِ الشَّيْطَانِ

وذلك لأنها توجب الجحود والكفران لها فقال: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ الْخَطَابُ لَجَمِيعِ الْمَكْلَفِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ كُلُّوا لَفْظَهُ لَفْظُ الْأَمْرِ وَمَعْنَاهُ الْإِبَاحَةُ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالٌ طَيِّبٌ أَيْ كُلُوا مِمَّا.**

فيها بصفة الحلال وذلك لأن من المأكول ما يحرم أكله وما يحل فقد أباح الله الأكل ممّا في الأرض اذا كان متّصفاً بالحليّة لا مطلقاً وفي الآية دلالة على عدم جواز أكل ما لا يكون موصوفاً بها وهو كذلك وتُسمّى بالدلالة الإلزاميّة وفي الآية مباحث:

**الأول:** قيل أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج لما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة المائدة حيث قال: **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** <sup>(١)</sup>.

**الثاني:** أن الخطاب في قوله: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ** عام لجميع الكلفين وفيه دلالة على أن الكفار أيضاً مكلفون بالقُرُوع ولازم ذلك أن أكل المحرّمات لا يجوز لهم كما لا يجوز لغيرهم من المؤمنين وأنهم يُعاقبون على أكل الحرام ومطلق المعاصي يوم القيامة.

**الثالث:** أن الأمر أعني به صيغته لا يدل في الأصل على الوجوب وأنما يستفاد من الأمر مطلق الأذن الشامل للوجوب والاستحباب والإباحة وأما الوجوب والتدب بخصوصهما يحتاجان إلى الدليل.

**الرابع:** أن قوله تعالى: **مِمَّا فِي الْأَرْضِ** حيث أتى بكلمة من التبعية يدل على أنه لا يجوز أكل كل ما يوجد في الأرض من المأكولات وذلك لأن، من، للتبعية أي كُلُوا بعض ما في الأرض ثم بيّنه الله تعالى بقوله: **حَلَالٌ**

طَيِّباً أَي كُلُّوا مَا يَتَّصِفُ بِذَلِكَ وَ أَتْرَكُوا غَيْرَهُ فَمَنْ قَالَ أُنْ قَوْلُهُ: حَلَالٌ مَفْعُولٌ لِقَوْلِهِ: كُلُّوا أَي كُلُّوا حَلَالاً فَلَمْ يَقْدَرِ فِي الْآيَةِ وَ مَنْ قَالَ: حَلَالٌ حَالٌ وَ صِفَةٌ فَقَدَرِ فِي الْآيَةِ (شَيْئاً) أَي كُلُّوا شَيْئاً حَلَالاً، فَعَلَى الْأَوَّلِ يَتَعَلَّقُ مِنْ بَقَوْلِهِ: كُلُّوا وَ عَلَى الثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِالْمَحذُوفِ وَ قَوْلُهُ طَيِّباً مِنْ الصِّفَةِ بَعْدَ الصِّفَةِ أَي حَلَالاً مَتَّصِفاً بِالطَّيِّبِ وَ هُوَ خِلَافُ الْخَبِيثِ وَأَمَّا جَمْعُ الْوَصْفَيْنِ لِاخْتِلَافِ الْفَائِدَتَيْنِ إِذْ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ حَلَالٌ يُفِيدُ بِأَنَّهُ طَلَقَ، وَ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ طَيِّبٌ يُفِيدُ أَنَّهُ مُسْتَلَذٌّ أَمَّا فِي الْعَاجِلِ وَ أَمَّا فِي الْأَجَلِ.

قَالَ الطَّوْسِيُّ فِي التَّبْيَانِ وَ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ فِي تَرْغُوتِهِ وَ أَمَّا الطَّيِّبُ فَقِيلَ هُوَ الْحَلَالُ أَيْضاً فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ تَأْكِيداً وَ قِيلَ مَعْنَاهُ مَا تَسْتَطِيبُونَهُ وَ تَسْتَلْذُونَهُ فِي الْعَاجِلِ وَالْأَجَلِ انْتَهَى.

وَ قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ، طَيِّباً، أَي طَاهِراً مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ وَ قَالَ الطَّبْرِيُّ وَ أَمَّا قَوْلُهُ: طَيِّباً فَأَنَّهُ يَعْنِي بِهِ طَاهِراً غَيْرَ نَجِسٍ وَ لَا مُحَرَّمٍ انْتَهَى.

وَ قَالَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَ فِي الْمُرَادِ بِالطَّيِّبِ فِي الْآيَةِ وَجْهَانِ:

**الأَوَّلُ:** أَنَّهُ الْمُسْتَلَذُّ لِأَنَّا لَوْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْحَلَالِ لَزِمَ التَّكَرُّارُ فَعَلِيَ هَذَا أَمَّا يَكُونُ طَيِّباً إِذَا كَانَ مِنْ جِنْسٍ مَا يَشْتَهِي لِأَنَّهُ إِنْ تَنَاوَلَ مَا لَا شَهْوَةَ لَهُ فِيهِ عَادَ حَرَاماً وَ إِنْ كَانَ يَبْعَدُ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ مِنَ الْعَاقِلِ إِلَّا عِنْدَ شَبْهَتِهِ.

**الثَّانِي:** الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَبَاحُ وَ قَوْلُهُ يَلْزِمُ التَّكَرُّارُ قُلْنَا لَا نَسَلِّمُ فَأَنَّ قَوْلَهُ: حَلَالٌ الْمُرَادُ مِنْهُ مَا يَكُونُ جِنْسُهُ حَلَالاً وَ قَوْلُهُ: طَيِّباً الْمُرَادُ مِنْهُ مَا لَا يَكُونُ مُتَعَلِّقاً بِهِ حَقُّ الْغَيْرِ فَأَنَّ أَكْلَ الْحَرَامِ وَ أَنْ إِسْطَابَهُ الْأَكْلَ فَمَنْ حَيْثُ يُفْضَى إِلَى الْعِقَابِ يَصِيرُ مُضَرّاً وَ لَا يَكُونُ مُسْتَطَاباً كَمَا قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْإِنْتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً<sup>(١)</sup> انْتَهَى.

مَازَكَرَهُ فَهَذِهِ هِيَ رُؤُوسُ الْأَقْوَالِ فِي الْمَقَامِ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

أقول ما ذكروه في تفسير الآية في المقام لا يرجع الى محصل ذلك لأن قول صاحب الكشف في معنى الطيب حيث قال أي طاهراً من كل شبهة لا يوجد له مصداق في الخارج إلا قليلاً فيلزم تخصيص الأكثر.

ثانياً: أن المشتبه داخل في الحلال فهو من أقسامه لقوله عَلَيْهِ السَّلَام كل شيء لك حلال حتى تعرف الحرام منه بعينه

والمشتبه من هذا القبيل اذ لا يعرف الحرام منه بعينه وإنما يجتنب عنه لقاعدة الاحتياط قال عَلَيْهِ السَّلَام أخوك دينك فأحفظ لدينك.

ثالثاً: لم يفسر الطيب أحد بما فسرّه وإنما هو قول تفرّد به ولم يساعده عليه أحد من أرباب التحقيق واللغة.

وأما ما ذهب اليه الرازي فهو كما ترى وكذلك ما ذكره الطبري وأمثاله من المفسرين.

والحق في المقام هو أن الحلال قد يكون طيباً وقد لا يكون كذلك والطيب أيضاً قد يكون حلالاً وقد لا يكون حلالاً فبينهما من النسب العموم والخصوص من وجه لإجماعهما في مادة واحدة وإفتراقهما في مادتين وتوضيح ذلك يتوقف على بيان معنى الطيب قال الراغب في المفردات، يقال طاب الشيء يطيب طيباً فهو طيب وأصل الطيب ما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذي يجوز فأنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وأجلاً لا يستوخم والأفاته وان كان طيباً عاجلاً لم يطب أجلاً وعلى ذلك:

قال الله تعالى: **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** (١)

قال الله تعالى: **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا** (٢)

قال الله تعالى: **لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ** (٣)

قال الله تعالى: **كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا** <sup>(١)</sup>.

وأمثالها من الآيات انتهى ما ذكره وعليه فالطيب عبارة عما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس فما لا تستلذ منه الحواس أو النفس لا يكون طيباً وأن كان حلالاً والذي يقوي في النفس هو أن الطيب من الطعام ما تميل اليه النفس بحسب الطبع و غير الطيب ما لا تميل النفس اليه وأن كان حلالاً بحسب الحكم الشرعي كما قال الشاعر:

إذا وقع الذباب على طعام رَفَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ  
فقوله تعالى: **كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً** أشار إلى أصل الحكم بحسب الشرع وأنه لا يجوز أكل المحرم شرعاً قوله تعالى، طيباً، إشارة إلى أن المأكول ينبغي أن لا يختلط بشئ مما تكرهه النفس وينفره الطبع لأنه وأن كان حلالاً بحسب الشرع إلا أنه مضرّ بالبدن والجسم بحسب العقل ولذلك لا يميل اليه الطبع وذلك كالماء الذي تغيّر طعمه فأشربه ليس بحرام بل هو حلال ولكنه ليس بطيب قطعاً وهكذا في الغذاء إذا مضى عليه زمان فصار فاسداً فهو حلال ولكنه ليس بطيب ونظائره كثيرة والحاصل أن الآية الشريفة ناظرة إلى أمرين يجب مراعاتهما:

**أحدهما:** الحكم الشرعي وهو الحلية.

**ثانيهما:** الحكم العقلي الذي عليه مدار صحة الجسم ومن المعلوم أن الأول لا يكفي عن الثاني فلا تكرار في الآية أصلاً.

**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ.**

ف قيل في معناه أقوال:

**أحدها:** ما نقل عن ابن عباس أنه قال أي لا تتبعوا أعمال الشيطان.

ثانيها: ماروي عن مجاهد وقتادة أنهما قالاً لا تَتَّبِعُوا خطاياها.

ثالثها ما نقل عن السدي أنه قال ل اتَّبِعُوا خُطَوَاتِهِ أَي لَا تَطِيعُوهُ.

رابعها: قال الخليل المراد به الإيثار.

خامسها: قال قوم هي التدور في المعاصي.

سادسها: قال الجبائي ما يتخطى بكم بالأمر والترغيب.

والجامع أن الله تعالى نهى عن متابعة الشيطان في جميع الأمور وعلله بأنه

لكم عَدُوٌّ مُبِينٌ أي ظاهر لا خفاء فيه وإذا كان كذلك فكيف يعتمد عليه.

أما الصُغْرَى أعني كون الشيطان عَدُوًّا لبني آدم فهو معلوم لما ظهر منه في حق أبينا آدم وأما حواء وبقوله على ما حكى الله تعالى عنه: فَبِعِزَّتِكَ لأُعْوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(١)</sup>.

وأما الكبرى أي كل عَدُوٍّ لا يعتمد عليه ولا يتبع فهو أيضاً مما يحكم به العقل السليم فالنتيجة قطعية وصورة القياس هكذا، أن الشيطان عدو لكم، وكل عَدُوٍّ لا يتبع فالشيطان لا يتبع وهو المطلوب وحيث كان كذلك.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

كلمة أنما، تفيد الحصر والأمر من الشيطان هو دعاءه إلى الفعل وأما في أصل اللغة فهو قول القائل لمن هو دونه وإذا كان ذلك دعاء ومسألة والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع ويسمى ما تنفر عنه النفس سوء، وقيل أنما سُمِّي القبيح سوء لسوء عاقبته.

وأما في الآية الشريفة فقال السدي المراد به المعاصي وقال غيره المراد به بالسوء الفاعل يعني ما يضره والفحشاء هو العظم القبح في الفعل وكذلك الفاحشة وقيل المراد به الزنا من الفجور وقيل كل من تجاوز قدره فهو فاحش



وكلّ شيءٍ لم يكن موافقاً للحقّ فهو فاحشة، والعلم ما اقتضي سكون النفس و  
 قيل هو تبين الشيء على ما هو به للمُدرِك له ومعنى الآية أنّ الشيطان يأمركم  
 أي يدعوكم إلى أمرين:  
**أحدهما: السوء والفحشاء.**

**ثانيهما: أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.**

فالأوّل إشارة إلى الفعل والثاني إشارة إلى القول والمقصود أنّه يدعوكم إلى  
 نفسه فعلاً وقولاً فمن أجابه كذلك فقد خسر خسراناً مبيناً والحكمة في ذلك  
 أنّ التّكليف لا يصحّ إلّا مع منازعةٍ إلى الشيء المنهي عنه فكان ذلك من قبل  
 عدوّ يحذره أولى من أن يكون المنازعة من قبل ولى يستنصحه وفي ذلك  
 المصلحة لنا بالتعريض للثواب الذي يستحقّه بالمُخالفة له والطاعة له تعالى  
 كما أنّ في خلقه مصلحة من هذه الجهة وسيأتي الكلام في وجود الشيطان و  
 علّة إيجاده وكيفية نفوذه في بني آدم في موضعه إت شاء الله تعالى.



وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ  
مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاؤَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ  
شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً  
صُمٌّ بَكْمٌ عُمى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. (١٧١)

### ◀ اللّٰغَةُ

الْفَيْنَا: أي وجدنا.

آبَاؤُنَا: الآباء جمع الأب وهو والوالد واحد.

يَنْعِقُ: من نَعَقَ يَنْعَقُ نَعِيقاً ونَعِاقاً أي صاح بها وزجرها والنَعِيقُ صَوْتُ  
الرَّاعِي بَغْنَمِهِ والنَعِيقُ صَوْتُ الْغُرَابِ أيضاً ومنه الغُرَابُ النَّاقِعُ وفي حديث  
كَمِيلٍ إِبْنِ أَبِي كَلْبٍ نَاعِقٍ وَالمَقْصُودُ أَنَّ الرَّاعِي لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ تَنْزَجِرُ  
بِالصَّوْتِ عَمَّا هِيَ فِيهِ.

صُمٌّ: بِضَمِّ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ كَحَمْرِ جَمْعِ أَصَمٍّ وَهُوَ مَنْ لَا يَسْمَعُ.

بُكْمٌ: الْبُكْمُ، الْخَرَسُ وَالْأَبْكَمُ الَّذِي لَا يَفْصَحُ وَالْمَعْنَى صُمٌّ عَنْ إِسْتِمَاعِ  
الْحَقِّ بُكْمٌ عَنِ النَّطْقِ بِهِ، وَقِيلَ الْأَبْكَمُ الَّذِي لَهُ نَطْقٌ وَلَا يَعْقِلُ الْجَوَابَ  
وَالْجَمْعُ، بُكْمٌ.

عُمى: بِضَمِّ الْعَيْنِ جَمْعُ أَعْمَى وَلَا يَقَعُ الْعُمَى إِلَّا عَلَى الْعَيْنَيْنِ جَمِيعاً فَهُوَ  
الَّذِي لَا يُبْصِرُ أَصْلاً.

لَا يَعْقِلُونَ: أَي لَا يُمَيِّزُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ فَلَا جَرَمَ  
لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ.

## ◀ الإعراب

بَلْ تَتَّبِعْ بَلْ لِلْإِضْرَابِ أَي لَا تَتَّبِعْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَلْفِينًا بِمَعْنَى وَجَدْنَا أَبَاؤَنَا مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ وَعَلَيْهِ مَفْعُولُهُ الثَّانِي قَدَّمَ عَلَى الْأَوَّلِ لِكُونِهِ ظَرْفًا، وَقِيلَ أَلْفِينًا فِي الْمَقَامِ قَدْ تَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ وَعَلَيْهِ حَالٌ أَوْ لَوْ كَانَ الْوَاوُ لِلْعُطْفِ وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ بِمَعْنَى التَّوْبِيخِ وَجَوَابٌ لَوْ مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ، أَفَكُنَاوَا يَتَّبِعُونَهُمْ مِثْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِثْلَ، مُبْتَدَأٌ وَكَمْتَلِ الَّذِي يَنْعَقُ خَبَرُهُ إِلَّا دُعَاءً مَنْصُوبٌ بِقَوْلِهِ، يَسْمَعُ وَقِيلَ، إِلَّا زَائِدَةٌ وَهُوَ ضَعِيفٌ صُمُّ أَي هُمْ صُمُّ الْخ.

## ◀ التفسير

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَي لِلْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا وَوَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاؤَنَا أَي قَالُوا لَا تَتَّبِعْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ بَلْ تَتَّبِعْ مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا مِنَ الشَّرِّ وَالْكَفْرِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ مَعْنَاهُ لَوْ ظَهَرَ لَكُمْ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِمَّا لَزِمَهُمْ بِعَرَفَتِهِ أَكُنْتُمْ تَتَّبِعُونَهُمْ أَمْ كُنْتُمْ تَنْصَرِفُونَ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ وَفِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى ذِمِّ التَّقْلِيدِ فِي الْأَصُولِ وَحَثٌّ عَلَى مُتَابَعَةِ الدَّلِيلِ وَلِأَجْلِ ذَلِكَ اتَّفَقُوا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّقْلِيدِ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ وَخُصَّوهُ بِالْفُرُوعِ وَلَعَلَّ السَّرْفِيَّةَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَأَعْطَاهُ الْعَقْلَ.

لِيُمَيِّزَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَلَوْ قُلِدَ غَيْرُهُ فِي الْأَصُولِ الْإِعْتِقَادِي فَقَدْ عَطَّلَ عَقْلَهُ وَتَعَطَّلَ الْعَقْلُ يُوجِبُ السَّقُوطَ وَالْإِنْحِطَاطَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ هَذَا أَوَّلًا.

ثَانِيًا: فَلَا تُؤْخَذُ الْمُقْلِدُ لِلْغَيْرِ لَا عِلْمَ لَهُ بِأَنَّ ذَلِكَ الْغَيْرَ وَصَلَ إِلَى الْحَقِّ لِجَوَازِ إِحْتِمَالِ الْخَطَأِ فِي حَقِّهِ فَلَوْ قُلِدَ كَذَلِكَ وَقَعَ فِي الْخَبْطِ لَا مُحَالَةَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ.

ثَالِثًا: إِذَا قُلِدَ الْغَيْرُ فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ الْغَيْرَ أَوَّلًا ثُمَّ يَقْلُدْهُ، فَإِنْ كَانَ قَدْ عَرَفَهُ

بِالتَّقْلِيدِ يَلْزَمُ الدُّورَ أَوْ التَّسْلُسَ وَإِنْ كَانَ مَا عَرَفَهُ (بِالتَّقْلِيدِ بَلْ عَرَفَهُ بِالدَّلِيلِ  
فَالْمُتَّبِعُ هُوَ الدَّلِيلُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا الشَّخْصَ الْمَعْلُومَ الْمَفْرُوضَ وَكَيْفَ كَانَ  
فَالْتَّقْلِيدُ فِي الْإِعْتِقَادِ مَذْمُومٌ عَقْلًا وَشَرْعًا) وَلِذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
النَّاسُ ثَلَاثَةٌ:

فَعَالِمٌ رِئَاسِيٌّ، وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ (نَجَاةٍ). وَ هَمَجٌ رَعَاةٍ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ  
يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ. لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

فقوله عليه السلام: عالمٌ رئاسيٌّ إشارة إلى من يتبع الدليل وقوله: متعلمٌ على سبيل  
النجاة إشارة إلى من يطلب الدليل عن غيره ليتبعه، وقوله: همجٌ رعاع أئخ  
إشارة إلى المقلدين من غير دليل كأكثر العوام وقوله: أتباع كل ناعق إشارة إلى  
قوله تعالى:

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً.

وذلك لأنهم يميلون مع كل ربح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى  
ركنٍ وثيق أي دليل يعتمد عليه، وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: وَمَثَلُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَمَحْصَلُ مَعْنَى الْآيَةِ هُوَ أَنَّ  
الْكُفَّارَ مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ النَّاعِقِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَا يَقُولُ وَلَا يَعْلَمُ غَيْرَهُ أَيْضاً مَا يَقُولُ وَ  
لِذَلِكَ شَبَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَنْ يَنْعِقُ أَيْ يَصُوتُ بِمَا لَا يَسْمَعُ مِنَ الْبَهَائِمِ، إِلَّا دُعَاءً  
وَنِدَاءً وَقَدْ قَالُوا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ وَجْهًا.

أحدها: أَنَّ الْمَعْنَى وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعَائِكَ إِيَّاهُمْ أَيْ مِثْلُ الدَّاعِي  
لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ كَمِثْلِ النَّاعِقِ فِي دَعَاةٍ لِلْمَقْصُودِ بِهِ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ وَ  
إِنَّمَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ فَكَمَا أَنَّ الْأَنْعَامَ لَا يَحْصُلُ لَهَا مِنْ دَعَاءِ الرَّاعِي إِلَّا السَّمَاعُ  
دُونَ الْفَهْمِ فَكَذَلِكَ الْكُفَّارَ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ دَعَائِكَ بِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ إِلَّا السَّمَاعُ  
دُونَ تَفْهَمِ الْمَعْنَى لِأَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَنْ قَبُولِ ذَلِكَ وَيَنْصَرِفُونَ عَنْ تَأْمَلِهِ فَيَكُونُونَ

بِمَنْزِلَةٍ مَنْ لَمْ يَعْقِلْهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ وَهَذَا كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ فَلَانَ يَخَافُكَ خَوْفُ  
الْأَسَدِ وَالْمَعْنَى كَخَوْفِهِ مِنَ الْأَسَدِ فَأُضَافَ الْخَوْفُ إِلَى الْأَسَدِ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى  
مُضَافٌ إِلَى الرَّجُلِ قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ  
أَرَادَ بِتَسْلِيمِي عَلَى الْأَمِيرِ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَالْحَسَنَ  
وَأَكْثَرَ الْمَفْسِّرِينَ، وَثَانِيهَا، أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَثَلْنَا أَوْ مَثَلُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَثَلُكَ يَا مُحَمَّدٌ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ وَنِدَاءَ أَيِ  
كَمَثَلِ الْأَنْعَامِ الْمَنْعُوقِ بِهَا وَالنَّاعِقِ الرَّاعِي الَّذِي يَكْلَمُهَا وَهِيَ لَا تَعْقِلُ فَحُذِفَ  
الْمَثَلُ الثَّانِي إِكْتِفَاءً بِالْأَوَّلِ وَثَلْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: وَجَعَلَ لَكُمْ سِرَابِيلَ تَقِيكُمْ  
الْحَرَّ<sup>(١)</sup> وَأَرَادَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

عَصِيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرشُدُ طَلَابَهَا  
أَيِ أَرشُدُ طَلَابَهَا أَمْ غَيٍّ فَانْتَفَى بِذِكْرِ الرَّشْدِ لَوْضُوحُ الْأَمْرِ وَهُوَ قَوْلُ  
الْأَخْفَشِ وَالزَّجَاجِ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْآيَةِ تَشْبِيهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ، تَشْبِيهَ الدَّاعِي  
إِلَى الْإِيمَانِ بِالرَّاعِي وَتَشْبِيهَ الْمَدْعُومِينَ مِنَ الْكُفَّارِ بِالْأَنْعَامِ مُحذُوفٍ مَا حَذَفَ  
لِلإِبْجَازِ وَأَبْقَى فِي الْأَوَّلِ ذِكْرَ الْمَدْعُومِ وَفِي الثَّانِي ذِكْرَ الدَّاعِي وَفِيمَا أَبْقَى دَلِيلٌ  
عَلَى مَا أُلْقِيَ.

**ثَالِثُهَا:** أَنَّ الْمَعْنَى وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعَائِهِمُ الْأَصْنَامَ كَمَثَلِ الرَّاعِي  
فِي دَعَائِهِ الْأَنْعَامَ فَكَمَا أَنَّ مِنْ دَعَى الْبَهَائِمِ يُعَدُّ جَاهِلًا فِدَاعِي الْحِجَارَةِ أَشَدَّ  
جَاهِلًا مِنْهُ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ تَسْمَعُ الدَّعَاءَ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ وَالْأَصْنَامَ لَا تَحْصِلُ لَهَا  
السَّمْعُ فَضْلًا عَنِ التَّفْهَمِ لِمَعْنَاهُ.

**رَابِعُهَا:** وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعَائِهِمُ الْأَصْنَامَ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَفْهَمُ  
كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعَقُ دَعَاءً وَنِدَاءً بِمَا لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ جَمْلَةً وَيَكُونُ الْمَثَلُ مَصْرُوفًا

بِإِلَهِ الْقُرْآنِ فِي نَفْسِهِ الْقُرْآنَ

جزء ٢

الجلد الثاني

الى غير الغنم وما أشبهها ممّا يسمع وان لم يفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاءٌ ونداءٌ بينق وِالأ لتوكيد الكلام كما في قول الفَرزدق:

هُم القوم إلا حيث سلّوا سيوفهم وضحوا بلجمٍ من مُحلٍّ ومُحرّمٍ  
والمعنى هُم القوم حيث سلّوا سيوفهم.

خامسها: أن يكون المعنى وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا الغنم الذي لا يفهم دعاء النّاعق فأضاف سبحانه المَثَل الثاني الى النّاعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم:

طلعت الشغري وانتصب العود على الحرباء والمعنى إنتصب الحرباء على العود فهذه الوجوه هي التي ذكروها في تأويل الآية على ما نقله الطبرسي رحمته في تفسيره ونقل الرازي عن ابن زيد مضافاً الى الوجوه المذكورة أنّه قال مَثَل الَّذِينَ كَفَرُوا في دعاءهم ألّتهم كمثّل النّاعق في دعاءه عند الجبل فأنّه لا يسمع إلا صدّى صوته فاذا قال يازيد يسمع من الصّدّي يازيد فكذلك هؤلاء الكفّار اذا دعوا هذه الأوثان لا يسمعون إلا ما تلفظوا به من الدّعاء والنداء هذا كلّ بناء على القول بالإضمار في الآية وأما على القول بعدمه وبقاها على ظاهرها فالمعنى مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا في قلّة عقلهم في عبادتهم لهذه الأوثان كمثّل الرّاعي اذا تكلم مع البهائم فكما أنّه يقضي على ذلك الرّاعي بقلّة العقل فكذا هاهنا.

أو يقال مثل الَّذِينَ كَفَرُوا في إتّباعهم أباءهم وتقليدهم لهم كمثّل الرّاعي اذا تكلم مع البهائم فكما أنّ الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة فكذا التقليد لا فائدة فيه وقال قطرب أنّ المعنى (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا في دعاءهم ما لا يفهم يعني الأصنام كمثّل الرّاعي اذا نطق بغيره وهو لا يدري أين هي.

وعن الطبري مَثَلُ الكافرين في دعاءهم ألّتهم كمثّل الذي ينطق بشئ بعيد فهو لا يسمع من أجل البعد فليس للنّاعق من ذلك إلا النّداء الذي يُتعبه وينصبه قال الأخطل:

أَنفَقَ بِضَاثِكَ يَا جَرِيرَ فَإِنَّمَا نَسْتَكُ نَفْسَكَ فِي الْخَلَاءِ ضَالًّا

صُمْ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ.

وذلك لأنه لما شبهتهم بالبهائم كما عرفت زاد في تبكيتهم فقال صُمْ لَأَنَّهُمْ صاروا بمنزلة الصّم في أنّ الذي سمعوه كأنهم لم يسمعه و بمنزلة البكم في أن لا يستجيب لما دعوا اليه و بمنزلة العمي من حيث أنهم أَعْرَضُوا عن الدلائل فصاروا كأنهم لم يشاهدوها كما قال تعالى في موضع آخر: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ<sup>(١)</sup> والآيات في الباب كثيرة.

ولعلّ السّر فيه أنّ الشّي إذا صَرَفَ في غير ما خُلِقَ له فهو كالعدم و حيث أنّ العين جعلت للأبصار والسمع للإستماع والقلب للتّفقه فمن لم يصرفها في هذه الأمور كأنه فاقدها ولذلك قال الله في آخر الآية فهم لا يعقلون، نفى عنهم العقل المكتسب لا المطبوع فأنه موجود فيهم قال أمير المؤمنين عليه السلام العقل عقلان مطبوعٌ ومسموعٌ، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع، كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين مَمْنُوعٌ، والى الأول أشار النبي ﷺ بقوله ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل.

والى الثاني أشار بقوله، ما كَسَبَ أَحَدٌ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلٍ يَهْدِيهِ إِلَى هَدًى أَوْ يَرُدَّهُ عَنْ رَدًى، وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ و كلّ موضع ذمّ الله فيه الكفّار بعدم العقل فإشارة الى الثاني أي العقل المسموع دون الأول لأنه موجود في الكلّ وكلّ موضع رُفِعَ التّكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة الى الأول أعني به المطبوع فعدم المطبوع يوجب رفع التّكليف لأنّ صاحبه مجنون و عدم الثاني يوجب السّقوط والإنحطاط عن الإنسانيّة الى

بَابُ التَّوْبَةِ فِي تَرْكِ الْعَقْلِ

جزء ٢

بَابُ التَّوْبَةِ فِي تَرْكِ الْعَقْلِ

الحيوانية و الأول وجوده أو عدمه خارج عن الاختيار والثاني ليس كذلك و لذلك لا يصير الإنسان بفقد الأول مذموماً.

وأما الثاني فهو الذي يصير الإنسان ممدوحاً أو مذموماً لأنه تحت قدرته و إختياره و الإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار و عليه فمن فسر العقل بالقوة المتهينة لقبول العلم أراد العقل المطبوع و من فسرّه بالعلم الذي يستفيدة الإنسان بتلك القوة فقد أراد المعنى الثاني، و ليعلم أن هذا الوصف يشمل جميع العوام كالأنعام إلا أن ذكر الكفار في الآية لكونهم أظهر المصاديق وأجلها.





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا  
 رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ  
 (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ  
 الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لَعْنِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ  
 بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ  
 (١٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ  
 الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا  
 يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَ  
 الْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)  
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ  
 اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)

### ◀ اللغة

الْمَيْتَةُ: بفتح الميم و سكون الياء وفتح التاء من الحيوان ما زال روحه بغير  
 تذكية.

وَالدَّمَ: الدَّم معروف مشهور و أصله دَمِيٌّ بسكون الميم حُذفت اللام و  
 جعلت الميم حرف إعراب و قيل الأصل بفتح الميم و يُثْنَى بالياء فتقال دَمِيَّان  
 و قيل أصله واو لقولهم، دَمَوَان و قد يُثْنَى الواحد فيقال، دَمَان.  
 الْخِنْزِير: بكسر الخاء حيوان معروف.

غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ: باغ فاعل من البَغْي و هو طلب تجاوز الإقتصاد فيما

يتحرى تجاوزه فالباغي الطالب ما ليس له طلبه، والعاذ المتجاوز لما رُسِمَ له.  
**فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ:** الإثم والأثم إسم للأفعال المبטطة عن الثواب.  
**شَقَاق:** الشقاق المخالفة.

### الإعراب

**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ الْمَفْعُول** محذوف أي كُلُوا رزقكم وعند الإخفش من زائدة  
**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ** تقرأ الميئة بالنصب فتكون، ما، كافة والفاعل هو الله و  
 بالرفع على أن تكون، ما، بمعنى الذي والميئة خبر، أن، والعاذ محذوف  
 تقديره حرّمه الله ويقرأ حرّم، على ما لم يسم فاعله فيجوز الوجهان السابقان  
 في ما، والأصل في الميئة بالتشديد لأن بناءً فيعلة فالأصل، مَيوتة قلبت الواو  
 ياء ثم أدغمت ومثله، سَيّد وهَيّن، فَمَنْ اضْطُرَّ مَنْ فِي مَوْضِع رَفْع وَهِيَ شَرْط  
 وَاضْطُرَّ، فِي مَوْضِع جَزْم بِهَا وَالْجَوَاب **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** ويجوز أن تكون مَنْ  
 بمعنى الذي غَيْرُ بَاغٍ نَصَبَ عَلَى الْحَال **وَلَا عَادٍ** معطوف على بَاغٍ مِنْ  
 الْكِتَابِ فِي مَوْضِع نَصَبَ عَلَى الْحَال مِنَ النَّارِ تقديره ما يأكلون إِلَّا النَّارَ ثابتة أو  
 كائنة فِي بَطُونِهِمْ **فَمَا أَصْبَرَهُمْ** ما فِي مَوْضِع رَفْع وَفِيهَا أَقْوَال، التَّعَجُّبُ،  
 وَالِاسْتِفْهَامُ وَالتَّنْفِي ذَلِكَ مَبْتَدَأٌ وَإِنَّ اللَّهَ الْخَبِيرَ وَالتَّقْدِيرُ ذَلِكَ الْعَذَابُ مُسْتَحَقٌّ  
 مِمَّا نَزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِسْتِحْقَاقِ عِقَابِهِ الْكَافِرِ.

### التفسير

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** هذا الخطاب يتوجه إلى جميع المؤمنين **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ظاهره الأمر والمراد به الإباحة والتخيير لأن الأكل ليس بواجب إِلَّا أَنَّهُ مَتَى أَرَادَ الْأَكْلَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَأْكُلَ إِلَّا مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ وَمَتَى كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ الْحَاجَةِ فَأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ فِي بَابِ الْأَمْرِ سِوَاءِ قَلْنَا فِيهِ بِالْوَجُوبِ أَمْ التَّدْبِ قَالَ الْبَلْخِي فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى النَّهْيِ عَنْ أَكْلِ الْخَبِيثِ كَأَنَّهُ

قبل كُلُوا من الطَّيِّبِ دون الخبيث كما لو قال كُلُوا من الحلال لكان ذلك دالاً على خطر الحَرَام قال الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّبْيَانِ بعد نقله ما نقلناه عنه وهذا صحيحٌ فيما له ضدٌ قبيحٌ مفهومٌ وأما غير ذلك فلا يدلُّ على قبح ضده لأنَّ قول القائل كُل من مال زيد لا يدلُّ على أنَّ المراد تحريم ما عداه لأنَّه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصَّةً والآخر موقوف على بيان آخر وليس كذلك ما ضده قبيح لأنَّه قد يكون من البيان تقبيح ضده انتهى.

**أقول** ما ذكره الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ حَقٌّ لا مرية فيه قال بعض المفسرين إحتج بعض الأصحاب بهذه الآية على أنَّ الرِّزْق قد يكون حراماً وذلك لأنَّ قوله: **مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ** معناه كلوا من حلال ما رزقناكم فَأَنَّ الطَّيِّبَ هو الحلال فلو كان كلُّ رزقي حلالاً لكان قوله:

**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ**

معناه من محلات ما أحللنا لكم فيكون تكراراً وهو خلاف الأصل و أجابوا عنه بأنَّ الطَّيِّبَ في أصل اللُّغة عبارة عن المُسْتَلَذ المُسْتَطَاب ولعلَّ أقواماً ظنُّوا التوسُّع في المطاعم والإستكثار من طيباتها ممنوع منه فأباح الله تعالى و ذلك بقوله كُلُوا من لذائذ ما أحللناه لكم فكان تخصيصه بالذِّكر لهذا المعنى انتهى.

**أقول** قد مرَّ الكلام ممَّا في معنى الطَّيِّب عند قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً** <sup>(١)</sup> و قلنا هناك أَنَّ الطَّيِّبَ أعمُّ من الحلال فقوله تعالى في المقام **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ليس معناه من محلات ما أحللنا لكم حتَّى يلزم التكرار بل معنى الآية كلوا من الطَّيِّب إذا كان حلالاً والدليل عليه قوله تعالى: **مَا رَزَقْنَاكُمْ** والمرزوق لا يكون إلا حلالاً اذ لو كان حراماً لا يجوز أكله بالإتفاق فكيف يأمر بأكله ولو على سبيل الإباحة وبعبارة أُخرى

هذا التفسير في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

أَبَاحَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَكْلَ الطَّيِّبِ مِنَ الطَّعَامِ الْمَرْزُوقِ لَا مُطْلَقاً فَقَالَ: مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَمْ يَقُلْ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مُطْلَقاً وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الطَّيِّبَ قَدْ يَكُونُ مَرْزُوقاً كَمَا إِذَا حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِ بِشَرَايِطِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ مَرْزُوقاً كَمَا إِذَا حَصَلَ لَهُ مِنْ غَيْرِ الطَّرِيقِ فَالْآيَةُ لَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ قَدْ يَكُونُ حَرَاماً نَعْمَ الْمَأْكُولُ قَدْ يَكُونُ حَرَاماً وَقَدْ يَكُونُ حَلَالاً وَلَيْسَ كُلُّ مَأْكُولٍ مَرْزُوقاً وَذَلِكَ لِأَنَّ تَحْصِيلَ الْمَالِ وَالْغِذَاءِ وَاللِّبَاسِ وَأَمْثَالَهَا بِيَدِ الْعَبْدِ فَإِنْ اِكْتَسَبَ الْمَالُ مِنْ طَرِيقٍ مَشْرُوعٍ فَهُوَ حَلَالٌ وَأَنْ اِكْتَسَبَ الْمَالُ عَلَى خِلَافِ الشَّرْعِ فَهُوَ حَرَامٌ وَهُوَ يَقْدَرُ عَلَى تَحْصِيلِهِ كَيْفَ يَشَاءُ فَالْقَوْلُ بِأَنَّ الرِّزْقَ قَدْ يَكُونُ حَرَاماً لَا مَعْنَى لَهُ

وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالشُّكْرِ لِأَنَّ شُكْرَ الْمُنْعَمِ وَاجِبٌ عَقْلاً، وَهُوَ لِسَانِي، وَفَعْلِي، وَحَالِي وَأَصْلُ الشُّكْرِ عَلَى مَا قِيلَ هُوَ الْإِعْتِرَافُ بِالنُّعْمَةِ مَعَ ضَرْبٍ مِنَ التَّعْظِيمِ وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِيهِ سَابِقاً وَسَيَأْتِي الْبَحْثُ فِيهِ بِوَجْهِ أَبْطَرِ.

أَنْ قُلْتُ إِذَا كَانَ شُكْرُ الْمُنْعَمِ وَاجِبٌ عَقْلاً فَمَا وَجْهُ تَعْلِيْقِهِ عَلَى الشَّرْطِ فِي الْآيَةِ حَيْثُ قَالَ أَنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمَشْرُوطَ يَنْتَفِي بِإِنْتِفَاءِ شَرْطِهِ وَالشَّرْطُ فِي الْآيَةِ الْعِبَادَةُ فَالشُّكْرُ وَاجِبٌ عَلَى مَنْ يَعْبُدُهُ وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلَا، وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهِهِ:

أَحَدُهَا: مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّبْيَانِ وَهُوَ أَنَّ ذِكْرَ الشَّرْطِ فِي الْمَقَامِ أَمَّا هُوَ عَلَى وَجْهِ الْمَظَاهِرَةِ فِي الْحِجَاجِ وَلَمَّا فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْبَيَانِ دُونَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ شَرْطاً فِي وَجُوبِ الشُّكْرِ وَتَلْخِصِ الْكَلَامِ أَنْ كَانَتِ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ وَاجِبَةً عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ مُحَسَّنٌ إِلَيْكُمْ وَأَمَّا الْعِبَادَةُ فَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الشُّكْرِ لِأَنَّهَا غَايَةٌ لَيْسَ وَرَاءَهَا شُكْرٌ وَيَقْتَرِنُ بِهِ ضَرْبٌ مِنَ الْخُضُوعِ وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِلَّهِ لِأَنَّهَا تَسْتَحِقُّ بِأَصُولِ النُّعْمِ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْقُدْرَةِ وَالشَّهَوَةِ وَالنَّفَادِ وَأَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ وَيَقْدَرُ مِنَ النِّفْعِ لَا يُؤَارِيهِ نِعْمَةٌ مَنَعَمَ فَلِذَلِكَ اِخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِاسْتِحْقَاقِهَا اِنْتَهَى.

**ثانيها:** أَنَّ الْآيَةَ خطاب للمؤمنين لقوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ثُمَّ أمرهم بالشكر وقال **وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** أي واشكروا لله أن كنتم في دعوى الإيمان صادقين وبعبارة أخرى كأنه قيل لهم أنتم تدعون الإيمان والإيمان لا يتحقق إلا بالعمل والعمل هو الشكر بأقسامه فالشكر كاشف عن الإيمان وعَدَمُه عن عدمه و ذلك لأنَّه من لوازم الإيمان ومظاهره.

**ثالثها:** أن تعليق الشكر على العبادة مشعر بان الشكر الحقيقي لا يتحقق بدون العبادة لأنَّ أوَّل مراتب الشكر معرفة المنعم فمن لم يعرف الله لم يعبدَه حقاً ومن لم يعبدَه لم يشكره وكذلك فالتعليق مشعر بأنَّ الشكر الحقيقي موقوف على العبادة بل هو عينها ومظهرها في الخارج فكأنَّه قال الشكر يدور مدار العبادة نفيًا وإثباتًا.

**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ.**  
حَرَّمَ اللَّهُ تعالى على المؤمنين بعد أمرهم بالشكر أربعة أشياء كلها من مراتب الشكر وصدر كلامه بلفظة، أنما، التي تفيد إثبات الشيء ونفي ما عداه لإفادة الحصر، أحدها، الميتة وهي من الحيوان ما زال رُوحه بغير تذكية وقيل هي من الحيوان ما مات حتف أنفه وكيف كان فأكل الميتة حرام في صورة الاختيار بالكتاب والسنة والإجماع من الفريقين.  
ثانيها: الدَّم فإنَّ أكله أيضاً حرام بالأدلة الأربعة.

ثالثها: لحم الخنزير.

**رابعها: مَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ** والإهلال على الذبح هو رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الأوثان والمسلمون يسمون الله فما لم يسم الله عليه حرام أكله وحيث أنَّ الأصل في اللحوم عدم التذكية فما لم يعلم تذكيته لا يجوز أكله وتفصيل الكلام في الفقه هذاكله في صورة الاختيار وأما في صورة الإضطرار فيجوز أكلها بقدر الضرورة كما.

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

والإضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الإمتناع منه وذلك كالجوع الذي يحدث للإحسان ولا يمكنه الإمتناع منه والفرق بين الإضطرار والإلجاء أن الإلجاء تتوفر معه الدواعي إلى الفصل من جهة الضر أو النفع وليس كذلك الإضطرار وأكثر المفسرين على أن المراد في الآية المجاعة وقال مجاهد ضرورة إكراه، والأولى أن تكون للعموم إلا ما خصه الدليل وأما قوله غير باغ ولا عاد فقد نقلوا في معناه ثلاثة أقوال.

**أولها:** غَيْرَ بَاغٍ اللَّذَّةُ ولا عاد، سدّ الجوعة وهو قول الحسن وقتادة وغيرهما.

**ثانيها:** غَيْرَ بَاغٍ في الإفراط ولا عاد في التّفصير.

**ثالثها:** غَيْرَ بَاغٍ على إمام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين وهو قول سعيد ابن جبير.

وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام: والقدر المباح من الميتة عند الضرورة ما يمسك الرّفق به فقط عندنا فمن أفرط فيه فهو باغٍ ومن قصّر فيه فهو عاد على قولٍ ولنشر إلى بعض ما ورد في تفسير الباغ والعاد وسائر ألفاظ الآية فنقول:

في عيون الأخبار في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام: إلى محمّد بن سنان في مسائله في العلل قال عليه السلام: وحرّمت الميتة لما فيها من فساد الأبدان والأفة ولما أراد الله عزّ وجلّ أن يجعل التسمية سبباً للتّحليل وفرقاً بين الحلال والحرام وحرّم الله تعالى الدّم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الأبدان ولأنّه يُورث الماء الأصفر ويُبخر الفم وينتن الخلُق ويورث القسوة للقلب وقلة الرّأفة والرّحمة حتّى لا يؤمن أن يقتل ولده والده وصاحبه وحرّم الخنزير لأنّه مشوه

جعلهُ الله تعالى عِظَةً لِلخَلْقِ وَ عِبْرَةً وَ تَخْوِيفاً وَ دَلِيلاً عَلَى مَا نَسَخَ عَلَى خَلْقِهِ وَ صُورَتِهِ وَ جَعَلَ فِيهِ شِبْهاً مِنَ الْإِنْسَانِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْخَلْقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَ حَرَّمَ مَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ مِنَ الْإِقْرَارِ بِهِ وَ ذِكْرِ إِسْمِهِ عَلَى الذَّبَائِحِ الْمُحَلَّلَةِ لِتَلَا يَسْوَى بَيْنَ مَا تَقَرَّبَ بِهِ وَبَيْنَ مَا جَعَلَ عِبَادَةً لِلشَّيَاطِينِ وَ الْأَوْثَانِ لِأَنَّ فِي تَسْمِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْإِقْرَارَ بِرَبُوبِيَّتِهِ وَ تَوْحِيدِهِ وَ مَا فِي الْإِهْلَالِ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الشَّرْكِ وَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ غَيْرُهُ لِيَكُونَ ذِكْرُ اللَّهِ وَ تَسْمِيَّتِهِ عَلَى الذَّبِيحَةِ فِرْقاً بَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَبَيْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ انتهى.

و فِي كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ لِمَ حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخَمْرَ وَ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخَنزِيرِ فَقَالَ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَحَرِّمْ ذَلِكَ عَلَى عِبَادِهِ وَ أَحَلَّ لَهُمْ مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ رَغْبَةٍ فِيمَا أَحَلَّ لَهُمْ وَ لَا زَهْدٍ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَ لَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ فَعَلِمَ مَا يَقُومُ بِهِ أَبْدَانُهُمْ وَ مَا يَصْلَحُهُمْ فَأَحَلَّ لَهُمْ وَ أَبَاحَهُ وَ عَلَّمَ مَا يَضُرُّهُمْ فَنَهَاَهُمْ عَنْهُ وَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ أَحَلَّ لِلْمُضْطَرِّ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَقُومُ بِهِدَنهُ إِلَّا بِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ بِقَدْرِ الْبُلْغَةِ لَا غَيْرَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ أَمَّا الْمَيْتَةُ فَأَنَّهَا لَمْ يَنْلَأْ أَحَدٌ مِنْهَا إِلَّا ضَعْفَ بَدَنِهِ وَ أَوْهَنْتْ قُوَّتَهُ وَ انْقَطَعَ نَسْلُهُ وَ لَا يَمُوتُ أَكَلُ الْمَيْتَةِ إِلَّا فَجْأَةً.

وَ أَمَّا الدَّمُ فَأَنَّهُ يُورَثُ أَكْلُهُ الْمَاءَ الْأَصْفَرَ وَ يُورَثُ الْكَلْبُ وَ قَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَ قَلَّةُ الرَّأْفَةِ وَ الرَّحْمَةِ حَتَّى لَا يُؤْمِنَ عَلَى حَمِيمِهِ وَ لَا يُؤْمِنَ عَلَى مَنْ صَحْبِهِ.

وَ أَمَّا الْخَنزِيرُ فَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَسَخَ قَوْماً فِي صُورِ شَتَّى مِثْلِ الْخَنزِيرِ وَ الْقَرْدِ وَ الدُّبِّ ثُمَّ نَهَى عَنْ أَكْلِ الْمَيْتَةِ لَكِي مَا يَنْتَفِعُ بِهَا وَ لَا يَسْتَحْفَ بِعَقُوبَتِهِ الْحَدِيثُ.

و في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عشرة أشياء من الميتة ذكية، العظم، الشعر، والصوف، والريش، والقرن، والحافر، والبيض، والأنفحة واللبن والسّن انتهى.

و عن الكافي عن محمد ابن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل والمرأة يذهب بصره فيأتيه الأطباء فيقولون ندأوك شهراً أو أربعين ليلة كذلك تصلي فرخص في ذلك و قال عليه السلام: فَمَنْ إِضْطَرَّ غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه انتهى.

و قال الصادق عليه السلام: مَنْ إِضْطَرَّ إِلَى الميتة والدّم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتّى يموت فهو كافر انتهى.

و في من لا يحضره الفقيه بأسناده أن امرأة أتت عُمر فقالت أني فجرت فاقم عليّ حدّ الله عزّ وجلّ فأمر عمر برجمها و كان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً فقال عليه السلام: سلها كيف فجرت فسألها فقالت كنت في فلاة من الأرض فأصابني عطش شديد فرفعت لي خيمة فأتيتها فأصببت فيها رجلاً إعرابياً فسألته ماءً فأبى عليّ أن يسقيني إلا أن أكون أمكته من نفسي فوليت منه هاربة فاشتدّ بي العطش حتّى غارت عيناى و ذهب لساني فلما بلغ مني العطش أتيته فسقاني و وقع عليّ فقال أمير المؤمنين عليه السلام هذه التي قال الله عزّ و جلّ فمن أضطر غير باغ ولا عاد، هذه غير باغية و لا عادية فخلّى سبيلها عُمر و قال لولا عليّ لهلك عُمر انتهى.

و قد روي عن الصادق عليه السلام: أنه قال ليس شيء ممّا حرّم الله إلا وقد أحله لمن أضطر اليه والأخبار فيه كثيرة.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا.



لا شك أنَّ المعنى بهذه الآية جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى و عليه إجماع المفسرين إلا أنَّ الخطاب الى جماعة قليلة منهم و هم علماءهم الذين يجوز على مثلهم كتمان ما علموه من الأحكام المُنزلة في الكتاب وأما قالوا ذلك لأنَّ العوام منهم لا يعلمون من الكتاب إلاَّ اسمه وليس لهم علم بما فيه فضلاً عن كتمانهم وكيف كان فالذي كتموه فيه قولان:

**أحدهما:** أنَّهم كتموا أمر النَّبي ﷺ بأنَّ حَرَفوه عن وجهه في التأويل هذا اذا حُمِل على الجماعة الكثيرة و أما إن حمل على القليلة منهم يجوز أن يكونوا كتموا نفس التنزيل أيضاً فضلاً عن التحريف.

**ثانيها:** أنَّهم كتموا الأحكام وأخذوا الرشا عليها و الكتاب على القول الأول هو التَّوراة وعلى الثاني يجوز أن يُحمل على القرآن و سائر الكُتُب، وقوله: يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا معناه كلُّما يأخذونه في مقابلته من حكام الدُّنيا فهو قليل وليس المراد أنَّهم اذا اشتروا به ثمناً كبيراً كان جائزاً و هذا كقوله تعالى: وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وقوله: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ<sup>(١)</sup> حيث أراد أن قتل النَّبيين لا يكون إلاَّ بغير حقِّ وان من إدعى مع الله إلهاً آخر لا يقوم له عليه بُرهان.

**أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار.**

قال أكثر المفسرين في معناه أي الأجر الذي أخذه على الكتمان سمى بذلك لأنَّه يؤديهم الى النار كما قال في أكل مال اليتيم ظلماً، أمَّا يأكلون في بطونهم ناراً، و قال بعضهم أمَّا يأكلون في جهنم ناراً جزاءً على تلك الأعمال قال القرطبي و هذه الآية و أن كانت في الأخبار فأَنَّها تتناول من المسلمين من كتم الحقَّ مختاراً لذلك بسبب ديناً يصيبها و قد تقدَّم هذا المعنى أقول غرضه

مِمَّا تَقَدَّمَ هُوَ قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِهِ تَعَالَى: **وَأَمِنُوا بِمَا أُنْزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونِ** <sup>(١)</sup>

قال، وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تناول من فعل فعلهم فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله أو إمتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه وقد تعين عليه حتى يأخذ عليه أجراً فقد دخل في مقتضى الآية ثم نقل ما نقل من الأخبار الواردة في كتب العامة ما يؤيد مدعاه بزعمه وليت شعري أي دلالة في الآية على ما ذكره القرطبي فإن الآية قد وردت في ذم من حرّف الكتاب أو كتم شيئاً من أحكامه مما وجب عليه بيانه وأما أخذ الرشوة على الحكم أو أخذ الأجرة على الواجب وامثال هذه الأمور فهو شيء آخر لا ربط له بهذه الآية نعم أن الآية تناول من فعل فعل اليهود والنصارى من أمر الكتمان فإن من كتم شيئاً مما أنزل الله في كتابه واشترى به ثمناً قليلاً وأبطل بذلك حقاً أو أفسد اعتقاداً فهو منمصاديق الآية يهودياً كان أو نصرانياً أو مسلماً وذلك لأن علماء اليهود والنصارى كتموا أمر النبي ﷺ عن الناس وعلماء الإسلام كتموا أمر الوصي وأخفوه عن الناس والقرطبي وأمثاله من هذا القبيل كما ستعرف تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى صدق رسول الله ﷺ حيث قال من لا خياء له لا دين له.

قال بعض المحققين في تفسير كلامه تعالى: **أَوَّلِيكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ** أما في الآخرة فظاهراً لأنهم لا يأكلون يوم القيامة إلا عين النار عقوبة لهم على أكلهم السحت في الدنيا.

وأما في الدنيا فبأكل سببها فإن أكلهم ما أخذوه عن أتباعهم سبب مؤذ إلى أن يعاقبوا بالنار بإطلاق النار عليه من قبيل إطلاق المسبب على السبب. أقول الحق أن الكلام خرج مخرج الإستعارة قال الشريف الرضي رحمه الله في

تلخيص البيان في مجازات القرآن في قوله: **مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ** ما لفظه وهذه إستعارة كأنهم اذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكل مُشبهاً بالأكل من النار وقوله سبحانه في بطونهم زيادة معنى وان كان أكل أنما يأكل في بطنه وذلك أنه أفزع سماعاً وأشدَّ إيجاعاً وليس قول الرجل للآخر أنك تأكل النار مثل قوله أنك تدخل النار في بطنك انتهى.

ما ذكره **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** قيل في معناه أي لا يكلمهم بكلام خير بل يلعنهم ويخزيهم وقيل هو كناية عن غضبه تعالى عليهم وتعرض لحرمانهم عن الزلفى من الله **وَلَا يُزَكِّيهِمْ** من ذنوبهم وقيل ولا يثني عليهم ولا يصفهم بأنهم أذكىاء **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** أي عذابٌ موجه في النار جزاء بما عملوا في الدنيا وما ربك بظلام للعبيد وقد مر الكلام في معنى العذاب وسيأتي البحث فيه في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ.**

أي أولئك الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب **اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى** أي إستبدلوها فإن الإشتراء هو الإستبدال بالثمن العوض فلما كانوا هؤلاء إستبدلوا بذنوبهم الثمن القليل قيل فيهم أنهم **لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا** والثمن هو العوض من العين والقلة نقصان المقدار عن مقدار غيره ثم أن الضلالة التي إشتروها بالهدى وكفرهم بالنبي وجحدهم لنبوته إستبدلوه بالإيمان به وهم وان لم يقصدوا أن يضلوا إلا أنهم قد قصدوا الكفر بالنبي بدلاً من الإيمان به ضلال بدلاً من هدى فقد قصدوا الضلال بدلاً من الهدى وأن لم يقصدوه من وجه أنه ضلال، وأما قوله تعالى: **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** فقد قيل في معناه وجوه:

أحدها: ما أجرأهم على النَّارِ ذهب اليه الحسن وقتادة.

ثانيها: معناه ما اعملهم بأعمال أهل النَّار عن مجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله أيضاً.

ثالثها: ما أبقاهم على النَّارِ حكاه الزجاج.

رابعها: مَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ أي حسبهم عليها ذكره الضراء ونقل عن الكسائي أنه قال هو إستفهام على وجه التّعجب مثل قولك للذي وقع في هلكة ما، إضطرّك الى هذا وقيل أنّ ما، معناه التّعجب وهو مردود إلى المخلوقين كأنه قال أعجبوا من صبرهم على النَّارِ ومكثهم فيها وقال ابن جبير معناه ما لهم والله عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على النَّارِ وهي لغة يمنية معروفة قال الضراء أخبرني الكسائي قال أخبرني قاضي اليمن أنّ خصمان إختصما اليه فوجبت اليمين على أحدهما فحلف فقال له صاحبه ما أصبرك على الله أي ما أجرأك عليه والمعنى ما أشجعهم على النَّارِ اذ يعملون عملاً يُؤدّي اليها.

وفي أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد الله في قول الله عزّ وجلّ ما أصبرهم على النَّارِ فقال عليه السلام: ما أصبرهم على فعل ما يعملون أنه يصيّرهم إلى النَّارِ انتهى.

ذلك بأنّ الله نزل الكتاب بالحقّ وأنّ الذين إختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد، إختلفوا في معنى قوله ذلك بأنّ الله نزل الكتاب بالحقّ فقال بعضهم معنى ذلك فعلهم هذا الذي يفعلون من جرأتهم على عذاب النَّارِ في مخالفتهم أمر الله وكتمانهم النَّاس ما أنزل الله في كتابه وأمرهم ببيانه لهم من أمر محمد صلّى الله عليه وآله وأمر دينه من أجل أنّ الله أنزل الكتاب بالحقّ وتنزيله بالحقّ هو خبره عنهم في قوله لنبيه صلّى الله عليه وآله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ <sup>(١)</sup> فهم مع ما أخبر الله عنهم من أنهم

لا يؤمنون لا يكون منهم غير إشتراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، آخرون معناه ذلك معلوم لهم بأن الله نزل الكتاب بالحق لأننا قد أخبرنا في الكتاب أن ذلك لهم والكتاب حق.

وقال آخرون معنى ذلك أن الله وصف أهل النار فقال فما أصبرهم على النار ثم قال هذا العذاب بكفرهم وهذا هاهنا عندهم هي التي يجوز مكانها ذلك كأنه قال فعلنا ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به قال الشيخ في التبيان وفي تقدير خبر ذلك ثلاثة أقوال.

**أحدها:** الأمر أي ذلك الأمر أو الأمر ذلك قاله الزجاج فحذف لدلالة ما تقدم من الأمر بالحق فكأنه قال ذلك الحق.

**ثانيها:** أي ذلك معلوم بأن الله نزل الكتاب بالحق.

**ثالثها:** ذلك العذاب لهم ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وكفروا به انتهى.

والمراد بالكتاب قيل هو التوراة وقال الجبائي هو القرآن وغيره وقال بعضهم أن المراد بالأول التوراة والثاني القرآن وفي معنى الاختلاف يحتمل أمرين:

**أحدهما:** قول الكفار في القرآن ومهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام يعلمه ومنهم من قال كلام يقوله.

**ثانيهما:** إختلاف اليهود والنصارى في التأويل والتنزيل من التوراة والإنجيل لأنهم حرّفوا الكتاب وكتبوا صفة محمد ﷺ وجحدت اليهود الإنجيل والقرآن وقوله تعالى: لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، ففي معنى الشقاق قولان: **الأول:** بعيد عن الإلفة بالإجتماع على الصواب.

**الثاني:** بعيد من الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما قد عدل عن السداد، قال بعض المفسرين من العامة في تفسير الآية أي أن

الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي جَنْسِ الْكِتَابِ بِأَن أَمْنُوا بَعْضٌ وَكَفَرُوا بَعْضٌ أَوْ فِي التَّوَارِثِ وَمَعْنَى اِخْتَلَفُوا، أَيْ تَخَلَّفُوا عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ فِيهَا أَوْ جَعَلُوا مَا بَدَّلُوهُ خَلْفًا عَمَّا بَيْنَهَا أَوْ فِي الْقُرْآنِ وَاِخْتَلَفَهُمْ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ سِحْرٌ وَبَعْضُهُمْ أَنَّهُ شَعْرٌ وَبَعْضُهُمْ أَنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَقُولُ الْاِخْتِلَافَ يَتَصَوَّرُ عَلَى وَجْهَيْنِ.

أحدهما: الاختلاف في فهم الآيات والمراد منها.

ثانيها: الاختلاف في أصل الكتاب وأنه من عند الله أولا، أما الاختلاف بالمعنى الأول فلا إشكال فيه لأنَّ العقول متفاوتة والإدراكات متغايرة فالإختلاف في فهم الآيات أمرٌ قهريٌّ مطابق للأصل وأما الإختلاف بالمعنى الثاني فهو المراد في الآية لأنه يؤدي إلى الكفر بما أنزل الله فلا محالة يكون صاحبه في شقاقٍ بعيد.



لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ  
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى  
الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي  
الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ  
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

### ◀ اللُّغَة

الْبِرُّ: بكسر الباء على ما قيل إسم جامع للخير كله.  
تَوَلَّوْا: أي تَوَجَّهُوا وُجُوهَكُمْ قال تعالى: **فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** <sup>(١)</sup>  
أي وَجْهَ وَجْهَكَ والتولية قد يكون إقبالاً ومنه قوله تعالى ولكل وجه هو  
مؤليها أي مستقبلها وقد تكون إنصرافاً ومنه يُولُوكُم الإِدْبَارَ ويكون بمعنى  
التولي يقال وليت وتولييت وتولي يكون بمعنى الإعراض وبمعنى الإتيان  
فمن الأول قوله تعالى: **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ** <sup>(٢)</sup> أي ان تعرضوا عن  
الإسلام ومن الثاني قوله: **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ** أي روى ليس البر أن  
تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ إلى آخر الآية ومن يتبعهم وينصرهم.

فِي الرِّقَابِ: الرقاب جمع الرقبة.  
الْبَأْسَاءِ: الخوف والشدة وقيل الفقر.  
وَالضَّرَّاءِ: السُّقْمُ وَالْوَجَعُ والباقي واضح.

بِ  
الْفَرَقِ  
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد  
الثاني

## ﴿الإعراب﴾

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا بِقَرَأِ الْبَرِّ بِهِ رَفَعَ الرَاءَ عَلَى أَنَّهُ إِسْمٌ، لَيْسَ، وَ أَنْ تُولُوا خَبْرُهُ، وَهُوَ الْحَقُّ لِأَنَّ الْأَصْلَ تَقْدِيمُ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَفْعُولِ وَ قَدْ يُقْرَأُ بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ خَبْرُ لَيْسَ وَ أَنْ تُولُوا، إِسْمُهَا، قِيلَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ظَرْفٌ وَلَكِنَّ الْبِرَّ يُقْرَأُ بِتَشْدِيدِ التَّوْنِ وَنَصْبِ الْبَرِّ وَبِتَخْفِيفِ التَّوْنِ وَرَفَعَ الْبَرَّ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنِ الْبَرِّ لِمَنْ أَمِنَ فِيهِ وَجْهٌ:

أحدها: أَنْ يَكُونَ الْبَرُّ بِمَعْنَى الْبَارِ فَجُعِلَ الْمَصْدَرُ فَوْضِعَ إِسْمِ الْفَاعِلِ كَمَا يُقَالُ مَاءٌ غُورٌ أَيُّ غَائِرٌ وَرَجُلٌ صَوْمٌ أَيُّ صَائِمٌ وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَأَتَمَّا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ أَيُّ أَنَّهَا مُقْبِلَةٌ وَمُؤَدِّبَةٌ

ثَانِيهَا: أَنَّ مَعْنَاهُ وَلَكِنْ ذَا الْبَرِّ مِنْ أَمِنَ اللَّهُ فَحُذِفَ الْمُضَافُ مِنَ الْإِسْمِ.

ثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ أَمِنَ بِاللَّهِ فَحُذِفَ الْمُضَافُ مِنَ الْخَبَرِ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَثَلَّثَ قَوْلُهُ تَعَالَى أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمِنَ بِاللَّهِ أَيُّ كَايِمَانٍ مِنْ أَمِنَ بِاللَّهِ.

وَالْمُؤَفُّونَ بِعَهْدِهِمْ فِي رَفْعِهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً عَلَى الْمَدْحِ وَالْمَعْنَى وَهُمْ الْمُؤَفُّونَ.

ثَانِيهِمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفاً عَلَى مَنْ أَمِنَ.

وَالصَّابِرِينَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَدْحِ وَتَقْدِيرُهُ أَعْنَى الصَّابِرِينَ حِينَ الْبَأْسِ ظَرْفٌ لِلصَّابِرِينَ.

## ﴿التفسير﴾

قَالُوا فِي شَأْنِ نَزُولِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَمَّا حَوَّلَتِ الْقِبْلَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدَسِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَكَثُرَ الْخَوْضُ فِي نَسْخِهَا وَصَارَ كَأَنَّهُ لَا يَرَاعِي بَطَاعَةَ اللَّهِ إِلَّا التَّوَجُّهَ لِلْمَصَلَاةِ وَأَكْثَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ذَكَرَهَا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ نَقْلَهُ الطَّبْرَسِيُّ عَنِ الْبَلْخِيِّ



ونقل عن قتادة أنها نزلت في اليهود وقال القُرطبي الخطاب لليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي فاليهود الى المغرب قيل بيت المقدس والنصارى الى المشرق فطلع الشمس وتكلموا في تحويل القبلة وفصلت كل فرقة توليتها فليلهم ليس البر ما أنتم فيه ولكن البر من آمن بالله الآية وقال الطبري وأولي الأقوال بتأويل الآية القول الذي قاله قتادة والزبيع ابن أنس وهو أن يكون قد عنى بقوله :

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى  
لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولومهم والخبر عنهم وعمّا أعدّ لهم من أليم العذاب وهذا في سياق ما قبلها إذ كان الأمر كذلك ليس البر أيها اليهود والنصارى أن يولي بعضكم وجهه قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب الآية إنتهى.

أقول ما ذكروه في شأن نزول الآية لا بأس به فإن سياق الكلام يدل على أن المخاطب بهذه الآية اليهود والنصارى لأنهم كانوا متوجهين الى المشرق والمغرب في قبلتهم إلا أن الحكم في الآية عام يشمل الجميع والمقصود أن البر الحقيقي هو الإيمان بالله ورسوله وملائكته ألخ وذلك لأن التوجه الى القبلة من أي شخص كان، إذا لم يكن ناشئاً عن الإيمان لا فائدة فيه وهو مما لا كلام فيه إلا أن البحث في أن التولي أي توجه الوجه الى القبلة، ما هو هو، التوجه الى القبلة بما هو، أو الصلاة الى المشرق والمغرب بمعنى أن المراد في الآية الصلاة قبل المشرق والمغرب والذي عليه أكثر المفسرين بل جميعهم فيما نعلم هو المعنى الثاني وأما المعنى الأول فلم يذهب اليه أحد وإذا كان الأمر على هذا المنوال فلنقابل أن يقول أما أولاً لم يذكر في الآية الشريفة لفظ الصلاة وهو واضح ولو كان المراد الصلاة لذكرها وقال ليس البر أن تصلوا بوجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية واذ ليس فليس.

وثانياً، على فرض أن يكون المراد من التولي الصلاة بدلالة الإلتزام أن قلنا بها فالصلاة كاشفة عن الإيمان القلبي بل هي من مصاديقه الأتم الأكمل فكيف يصح أن يقال أن الصلاة ليست من البر وأي بر أحسن وأنفع منها ولا سيما على مذهب الحق من أن الإيمان لا يتحقق إلا بالعمل و مجرد الاعتقاد في القلب لا يكفي في ثبوته فأن كان ما ذكره في تفسير الآية حقاً يلزم القول بأن الإيمان مجرد الاعتقاد والحق خلافه كما ثبت في محله.

والجواب من وجوه.

**أحدها:** أن نأخذ بظاهر الآية ونقول مجرد التوجه الى المشرق والمغرب لا يكفي في تحقق الإيمان الذي هو البر فأن: **الْبِرَّ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ولا يبعد منهم ذلك لظنهم أن تعيين القبلة يكفي في تحقق البر اذ كل فرقة من اليهود والنصارى كانت قد فضلت توليتها فقالت اليهود قبلتنا أفضل من قبلتكم وقالت النصارى بل قبلتنا أفضل من قبلتكم فقال الله تعالى **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** أي ليس البر أن تقولوا هناك قبلة و لكن البر من أمن بالله الآية فالآية نزلت لرفع المشاجرة بين اليهود والنصارى في أفضلية القبلة.

وأما أنهم كانوا يصلون إليها فلا دلالة في الآية لها وهذا الذي ذكرناه هو مقتضى ظاهر الآية.

ثانيها:، على فرض إرادة الصلاة من التوجه بالوجه الى المشرق والمغرب نقول اذا كانت ناشئة عن الإيمان الصحيح تعدّ براً.

وأما صورة الصلاة فلا فلو فرضنا أنهم كان يصلون الى قبلتهم مع أنهم لم يؤمنوا واقعاً بالله و رسوله لعدم إيمانهم برسول الله الذي بشرهم الله في كتبهم فكانت صلاتهم باطلة عاطلة لا تعد من البر فقال الله لهم ما قال ليفهموا هذا المعنى.

ثالثها: أَنَّ الصَّلَاةَ وحدها لا تكفي في تحقق الإيمان والبر بل هي أحد مصاديقه والبر الجامع ما ذكره في الآية واللّه أعلم بحقيقة الحال. ولنرجع الى تفسير الألفاظ فنقول نفى الله تعالى البر عما كانوا فيه وأثبتته في أمور:

**الأول:** الإيمان باللّه والمراد من الإيمان به تعالى الاعتقاد بأنّه تعالى واحد أحد لا شريك له في الملّك جامع لجميع الصفات الكماليّة وبالجملة إثبات ما يليق بجنابه ونفي ما لا يليق به عنه على ما قرّر في موضعه والى هذا المعنى أشار بقوله:

**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ.**

**الثاني:** الاعتقاد باليوم الآخر أعني به القيامة وجميع ما يتعلّق بها من السّؤال والحساب والصّراط والميزان والجنة والنار وبالجملة كلّ ما أخبر به الرّسول والى هذا المعنى أشار بقوله: **وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.**

**الثالث:** الاعتقاد بوجود الملائكة بجميع أصنافها وأقسامها على ما أخبر به الكتاب والسّنة وان لم يعلم حقيقة الملك فأفّ العلم بها خارج عن علم البشّر ومع ذلك لا ربط له بالإيمان اذ الإيمان هو الاعتقاد بوجود الملك فقط واليه أشار بقوله **وَالْمَلَائِكَةِ.**

**الرابع:** الإيمان بالكتاب والمقصود منه الاعتقاد بأنّ القرآن بل جميع الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء في طول الزّمان من عند الله تعالى وأنّ الأنبياء لم يأتوا بشي منها من عند أنفسهم والإنكار لها إنكار لله ورسوله والى هذا المعنى أشار بقوله **وَالْكِتَابِ** فأفّ اللّام فيه للجنس أي جنس الكتاب الشّامل لكلّ.

**الخامس:** الاعتقاد بوجود الأنبياء وأنهم بعثوا الى الخلق من عند الله فيجب إطاعتهم كما تجب إطاعة الله واليه أشار بقوله: **وَالنَّبِيِّينَ** بصيغة

الجميع هذا كله في مرحلة الاعتقاد ثم تصل التوبة الى العمل الذي هو مظهر الإيمان في الخارج ومنه صرف المال على حبه تعالى:

ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ أَيْ عَتَقَ الرِّقَبَةَ عَنْ الرِّقَةِ وَذَكَرَ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ بَابِ أَكْمَلَ الْمَصَادِقِ وَأَفْضَلَ الْخَيْرَاتِ فِي تَحَقُّقِ الْبِرِّ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ ثُمَّ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قِسْمِ الْعِبَادَتِ فَقَالَ:

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ أَيِ إِتْيَانِهَا بِشَرَائِطِهَا، وَآتَى الزَّكَاةَ عَلَى مَا قَرَّرَهُ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ فَأَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ مِنْ شُتُونِ الْإِيمَانِ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمْ الْإِيمَانِ وَالْإِتْيَانِ بِالْبَرِّ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ وَتَفْصِيلُ هَذِهِ الْأُمُورِ سَيَجِيءُ فِي مُحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ  
فِي الْقَتْلِ أَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى  
بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفَى عَنْهُ لَه مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ  
بِالْمَعْرُوفِ وَادَّاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ  
رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي  
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

## ◀ اللغة

كُتِبَ: أي فُرض.

الْقِصَاصُ: بكسر القاف إسمٌ للإستيفاء وأصله إقتفاء الأثر فكأنَّ الْمُقْتَصَّ  
تتبع أثر الجاني فيفعل فعله فيخرج مثل جرحه وتقتل مثل قتله وأخذ  
الْقِصَاصِ: من القصص الذي جاء منه يقال قصَّيه أي إتبعي أثره  
حتَّى تنظري من يأخذه من قصَّ أثره أي تتبعه.

فِي الْقَتْلِ: القتل جمع القتل بمعنى المقتول يستوي فيه المذكور و  
المؤنث.

الْحُرُّ: بضم الحاء خلاف العبد، الكريم من كلَّ شيء خياره وطيبه يقال فرس  
حُرٌّ أي عتيق الأصل وطيبٌ حُرٌّ أي لا رمل فيه حُرَّ الدَّارِ وسطها، حُرَّ الأرض  
أطيبها.

الْعَبْدُ: المملوك يقال عَبَدَهُ أي مَلَكَه، أَعْبَدَ الغلام إِتَّخَذَهُ عبداً.

الْأُنْثَى: خلاف الذَّكَرِ.

عَفَى مَجْهُولٌ عَفَى يُقَالُ عَفَى عَنْهُ أَي صَفَحَ عَنْهُ وَتَرَكَ عَقُوبَتَهُ.

فَاتَّبَعَ: الْإِتِّبَاعُ مُصَدَّرٌ مِنْ إِتَّبَعَ إِتِّبَاعاً وَالْإِتِّبَاعُ الْإِقْتِفَاءُ.

فَمِنْ اعْتَدَى: الإعتداء التّجاوز عن الحدّ.  
الْأَلْبَابِ: جمع اللّب وهو العقل.

### الإعراب

الْحَرْبُ بِالْحَرْ مُبتدأ وخبر والتقدير الحرّ مأخوذ بالحرّ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مَنْ فِي موضع رفع بالإبتداء وقيل شرطية وان تكون بمعنى الذي وخبره فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ والتقدير فعليه إتباع مَنْ أَخِيهِ أَي من دم أخيه ومن كناية عن وَلِي القاتل أَي من جعل له من دم أخيه بدل وهو الْقِصَاصُ أو الدّية شَيْءٌ كِنَايَةً عن المستحقّ وقيل بمعنى المصدر أَدَاءٌ إِلَيْهِ أَي إلى وَلِي المقتول بِإِحْسَانٍ فِي موضع نصب بأداء ويجوز أن يكون صفة المصدر وكذلك بالمعروف ويجوز أن يكون حالاً من الهاء أَي فعليه إتباعه عادلاً أو مُحَسَّناً والعامل في الحال معنى الإستقرار فَمِنْ اعْتَدَى شرطُ فَلَهُ جَوَابُهُ ويجوز أن يكون بمعنى الَّذِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ يقال فِي الرِّفْعِ، أُولُو بِالْوَاوِ وَفِي الْجَزْ أُولِي بِالْيَاءِ وكذلك فِي النَّصْبِ وَأُولُو جَمْعٌ، واحده ذُو، من غير لفظه، وليس له واحد من لفظه.

### التفسير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا. الخطاب للمؤمنين خاصّة وفيه إشارة إلى أَنَّ الحكم خاصّ بهم وأما غيرهم من أهل الدّمة فالآية ساكتة عنه قاله في تفسير الميزان. أقول الخطاب وان كان خاصّاً إلّا أَنَّ المراد والمعنى بها عام لأدلة الإشتراك في التّكليف لأنّ الكفّار مُكَلَّفُونَ بِالْفُرُوعِ كالمسلمين فهي من قبيل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ<sup>(١)</sup> وقد ثبت هذا في موضعه.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ. أَي فَرَضَ وَوُجِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ، أَمَّا سَمِيَ الْقِصَاصُ قِصَاصاً لِمَا فِيهِ مِنْ مَتَابَعَةِ الْجَانِي فِي جَنَايَتِهِ فَوْقَ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا أَوْقَعَهُ عَلَى غَيْرِهِ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْقِصَاصَ مُصَدَّرَ قَاصٍ يَقَاصُ مِنْ قَصَّ أَثَرَهُ إِذَا تَبَعَهُ.

فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ قِيلَ الْمُرَادُ بِالْمَوْصُولِ الْقَاتِلَ وَبِالشَّيْءِ الْحَقَّ أَيِ الْفَاتِلَ إِذَا عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ حَقٌّ، وَتَنْكِيرُ الشَّيْءِ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ وَ الْمَعْنَى أَيِ حَقٌّ كَانَ سِوَاءَ كَانَ تَمَامَ الْحَقِّ أَوْ بَعْضُهُ كَمَا فِي صُورَةِ تَعَدُّدِ أَوْلِيَاءِ الدِّمِّ وَعَفُو بَعْضِهِمْ حَقَّهُ لِلْقَاتِلِ فَلَا قِصَاصَ حِينَئِذٍ بَلْ تَجِبُ الدِّيَّةُ هَكَذَا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ ثُمَّ قَالَ وَ فِي التَّعْبِيرِ بِالْإِخَاءِ إِشَارَةٌ لِحَسَنِ الْمَحَبَّةِ وَ الرَّأْفَةِ وَ تَلْوِيحٌ إِلَى أَنَّ الْعَفْوَ أَحَبُّ انْتَهَى.

وَقَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ وَ الْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: مِنْ أَخِيهِ تَعُودُ إِلَى أَخِي الْمَقْتُولِ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَ قَالَ غَيْرُهُ تَعُودُ إِلَى أَخِي الْقَاتِلِ فَأَنْ قِيلَ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَعُودَ إِلَى أَخِي الْقَاتِلِ وَ هُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ فَاسَقَ قِيلَ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَجُوبَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَرَادَ أَخُوَةَ النَّسَبِ لَا فِي الدِّينِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَ إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا<sup>(١)</sup>.

الثَّانِي: أَنَّ الْقَاتِلَ قَدْ يَتُوبُ فَيَدْخُلُ فِي الْجُمْلَةِ وَ أَمَّا غَيْرُ الثَّائِبِ فَعَلَى وَجْهِ التَّغْلِيْبِ.

الثَّالِثُ: تَعْرِيفُهُ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَخَاهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ<sup>(٢)</sup> يَعْنِي الَّذِينَ كَانُوا أَزْوَاجَهُنَّ انْتَهَى.

فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ. قَالُوا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ أَيِ عَلَى وَلِيِّ الدِّمِّ أَنْ يَتَّبَعَ الْقَاتِلَ فِي مَطَالَبَةِ الدِّيَّةِ بِمَصَاحِبَةِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْإِتِّبَاعِ وَ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤَدِيَ الدِّيَّةَ إِلَى أَخِيهِ وَلِيِّ الدِّمِّ بِالْإِحْسَانِ مِنْ غَيْرِ مِمَّا طَلَبَ فِيهَا إِيْذَاءَهُ انْتَهَى.

أقول، فعليه فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ يعني العافي وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ عَلَى الْمَغْفُورِ عنه وقيل كلاهما عَلَى الْمَغْفُورِ عنه.

ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ أَي أَنَّ الْقِصَاصَ أَو الدِّيَّةَ أَو الْعَفْوَ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ تخفيف لكم وقيل في الحكم بِإِنْتِقَالِ الْقِصَاصِ إِلَى الدِّيَّةِ تخفيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَلَا يَتَغَيَّرُ فَلَيْسَ لَوْلَى الدِّمِّ أَنْ يَقْتَصَّ بَعْدَ الْعَفْوِ كَمَا قَالَ: فَمَنْ اِعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَي من إقْتَصَّ بَعْدَ الْعَفْوِ فَقَدْ اِعْتَدَى وَ تَجَاوَزَ عَنْ حُدِّهِ وَ حَقِّهِ وَبِذَلِكَ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ وَفِي الْآيَةِ مَبَاحِثٌ لَا بِأَسَ بِالإِشَارَةِ إِلَيْهَا إجمالاً.

**الأول:** أَنَّ الْقِصَاصَ وَاجِبٌ ثَابِتٌ فِي الشَّرِيعَةِ الْمَقْدَسَةِ كِتَاباً وَ سُنَّةً وَ إجماعاً وَ عقلاً.

أَمَّا الْكِتَابُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا <sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً <sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ إِلَى قَوْلِهِ الْجُرُوحُ قِصَاصٌ <sup>(٣)</sup>

أَمَّا السُّنَّةُ وَ الْإِجْمَاعُ وَ الْعَقْلُ فَلَا كَلَامَ فِيهَا إِذْ لَمْ يَنْكَرْهُ أَحَدٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَاضِحٌ.

**الثاني:** أَنَّ الْقِصَاصَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي قَتْلِ الْعَمْدِ وَ أَمَّا غَيْرُ الْعَمْدِ فَلَا قِصَاصَ فِيهِ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَ الْإِجْمَاعُ كَذَلِكَ.



**الثالث:** أَنْ فَرَضَ الْقصاص عَلَى الْجاني يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْواجِبُ بِالْإِصالة فلا يخبر وَلِي الدَّم عَلَى أَخْذ الدِّية وَلَا الْجاني عَلَى إعطائها نعم مَعَ تراضيهما فلا بأس به لِأَنَّهُ حَقٌّ لهما فلهما الخيار فيه كما يَدُلُّ عَلَيْهِ قوله تعالى: فَمَنْ عَفَى عَنْهُ وَمَنْ ثَمَّ جاز أَنْ يأخذ أَكْثَر من الدِّية وَانْ يأخذ أَنْقَصَ مِنْها وَالْعَفْو عَنْها رَأْساً وَ عَلَيْهِ دَلَّتِ الرِّوايات وَبه قال أَصحابنا وَهو مذهب أَبِي حنيفة وَقال الشَّافعي لِلوَلِي الخيار بَيْن الدِّية وَالْقصاص وَأَنْ لَمْ يَرْضِ الْجاني وَهو ضَعيفٌ لِمُخالَفَتِهِ لظاهر الآية وَيَجوز لِلوَلِي العفو وَالظَّاهر أَنَّهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى رِضَى الْجاني لِأَنَّهُ إِسقاط وَإِبْرَاءٌ وَفِي الْعياشِي:

بأسناده عن أَبِي عبد الله عليه السلام فِي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ قال عليه السلام: هِيَ لجماعة المسلمين ما هِيَ لِلْمُؤْمِنين خَاصَّةً وَبها عَمِلَ الْأَصحاب فِي عَدَمِ الْفَرْقِ بَيْنِ الْمُؤْمِنِ وَغَيْرِهِ فِي الْجَنائيات كُلِّها.

**الرابع:** أَنَّ الآيةَ الشَّرِيفة دَلَّتْ بِمَنْطوقِها عَلَى قَتْلِ الثَّلَاثةِ بِالْثَّلَاثةِ أعني الْحُرَّ بِالْحُرِّ، وَالْعَبْدَ بِالْعَبْدِ، وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى، إِلَّا أَنَّ الْمَرادَ الْأُنْثَى الْحُرَّةَ بِالْحُرَّةِ وَالْأُمَّةَ بِالْأُمَّةِ لِأَنَّهُ الْمَفْهُومُ مِنْ دَلالةِ السِّياقِ فَلَا تُقْتَلُ الْأُنْثَى الْحُرَّةُ بِالْأُمَّةِ وَالْأُمَّةُ تُقْتَلُ بِها بِطَرِيقِ أَوَّلَى ثَمَّ أَنَّ الْإِطْلاقَ فِي الآيةِ يَشْمَلُ كَامِلَ الْأَطْرافِ وَالْحَواسِ وَ ناقصها كلاً أَوْ بَعْضاً وَالْمساوي فِي مَراتبِ الْكمالِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَرْضِ وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ وَالْكِبَرِ وَالصُّغَرِ وَالْمُخْتَلَفِ فِي ذَلِكَ وَفِي قَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ دَلالةٌ عَلَى قَتْلِ الْحُرَّةِ وَالْعَبْدِ وَالْأُمَّةِ وَالْخُنْثَى بِالْحُرِّ مِنْ دَلالةِ الْأَوَّلِيَّةِ كما يَدُلُّ عَلَيْهِ إِطْلاقُ قولِهِ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَدَّ وَلِي الْمَرْأَةِ وَمَوْلَى الْعَبْدِ عَلَى وَلِي الْحُرِّ شيئاً وَعَلَيْهِ دَلَّتِ النِّصوصُ الْمُسْتَقْبِضَةُ أَنَّهُ الْجاني لِجاني أَكْثَر مِنْ نَفْسِهِ وَكَذا زِداتِ قِيمةِ الْعَبْدِ وَالْأُمَّةِ عَنِ دِيَةِ الْحُرِّ فَلَا يَرَدُّ ما زادَ وَبذلك أَفتى الْأَصحابُ وَ يفهمُ مِنْها أَيْضاً جَوازُ قَتْلِ الْأُمَّةِ بِالْحُرَّةِ وَأَمَّا قَتْلُ الْحُرِّ بِالْحُرَّةِ مَعَ رَدِّ نِصْفِ الدِّيةِ

فيفهم من النصوص وكذا الخُثْثَى مَعَ رَذِّ الرُّبْعِ وهي الدَّالَّة على جواز قتل العَبْد بها وبالْأَمَةِ ويدل عليه أيضاً إطلاق قوله النَّفْس بالنَّفْس ويظهر من إطلاق الآية وأكثر الأخبار أنه لا يُقتل الحُرُّ ولا الحُرَّة بالعَبْد ولا بِالْأَمَةِ وبه قال أصحابنا وأكثر العامة.

**الخامس:** أنَّ الآية مُحْكَمَةٌ وليست منسوخة إلا أنَّ إطلاقها مقيد بما تقدَّم في موضعه من عدم جواز قتل المسلم بالكافر والأب بالولد وكذا المجنون والصَّبي لدلالة الروايات على ذلك فقول بعض المفسرين أنَّ الآية منسوخة لا يعاب به.

**السادس:** يجب في قتل الكافر الذمي الدِّية وهي ثمان مائة درهم على الأظهر وفي قتل المملوك القيمة لمولاه ولا يتجاوز بها دية الحُرِّ للروايات الصحيحة ثمَّ تُؤدَّب بالضَّرْب الشديد حتَّى لا يعود وأن كان القاتل هو المالك أدب وجلس وفي بعض الأخبار يُؤخذ منه القيمة وتوضع في بيت مال المسلمين.

**السابع:** قوله تعالى: **فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**.

روى الشيخ **مَنْ عَفَى** في الموثَّق عن سماعة عن أبي عبد الله في قوله تعالى **فَمَنْ عَفَى** له الآية، وما ذلك الشَّيْ قال **عليه السلام**: هو الرَّجُل يقبل الدِّية فأمر الرَّجُل الَّذِي له الحقُّ أن يتبعه بمعروفٍ ولا يعسره وأمر الَّذِي عليه الحقُّ أن يُؤدِّي إليه بإحسانٍ إذ أبسر قلتُ رأيتُ قوله **فَمَنْ عَفَى** بعد ذلك فلع عذابٌ أليمٌ، قال هو الرَّجُل يقبل الدِّية أو يصالح ثمَّ يجي بعد فيمثل أو يقتل فوعده الله عذاباً أليماً.

وقال سألتُ أبا عبد الله **عليه السلام** عن قول عزَّ وجلَّ **فَمَنْ عَفَى** قال **عليه السلام**: هو الرَّجُل يقبل الدِّية فينبغي للطَّالِب أن يرفق به ولا يعسره وينبغي للمطلوب أن يُؤدِّي إليه بإحسانٍ فلا يطله إذا قدر فعلم من هذه

الروايات أنَّ المعفو له هو الجاني وهو المأمور بالأداء بالإحسان والأخ العافي هو ولي الدَّم وهو المأمور بالإتباع بالمعروف. والشَّيْءُ المعفو عنه هو القصاص إلى قبول الدِّية و تنكير الشَّيْءِ للإشارة إلى أنَّ المراد هذا النوع من العفو لا العفو المطلق الذي هو النوع الآخر.

الثَّامن: قال في مجمع البيان أنَّ قوله تعالى شيء، دليل على أنَّ بعض الأولياء إذا عفا سقط القود لأنَّ شيئاً من الدَّم قد بطل بالعفو والله تعالى قال: فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ، والضَّمير في له، وأخيه، يرجع إلى مَنْ وهو القاتل أي من ترك له القتل ورضى عنه بالدِّية ثم قال هذا قول أكثر المفسرين انتهى.

وتَّبِعهُ عليه صاحب تفسير الميزان حيث قال فالمراد بالشَّيْءِ هو الحقَّ وفي تنكيره للحكم أي أيَّ حقَّ كان سواء كان تمام الحقَّ أو بعضه كما إذا تَعَدَّد أولياء الدَّم فعفى بعضهم حقَّه للقاتل فلا قصاص حينئذٍ بل الدِّية انتهى ما أردنا ذكره.

أقول ما ذكره الطبرسي رحمته الله و تبعه صاحب الميزان ليس بمعمول به بين الأصحاب وأن ورد فيه بعض الأخبار كصحيحة عبد الرَّحْمَنِ عن أبي عبد الله عليه السلام في رجلين قتل رجلًا عمدًا وله وليان فعفا أحد الوليين قال فقال عليه السلام: إذا عَفَى أَحَدُ الْأَوْلِيَاءِ لِبَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ دَرَأَ عَنْهُمَا الْقَتْلَ وَطَرَحَ عَنْهُمَا الدِّيَةَ بِقَدْرِ حِصَّةٍ مِنْ عَفَا وَأَدْيَا الْبَاقِي مِنْ أَمْوَالِهِمَا إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَعْفُوا وَصَحِيحَةٌ أَبِي وَلَادٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ رَجُلٍ قَتَلَ وَلَهُ أَوْلَادٌ صُغَارٌ وَكِبَارٌ أَرَأَيْتَ أَنْ عَفَا أَوْلَادَهُ الْكِبَارَ قَالَ فَقَالَ عليه السلام لَا يَقْتُلُ وَيَجُوزُ عَفْوُ الْكِبَارِ فِي حِصَصِهِمْ فَإِذَا كَبِرَ الصُّغَارُ كَانَ لَهُمْ أَنْ يَطْلُبُوا حِصَصَهُمْ مِنَ الدِّيَةِ.

ونحوها رواية زرارة وغيرها، إلا أن في المقام أخبار أخر دالة على خلاف ذلك كصحيحة أبي ولاد الحنّاط.

قال سألت أبا عبد الله عن رجل قُتل وله أبٌ وأمٌ وابن فقال: الابن أنا أريد أن أقتل قاتل أبي وقال الأب أنا أعفو وقالت الأم أنا أخذ الدية قال عليه السلام: فليعط الابن أم المقتول السدس من الدية ويعطى ورثة القاتل السدس من الدية حقّ الاب الذي عفى عنه وليقتله انتهى.

وصحيحة جميل ابن الدراج قال عليه السلام: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل قُتل وله وليان فعفا أحدهما وأراد الآخر أن يقتل قال عليه السلام: يُقتل ويرد على أولياء المقتول المقاد نصف الدية.

الى غير ذلك من الأخبار وبها عمل أكثر أصحابنا وهو المشهور بينهم بل قال الشهيد رحمه الله في شرح اللمعة لا نعلم فيه خلافاً وكأنه يجعل ما ذكره الطبرسي من باب الإحتمال وبالجمله ما قاله الأصحاب أقوى لأن القود حقّ للجميع فعفو البعض لا يسقطه وإمكان حمل الأخبار الأولى على التقية أو الإستحباب فما ذكره صاحب المجمع في تفسيره وتبعه عليه الفاضل المعاصر رحمه الله في تفسير الميزان في الباب مطرود متروك فقول صاحب الميزان حيث قال وفي تنكيره تعميم للحكم أي أي حقّ كان سواء كان تمام الحقّ أو بعضه كما اذا تعدّد أولياء الدّم فعفى بعضهم حقّه للقاتل فلا قصاص حينئذ بل الدية هو كلامه عارٍ عن التحقيق لا يتحمل عليه.

وأما قوله تعالى: ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ معناه أن الحكم بجواز العفو على النحو المذكور تخفيف من ربكم، لأن حكم التّوراة القصاص لا غير وحكم الإنجيل العفو من غير دية وخير الأمور أوسطها، وفي التعبير بالاخ حيث قال من أخيه، دلالة على عدم كفر القاتل بالقتل ويشعر به أتباعه بالمعروف والتّخفيف.

**التاسع:** أنَّ حكم القصاص ثابت اذا كان القتل عن عمدٍ وأما في غيره فلا و هذا ممَّا لا خلاف فيه والدليل عليه من الكتاب قوله تعالى في سورة النساء:

قال الله تعالى: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ** <sup>(٣)</sup>

وهذا ممَّا لا خلاف فيه ثمَّ أنَّ القتل ينقسم الى عمدٍ، وخطأً محض، وشبه العمد، ولا خلاف في تحقُّق العمد بقصد القتل بما يقتل غالباً وفي معناه الضرب بما يقتل غالباً وأن لم يقصد القتل لأنَّ القصد الى الفعل حينئذٍ كالقصد الى القتل، ولا خلاف أيضاً في أنَّ الخطأ المحض هو ما لم يقصد الفعل ولا القتل كان يقصد ضرب شيء فيقع الضرب على إنسان فيقتله. وأما الخطأ الشبيه بالعمد فهو أن يقصد الفعل دون القتل ولازم الأول أعني به العمد القود، ولازم الثاني أعني به خطأ المحض الدية ولازم الثالث الدية في مال الجاني كما أنَّ في سابقه على العاقلة وأنما الخلاف بين الأصحاب في موضعين:

**أحدهما:** اذا قصد القتل بما يُقتل نادراً بل بما يحتمل الأمرين فيقتل أنَّه عمد وهو الأظهر وقيل أنَّه خطأ فعلى الأول ينبت القصاص وعلى الثاني الدية.

**ثانيهما:** اذا كان الفعل ممَّا لا يحصل به القتل غالباً ولا قصد القتل به ولكن قصد الفعل فإنفق القتل كالضرب بالحصاة والعود الخفيف فقبل أنَّه داخل في

العَمْد وقيل هو خطأ ومنشأ الاختلاف في الموضوعين إختلاف الأخبار على ما هو مذكور في كتب الفقهية وقال جماعة من العامة منهم أبو حنيفة أن قتل العمد ما هو قتل بحدديد لا بغيره وهو كلام لا أساس له لأن تحقق العمد و عدمه لا ربط له بالآلات القتل وأسبابه وأتما هو منوط بالنية وهو ظاهر وأعلم أن القصاص ثابت على المباشر للقتل فلو أمر شخص شخصاً آخر بقتل رجل مسلم فقتله يقتص من القاتل المباشر دون الأمر به وتفصيل الكلام في باب القصاص والدية وأنواع القتل وأسبابه وغير ذلك من الأمور يطلب من كتب الفقهية.

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

فإعلم أن الله تعالى قد جعل لحفظ الدماء وحققها زواجراً أخروية وهي ما ذكر من الوعيد بالنار في الآيات على ما مرّت الإشارة اليه، وزواجراً دنيوية القصاص فأشار اليه بهذه الآية وغيرها أي ولكم في شرع القصاص وإباحته حياة لأنه إذا علم القاتل بأنه يكون مباح الدم امتنع منه فيكون ذلك سبباً للحياة ومن ثم جعل الحكم في الدماء، البيّنة على المنكر واليمين على المدعي عكس الأموال فأف فيها البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر.

روي في الإحتجاج بأسناده عن عليّ ابن الحسين عليه السلام في تفسير الآية ولكم يا أمة محمد في القصاص حياة لأن من هم بالقتل يعرف أن يقتص منه فيكف لذلك عن القتل كان حياة للذي هم بقتله وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجترؤن على القتل مخافة القصاص يا أولي الأبواب أولي العقول لعلكم تتقون، وفي نهج البلاغة فرض القصاص حقناً للدماء.

ثم أنظر إلى وجازة الكلام و فصاحته مع ما فيه من اللطافة والغرابة حيث جعل القصاص ظرفاً للحياة و دلالة التنكير على التعظيم لأن العرب كانوا يقتلون بالواحد جماعة فتثور الفتن ويكثر القتل بينهم و قيل المراد بالحياة الحياة الأخروية و ذلك لأنه إذا أقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة و قوله يا أولي الأبواب ، جمع اللب وهو العقل الخالص عن شوب الوهم والخيال و بذلك يحصل الفرق بين العقل واللب وأنما قال يا أولي الأبواب ولم يقل يا أولي العقول لما ذكرناه وهو أن فائدة القصاص و سرّ تشريعه لا يدركه إلا العقل السليم وقوله: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي لكي تتقون من الجناية والظلم والقتل وأنما قلنا ذلك لأن حقيقة الترجي لا تجي في حق الله تعالى لفعلية الكمالات هناك.

نقل في الإحتجاج عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: عباد الله هذا قصاص قتلکم لمن تقتلونه في الدنيا و تعنون رُوحه أو لا أنبئکم بأعظم من هذا القتل و ما يوجب الله على قاتله ممّا هو أعظم من هذا القتل أن تقتله قتلاً لا ينجبر و لا يحيى بعده أبداً قالوا ما هو قال عليه السلام: أن يضلّه عن نبوة محمد و عن ولاية علي بن أبي طالب صلى الله عليهما و يسلك به عن سبيل الله و يُقرّ به بإتباع طريق أعداء علي و القول بإمامتهم و دفع علي عن حقّه و جحد فضله و أن لا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً أبداً فجزاء هذا القتل مثل ذلك الخلود فيها.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ  
خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ  
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)

### ◀ اللّغة

الْوَصِيَّةُ: الوَصِيَّةُ التقدّم الى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظه من قولهم أرض  
واصية متصلة النَّبَات قاله الرَّاعِب في المفردات.

### ◀ الأعراب

كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ الْعَامِلُ فِي، إِذَا، كَتَبَ والمراد بحضور الموت  
حضور أسبابه إِنْ تَرَكَ خَيْرًا فجوابه عند الْأَخْفَشِ الْوَصِيَّةُ وتحذف الفاء أي  
فَالْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ فَالْوَصِيَّةُ عَلَى هَذَا مَبْتَدَأٌ وَلِلْوَٰلِدَيْنِ خبره وَالْأَقْرَبِينَ  
معطوف عليه بِالْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ حَقًّا مَنصُوبٌ عَلَى  
الْمَصْدَرِ عَلَى الْمُتَّقِينَ صِفَةٌ لِحَقٍّ وَقِيلَ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنَفْسِ الْمَصْدَرِ وَهُوَ  
ضَعِيفٌ.

### ◀ التفسير

كُتِبَ عَلَيْكُمُ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ أَيْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أَيْ  
أَسْبَابَ الْمَوْتِ مِنْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِ مِنَ الْهَرَمِ وَقَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ مَعْنَاهُ الْحَثُّ  
والتَّوْعِيدُ دُونَ الْفَرْضِ وَالْإِجَابِ وَهُوَ الْحَقُّ الْمَعْمُولُ بِهِ بَيْنَ الْأَصْحَابِ إِذْ لَا  
قَائِلَ بِالْوُجُوبِ فِيمَا نَعْلَمُ مِنَ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَبِهِ قَالَ أَهْلُ السَّنَةِ أَيْضاً  
وَسَيَأْتِي الْبَحْثُ فِيهِ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا قَالَ الطَّبْرَسِيُّ أَيْ مَالاً وَاخْتَلَفُوا فِي مَقْدَارِهِ  
الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ أَيْ الْوَصِيَّةُ لَوَالِدَيْهِ وَقَرَابَتِهِ بِالْمَعْرُوفِ أَيْ



بالشيء الذي يعرف أهل التمييز أنه لا جور فيه ولا حيف حقاً على الْمُتَّقِينَ  
أي حقاً واجباً على من أثار التقوى قال وهذا تأكيد في الوجوب انتهى ما ذكره  
الطبرسي رحمته الله.

### أقول في الآية مسائل.

**المسألة الأولى:** في معنى الوصية وحكمها من الوجوب والنّدب أمّا معناها  
فهي تملك عين أو منفعة أو تسليط على تصرف أو بفك ملك بعد الوفاة وقد  
تطلق على ما يشمل الإقرار والإعتراف بما هو عليه من الدين القويم و  
بالحقوق اللازمة عليه كالدين والزكاة والحجّ ونحو ذلك، وأمّا حكمها  
فالمشهور بين الأصحاب الإستحباب مؤكداً نعم قد تكون واجبة كما إذا كان  
عليه دين أو حق من غيره إلا أنّ وجوبها في أمثال ذلك تتبّع لا ذاتي بمعنى  
أن أداء الدين مثلاً واجب ولا سبيل إليه على الفرض إلا بالوصية وليس البحث  
فيه وأنما هو في أصل الوصية مع قطع النظر عن متعلّقها وبعبارة أخرى الوصية  
من حيث هي هي لا دليل على وجوبها إلا قوله تعالى في الآية كُتِبَ عَلَيْكُمْ و  
قد قلنا أنّه بمعنى الحثّ والترغيب دون الوجوب وهو المشهور والحق أن  
يقال أنّ الوصية من حيث الحكم الشرعي تتبع متعلّقها فإن كان واجباً كإداء  
دين أو إحقاق حق فهي واجبة وأن كان مستحباً فهي مستحبة وأن كان مكروهاً  
فهي مكروهة وهكذا في الأحكام الخمسة.

**المسألة الثانية:** أنّ الخطاب في الآية للمؤمنين كالأية السابعة وهي قوله  
تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ <sup>(١)</sup> وأنما قلنا ذلك لأنها معطوفة  
عليها فكأنّه قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ وَكُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ  
الْمَوْتُ الوصية ففي الكلام تقدير واو العطف أي وكتب عليكم فلمّا طال  
الكلام أسقطت الواو ومثله في بعض الأقوال، قوله تعالى: لَا يَضْلِيهِ أِلَّا

بِقَوْلِهِ  
الْقَوْلُ  
الْقَوْلُ  
الْقَوْلُ

جزء ٢

بِقَوْلِهِ  
الْقَوْلُ  
الْقَوْلُ  
الْقَوْلُ

الْأَنفُسِ، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى، وَقِيلَ لِمَا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ  
السَّابِقَةِ أَنَّ لَوْلِي الدِّمِ أَنْ يَقْتَصَّ فَهَذَا الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى أَنْ يَقْتَصَّ مِنْهُ وَهُوَ  
سَبَبُ الْمَوْتِ فَكَأَنَّمَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَهَذَا أَوَانُ الْوَصِيَّةِ فَالْآيَةُ مَرْتَبُطَةٌ بِمَا قَبْلُهَا وَ  
مُتَّصِلَةٌ بِهَا فَلِذَلِكَ سَقَطَتْ وَאו الْعَظْفُ وَالْمَرَادُ بِحُضُورِ الْمَوْتِ حُضُورُ أَسْبَابِهِ وَ  
مَتَى حَضَرَ السَّبَبُ كَفَّتْ بِهِ الْعَرَبُ عَنِ الْمُسَبَّبِ.

قال شاعرهم:

يَا أَيُّهَا الزَّائِبُ الْمَزْجِيُّ مَطِّيتُهُ      سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ  
وَقُلْ لَهُمْ بَادِرُوا بِالْعُذْرِ وَاتَّمَسُوا      قَوْلًا يَتَرَوُكُمُ أَنِّي أَنَا الْمَوْتُ  
وَقَالَ الْآخَرُ

وَأَنَّ الْمَوْتَ طَوَّعَ يَدِي إِذَا مَا      وَصَلْتُ بِنَانِهَا بِالْهِنْدَوَانِ  
وَقَالَ جَرِيرٌ

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي حَدَّثْتُ عَنْهُ      فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ  
وَإِنَّمَا قَالَ، كَتَبَ وَلَمْ يَقُلْ كَتَبْتُ مَعَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْوَصِيَّةِ  
الْأَيُّسَاءُ وَقِيلَ لِأَنَّهُ تَخَلَّلَ فَاصِلٌ، فَكَانَ الْفَاصِلُ كَالْعَوَاضِ مِنْ تَاءِ التَّأْنِيثِ تَقُولُ  
الْعَرَبُ حَضَرَ الْقَاضِي الْيَوْمَ إِمْرَأَةً، وَيَدْخُلُ فِي الْمُؤْمِنِينَ كُلِّ مَنْ يَصْلَحُ لَهُ  
الْخُطَابُ كَانَ مَكْلَفٌ فَيَدْخُلُ فِيهِ مِنْ بَلَّغَ عَشْرًا مِنَ الصَّبِيَّانِ وَكَانَ مُمَيَّزًا وَكَانَتْ  
وَصِيَّتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ جَوَازُ وَصِيَّتِهِ وَيَشْتَرِطُ فِي  
الْمَوْصِيِّ الْعَقْلَ وَالرُّشْدَ فَلَا تَصِحُّ الْوَصِيَّةُ مِنَ الْمَجْنُونِ وَالْمَحْجُورِ عَلَيْهِ وَلَا  
مَنْعٌ مِنْ إِعْتِقَالِ لِسَانِهِ لِإِمْكَانِ الْإِشَارَةِ وَالْكِتَابَةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ بَعْدَ أَنْ يُعْلَمَ مِنْهُ  
إِرَادَةُ ذَلِكَ كَمَا أَفْتَى بِهِ الْأَصْحَابُ، وَالْمَرَادُ بِالْخَيْرِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا  
الْمَالِ كَمَا فِي قَوْلِهِ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ وَيَدْخُلُ فِيهِ الدِّيَّةُ فَتَنْفَذُ فِيهَا  
الْوَصَايَا وَتَقْضَى الدِّيُونُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ وَظَاهَرُهَا عَدَمُ الْفَرْقِ بَيْنَ كَوْنِ

المال قليلاً أو كثيراً قال الشيخ في التبيان إن ترك خيراً يعني مالاً وأختلفوا في مقداره الذي تجب الوصية عنده فقال الزهري كلما وقع عليه إسم مالٍ من قليل أو كثير، وقال إبراهيم النخعي ألف درهم إلى خمسة مائة، وروي عن علي أنه دخل على مولى لهم في مرضه وله سبع مائة درهم أو ست مائة فقال ألا أوصي فقال <sup>عليه السلام</sup> لا، إنما قال الله تعالى، إن ترك خيراً وليس لك كبير مال، وبهذا فأخذ لأن قول حجة عندنا إنتهى كلامه وبه قال الطبرسي، قال بعض المحققين بعد نقله ما نقلناه عنه، ويؤيده الروايات الواردة بالبحث على الوصية بما دون الثلث فأنها تشعر بأن الترك للورثة أفضل في هذه الحال سيما إذا كانوا صغاراً ولأن هذا الحكم بالنظر إلى الوارث والغالب فيه كونه من ذوي الأرحام والصدقة عليه أفضل من الصدقة على الأجنبي وترك الصية لغير الوارث بمنزلة الصدقة بالتركة عليه.

**المسئلة الثالثة:** إختلفوا في تنزيل الآية فمنهم من جعلها منسوخة بأية الميراث ومنهم من حمل الوالدين على الكافرين وباقي الأقارب على غير الوارث، ومنهم من جعلها منسوخة بما يتعلق بالوالدين خاصة وكل ذلك ضعيف. **أما أولاً:** فلمخالفته لإجماع الفرقة المحقة والروايات الواردة من طريق أهل العصمة <sup>عليهم السلام</sup>.

**ثانياً:** فلأنما يمنع صحة الخبر ولو صح فهو خبر واحد فلا يجوز أن ينسخ القرآن به والخبر الذي نسحوها به الآية هو ما رواه عن النبي أنه قال أن الله أعطى كل ذي حق حقه إلا وصية لوارث إنتهى.

ولذلك ذهب أكثر العامة إلى عدم جواز الوصية للوارث قلنا أما أولاً فيمنع صحة الخبر وعلى فرض الصحة هو خبر واحد لا يجوز نسخ الكتاب به وثالثاً نحمله على المختص للآية وعليه فالآية مخصصة بما زاد على الثلث أو مع وجودين مستغرق أو على الإضمار أي لا وصية واجبة وهما خبر من النسخ

كما ورد في الأصول، و أما أية الميراث فليست ناسخة لها إذ شرطه حصول المنافاة وهى مفقودة هنا لجواز كون الوصية بما زاد عما يستحقه من الميراث مع أن من الأقارب من لا يكون وارثاً فلا يتم الحكم بكونها ناسخة على الإطلاق هذا كله مضافاً الى أن الأصل يقتضي عدمه.

فما رواه الغياشي في تفسيره عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام في قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ قَالَ: هي منسوخة نسخها آية الفرائض التي هي المواريث.

وبذلك قال علي بن إبراهيم في تفسيره، فالوجه فيها الحمل على التقية لأن القول بالنسخ كان شائعاً بين العامة، أو يقال أن الوصية كانت كذلك في صدر الإسلام على سبيل الفرض وال لزوم ثم نسخ الوجوب وبقي الجواز وتحقيق ذلك في الأصول، نعم ذكر الصدوق رحمته الله في من لا يحضره الفقيه.

بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل الوصية الى قوله: حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ أَنَّهُ قَالَ هو شيء جعله الله لصاحب هذا الأمر قال قلت له فهل لذلك حدٌ قال عليه السلام نعم قلت وما هو قال عليه السلام و ادني ما يكون ثلث الثلث.

فقد أُجيب عنه بوجهين.

أحدهما: أن إرادة البطون من الآيات لا تُنافي إرادة الظواهر بل يكون الكل مراداً. ثانيهما: أن يقال أن الحكم على سبيل الوجوب والفرض في زمن القائم و ظهور الحق كما في كثير من الأحكام التي سيتغير الحكم فيها في زمانه و يُفتي فيها بمر الحق و هو لا ينافي جوازه قبل ظهوره بل إستحبابه.

المسئلة الرابعة: المراد بالأمر بين المعروفين بنسبه جزماً وعادة سواء كانوا ورثة أم لا ذكوراً وإناثاً وذلك لأنه لم يرد من الشارع تنصيب وتعيين للأقربين

فيحال في معرفتهم الى العرف لأثنه المُحكّم في مثل ذلك فلو أوصى لقراة و أطلق إنصرف الى ذلك ثم أنّ إطلاق الآية يدّل على جواز الوصية للذمي من الأقارب بل وللحربي ويشهد للأول عموم قوله تعالى: لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ<sup>(١)</sup> والوصية برّ، وأيضاً عموم ما دلّ على الحثّ على صلّة الرّحم من الآيات والروايات.

فقد روي الشيخ بأسناده عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام في رجل أوصى بـماله في سبيل الله قال عليه السلام إعط من أوصى له وإن كان يهودياً أو نصرانياً.

و ظاهر الخبر يتناول جواز الوصية لهم وأن كانوا أجنب وبه قال كثير من الأصحاب وخصّهم البعض بذوي الأرحام ومنع البعض من الوصية لهم مطلقاً لأنها تستلزم المودة وهي محرمة، بالنسبة الى الكافر مطلقاً لقوله تعالى: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ<sup>(٢)</sup> وفي هذا الدليل نظر لأنّ الوصية لهم قد يكون لتأليف قلوبهم الى الإسلام لا لاجل المودة وهو ظاهر، هذا في الكافر الذمي.

وأما الكافر الحربي فالأظهر عدم جوازها لهذه الآية ولقوله: لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ<sup>(٣)</sup>.

والحربي ناصب نفسه لذلك نعم إطلاقها يتناول القريب الفاسق بدليل قوله صل من قطعك وقوله خير الصدقة على ذي رحم كاشح.

وما رواه الشيخ عن سلمى مولاة ولد أبي عبد الله قال: كُنت عند أبي عبد الله حين حضرته الوفاة فأغمي عليه فلمّا أفاق قال إعطوا الحسن بن عليّ بن الحسين وهو الأفطر سبعين ديناراً قلت له

أُتْعِي رَجُلًا حَمَلَ عَلَيْكَ بِالسَّفَرَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ يَحْكُ مَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ  
قُلْتُ بَلَى قَالَ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ  
بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ، إِلَى قَوْلِهِ أُولَئِكَ  
لَهُمْ عُقُوبَى الدَّارِ <sup>(١)</sup>.

ثُمَّ أَنَّ إِطْلَاقَ الْوَصِيَّةِ لِلْأَقْرَبِينَ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَفْضِيلٍ وَآلِيهِ  
ذَهَبَ الْأَكْثَرُ وَذَهَبَ جَمَاهَةٌ مِنْهُمْ الشَّيْخُ فِي النِّهَايَةِ إِلَى أَنَّهُ يَقْسِمُ بَيْنَهُمْ عَلَى  
كِتَابِ اللَّهِ فَلَوْ أَوْصَى لِأَعْمَامِهِ وَأَخْوَالِهِ كَانَ لِلْأَعْمَامِ الثَّلَاثَانِ وَلِلْأَخْوَالِ الثَّلَاثُ.  
الْمَسْئَلَةُ الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى بِالْمَعْرُوفِ الظَّرْفِ مُتَعَلِّقٌ بِالْوَصِيَّةِ أَوْ بِمَقْدَرِ  
حَالِ عَنْهَا وَقَوْلُهُ حَقًّا مُصَدِّرٌ مُؤَكَّدٌ لِلْمُضْمُونِ الْمَذْكُورِ وَخَصَّهُمْ بِالذِّكْرِ بَعْدَ  
دَلَالَةِ أَوَّلِ الْكَلَامِ عَلَى التَّعَمُّيمِ تَشْرِيفًا لَهُمْ وَلِأَنَّهُمُ الْمُرَاعُونَ لِإِمْتِثَالِ الْأَوَامِرِ  
وَالْمُرَادُ بِالْمَعْرُوفِ هُنَا مَا كَانَ عَلَى النَّهْجِ الشَّرْعِيِّ وَالطَّرِيقِ الْعَدْلِ، فَلَوْ أَوْصَى  
بِإِخْرَاجِ بَعْضِ الْوَرِثَةِ أَوْ بِأَزِيدٍ مِنَ الثَّلَاثِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ أَوْ كُلِّهِ وَ عَلَيْهِ دَيْنٌ  
مُسْتَعْرَقٌ أَوْ أَوْصَى بِشَيْءٍ لِمَعُونَةِ الظَّالِمِينَ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ مَعْصِيَةٌ لَمْ يَكُنْ  
ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَتَقَعَّ الْوَصِيَّةُ بَاطِلَةً.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: قَضَى أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَجُلٍ تَوَفَّى وَ أَوْصَى بِمَالِهِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَهُ  
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْوَصِيَّةُ تَرُدُّ إِلَى الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ فَمَنْ طَلَمَ نَفْسَهُ  
وَأَتَى فِي وَصِيَّةِ الْمُنْكَرِ وَالْحَيْفِ فَأَنَّهَا تَرُدُّ إِلَى الْمَعْرُوفِ وَيَتْرَكَ  
لِأَهْلِ الْمِيرَاثِ مِيرَاثَهُمْ.

وَ فِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَوْصَى الرَّجُلُ  
بِوَصِيَّةٍ فَلَا يَحِلُّ لِلْوَصِيِّ أَنْ يَغَيِّرَ وَصِيَّتَهُ بَلْ يُمَضِّيْهَا عَلَى مَا  
أَوْصَى إِلَّا أَنْ يُوصِيَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ فَيُعْصِي فِي الْوَصِيَّةِ وَيُظْلَمُ

فالمُوصي إليه جاز له أن يردها إلى الحقّ مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّهُ لبعض ورثته و يُحرم بعضاً فالمُوصي إليه جائز له أن يردها إلى الحقّ وهو قوله جَنْفًا أو إِثْمًا فالجَنْف الميل إلى بعض ورثتك دون بعض والإِثم أن تأمر بعمارة بيوت النيران واتخاذ المسكر فيحلّ لِلوَصِيِّ أن لا يعمل بشيء من ذلك ونحو ذلك من الأخبار والآثار.

**المسئلة السادسة:** ظاهر الآية يدلّ بإطلاقه على جواز الوصية بأيّ قدر شاء من المال ولكن الحديث المذكور وغيره من الأخبار المستفيضة والإجماع من الأصحاب منع من جوازها بما زاد عن الثلث و ذلك الأخبار أيضاً على رجحان نقصها عن الثلث كالخمس من المال والربع منه و ظاهر حديث من لا يحضره الفقيه المذكور عن سماعة تحديد الأقل بثلاث الثلث أي تسع المال وعليه فلو أوصى المُوصي بما زاد عن ثلث ماله بطلت الوصية في ما زاد عنه و بقيت في الثلث نعم لو أجاز الوارث ما زاد عن الثلث صحّت الوصية في الكلّ، وأيضاً إطلاق الآية يدلّ على عدم الفرق في رجحان الوصية بذلك بين فقر الورثة و غناهم ولا بين كون الوالدين والأقربين فقراء أو أغنياء ولا يبعد تقييد الرجحان بملاحظة المصلحة و الحاجة و الفضيلة و الصّلاح ونحو ذلك قال العلامة في التذكرة لا يبعد عندي التقدير بأنّه متى كان المتروك لا يفضل عن غنى الورثة لا تستحب الوصية لأنّ النّبي ﷺ علّل المنع من الوصية بقوله أن ترك خيراً لأنّ ترك ذريّتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة ولأنّ إعطاء القريب المحتاج خير من إعطاء الأجنبي فمتى لم يبلغ الميراث غناهم كان كعطيّتهم فيكون ذلك أفضل من الوصية لغيرهم أقول و هذا التفضّل حسن ولعلّ مستنده عموماً الأخبار.

**المسألة السابعة:** في نقل بعض الأخبار الواردة في الوصية تيمناً و تبرّكاً ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

## ضياء الفرقان في تفسير القرآن

## جزء ۲



فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ  
يُبدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ  
مِنْ مُوَصٍّ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ  
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

### ◀ اللغة

بَدَّلَهُ: بَدَّلَ فعل ماضٍ مصدره التَّبدِيل وهو جَعَلَ شَيْءٍ مَكَانَ آخَرَ وقد يُقال  
لِلتَّغْيِيرِ مطلقاً وأنْ لم يَأْتْ بِبَدَّلِهِ.  
إِثْمُهُ: الإِثْمُ إسمٌ للأفعالِ المبطئة عن الثَّوَابِ وجمعه آثَامٌ.  
جَنَفًا: أصلُ الجَنَفِ ميلٌ في الحُكْمِ.

### ◀ الإعراب

فَمَنْ بَدَّلَهُ: مَنْ شَرْطِيَّةٌ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْهَاءُ ضَمِيرُ الْإِيصَاءِ  
لأنَّهُ بِمَعْنَى الْوَصِيَّةِ وَقِيلَ هُوَ ضَمِيرُ الْكُتُبِ وَقِيلَ هُوَ ضَمِيرُ الْأَمْرِ بِالْوَصِيَّةِ أَوْ  
الْحُكْمِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَقِيلَ هُوَ ضَمِيرُ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ مَا، مُصَدَّرِيَّةٌ وَقِيلَ  
بِمَعْنَى الَّذِي، أَيْ بَعْدَ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ التَّبدِيلِ وَالْهَاءُ فِي إِثْمُهُ ضَمِيرُ  
التَّبدِيلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ بَدَّلَ مِنْ مُوَصٍّ يُقْرَأُ بِسُكُونِ الْوَاوِ وَتَخْفِيفِ الصَّادِ مِنْ  
أَوْصَى يُوَصَّى وَبَفَتْحِ الْوَاوِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ مِنْ وَصَّى يُوَصَّى فَعَلَى الْأَوَّلِ  
مُصَدَّرُهُ الْإِيصَاءُ وَعَلَى الثَّانِي مُصَدَّرُهُ التَّوَصُّيَّةُ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ مِنْ مُتَعَلِّقَةٍ  
بِخَافٍ وَيَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَحذُوفٍ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ صِفَةً لَجَنَفٍ فِي الْأَصْلِ وَ  
يَكُونُ التَّقْدِيرُ فَمَنْ خَافَ جَنَفًا كَانَتْ مِنْ مُوَصٍّ، فَإِذَا قَدَّمَ إِنْتَسَبَ عَلَى الْحَالِ.

## ﴿التفسير﴾

لَمَّا أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِلَى الْوَصِيَّةِ عَلَى مَا مَرَّ أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى مَا يَبْقِيهَا.

فَقَالَ فَمَنْ بَدَّلَهُ أَيُّ فَمَنْ جَعَلَ شَيْئاً آخَرَ مَكَانَ الْوَصِيَّةِ أَوْ غَيْرَهَا عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ أَيُّ بَعْدَ مَا سَمِعَ الْإِبْصَاءَ مِنَ الْمُوصِي فَإِنَّمَا إِثْمُهُ أَيُّ أَمَّا ذَنْبُ التَّبْدِيلِ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ أَيُّ يَبْدُلُونَ الْإِبْصَاءَ أَوِ الْمَعْرُوفَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَيُّ يَسْمَعُ وَيَعْلَمُ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِالْمَسْمُوعَاتِ وَالْمُدْرَكَاتِ وَمُلَخَّصِ الْكَلَامِ فِي الْآيَةِ عَدَمُ جَوَازِ تَغْيِيرِ الْوَصِيَّةِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ نَصِّ الْكِتَابِ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَفِيضَةِ وَالْمَرَادُ بِسَمَاعِهِ وَصُولُ الْعِلْمِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ وَتَحَقُّقُهُ عِنْدَهُ وَعَلَيْهِ إِثْمٌ ذَلِكَ إِذَا غَيَّرَ وَبَدَّلَ وَيَكُونُ ضَامِناً لِمَا غَيَّرَهُ.

رَوَى فِي الْكَافِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ أَوْصَى بِحُجَّةٍ فَجَعَلَهَا وَصِيَّةً فِي نَفْسِهِ فَقَالَ يَغْرِمُهَا وَيَجْعَلُهَا فِي حُجَّةٍ كَمَا أَوْصَى بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ انْتَهَى.

قَالُوا فِي هَذَا الْخَبَرِ وَصَحِيحَةُ مُحَمَّدٍ مُسْلِمٌ وَنَحْوُهُمَا دَلَالَةٌ عَلَى عَمُومِ الْحُكْمِ بِتَحْرِيمِ التَّبْدِيلِ مِنَ الْآيَةِ فِي جَمِيعِ الْوَصَايَا كَمَا ذَكَرَهُ الْأَصْحَابُ بَلْ اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى تَحْرِيمِ التَّبْدِيلِ فِي الْوَقْفِ وَغَيْرِهِ إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَنَقُولُ نَقْتَضِي إِتْحَارَ الْإِثْمِ فِي الْمَبْدَلِ لِلْوَصِيَّةِ وَيَقْتَضِي خُرُوجَ الْمُوصِي عَنْ عَهْدَةِ التَّكْلِيفِ بِالْوَاجِبَاتِ الَّتِي تَرَكَهَا بِمَوْتِهِ بَعْدَ وَصِيَّتِهِ بِهَا كَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَالَّذِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَأَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ وَهَذَا يَتِمُّ فِيمَنْ عَزَمَ عَلَى آدَاءِهِ وَالْإِيتْيَانِ بِهِ وَلَمْ يَتِمَّكَّنْ مِنْهُ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ أَوْ وَصَّى بِهِ فَيَكُونُ إِثْمُهُ حَاصِلًا عَلَى الْمَبْدَلِ لِلْوَصِيَّةِ وَأَمَّا مَنْ تَمَكَّنَ مِنَ الْإِيتْيَانِ بِهِ وَأَهْمَلَ مَقْصَرًا بِذَلِكَ فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْإِثْمَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ تَقْصِيرِهِ وَأَنَّ إِثْمَ الْمَبْدَلِ أَيْضاً وَكَذَا فِيمَنْ لَمْ يُوصِ

أو أوصى الى فاسقٍ نعم لو ضَمَنه الوَلِيّ أو متَّبِعٌ آخر فإنّ ذمّة الميت تبرأ بذلك.

فقد روي الشيخ بأسناده عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام:  
في الرّجل يموت و عليه دين فيضمّنه ضامن فقال عليه السلام: اذا رضى  
به فقد بُرأت ذمّة الميت ونحوها هذا تمام الكلام في هذه الآية و أمّا  
الآية الثّانية وهي قوله فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا فإِعلم أنّ الجنف  
ميل في الحكم على ما مرّ الجنف حرمان بعض الورثة و الإثم  
الوصية لبيوت النّيران على ما قيل و قيل الجنف فعل ذلك خطأ  
والإثم فعله عمداً و من كناية عن الوصي أو هو والحاكم و ضمير  
يَبْتَهِمُهُم يرجع الى الورثة و أموالهم، والإصلاح رَدّها الى المعروف و  
قد مرّ بيان ذلك في تفسير الآية الأولى.

روى في العلل عن يونس بن عبد الرّحمن رفعه الى أبي عبد الله في  
قوله: فَمَنْ خَافَ الى قوله فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ قال يعني اذا اعتدى في  
الوصية.

و في الكافي عن عليّ ابن إبراهيم عن رجاله قال: قال عليه السلام: أنّ الله  
عزّ و جلّ أطلق للوصي أن يغيّر الوصية اذا لم يكن بالمعروف وكان  
فيها حيف و يردّ الى المعروف لقوله فَمَنْ خَافَ.

و في الصحيح قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالى  
فمن بدّله بعد ما سَمِعَهُ الآية قال عليه السلام: نسختها التّي بعدها فمن  
خاف من موصٍ الخ.

يعني أن خاف جنفاً فيما أوصى به اليه فيما لا يرضى به الله عزّ و جلّ من  
خلاف الحقّ فلا إثم على الموصي اليه أن يُبدّله الى الحقّ و الى ما يرضى الله  
به من سبيل الخير فَمَنْ هذه الأخبار يُستفاد أنّ الخوف هنا بمعنى العلم بقوله

تعالى: **فَمَنْ خَافَ أَي فَمَنْ عَلِمَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا** واستعمال الخوف بمعنى العلم وارد في كلام الله تعالى:

قال الله تعالى: **إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا** <sup>(٢)</sup>.

ويؤيد ما ذكرناه من أنَّ الخوف في الآية بمعنى العلم أنَّ الخوف بعد موت الموصي لا معنى له ظاهر.

وقال القرطبي من العامة الخطاب بقوله: **فَمَنْ خَافَ** لجميع المسلمين قيل لهم إن خفتهم من موصٍ مِلاً في الوصية وعدولاً عن الحق وقوعاً في إثمٍ ولم يُخرجها بالمعروف وذلك بأن يُوصي بالمال إلى زوج ابنته أو لولد ابنته لينصرف المال إلى ابنته أو إلى ابن ابنته والغرض أن ينصرف المال إلى ابنه أو أوصى لبعيد وترك القريب، فبادروا إلى السعي في الإصلاح بينهم فإذا وقع الصلح سقط الإثم عن المصلح والإصلاح فرض على الكفاية فإذا قام أحدهم به سقط عن الباقيين وأن لم يفعلوا إثم الكل انتهى ما ذكره.

**أقول** انظروا إلى ما تفقه هذا الرجل ثم أضحك أو أبك وذلك لأنَّ قوله تعالى: **فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ** دليل على أنَّ الخطاب ليس لكل المسلمين وجميعهم وأما الخطاب للموصي إليه أي إذا خاف الموصي إليه من موصٍ جَنَفًا أو إثمًا **فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ** أي بين الموصي لهم فلا إثم عليه أي لا إثم على الموصي إليه في ذلك التبديل والتغيير وإرجاعه الوصية إلى الحق المعروف، وأما سائر المسلمين فإنهم لمعزولون عن البحث وأي واجب كفائي في المقام حتى إذا قام به سقط عن الباقيين وأن لم يفعلوا إثم الكل والحق ما ذهبنا إليه.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا  
 كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)  
 أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى  
 سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ  
 فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ  
 لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

### ◀ اللغة

الصِّيَامُ: يقال صام يصوم صوماً، فالصيام بكسر الصاد مصدر وهو في  
 الأصل الإمساك عن الفعل مطلقاً، طعاماً كان أو كلاماً أو مشياً ولذلك قيل  
 للفرس المُمسك عن السير أو العلف صائم، قال الشاعر:

خيلُ صيامٍ وخيلُ غير صائمة    تحت العجاج وخيلُ تعلق اللحما  
 وفي الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص مِمَّنْ  
 هو على صفات مخصوصة في زمانٍ مخصوص ومن شرط العبادة النية وكُتِبَ  
 أي فُرِضَ.

يُطِيقُونَهُ: أي يقدرون عليه.  
 تَطَوَّعَ: التطوع في الأصل تكلف الطاعة وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم  
 كالنقل.

### ◀ الإعراب

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ المفعول القائم مقام الفاعل وفي موضع الكاف أربعة أوجه.  
 أحدها: هي في موضع نصب صفةٍ للكتب أي كُتِبَ كما كُتِبَ، فما على هذا  
 الوجه مصدرية.

ثانيها: أنه صفة الصّوم أي صوماً مثل ما كُتِبَ فما، على هذا بمعنى الذي أي صوماً مماثلاً للصّوم المكتوب على قبلكم وصوم هنا مصدر مؤكد في المعنى لأنّ الصّيام بمعنى أن تصوّموا صوماً.

ثالثها: أن تكون الكاف في موضع حال من الصّيام أي مشبهاً للذي كُتِبَ على من قبلكم.

رابعها: أن يكون في موضع رفع صفة للصّيام.

فإن قيل الجار والمجرور نكرة والصّيام معرفة والنكرة لا تكون صفة لمعرفة، قيل لمّا لم يرد بالصّيام صيماً معيّناً كان كالمُنْكَرِ ويقوّي ذلك أنّ الصّيام مصدر والمصدر جنس وتعريف الجنس قريب من تنكيره أيّاماً مَعْدُودَاتٍ العامل فيه محذوف وتقديره صُومُوا أيّاماً معدودات فعلى هذا يكون أيّاماً، ظرف أو على سَفَرٍ في موضع نصب معطوفاً على خبر كان تقديره أو كان مسافراً فَعِدَّةٌ مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه، عِدَّةٌ وفيه حذف مضاف أي صوم عِدَّةٍ مِنْ أَيّامٍ نعت لعِدَّةٍ ولا أُخَرَّ ينصرف للوصف والعَدَلُ عن الألف واللام فذِيَّةٌ بالتَّنوين طَعَامٌ بالرفع بدلاً منها أو على إضمار مبتدأ أي هي طعام وأنّ تصوّمُوا في موضع رفع مبتدأ خَيْرٌ خبره لكم نَعَتْ لخبر إن كُنْتُمْ شرط محذوف والدّال على المحذوف أن تصوّموا

### التفسير

إعلم أنّ الصّوم من الواجبات الشرعية الثابتة وقد ثبت وجوبه كتاباً وسنةً و إجماعاً وعقلاً وهو من ضروريات الدين التي يُعَدُّ منكرها كافراً مُرْتَدّاً وجب قتله وهو في أصل اللغة بمعنى الإمساك عن الفعل مَطْعِماً أو مَشْرَباً أو مشياً كما مرّ في شرح اللغات وفي اصطلاح المشرّعة هو الإمساك المخصوص عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممّن هو على صفات مخصوصة بقصد

العبادة وهو لا يتمشى إلا مِمَّن آمن بالله ورسوله وأما الكافر فلا يعدم إمكان قصد القربة فيه ما دام كافراً وأن كان مخاطباً بالفروع واقعاً أي مُكَلَّفاً بها لأدلة اشتراك الكل في أصل التكليف كما بُت في موضعه ولأجل هذه الدققة ترى الخطاب في الآيات مُتَوَجِّهاً إلى المؤمنين ظاهراً وما نحن فيه أيضاً كذلك وقد بُت في محله أن إثبات شيءٍ لشيءٍ في عالم الخارج لا ينبغي ما عداه عنه في الواقع ولذلك خاطب الله تعالى المؤمنين فقال :

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ الْخ.**

وفي الآية مسائل.

**الأولى:** في أصل التشبيه هل هو في أصل الصوم أو في العدد والوقت، فمن قال بالأول يكون معنى الكلام فرض عليكم الصوم كفرضه على من قبلكم من الأمم، ومن قال بالثاني معناه فرض عليكم الصوم من حيث العدد وهو ثلاثون يومٍ مثلاً كما فرض كذلك على من قبلكم أو فرض عليكم في شهر رمضان كما فرض على من قبلكم كذلك، والقول الأول أقوى إذ لا دليل على الإحتمالين الأخيرين وذلك لأن أصل وجود الصوم قبل الإسلام ممّا لا كلام فيه بدليل الآية وأما تعيين العدد والوقت فيه يحتاج إلى دليل وأنت ترى أن الآية ساكتة عنه.

**الثانية:** يستفاد من الآية أن الصوم كان واجباً على من كان قبلنا بدليل قوله: **كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ** وهذا القدر ممّا لا كلام فيه وأما أن الصوم كان واجباً على الأمم الماضية أو على الأنبياء والأوصياء فقط فلا دلالة عليه وبعبارة أخرى لم يُبين المراد بقوله تعالى: **عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مَنْ هُمْ** فإن قوله، الذين، يصدق على جميع الأنبياء والأمم كما يُصدق على الأنبياء فقط ظاهر الآية يدل على الأول والذي يظهر من بعض الأخبار هو القول الثاني أن المراد بمن قبلنا الأنبياء والأوصياء.

كما روى الصدوق في الفقيه بأسناده عن حفص بن غياث قال: سمعتُ أبا عبد الله يقول أنَّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحدٍ من الأمم قبلنا قال فقلت له فقول الله عزَّ وجلَّ: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم ففَضَّلَ الله به هذه الآية وجعل صيامه فرضاً على رسوله وعلى أُمَّته انتهى.

وفي الصحيفة السَّجادية، ثم أثرتنا به على سائر الأمم وإصطفانا بفضلته دون أهل الملل وكيف كان فالأمر سهل وأما قوله: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أي لكي تتقون وفيه إشارة إلى أنَّ الصوم الحقيقي يُقَرِّب العبد إلى التقوى التي هي خير الزاد في الدارين ولذلك قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي على ما رواه الفريقان، الصوم لي وأنا أجزي به، وعلى نقل بعض مفسري العامة قال الله تعالى كلَّ عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ثم قال وأنما خصَّ الصوم بأنَّه له وأن كانت العبادات كلها له لأمرين بآيَنَ فرق الصوم بهما سائر العبادات. أحدهما: أنَّ الصوم يمنع من ملاذِّ النَّفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.

الثاني: أنَّ الصوم سِرٌّ بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له فلذلك صار مُخْتَصِصاً به وما سواه من العبادات ظاهرٌ ربَّما فعَلَهُ تَصْنَعاً ورياءً فلهذا صار أَحْصَى بالصوم من غيره انتهى.

وقال صاحب تفسير الميزان بعد نقله الحديث على ما نقلناه أولاً ما لفظه: والوجه في كون الصوم لله سبحانه أنه هو العبادة الوحيدة التي تألَّفت من النَّفْيِ وأما غيره كالصلاة والحجَّ وغيرهما متألَّفت من الإثبات أو لا يخلو من الإثبات والفعل الوجودي لا يَتِمَّحُض في إظهار عبودية العبد ولا ربوبية الرَّب سبحانه لأنَّه لا يخلو عن شوب النَّقص المادي وآفة المحدودية وإثبات الأنية



ويمكن أن يجعل لغيره تعالى نصيب فيه كما في موارد الرِّياء والسَّمعة والسَّجدة لغيره بخلاف النفي الذي يشتمل عليه الصَّوم بالتَّعالي عن الإخلاد إلى الأرض والتَّنزه بالكف عن شهوات النَّفس فأَنَّ النَّفي لا نصيب لغيره تعالى فيه لكونه بين العبد والرَّب لا يطلع عليه بحسب الطَّبع غيره تعالى و قوله أنا أَجزي به، أن كان بصيغة المعلوم كان دالاً على أنَّه لا يوسط في إعطاء الأجر بينه وبين الصَّائم أحد إلى أن قال، وأن كان بصيغة المجهول كان كناية عن أنَّ أجر الصَّائم القُرب منه تعالى انتهى.

**اقول** ما ذكره من أنَّ الصَّوم هو العبادة الوحيدة التي تألَّف من النَّفي كالصَّلاة والحجِّ وغيرهما متألف من الإثبات أو لا يخلو من الإثبات لا تفهم معناه فأنَّ قصد بذلك أنَّ الصَّوم هو الكف ومعناه المنع وهو أمر عَدَمِي فالصَّوم تألَّف من النَّفي أعني الكف والإمساك، فيقال له إنَّ الصَّوم بهذا المعنى هو الصَّوم اللَّغوي ولا بحث لنا فيه فأَنَّ البَحْث في الصَّوم الشرعي وهو الَّذي قال الصَّوم لي، أي الصَّوم المَعهود شرعاً وأنَّ قصد الصَّوم الشرعي المَشروط بالنِّية فهو لم يتألَّف من النَّفي بل متألَّف من الإثبات وهو النِّية فأنَّها أمرٌ ثَبُوتِيٌّ، وأمَّا التَّروك كترك الجماع والإحتقان والأكل والشَّرب وأمثالها فهي ليست من الصَّوم حتَّى يقال أنَّه تألَّف من النَّفي وبعبارةٍ أُخرى التَّروك ليست من عِلَل القوام له بل هي من عِلَل الوجود فكيف يكون الصَّوم مؤلَّف من النَّفي والَّذي من عِلَل قوامه. بمعنى أنَّ الصَّوم لا يتحقَّق إلَّا به هو النِّية أي قصد الفعل بداعي التَّقرب أو الأمر وهو ثَبُوتِيٌّ قطعاً وأهْوَن منه قوله والفعل الوجودي لا يَتِمُّحْض في إظهار عبودية العبد إلى آخر كلامه بخلاف النَّفي الَّذي يشتمل عليه الصَّوم بالتَّعالي عن الإخلاد إلى الأرض الخ وجه الفساد أنَّ الفعل إذا لم يكن وجودياً فهو عَدَمِي لا محالة لعدم الواسطة بين النَّفي والإثبات على التَّحقيق وما كان عَدَمِيّاً لا أثر له لأنَّ الآثار مُترتبة على الوجود والنَّفي المساوق للعدم فاقدٌ للأثر

فَالصَّوْمُ أَنْ كَانَ فِعْلاً مَتَّعِيًّا لَا وَجُودَ لَهُ فَهُوَ مُصَدِّقٌ لِقَوْلِ الْحَكِيمِ السَّبْزَوَارِيِّ رَضِيَ  
حَيْثُ قَالَ فِي مَنْظُومَتِهِ فِي الْحِكْمَةِ:

مَالِيسُ مَوْجُوداً يَكُونُ لَيْساً      قَدْ سَاوَقَ الشَّيْءُ لَدَيْنَا آيَساً  
وَمَا لَا وَجُودَ لَهُ لَا أَثَرَ لَهُ وَمَا لَا أَثَرَ لَهُ لَا يَكُونُ جُنَّةً مِنَ النَّارِ، وَلَا يُقَالُ لَهُ  
الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، اذْ لَيْسَ شَيْءٌ مَوْجُودٌ حَتَّى يُقَالَ فِيهِ كَذَا وَكَذَا فَالْحَقُّ  
فِي الْمَقَامِ هُوَ أَنَّ يُقَالُ أَنَّ الصَّوْمَ كَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ مِنْ  
حَيْثُ أَنَّهَا أُمُورٌ ثُبُوتِيَّةٌ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْأَثَارُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَمَّا  
الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُوجَدُ إِلَّا فِي ضَمَنِ الْأَفْعَالِ وَالْإِذْكَارِ مِنَ الْقِيَامِ وَالْقِرَاءَةِ  
وَالزَّكَاةِ وَالسَّجُودِ وَأَمْثَالِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ الْوُجُودِيَةِ فِي الْخَارِجِ وَأَمَّا الصَّوْمُ فَهُوَ  
يَتَحَقَّقُ بِإِدَامَةِ نِيَّةِ الْإِمْسَاكِ الَّتِي لَازِمُهَا تَرْكُ الْمُفْطَرَاتِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَ  
غَيْرِهِمَا لَا أَنَّ نَفْسَ هَذِهِ التَّرْوِكِ هُوَ الصَّوْمُ حَتَّى كَانَ مُتَأَلِّفاً مِنَ النَّفْيِ فَتَأَمَّلْ فِي  
الْمَقَامِ فَإِنَّهُ دَقِيقٌ وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ أَعْنِي بِهِ قَوْلُهُ الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ  
فَإِضَافَةُ الصَّوْمِ إِلَيْهِ تَعَالَى لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ كَمَا نَسَبَ الْبَيْتَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ  
وَطَهَّرًا بَيْتِي الْآيَةَ وَهَكَذَا فِي الْعَبْدِ قَالَ عَبْدِي أَطْعَنِي وَأَمْثَالَ ذَلِكَ وَقَوْلُهُ أَنَا  
أُجْزِي بِهِ، تَارَةً يُقْرَأُ الْفِعْلُ بِصُورَةِ الْمَعْلُومِ وَأُخْرَى بِصُورَةِ الْمَجْهُولِ فَعَلَى  
الْأَوَّلِ يَكُونُ الْأَلْفُ مَفْتُوحاً وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ مَذْمُوماً وَالْمَعْنَى عَلَى الْأَوَّلِ  
جِزَاءُ الصَّوْمِ بِيَدِي مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ وَعَلَى الثَّانِي أَنِّي جِزَاءُ الصَّوْمِ أَيِ جِزَاءِهِ  
التَّقَرُّبُ بِي كَمَا قَالَ مَنْ قَتَلْتَهُ فَعَلَيْ دِيْنَتِهِ وَمَنْ عَلَي دِيْنَتُهُ فَأَنَا دِيْنُهُ وَلَعَلَّ السَّرْفِي  
إِضَافَتُهُ إِلَى نَفْسِهِ هُوَ أَنَّ الصَّوْمَ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَارَةٌ عَنِ النِّيَّةِ الْمَقَارَنَةِ لِلتَّرْوِكِ  
الْمُنَافِيَةِ لَهَا وَهُوَ مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَمَعْبُودِهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.  
قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ.

أَيُّ مِنَ النَّارِ الصُّورِي فِي الْآخِرَةِ وَالنَّارِ الْمَعْنَوِي أَعْنِي بِهَا الشَّهَوَاتُ فِي  
الدُّنْيَا قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ الصَّوْمَ إِذَا تَحَقَّقَ مَعَ شَرَائِطِهِ الْمَعْتَبَرَةِ فِيهِ فَهُوَ مِنْ

أَقْوَى الْمُكَمَّلَاتِ لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ الْقُدْسِيَّةِ وَلَوْجُوبِ إِرْتِقَائِهَا مِنْ حَضِيضِ النَّاسُوتِ إِلَى أَعْلَى مَدَارِجِ الْمَلَكُوتِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّائِمَ يَصِيرُ بِسَبَبِ صَوْمِهِ مُتَشَبِّهًا بِالرُّوحَانِيِّينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَصِيرُ بِذَلِكَ مُمْتَثِلًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ الرُّوحَانِيِّينَ، وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ.**

لِذَلِكَ وَرَدَ أَنَّ الْجُوعَ سَحَابٌ يُمْطَرُ الْحِكْمَةَ وَأَيْضًا الْبُطْنَةُ تُمِيتُ الْفِطْنَةَ وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ بِصَوْمِهِ صَارَ مَظْهَرًا لِصِمَاتِهِ تَعَالَى لَا أَقُولُ كُلَّ صَائِمٍ يَكُونُ كَذَلِكَ فَأَنَّ الصَّوْمَ عَلَى أَقْسَامٍ، صَوْمُ الْعُمُومِ، وَصَوْمُ الْخُصُوصِ، وَصَوْمُ خَاصِّ الْخَاصِّ أَوْ أَخَصِّ الْخُصُوصِ.

**الأول:** يَتَحَقَّقُ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الْمُفْطَرَاتِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْإِرْتِمَاسِ وَغَيْرِهَا وَأَمَّا عَبَّرُوا عَنْهُ بِصَوْمِ الْعُمُومِ لِأَنَّ صَوْمَ الْعَوَامِ يَكُونُ كَذَلِكَ.

**الثاني:** أَعْنِي بِهِ صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ يَتَحَقَّقُ مِضَافًا إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ بِإِمْسَاكِ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ أَيْضًا عَنِ الْمَعَاصِي فَالصَّائِمُ كَذَلِكَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَمِعُ إِلَى الْغِيْبَةِ وَلَا يَكْذِبُ وَلَا يَظْلِمُ وَهَكَذَا وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ أَمْسَكَ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ كَمَا أَمْسَكَ عَنِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ.

**الثالث:** وَهُوَ صَوْمُ أَخَصِّ الْخُصُوصِ مِرَاعَاتِهِ لِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِضَافًا إِلَى صَوْمِ قَلْبِهِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَكُونُ قَلْبُهُ صَائِمًا كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ فَهُوَ لَا يَتَخَيَّلُ الْمَعْصِيَةَ فَضْلًا عَنِ الْإِتْيَانِ بِهَا لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا صَارَ خَالِيًا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ كَانَتْ أَمَّا كَانَ وَكَانَتْ أَمَّا كَانَ لَا يَكُونُ مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَهُوَ لَا يَحِبُّ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَى غَيْرِهِ وَهَذَا الْقَلْبُ هُوَ الَّذِي قَدْ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ فِي لِسَانِ الْأَخْبَارِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ: لَا تَسْغِنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَلَكِنْ يَسْغِنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ.

فاذا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ لَا يَرَى غَيْرَهُ تَعَالَى مِمَّا سِوَاهُ بَلْ وَلَا يَرَى  
نَفْسَهُ أَيْضاً لِكَوْنِهِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ ذَاتاً وَصِفَةً وَبِهِ يَصِيرُ مُصَدِّقاً لِقَوْلِهِ عَبْدِي  
أَطِيعْنِي حَتَّى أَجْعَلَكَ مِثْلِي أَوْ مِثْلِي هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الصَّائِمِينَ الْوَالِهِينَ إِلَى مَقَامِ قُرْبِكَ بِحَقِّ  
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ إِنْتِصَابٌ أَيَّاماً، عَلَى الظَّرْفِيَّةِ وَالْعَامِلُ فِيهِ الصَّيَامُ وَعَمَلُ  
الْمَصْدَرِ الْمَعْرُوفِ جَائِزٌ وَلَا يَضُرُّ الْفَصْلُ بِالْأَجْنَبِيِّ لِأَنَّ الْمَعْمُولَ ظَرْفَ تَكْفِيهِ  
رَائِحَةِ الْفِعْلِ وَمَعْنَى، مَعْدُودَاتٍ، مَوَاقِتَاتٍ بَعْدُ مَعْلُومٌ وَاخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِي  
الْمُرَادِ بِهَا وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا شَهْرُ رَمَضَانَ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ لِأَنَّهُ أَوْقَعَ  
فِي النَّفْسِ وَلِأَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ أَوَّلَ الصَّوْمِ ثُمَّ كَوْنَهُ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ثُمَّ كَوْنَهُ  
شَهْرَ رَمَضَانَ وَبِهَذَا قَالَ الْأَكْثَرُ وَقِيلَ أَنَّهَا كَانَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوْ هِيَ  
وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ ثُمَّ نَسَخَ بِشَهْرِ رَمَضَانَ وَالصَّوَابُ مَا ذَكَرْنَاهُ ثُمَّ أَنَّ مَقْتَضَى الْآيَةِ  
عُمُومُ الْحُكْمِ لِجَمِيعِ الْمَكْلُفِينَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَلَكِنْ قَدْ اسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ  
جَمَاعَةٌ بَنَصَ الْقُرْآنِ أَوْ بِالْأَخْبَارِ وَالْإِجْمَاعِ.

أَمَّا لِأَنَّ فِيهِ حَرَجاً وَأَمَّا لِفَقْدِ بَعْضِ الشَّرَاطِطِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي الصَّحَّةِ شَرْعاً فَمِنْ  
الْمُسْتَشْنِيَّاتِ الْمَرِيضِ وَالِيهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً وَاطْلَاقُ الْآيَةِ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَرِيضٍ وَبِهِ أَخَذَ بَعْضُ  
الْعَامَّةِ فَأَبَاحَ الْإِفْطَارَ بِمُطْلَقِهِ وَاعْتَبَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ يَجْهَدُ الصَّوْمَ جَهْداً لَا يَقْدِرُ  
عَلَى تَحْمَلِهِ وَتَوَسَّطَ أَصْحَابُنَا فِي ذَلِكَ وَخَصَّوهُ بِمَرِيضٍ يَضُرُّهُ الصَّوْمُ بِزِيَادَةٍ أَوْ  
بُخْسٍ وَيُطَوِّهُ أَوْ بِحَدُوثِ مَرِيضٍ آخَرَ فَأَنْ خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا، وَالْمَرْجِعُ فِي  
ذَلِكَ هُوَ الْمَكْلَفُ نَفْسَهُ فَمَتَى غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ حَصُولُ ذَلِكَ بِإِمَارَةٍ أَوْ تَجَرِبَةٍ أَوْ  
قَوْلِ عَارِفٍ مِنَ الْأَطْبَاءِ وَجَبَ عَلَيْهِ الْإِفْطَارُ وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ مَعَ الْإِجْمَاعِ.

مارواه الشيخ رحمته الله بأسناده عن ابن أذنية قال: كتبتُ إلى أبي عبد الله أسأله ما حدَّ المَرَضُ الَّذِي يَفْطِرُ صاحبه والمَرَضُ الَّذِي يَدَعُ صاحبه الصَّلَاةَ فقال عليه السلام: بل الإنسان على نفسه بصيرة وقال ذلك اليه وهو أعلم بنفسه انتهى.

و مارواه ابن بابويه بأسناده عن زرارة قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام: ما حدَّ المَرَضُ الَّذِي يُفْطِرُ به الرَّجُلُ ويدع الصَّلَاةَ من قيام قال عليه السلام: بل الإنسان على نفسه بصيرة هو أعلم بما يُطِيقه انتهى.

و ما رواه بأسناده عنه عليه السلام قال: الصَّائِمُ إذا خاف على عينه من الرَّمَدِ إِضْطَرَّ وقال عليه السلام كُلَّمَا أَضْرَرَ به الصَّوْمُ فالإفطار له واجب.

و مارواه العياشي في تفسيره عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن حدِّ المَرَضِ الَّذِي يَجِبُ على صاحبه فيه الإفطار كما يجب عليه في السَّفَرِ في قوله: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أو على سَفَرٍ قال عليه السلام: هو مؤتمن عليه ففَوِّضْ عليه (اليه) فَأَنْ وَجَدَ ضَعْفًا فليفطر وإن وَجَدَ قُوَّةً فَلْيُصُمْ كان المريض على ما كان المريض.

ونحو ذلك من الأخبار ومن المُسْتَنْثَنَاتِ بِنَصِّ الكتاب لا سَفَرٌ كما قال تعالى أو على حالٍ يصدق عليكم فيها كونكم مسافرين فإطلاقها يدلُّ على أنَّه متى تَحَقَّقَ ذلك ولو في آخر النَّهار وأن لم يُبَيَّنِ النِّيةُ لِلسَّفَرِ أَطْفَرَ وإلى ذلك ذهب المرتضى وعليَّ ابن بابويه وابن أبي عقيل وابن إدريس، وذهب جماعة منهم المفيد وابن الجنيّد من القدماء وجمهور المتأخّرين إلى أنَّه أن حَصَلَ الخروج قبل الزَّوال وجب القصر في الصَّلَاة والصَّوْمُ وأن كان بعد الزَّوال وجب التَّمام في الصَّوْم والقصر في الصَّلَاة وقال أبو الصَّلاح وإن خَرَجَ بعد الزَّوال يجب تمام الصَّوْم والقضاء والمشهور هو قول المفيد وابن الجنيّد.

لما رواه الشيخ عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه سأل عن الرَّجُل يخرج من

بيته يريد السفر وهو صائم قال **عَلَيْهِ**: أَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهَارَ فَلْيَفْطِرْ وَلْيَقْضِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَنْ خَرَجَ بَعْدَ الزَّوَالِ فَلْيَتِمَّ يَوْمَهُ أَنْتَهَى.

و عنه **عَلَيْهِ** قال: إذا سافر الرجل فخرج بعد نصف النهار فعليه صيام ذلك اليوم ويعتد به من شهر رمضان.

و مارواه في الكافي عنه **عَلَيْهِ** في الرجل يسافر في شهر رمضان يصوم أو يفطر فقال: أَنْ خَرَجَ قَبْلَ الزَّوَالِ فَلْيَفْطِرْ وَأَنْ خَرَجَ بَعْدَ الزَّوَالِ فَلْيَصُمْ.

و غيرها من الأخبار وهذا القول هو المعمول به في زماننا هذا ولم نعلم مخالفاً فيه و تفصيل احكام الصوم مسطور في كتب الفقهاء و أما قوله: **فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** هنا سؤالان:

**أَحَدُهُمَا**: أَنْ قَوْلُهُ: **فَعِدَّةٌ** أَي فَعِدَّةُ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ فَحَقَّ الْكَلَامُ أَنَّ يُقَالُ فَعِدَّتُهَا أَي عِدَّةُ الْأَيَّامِ وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ.

والجواب أَنَّ الْعِدَّةَ بِمَعْنَى الْمَعْدُودَةِ فَلَمَّا قِيلَ فَعِدَّةٌ فَأُمِرَ بِأَنْ يَصُومَ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً مَكَانَهَا عِلْمٌ أَنَّهُ لَا يُؤَثَّرُ عَدَدٌ عَلَى عِدَّتِهَا فَأُغْنِيَ ذَلِكَ عَنِ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْكَشَافِ.

**ثَانِيهِمَا**: قَوْلُهُ: **مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أُخَرَ، جَمْعُ أُخْرَى، وَ هِيَ مُؤَنَّثَةٌ، وَالْأَيَّامُ جَمْعُ الْيَوْمِ وَ هُوَ مَذَكَّرٌ وَلَا يُوصَفُ الْمَذَكَّرُ بِالْمُؤَنَّثِ وَ بِالْعَكْسِ فَكَيْفَ قَالَ أُخَرَ، وَ الْجَوَابُ أَنَّ الْجَمْعَ قَدْ يُؤَنَّثُ كَمَا يُقَالُ جَاءَتْ الْأَيَّامُ وَ مَضَتْ الْأَيَّامُ وَ قَدْ يَذَكَّرُ فَيُقَالُ جَاءَ الْأَيَّامُ وَ مَضَى الْأَيَّامُ، وَأُخَرَ، لَا يَصْرَفُ لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَقِيلَ أَنَّ كَانَ الْمَوْصُوفَ مَذَكَّراً وَ هُوَ مِنْ غَيْرِ ذَوِي الْعُقُولِ جَازٍ فِي صِفَتِهِ أَنْ تَجْرِيَ مَجْرَى صِفَةِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ وَ إِلَّا فَلَا وَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، ثُمَّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى (فَعِدَّةٌ) بِالزَّعْفِ أَي فَعْلِيهِ، عِدَّةٌ، أَوْ فَاَلْوَاجِبِ أَوْ فَرَضِهِ،

عِدَّةً، ويجوز فيها النَّصْب أيضاً أي فليَصُمْ عِدَّةً ومقتضى ذلك أنَّهما أي  
المسافر والمريض، لا يَتَرَخَّصان في الصَّوم في تلك الحال وأن الإفطار عزيمة  
وقد تظافرت به الأخبار.

ففي حَسَنَةِ زَرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
قَوْماً صَامُوا حِينَ أَفْطَرُوا وَقَصَّرُوا، عُصَاةٌ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمُ الْعُصَاةُ إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنَا لَنَعْرِفَ أَبْنَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

و في صحيحة صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ  
الرَّجُلِ يَسَافِرُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَيَصُومُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَيْسَ مِنَ الْبَرِّ  
الصَّيَامُ فِي السَّفَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَهُوَ مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ  
أَصْحَابُنَا وَقَالَ أَكْثَرُ الْعَامَّةِ أَنَّ الْإِفْطَارَ عَلَى الرُّخْصَةِ.

قال القُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي  
الْأَفْضَلِ مِنَ الْفِطْرِ أَوِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ فِي  
بَعْضِ مَارُوي عَنْهُمَا الصَّوْمُ أَفْضَلُ لِمَنْ قَوِيَ عَلَيْهِ وَجُلَّ مَذْهَبُ  
مَالِكٍ التَّخْيِيرُ وَكَذَلِكَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ هُوَ  
مُخَيَّرٌ وَلَمْ يَفْضَلْ وَكَذَلِكَ ابْنُ عُلْيَةَ لِحَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ سَافَرْنَا مَعَ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ فَلَمْ يَعْصِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطَرِ وَلَا الْمُفْطَرُ  
عَلَى الصَّائِمِ، خَرَّجَهُ مَالِكٌ وَابْنُ خَرَّازٍ وَمُسْلِمٌ.

و رُوي عَنْ عِثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ وَأَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ صَاحِبِي  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا قَالَا الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ أَفْضَلُ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ  
هُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ انْتَهَى.

أقول أهل البيت أدري بما في البيت من أنس خادم رسول الله الذي عُدَّ من  
الكذابين الوضاعين.

وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ يُطِيقُونَهُ عِنْدَ

أكثر أهل العلم عائدة على الصَّوم أي يُطِيقُونَ الصَّوم وهو الأقوى وقال قوم عائدة على الفداء لأنه معلوم وأن لم يذكر في اللَّفْظ نقل الشَّيْخ في التَّبَيَان عن الحَسَن وأكثر أهل التَّأْوِيل أَنَّ هذا الحكم كان في المراضع والحوامل والشَّيْخ الكبير فنُسَخ من الآية المراضع والحوامل وبقي الشَّيْخ الكبير

وقال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في الشَّيْخ الكبير يطعم لكلِّ يوم مسكيناً، وقال السَّدي لم يُنسخ وأنما المعنى وعلى الَّذِينَ كانوا يُطِيقونه انتهى.

أقول روي في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ وعلى الَّذِينَ يُطِيقونه فِدْيَةٌ طعام مسكين فقال عليه السلام: الَّذِينَ كانوا يُطِيقُونَ الصَّوم فأصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك فعَلِيتهم لكلِّ يوم قَدْ.

وأما المعنى بقوله: الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ففيه أقوال:

أحدها: أَنَّهُ سائر النَّاس كما قَدَّمنا ذكره من التَّخْيِير والنَّسخ بعده وهو قول ابن عَبَّاس والشَّعْبِي.

ثانيها: أَنَّ هذه الرِّخْصَة كانت للحوامل والمراضع والشَّيْخ الفاني ثمَّ نُسَخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشَّيْخ الكبير عن الحَسَن وعطا.

ثالثها: أَنَّ المعنى وعلى الَّذِينَ كانوا يُطِيقونه ثمَّ صاروا بحيث لا يُطِيقونه و لا نسخ فيه عن السَّدي.

قال الطَّبْرسي بعد نقله ما نقلناه وقد رواه (أي قول السَّدي) بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام: وذكر ما نقلناه عن الكافي عنه عليه السلام ثمَّ قال وروي عليّ ابن إبراهيم بأسناده عن الصَّادق عليه السلام أَنَّهُ قال: وعلى الَّذِينَ يُطِيقونه فِدْيَةٌ مَنْ مَرَضَ في شهر رمضان فأفطر ثمَّ صَحَّ فلم يقضي ما فاتهُ حتَّى جاءه شهر رمضان آخر فعَلِيتهُ أن يقضي ويتَّصَدَّق لكلِّ يومٍ مُدًّا من طعام انتهى.



و أما قوله: **فِدْيَةُ طَعَامٍ مِسْكِينٍ** اختلفوا في مقدار الفدية فقال بعضهم نصف صاع من كل يوم وهو قول أهل العراق وقال الشافعي، مُدٌّ عن كل يوم الشيخ في التبيان بعد نقل القولين وعندنا أن كان قادراً فمُدَّان وأن لم يقدر أجزاءهُ مُدٌّ واحد قال بعض المحققين ولا أعرف هذا القول إلا للشيخ في النهاية والتهذيب ولم نقف على ما يدل على هذا التفصيل.

أقول ما ذكره حق نعم روى الشيخ بأسناده عن أبي عبد الله **عليه السلام** إلا ذكر الصدقة بمدين.

و أما التفصيل فلا يوجد في الأخبار فيما نعلم ولعل الشيخ وقف على ما لم نقف عليه وكيف كان ذكر الطبرسي هذا القول عنه وتبعه وحمله بعض الأصحاب على الاستحباب ولا بُد فيه فأَنَّ المشهور أَنَّ الفدية بمُدٍّ ثُمَّ أَنَّ ظاهر الآية يدل على وجوب الفدية لمن أفطر في شهر رمضان لمرض أو سفر أو غيرهما من الأعذار ثُمَّ رَفَعَ العذر وَلَمْ يَقْضَ ما فات منه حتَّى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقضي ويتصدق عن كل يوم مُدًّا من الطعام كما هو صريح الخبر المروي عن الصادق في تفسير علي ابن إبراهيم ولم يقيدوا الحكم بوجوب الفدية على من يطيق الصوم بعد رفع العذر عنه وذلك لأنَّ الفدية كفارة التأخير سواء قدر على الصوم أم لم يقدر فلو فرَّضنا طول عُذْرِهِ إلى شهر رمضان آخر تجب الفدية عليه كما اذا زال العذر ولم يقض ما فات منه تجب الفدية أيضاً هذا هو المشهور بين المفسرين والفُقهاء و ظاهر الآية يدل عليه لأنهم حملوا قوله تعالى: **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** على من كان يطيق الصوم في شهر رمضان مثلاً ثُمَّ صار معذوراً عنه بمرض أو سفر أو هرم أو غير ذلك ثُمَّ زال العذر ولم يقض ما فات بأي وجه كان فتجب عليه الفدية لأنَّه كان ممن يطيق أولاً ولأجل ذلك لا يقولون بوجوب الفدية على المجنون والذي كان مريضاً من أول التكليف والحاصل أنهم حملوا الطَّاقَةَ في الآية على الطَّاقَةِ حين التكليف لا على الطَّاقَةِ حال القضاء.

ولقائل أن يقول بعموم الطّاقة فتجب الفدية على من أطاق الصّوم قبل العُذر ومن يُطيقه حال القضاء فَمَنْ لا يُطيقه حال القضاء لا تجب عليه الفدية أطاق أولاً و بعبارة أُخرى وجوب الفدية مشروطاً بالقُدرة على الصّوم فعلاً ولو بمشقة فَمَنْ لا يُطيقه تسقط عنه كما إذا امتد مرضه حتّى جاء شهر رمضان آخر فعلى هذا القول ل اتجب الفدية عليه وبه قال المفيد والمرتضى و سائر و ابن إدريس والعلامة في المختلف ونقله عن أكثر علمائنا فقالوا أنما تجب الفدية على من أطاق الصّوم بمشقة وأما من لا يُطيقه فتسقط عنه و إستدل العلامة بمفهوم الآية والأصل أما مفهوم الآية فلاّ الضمير في قوله: يُطِيقُونَهُ يرجع الى الصّوم على المشهور وأما احتمال عوده الى الفدية أو الفداء، كما قيل فيدفعه أن عود الضمير على المتأخر لفظاً ومعنى وحكماً، لايجوز وعليه إتفاق النحويين والفداء مؤخر عنه لفظاً وهو معلوم ومعنى و حكماً لأنّ الفداء مترتب على عدم الصّوم وهو واضح فحكمه مؤخر عن حكمه فاذا إستحال عود الضمير اليه لابدّ من رجوعه الى الصّوم وعليه جمهور المفسرين فيصير المعنى و على الَّذِينَ يُطِيقُونَ الصّوم تجب الفدية ومفهوم الآية أنّ الَّذِينَ لا يُطِيقُونَ الصّوم لا تجب الفدية عليهم وهو المطلوب.

و أما إستدلاله بالأصل، فلو جود الشك في وجوب الفدية على من لا يطيق قضاء الصّوم والأصل عدم الوجوب وهو واضح فهذا القول قَوِيّ مَتِينٌ جداً و عليه قُتِبَت الفدية مقيّد عندنا بالطّاقة على الصّوم حين القضاء فمن لا طاقة له عليه لا شيء عليه و أما الصّوم فهو مطلق سواء كان قادراً عليه أم لا الأشهر بين المتأخرين و أوفق بقواعد الإحتياط قال عليه السلام أخوك دينك فاحتط لدينك واللّه أعلم بحقائق الأمور:

فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا. بَأَن يُطْعَمَ أَكْثَرَ مِنْ مُسْكِينٍ وَاحِدٍ وَقِيلَ أَطْعَمَ الْمُسْكِينَ الْوَاحِدَ أَكْثَرَ مِنْ قَدَرِ الْكِفَايَةِ بَأَن يَزِيدَهُ عَلَى نِصْفِ صَاعٍ وَقِيلَ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ أَيْ أَنَّ التَّطَوُّعَ خَيْرٌ لَهُ عَدَمُهُ.

وَأَنَّ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ. أَنَّ مَصْدَرِيَّةَ أَي صَوْمَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ قَالَ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ كَانَ هَذَا مَعَ جَوَازِ الْفِدْيَةِ فَأَمَّا بَعْدَ النَّسْخِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ الصَّوْمُ خَيْرٌ مِنَ الْفِدْيَةِ مَعَ أَنَّ الْإِفْطَارَ لَا يَجُوزُ أَصْلًا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ الصَّيَامِ لِلصَّحِيحِ الْقَادِرِ أَكْثَرَ مِنْ ثَوَابِ الْفِدْيَةِ لِلْعَاجِزِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الصَّيَامَ لِمَنْ لَا يَطِيقُهُ إِلَّا بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ مِنَ الضَّعِيفِ وَذَوِ الْعَطَاشِ وَالْحَامِلِ وَقَلِيلَةِ اللَّبَنِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْطَارِ مَعَ الْفِدْيَةِ لِأَنَّ غَايَةَ مَا أُسْتَفِيدَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَكَلَامِ الْأَصْحَابِ هُوَ جَوَازُ الْإِفْطَارِ لَهُمْ لَا وَجُوبُهُ، وَأَمَّا الْمَرِيضُ وَالْمُسَافِرُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِمَا عُرِفَتْ مِنْ دَلَالَةِ ظَاهِرِ الْآيَةِ وَالرِّوَايَاتِ عَلَى وَجُوبِهِ وَعَصِيَانِ مَنْ صَامَ فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّوْمَ خَيْرٌ لِمَطْبَقِهِ وَأَكْثَرَ ثَوَابًا وَأَفْضَلَ مِنَ التَّكْثِيرِ لِمَنْ أَفْطَرَ بِالْعَجْزِ.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. أَنَّ الصَّوْمَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْفِدْيَةِ وَقِيلَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَفْضَلَ أَعْمَالِكُمْ، وَبِالْجُمْلَةِ أَنَّهُ يَقْتَضِي الْمَضِيَّ عَلَى الصَّوْمِ أَيْ فَأَعْلَمُوا ذَلِكَ وَصُومُوا وَهُوَ وَاضِحٌ.



شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى  
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ  
مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ  
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا  
يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ  
عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

### ◀ اللغة

شَهْرُ رَمَضَانَ: الشَّهْرُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْإِشْهَارِ لِأَنَّهُ مُشْتَهَرٌ لَا يَتَعَذَّرُ عِلْمُهُ عَلَى أَحَدٍ  
يُرِيدُهُ يُقَالُ شَهَرْتُ السَّيْفَ إِذَا سَلَلْتَهُ، وَرَمَضَانَ مَاخُذٌ مِنْ رَمَضَ الصَّائِمِ  
يَرْمِضُ إِذَا حَرَّ جَوْفُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالرَّمْضَاءُ مَمْدُودَةٌ شِدَّةُ الْحَرِّ، قِيلَ هُوَ  
مَاخُذٌ مِنَ الرَّمْضَاءِ وَجَمْعُهُ عَلَى رَمَضَانَاتٍ وَإِرْمَضَاءٍ قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ فَقَدْ نَقَلَ  
أَنَّهُ لَمَّا نَقَلُوا أَسْمَاءَ الشُّهُورِ مِنَ اللَّغَةِ الْقَدِيمَةِ سَمَّوْهَا بِالْأَزْمَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا  
فَوَافَقَ هَذَا الشَّهْرَ أَيَّامَ رَمَضِ الْحَرِّ فَسُمِّيَ بِذَلِكَ وَقِيلَ أَنَّمَا سُمِّيَ رَمَضَانَ لِأَنَّهُ  
يَرْمِضُ الذَّنُوبَ أَيْ يُحْرِقُهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الْإِرْبَاضِ وَهُوَ الْإِحْرَاقُ وَ  
مَنْهُ رَمَضَتْ قَدَمُهُ مِنَ الرَّمْضَاءِ أَيْ إِحْتَرَقَتْ، وَقِيلَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَأْخُذُ فِيهِ مِنْ  
حَرَارَةِ الْمَوْعِظَةِ وَالْفِكْرَةِ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ كَمَا يَأْخُذُ الرَّمْلُ وَالْحِجَارَةُ مِنْ حَرِّ  
الشَّمْسِ، وَالرَّمْضَاءُ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ، قِيلَ وَ سُمِّيَ الشَّهْرُ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا  
يُومِضُونَ أَسْلِحَتَهُمْ فِي رَمَضَانَ لِيُحَارِبُوا بِهَا فِي شَوَالٍ قَبْلَ دُخُولِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ  
وَحُكِيَ الْمَاورِدِيُّ أَنَّ إِسْمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (فَاتِقٌ) وَأَنْشَدَ لِلْمُفَضَّلِ.

وَفِي فَاتِقٍ أَجَلَتْ لَدَيْ حَوْمَةِ الْوَعْدِ وَوَلَّتْ عَلَى الْإِدْبَارِ فُرْسَانُ حَشَعْمَا  
الْقُرْآنُ: هُوَ إِسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةٌ لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ وَأَتَمَّا سُمِّيَ  
قُرْآنًا لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّورَ وَيَضُمُّهَا وَقِيلَ لِأَنَّهُ جَمَعَ الْقِصَصَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَ  
الْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ وَالْأَيَّاتِ وَالسُّورَ بَعْضُ إِلَى بَعْضٍ وَهُوَ مُصَدَّرٌ كَالْغَفَرَانِ وَ

الْفُرْقَان والكفران يقال فلان يقرأ قرآنًا حَسَنًا أي قراءته حَسَنَةٌ وفي الحديث القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العَمَلُ به.

وَيَبَيِّنَاتٍ: جمع بَيِّنَةٍ وهي الدليل الواضح.  
الْيُسْرُ: اليُسْرُ ضِدُّ الْعُسْرِ وفي الآية اليُسْرُ الإفطار في السَّفر والعُسْرُ الصَّوْمُ فيه.  
وَلْتَكْمِلُوا: بتشديد الميم وتخفيفها قال أبو العباس، أكملتُ وكملتُ بمعنى واحد.

### ◀ الإِعْرَاب

شَهْرُ رَمَضَانَ في رفعه وجهان.  
أحدهما: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره، هي شهر يعني الأيام المعدودات فعلى هذا يكون الَّذِي أَنْزَلَ نِعْتًا لِلشَّهْرِ أو لِرَمَضَانَ.  
ثانيهما: هو مبتدأ، والخبر.  
إِمَّا قَوْلُهُ: الَّذِي أَنْزَلَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَمَنْ شَهِدَ وَأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَ، صفة، والفاء زائدة على قول الأخفش وغير زائدة على قول غيره الشَّهْرُ ظرف أو مفعول به على السَّعة يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ الْبَاءُ لِلْإِلصَاق والمعنى يريد أن يلصق بكم اليُسْرَ فيما شرعه لكم.

### ◀ التَّفْسِير

كر الله سبحانه هذه الآية عقيب ما مرَّ سابقاً تأكيداً لوجوب الصَّوْمِ في هذا الشَّهْرِ وتحريضاً عليه حيث بيَّن أولاً شرافته بنزول القرآن فيه و ثانياً أنه تعالى يَسِّرُهُ عليكم وأن في ذلك بتكبير الله وتعظيمه و شكر نِعَمَتِهِ الوافرة ولهذا أكثرت فيه مواهب الله وعُتْقَاؤُهُ مِنَ النَّارِ كما دَلَّتْ عليه الأخبار وقد يفهم تعظيم هذا الشَّهْرِ أيضاً من إضافته إليه سبحانه لأنَّ رمضان إسم من أسماء الله تعالى فمعناه شهر الله كما يدلُّ عليه.

ما رواه في الكافي بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: كُنَّا عنده ثمانية رجال فذكرنا عنده رمضان فقال لا تقولوا هذا رمضان ولا ذَهَبَ رمضان ولا جاء رمضان فَأَنَّ رمضان إِسْمٌ من أسماء الله عزَّ وجلَّ ولا يجيئ ولا يذهب وأنما يجيئ ويذهب الزَّائِلُ ولكن قولوا شهر رمضان فَأَنَّ الشَّهر مضاف إلى الاسم والاسم إِسْمُ الله عزَّ ذكره وهو الشَّهر الَّذي أُنْزِلَ فيه القرآن جَعَلَهُ مَثَلًا ووَعِيدًا انتهى.

وعن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لا تقولوا رمضان ولكن قولوا شهر رمضان فَأَنْتُمْ لا تدرون ما رمضان انتهى.

أقول فعلى هذا يكون مجموع المضاف والمضاف إليه عَلَمًا وَمَنْعَهُ من الصَّرْفِ لِلْعِلْمِيَّةِ والألف والنون وقيل أن العَلَمَ هو رَمَضَانُ أي عَلَمٌ لِلشَّهْرِ كَرَجَبٍ وشعبان وإضافة الشَّهر إليه من قبيل إضافة العَامِ إلى الْخَاصِّ كيوم الجمعة إشتقاقه فقد مرَّ الكلام فيه عند شرح اللغات.

**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.** فإن قيل قد ثبت نزول كثير من الآيات في غير شهر رمضان بل أكثرها كما هو بيّن في كُتُبِ التفسير فكيف قال تعالى أُنْزِلَ في القرآن، والجواب من وجوه.

**أحدها:** أن المراد ابتداء نزوله فيه.

**ثانيها:** أن الله تعالى أنزل جميع القرآن دفعةً واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجومًا وبه قال سعيد بن جبير وهو المروزي عن أبي عبد الله أيضاً.

**ثالثها:** أن المراد نزوله كلّ فيه لكن إلى البيت المعمور ثم نَزَلَ في ظرف مدّة إلى الدنيا ويدل على هذا القول.

ما رواه في الكافي عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله قال: سألته عن قول الله عز وجل: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ وَاتَّمَا أُنْزِلَ بَيْنَ عَشْرِينَ سَنَةً بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ثُمَّ نَزَلَ فِي عَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَزَلَ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لَيْسَتْ فَصِيْنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثَ عَشَرَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لثَمَانِ عَشَرَ خَلُّونَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ فِي ثَلَاثَ وَ عَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ انْتَهَى.

و نحوه رواه ابن بابويه في الأموال والطبرسي في تفسيره عن العياشي وأيضاً فيه وفي الفقيه بأسنادهما عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت التَّوْرَةُ فِي سِتِّ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ فِي اثْنِي عَشَرَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَنَزَلَ الزَّبُورُ فِي لَيْلَةٍ ثَمَانِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الْفَقِيهِ وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ انْتَهَى.

أقول وسيجيء تمام البحث فيه عند قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ<sup>(١)</sup> إن شاء الله إن أمهلنا الأجل.

### هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ

وصف الله كتابه أعني به القرآن بكونه هُدىً للنَّاسِ أي يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم وقد وصفه الله تعالى بهذا الوصف في كثير من الآيات: قال الله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ<sup>(٢)</sup>

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَئِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا<sup>(١)</sup>  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ<sup>(٢)</sup>  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ  
 يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ<sup>(٣)</sup>  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ<sup>(٤)</sup> وغيرها من  
 الآيات.

وقد مرّ الكلام في معنى الهداية وأقسامها في أوائل البقرة أن قلت لِمَ قال  
 هناك هُدًى للمتقين وفي المقام هُدًى للناس قلت لاشك أن القرآن هُدًى لكل  
 الناس أجمعين وهذا هو الأصل في هداية القرآن إلا أن الاستضاءة بنور القرآن  
 والإِهْتِدَاء به مشروطة بالقابلية فأَنْ تَمَامِيَّة العِلَّة لا تكفي في إيجاد المعلول بل  
 يشترط فيه التَّهَيُّؤ والتَّوْبُول اذ التأثير فرعٌ على القابلية وحيث أن المؤمن  
 لمعرفته وصفاء باطنه أكثر استعداداً لقبول الحق من غيره قال: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ  
 ولا يُستفاد من الآية اختصاص الهداية بالمتقين ونفيها عن غيرهم. وأمّا قوله:  
 وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ. ففي ذكر البينات بعد الهدى إشارة الى أنواع  
 متعددة من الهدايات الى أمورٍ شَتَّى والمراد بالفرقان في الآية هو القرآن  
 والفرق بينهما بالإعتبار.

فقد روي في الكافي ومعاني الأخبار عن أبي عبد الله عليه السلام: وقد  
 سُأِلَ عن القرآن والفرقان أنهما شيء واحد أم شيئين فقال عليه السلام:  
 القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به انتهى.  
 قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة:

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ



وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ  
نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى وَنُقْصَانٍ مِنْ عَمَى وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ  
مِنْ فَاقَةٍ وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ آذَوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ  
عَلَى لَأْوَائِكُمْ فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالتَّيْقَاقُ وَالْغَى  
وَالضَّلَالُ... إلى آخر كلامه عليه السلام.

وقال عليه السلام في موضع آخر من الخطبة وإنَّ الله سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْطَ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا  
الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ (حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ) وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَيَتَابِعُ الْعِلْمَ وَمَا  
لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ... إلى آخر كلامه عليه السلام (١).

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ. الظَّاهِرُ أَنَّ شَهِدَ، بمعنى حَضَرَ فيه كَلَّا أَوْ  
بَعْضًا كَمَا يُرْشَدُ إِلَيْهِ الْمُقَابِلَةُ بِقَوْلِهِ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ، وَعَلَيْهِ فَتَنْصِبُ  
الشَّهْرَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ فِيهِ وَكَذَا ضَمِيرُ يَصُمْهُ، أَيِ فَلْيَصُمْ فِيهِ فَحُذِفَ الْجَارُ وَ  
وَصَلَّ الضَّمِيرُ بِالْفِعْلِ وَيَحْتَمِلُ كَوْنُهُ مَفْعُولٌ بِهِ أَيِ فَلْيَصُمْ مِنْ حَضَرٍ فِيهِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ  
اللَّهِ عليه السلام قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ قَالَ عليه السلام:  
مَا أَبْيَنُهَا مِنْ شَهِدَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ سَافَرَ فَلَا يَصُمْهُ انْتَهَى.

وَقِيلَ نَصَبُ الشَّهْرِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ وَيَكُونُ ذِكْرُ الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ مِنْ  
قَبِيلِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ عَمُومٍ، مَنْ شَهِدَ، وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى إِعْتِبَارِ قَيْدٍ فِي  
وُجُوبِهِ عَلَى مَنْ شَهِدَ، وَقَدْ مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عَدَمُ جَوَازِ الصَّوْمِ مِنَ الْمَرِيضِ  
وَالْمَسَافِرِ وَتَكَرُّرِهِ فِي الْمَقَامِ لِلتَّأْكِيدِ أَوْ لِلإِشَارَةِ إِلَى مَا رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ  
وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ الْخِ وَالْإِ هَذَا أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

بَيِّنَاتُ  
الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ

جزء ٢

الْعِدَّةُ  
الْخِ

وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. وَقَدْ مَرَّ الْبَحْثُ فِيهِ.  
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ. وإلى هذا المعنى أشار رسول  
الله بقوله بُعثت إلى الشريعة السهلة، قال الله تعالى: لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا  
إِلَّا وَسْعَهَا.

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يجوز عطفه على اليسر  
أي يريد بكم اليسر في إسقاط الصوم عنكم في تلك الحال ويريد إكمال عدة  
ما أفطرتموه في حال المقدرة، ويجوز أن يكون العطف على علة مقدرة مثل  
يسهل عليكم أو لتعلموا ما تعلمون، أو المعنى شرع لكم ما ذكر وبين، فتكملوا  
العدة وتعظموا الله في إمتثال ما أمركم به ولعلكم تدخلون بذلك في جملة  
الشاكرين ولتُكَبِّرُوا الله في هذا الشهر بالثناء عليه والحمد له على هدايته لكم و  
إرشاده إلى ما يوصلكم إلى شكره والقيام بواجب نعمة عليكم.

روى البرقي في المحاسن عن بعض أصحابنا رفعه قال عليه السلام:  
التكبير التعظيم لله والهداية الولاية وفي خبر آخر ولعلكم  
تشكرون قال عليه السلام أتشكر المعرفة.

ويمكن أن يكون المراد بالتكبير في الآية هو المستون في الفطر الذي هو  
بعد أربع صلوات كما قال الأصحاب وبه وردت الزاوية، وأما استدلال بعضهم  
بقوله ولتكمّلوا العدة، على أن شهر رمضان لا ينقص أبداً فهو في غير محله لأن  
المعنى تكملوا عدة الشهر تاماً كان أو ناقصاً فأشهر رمضان يدخله ما يدخل  
الشهور من النقصان وأن المنأط في العمل هو الأهلة فالمراد بالعدة وتكملها  
هو عدة الهلال، وقيل عدة الأداء لمن أفطر في سفره أو وصفه.

إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ  
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا  
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. (١٨٦)

### ◀ اللغة

قَرِيبٌ: القُرب والبُعد يتقابلان ويُستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الخطوة والرعاية والقدرة.  
أُجِيبُ: بَضَم الألف متكلم وحده من أَجَاب يُجِيب.  
دَعْوَةُ الدَّاعِ: الدعوة مختصة بإدعاء النسبة وأصلها للحالة التي عليها الإنسان نحو القعدة والجلسة.  
يَرْشُدُونَ: من رَشَد يُرشد الرُّشد والرُّشد خلاف الغي يستعمل استعمال الهداية يقال رَشَد يَرشُد ورَشِد يَرشُد.

### ◀ الإعراب

فَإِنِّي قَرِيبٌ أي فقل لهم أنني قريب لأنه جواب لقوله وإذا سَأَلَكَ أُجِيبُ خبر ثانٍ فَلْيَسْتَجِيبُوا بمعنى فليجيبوا كما تقول، قَرُوا واستقر بمعنى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ الجمهور على فتح الباء وضَمّ الشَّين وماضيه رَشَد بالفتح ويُقرأ بفتح الشَّين وماضيه رَشَد بكسرها وهي لغة ويُقرأ بسكر الشَّين وماضيه أَرشَد من باب الأفعال أي غيرهم.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثالث

### ◀ التفسير

قل ذكرت هذه الآية في هذا المقام تبعاً للقرآن ولتضمنها الدعاء وإجابته وقد ورد في الخبر أن الدعاء من الصائم لا يحجب فكأن الدعاء صار من الأمور

اللازمة للصائم ومن وظائفه سيمًا في شهر رمضان الذي تفتح فيه أبواب الجنان وتصفد فيه الشياطين وقد ورد فيه من الادعية والإذكار شيء كثير كما ذكره الأصحاب في كتب الأدعية، وأما شأن نزول الآية.

فقد روي أنه سأل سائل رسول الله ﷺ فقال: قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقيل أن يهود المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسير خمس مائة عام وأن غلط كل سماء مثل ذلك فنزلت.

وأما ذكرها هنا بعد آية الصوم ف قيل في وجهه أنه لما أمرهم بصوم الشهر و مراعاة العدة و حثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بذكر هذه الآية فقال أتني قريب أي بالعلم والقُدرة و إيصال المطالب و قضاء المأرب لمن يقصدني بذلك فهو من باب التمثيل بحال من قرب مكانه منهم.

إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ. معناه اذا سألك عبادي عني يا محمد ﷺ فقالوا أين ربنا فقل لهم أنني قريب منهم:

قال الله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ<sup>(٣)</sup> و أمثال ذلك من الآيات إعلم أن القرب بحسب موارد الاستعمال على أقسام فتارة يكون في المكان و يُعبر عنه بالقرب المكناني:

قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا أَلْوَانِي<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ غَائِمِهِمْ<sup>(٢)</sup> وأمثال ذلك.  
و تارة يكون في الزمان:

قال الله تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ<sup>(٤)</sup>  
و تارة يكون في اللئنة:

قال الله تعالى: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: أَوْلَادَانِ وَالْأَقْرَبُونَ<sup>(٦)</sup>

قال الله تعالى: وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى<sup>(٧)</sup>

قال الله تعالى: وَلِذِي الْقُرْبَى<sup>(٨)</sup>

قال الله تعالى: وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى<sup>(٩)</sup> وغيرها.  
و تارة في الخطوة:

قال الله تعالى: أَلْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ<sup>(١٠)</sup>

وقوله في عيسى:

قال الله تعالى: وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ<sup>(١١)</sup>

قال الله تعالى: يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ<sup>(١٢)</sup>

قال الله تعالى: فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ<sup>(١٣)</sup>

قال الله تعالى: وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا<sup>(١٤)</sup>

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

٢- التوبة = ٢٨

٤- الانبياء = ١٠٩

٦- النساء = ٧

٨- الانفال = ٤١

١٠- النساء = ١٧٢

١٢- المصطفين = ٢٨

١٤- مريم = ٥٢

١- الاسراء = ٣٢

٣- الانبياء = ١

٥- النساء = ٨

٧- المائدة = ١٠٦

٩- النساء = ٣٦

١١- آل عمران = ٤٥

١٣- الواقعة = ٨٨

و يقال للخطوة القربة:

قال الله تعالى: قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: تَقَرَّبْكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى <sup>(٣)</sup> وغيرها من الآيات.

وتارة في الرعاية نحو أن رحمة الله قريب من المحسنين.

وتارة في القدرة نحو ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وقوله: و

نحن أقرب إليه منكم يحتمل أن يكون من حيث القدرة اذا عرفت

هذا فنقول قوله تعالى: فَأَتَى قَرِيبٌ لَيْسَ الْقَرَبُ مَكَانِيًّا وَلَا رِمَانِيًّا وَ

لَا نَسْبِيًّا وَلَا فِي الْخَطْوَةِ بل أمره دائر بين الرعاية والقدرة والأقوى

في النظر الأول أعني به الرعاية وكيف كان فالقرب معنوي لا حسي

لأن القرب والبعد الجسبيين من خواص المادة ولواحقها تعالى منزلة

عنها بالكلية قال أمير المؤمنين عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى

عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي

الْعُلُوفِ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقُرْبَ فِي الدُّنُوفِ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبَ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدَهُ

عَنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ الْخ <sup>(٤)</sup>

و قال عليه السلام قُرْبُ فَنَأَى وَعَلَا فَدَنَا وَظَهَرَ فَبَطَنَ وَبَطَنَ فَعَلَنَ وَدَانَ وَلَمْ يُدَنَّ

الْخ <sup>(٥)</sup>

ولنعم ما قيل بالفارسية:

يار نزدیکتر از من بمن است این عجب تر که من از وی دورم

١- التوبة = ٩٩

٢- خطبة «٤٩».

١- التوبة = ٩٩

٣- سبا = ٣٧

٥- خطبه ١٩٤.

أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ. هو تقرير للقرب ووعدٌ للإجابة بل فيه حثٌ على الدَّعاء وتكراره في جميع الأحوال.

فقوله: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي. هذه لام الأمر لا بدّ منها للغائب و أمّا للحاضر فيجوز فيه إثباتها وإسقاطها كقولك قُمْ وَلتَقُمْ والأصل فيها أن تكون مكسورة ويجوز فيها السكون إذا إتصلت بحرفٍ واء كالفاء، فأماً، ثمّ فالوجه معها الكسر لأنها منفصلة قال أبو عبيدة، إستجاب وأجاب بمعنى واحد ومنه قول الشاعر:

وداعٍ دعا يامنُ يُجيب الـى التّدى    فلم يَسْتجِيبُه عند ذاك مُجِيبٌ  
وقال المبرّد هذا لا يجوز لأنّ في الإستجابة معنى الإذعان وليس ذلك في الإجابة في قوله: وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. حثٌ على التّصديق بذلك ليحصل لهم الرّشاد الـى الحقّ وإشارة الـى أنّه لا يجوز أن يأمنوا مكر الله بسبب الإهمال ولا يقنطوا من رَحمة الله بسبب التّأخير فالعالم المُصدّق بالله يعرف أنّه لا خُلف لوعده وأنّما يقع التّأخير وعدم المسارعة الـى الإنجاز لأسباب ومصالح للعبد كما ورد به الأخبار عن أهل البيت عليهم السّلام.

منها مرواه في الكافي عن البرنطي قال قلت لأبي الحسن عليه السلام جُعِلَتْ فداك أنّي قد سألت حاجةً مُنذ كذا وكذا سنة وقد دَخَلَ قلبي من إبطاءها شيء فقال عليه السلام: يا أحمد إيّاك والشّيطان أن يكون له عليك سبيل حتّى يقنّك أنّ أبا جعفر عليه السلام كان يقول أنّ المؤمن يسأل الله عزّ وجلّ حاجةً فيؤخّر عنه تعجيل إجابتها خُبّاً لصوته و إستماع تحييه ثمّ قال عليه السلام و ما أخر الله عزّ وجلّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدّنيا خيرٌ لهم ممّا عَجّل لهم فيها أنّ أبا جعفر عليه السلام: كان يقول ينبغي للمؤمن أن يكون دعاءه في الرّخاء نحواً من دعاءه في الشّدّة ليس اذا أعطى فتر، فلا تَمَلّوا الدّعاء فإنّه من الله عزّ وجلّ

بمكان الى أن قال صاحب النعمة في الدنيا اذا سأل فأعطى طلب غير الذي يسأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء و اذا كثرت النعمة كان المسلم من ذلك على خطرٍ للحقوق التي تجب عليه و ما يخاف من الفتنة فيها أخبرني عنك لو أني قلت لك قولاً أكنث تثق به مني فقلت له جعلت فداك اذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه فقال فكن بالله أوثق فأنتك على موعدٍ من الله أليس الله عز وجل يقول، إذا سئلك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان قال لا تقنطوا من رحمة الله، وقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، فكن بالله أوثق منك بغيره ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنه مغفورٌ لكم انتهى.

و عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله يقول أن المؤمن يدعُو ويؤخر إجابته الى يوم الجمعة انتهى.

و عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله يستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخر قال: نعم عشرين سنة انتهى.

و في صحيحة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن بين قول الله عز وجل قد أجيب دعوة توكما وبين أخذ فرعون كان أربعين عاماً.

و في رواية أخرى عن إسحاق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن المؤمن ليدعُو الله في حاجته فيقول الله عز وجل أخرُوا إجابته شوقاً الى صوته ودعائه فاذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل عبدي دعوتني فأخرتُ إجابتك و ثوابك كذا وكذا ودعوتني في كذا وكذا فأخرتُ إجابتك فتوابك كذا وكذا قال عليه السلام: فيتمنى المؤمن أنه لم يستجيب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب انتهى.

و في بعض الأخبار أن غير المؤمن قد يعجل إجابته كراهة أن يسمع صوته



ونداءه والأخبار بهذه المضامين كثيرة وبالجملة يجب أن يعتقد أن الدعاء في طلب الأمور المباحة لا يُحجب بمقتضى وعده الذي لا خلف فيه لكن قد تُؤخر الإجابة لمصالح شتى، وقد يُحجب اذا لم يكن بالأدب والكيفيات الواردة.

كما روى في حسنة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال الدعاء محجوباً حتى تصلي على محمد وآل محمد

وفي الصحيح عن الحرث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إلكم اذا أراد أحدكم أن يسأل من ربه شيئاً من حوائج الدنيا والأخرة حتى يبدأ بالثناء على الله عز وجل والمدح له والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وعليهم السلام ثم يسأل حوائجه.

وفي رواية أخرى أنما هي المدحة ثم الثناء ثم الإقرار بالذنب ثم المسألة وحاصل الكلام في الختام هو أن للدعاء أداب وكيفيات وأوقات وأمكنة كما هو مذكور في كتب الأدعية اذا عرفت هذا فلا يرد ما ذكره المفسرون من السؤال المشهور من أنه قد يدعو الداعي ولم تحصل الإجابة ولنعم ما قال الشاعر العارف في المقام:

أنّي لأرجو عطفة الله ولا  
لابد أن ينشر ما كان طوى  
وربما ينشر ما كان روى  
وكل شيء ينتهي الى ندى  
لطائف الله وإن طال المدى  
كم فرج بعد إياس قد أتى  
من لاذ بالله نجى فيمن نجا  
سيحان من نهفوا ويعنوا دائماً  
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه  
أقول أن قيل متى ذاك متى  
جوداً وإن يطر ما كان خوى  
وربما قدر ما كان لوى  
والشيء يرجى كشفه اذا إنتهى  
كلمحة الطرف اذا الطرف رمى  
وكم سرور قد أتى بعد الأسا  
من كل ما يخشى ونال ما رجا  
ولم يزل مهما هفا العبد عفا  
جلاله من العطاء لذي الخطا

وقد وَرَدَ في الحديث أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كَانَ دَعَاءَ أَيِّ كَانَ عليه السلام  
 كثير الدَّعاء كيف وفي الدَّعاء حلاوة المناجات للدَّاعي فَأَنَّ الْمُحِبَّ  
 يُحِبُّ التَّكَلُّمَ مع المحبُّوب وهو يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَهُ.

لذا قال بعض العُرفاء أَلَدَى اللِّذَاتِ مناجات العَبْد لِلرَّبِّ وَأَنْ كَانَ لِسَانُ  
 حاله ومقاله:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمُعَدَّ لِكُلِّ مَا يَتَوَقَّعُ  
 يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالتَّفَرُّعُ  
 يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنْ فَأَنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ  
 مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ  
 مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَنْ رَدَدْتُ فَبِأَيِّ بَابٍ أَقْرَعُ  
 وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ  
 حَاشَا لَجُودِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيًا الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ  
 ثَمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ خَيْرُ الْإِمَامِ وَمَنْ بِهِ يَتَشَفَّعُ  
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الدَّاعِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

فَأَنِّي أَقُولُ:

يَا خَالِقَ الْخَلْقِ يَا رَبَّ الْعِبَادِ وَمَنْ قَدْ قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ إِدْعُونِي  
 إِنِّي دَعَاؤُكَ مُضْطَرًّا فَخُذْ بِيَدِي يَا جَاعِلَ الْأَمْرِ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ  
 نَجَّيْتَ أَيُّوبَ مِنْ بَلْوَاهُ حِينَ دَعَا بَصْبِرَ أَيُّوبَ يَا ذَا اللَّطْفِ نَجَّيْتَ  
 وَأَطْلِقْ سِرَاحِي وَأَمْنُنْ بِالْخِلَاصِ كَمَا نَجَّيْتَ مَنْ ظَلَمَاتِ الْبَحْرِ ذَا النُّونِ  
 اللَّهُمَّ آتِنِي أَشْكُوا إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ أَنْتَ  
 رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ  
لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ  
تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ  
فَالْأَن بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا  
وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ  
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى  
اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي  
الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

### ◀ اللغة

أَحِلَّ: بالبناء المجهول على المشهور.  
الرَّفَثُ: الرَّفَثُ بفتح الراء والفاء كلامٌ متضمنٌ لما يُستقبح ذكره من ذكر الجماع  
ودواعيه وجعل كناية عن الجماع في الآية وعُدِّي، بألئ، لِتُصَمِّنَهُ معنى الإفضاء.  
لِبَاسٌ لَكُمْ: اللباس ما يُؤارى به الجسد.  
تَخْتَانُونَ: الإختيان الخيانة يقال خانَهُ ويخُونُهُ خَوْنًا وخِيَانَةً وإِختَانَهُ  
إِختِيَانًا: وألفه مُبدلة من واو لأنَّه من خان يَخُونُ.  
بَاشِرُوهُنَّ: المباشرة إصاق البَشْرَةِ بالبَشْرَةِ وهى ظاهر الجلد.  
وَابْتَغُوا: الإبتغاء طلب البغية.  
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ: كناية عن بياض الفجر.  
الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ: سواد الليل.  
عَاكِفُونَ: العُكُوف والإعتكاف أصله الإلْزُوم يقال عَكِفْتُ بِالْمَكَانِ أَي  
أَقِمْتُ بِهِ مَلَاظِمًا لَهُ.

في  
التفسير  
القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

## الإعراب

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ ظَرْفٌ لِأُحِلَّ لَا لِلرَّفْتِ مِنْ جِهَةِ الإِعْرَابِ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ وَالْمُصَدَّرُ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ مَعْمُولُهُ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ظَرْفًا لَهُ عَلَى التَّبْيِينِ وَعَلَيْهِ فَالتَّقْدِيرُ أُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَرْفُثُوا لَيْلَةَ الصَّيَامِ فَحُذِفَ وَجُعِلَ الْمَذْكُورُ مُبَيَّنًا لَهُ نِسَائِكُمْ، النِّسَاءُ جَمْعُ النِّسْوَةِ وَقِيلَ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ فَلِأَنَّ حَقِيقَةَ الْآنَ الْوَقْتُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَقَدْ يَقَعُ عَلَى الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ الْقَرِيبِينَ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا وَكَيْفَ كَانَ فَهُوَ ظَرْفٌ لِبَاشِرُوهُمْ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ لِأَنَّ الْمَعْنَى حَتَّى يَبَيَّنَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ مِنَ الْفَجْرِ حَالٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْأَبْيَضِ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ فِي مَوْضِعٍ الْحَالِ كَذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ صِفَةً لِمُصَدَّرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ بَيْنًا مِثْلَ هَذَا الْبَيَانِ يُبَيِّنُ.

## التفسير

قِيلَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا إِذَا صَامَ أَحَدُهُمْ فَحَضَرَ الْإِفْطَارَ فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يَفْطُرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ وَأَنَّ قَيْسَ بْنَ صَرْمَةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا وَفِي رِوَايَةٍ كَانَ يَعْمَلُ فِي التَّخِيلِ بِالنَّهَارِ وَكَانَ صَائِمًا فَلَمَّا حَضَرَ الْإِفْطَارَ أَتَى إِمْرَأَتَهُ فَقَالَ لَهَا أَعِنْدَكَ طَعَامٌ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ إِنِ انْطَلَقَ فَأَطْلُبْ لَكَ وَكَانَ يَوْمُهُ يَعْمَلُ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَجَاءَتْهُ إِمْرَأَتُهُ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ خَبِيَّةٌ لَكَ فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غَشَى عَلَيْهِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ. فَفَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا وَنَزَلَتْ، كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ، قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ثُمَّ قَالَ، وَفِي الْبُخَارِيِّ أَيْضًا عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ يَقَالُ خَانَ وَاحْتَانَ بِمَعْنَى مِنَ الْخِيَانَةِ أَيْ تَخُونُونَ أَنْفُسَكُمْ بِالْمُبَاشَرَةِ فِي لَيْلَالِي الصَّيَامِ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ إِذْ جَلَبَ إِلَيْهَا الْعِقَابَ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ أَصْلُ الْخِيَانَةِ أَنْ يُؤْتَمَنَ الرَّجُلُ عَلَى شَيْءٍ فَلَا يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فِيهِ انْتَهَى مَوْضِعُ الْحَاجَةِ مِنْ كَلَامِهِ.

وذكر الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ حَدَّثَنَا إِبْنُ أَبِي لَيْلَى أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا فَطَرَ فَنَامَ لَمْ يَأْتِهَا وَإِذَا نَامَ لَمْ يَطْعَمْ حَتَّى جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَرِيدُ امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ قَدْ كُنْتُ نَمْتُ فَظَنْ أَنَّهَا تَعَلَّتْ فَوَقَعَ بِهَا قَالَ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَرَادَ أَنْ يَطْعَمْ فَقَالُوا نَسَخْنَا لَكَ شَيْئاً قَالَ ثُمَّ أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، احْلُلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْقُ إِلَى نِسَائِكُمْ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنَا بَنُو إِدْرِيسَ قَالَ حَدَّثَنَا حَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ كَانُوا يَصُومُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ كَانُوا يَصُومُونَ فَإِذَا لَمْ يَأْكُلِ الرَّجُلُ عِنْدَ فِطْرِهِ حَتَّى يَنَامَ لَمْ يَأْكُلِ إِلَى مِثْلِهَا وَأَنْ نَامَ أَوْ نَامَتْ امْرَأَتُهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهَا إِلَى مِثْلِهَا فَجَاءَ شَيْخٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَقَالُ لَهُ حِرْمَةُ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَطْعَمُونِي فَقَالَتْ حَتَّى أَجْعَلَ لَكَ شَيْئاً وَظَنُّ أَنَّهَا تَعَتَّلَ فَوَاقِعُهَا فَبَاتَ هَذَا وَهَذَا يَتَقَلَّبَانِ لَيْلَتَهُمَا ظَهراً وَبَطْناً فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَلَاماً وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْآيَةُ.

أَقُولُ هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ فِي تَفَاسِيرِهِمْ وَالْحَقُّ عِنْدَنَا فِي سَبَبِ نَزُولِهَا.

مَا رَوَاهُ فِي التَّهْذِيبِ وَالْكَافِي عَنْ أَبِي بصير عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ أَحَدِهِمَا، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ احْلُلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْقُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي خَوَاتِ بْنِ جَبْرِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ مَعَ النَّبِيِّ فِي الْخَنْدَقِ

وهو صائم فأمسى على تلك الحال و كانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حَرُم عليه الطَّعام والشَّراب فجاء خوات إلى أهله حين أمسى فقال لهم هل عندكم طعام فقالوا لا تنتم حتَّى نصلح لك طعاماً فإتكى فنام فقالوا له قد فعلت قال نعم فبات على تلك الحال فأصبح ثمَّ غدا إلى الخندق فجعل يغشى عليه فَمَرَّ به رسول الله فلمَّا رأى الذي به أخبره كيف كان أمره فأنزل الله فيه الآية و في تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه رفعه قال قال الصادق كان النُّكاح والأكل محرَّمين في شهر رمضان بالليل بعد النُّوم يعني كلَّ من صلَّى العشاء و نام و لم يفطر ثمَّ انتبه حرم عليه الإفطار و كان النُّكاح حراماً بالليل والنَّهار في شهر رمضان وكان رجل من أصحاب النَّبي ﷺ يقول له خوات بين جبير أخو عبد الله بن جبير الذي وكلَّه رسول الله بهمهمُ الشَّعب في يوم أحد في خمسين من الرِّماة ففارقته أصحابه و بقى في إثني عشر رجلاً فقتل عليَّ باب الشَّعب وكان أخوه هذا شيخاً كبيراً ضعيفاً و كان صائماً فأبطأت عليه إمْرأته فنام قبل أن يفطر فلمَّا انتبه قال لأهله قد حرم على الأكل في هذه اللَّيلة فلمَّا أصبح حضر الخندق فأغمى عليه فرآه رسول الله ففرَّق له انتهى.

وكيف كان الأمر فنقول قوله تعالى: **أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** يدل على جواز اتيان النساء في ليالي شهر رمضان وذلك لأنَّ الرَّفَث في الآية الجماع و أمَّا قبل نزول الآية فلم يكن الجماع محللاً كما مرَّ و أمَّا قوله (هُنَّ لباس لكم و أنتم لباس لهنَّ) أي إنَّ نسائكم لباس لكم و أنتم لباس للنساء فالكلام خرج مخرج الإستعارة و ذلك لأنَّ اللباس مُستعار والمراد به قرب بعضهم من بعض وإشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام قال النَّابغة:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنِي جِيدَهَا تَثَنَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسًا  
عَلَى أَنَّ اللَّبَاسَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمَرْأَةَ وَالرَّجُلَ يَتَضَامَانُ فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
لِلْآخَرِ بِمَنْزِلَةِ اللَّبَاسِ وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الظَّاهِرُ مِنَ اللَّبَاسِ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفُ  
وَهُوَ مَا يَسْتَرُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَدَنَهُ وَالْجَمْلَتَانِ مِنْ قَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ فَأَنَّ كَلَامًا مِنَ  
الزَّوْجَيْنِ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ عَنْ إِتْبَاعِ الْفُجُورِ وَاشَاعَتِهِ بَيْنَ أَفْرَادِ النَّوعِ فَكَأَنَّ كُلَّ  
مِنْهُمَا لِمَا يَمْنَعُ لِبَاسًا يُوَارِي بِهِ سَوَاتِهِ وَيَسْتَرُ بِهِ عَوْرَتَهُ انْتَهَى.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي تَشْبِيهِ الزَّوْجَيْنِ بِاللَّبَاسِ وَجُوهًا.  
**أَحَدُهَا:** أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ يَعْتَنِقَانِ فَيُضَمُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جِسْمَهُ  
إِلَى جِسْمِ صَاحِبِهِ حَتَّى يَصِيرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا يَمْنَعُ كَالثَّوْبِ الَّذِي يَلْبَسُهُ  
سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِبَاسًا.

**ثَانِيَهُمَا:** أَنَّمَا سُمِّيَ الزَّوْجَانِ لِبَاسًا لِئَسْتَرِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَمَّا لَا  
يَحِلُّ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ مِنْ تَزْوُجٍ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ.

**ثَالِثُهَا:** أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهَا لِبَاسًا لِلرَّجُلِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَخْصُهَا بِنَفْسِهِ كَمَا يَخْصُ  
لِبَاسُهُ بِنَفْسِهِ وَيَرَاهَا أَهْلًا لِأَنَّهُ يَلَاقِي كُلَّ بَدَنِهِ كُلَّ بَدَنِهَا كَمَا يَفْعَلُهُ فِي اللَّبَاسِ.

**وَابْعَثَهَا:** يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ سِتْرَهُ بِهَا عَنْ جَمِيعِ الْمَفَاسِدِ الَّتِي تَقَعُ فِي  
الْبَيْتِ لَوْلَمْ تَكُنِ الْمَرْأَةُ حَاضِرَةً كَمَا يَسْتَتِرُ الْإِنْسَانُ بِلِبَاسِهِ عَنِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَكَثِيرٍ  
مِنَ الْمَضَارِّ انْتَهَى.

أَنْ قُلْتُ لَمْ يُحَدِّدِ اللَّبَاسُ بَعْدَ قَوْلِهِ، هُنَّ وَأَنْتُمْ وَالْحَقُّ الْإِتْيَانُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ،  
قُلْتُ لِأَنَّ اللَّبَاسَ يَجْرِي مَجْرَى الْمَصْدَرِ فَأَنْ، فِعَالٌ مِنْ مَصَادِرٍ، فَاعِلٌ، فَتَأْوِيلُهُ،  
هُنَّ مَلَابِسَاتٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مَلَابِسَاتٌ لَهُنَّ، أَنْ قُلْتُ مَا مَوْقِعُ، هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، قُلْتُ  
قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ هُوَ إِسْتِنَافٌ كَالْبَيَانِ لِسَبَبِ الْإِحْلَالِ أَيْ إِذَا حَصَلَتْ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ هَذِهِ الْمَخَالَطَةُ وَالْمَلَابَسَةُ قُلْتُ صَبِرْكُمْ عَنْهُنَّ وَصَعِبَ عَلَيْكُمْ  
إِجْتِنَابَهُنَّ فَلِذَلِكَ رَخَّصَ لَكُمْ فِي مَبَاشَرَتِهِنَّ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ  
كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فِيهِ مَسَائِلُ.

**الأولى:** يقال خانه يخونه وخيانة، إذا لم يف له يقال خانه الدهر إذا تغير حاله إلى الشر وخان الرجل الرجل إذا لم يرد الأمانة وناقض العهد خائن كأنه ينتظر منه الوفاء فغدر إذا علمت معنى الخيانة ففي هذه الآية سمى الله المعصية بالخيانة:

قال الله تعالى: **لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ** <sup>(٢)</sup>.

قال صاحب الكشف الإختنان من الخيانة كالإكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة.

**المسألة الثانية:** أن الله تعالى ذكر في الآية أنهم كانوا يخنون أنفسهم إلا أنه لم يذكر أن تلك الخيانة كانت فيما ذا فلا بد من حمل هذه الآية على شيء يكون له تعلق بما تقدم وما تأخر والذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تأخر قوله فالآن بأشروهم فيجب أن يكون المراد بهذه الخيانة الجماع.

**الثالثة:** قيل في معناه، لما حرم عليهم الجماع والأكل بعد النوم وخالفوا في ذلك ذكرهم الله بالنعمة في الرخصة التي سخت تلك التحريم فقال عليم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم بالمعصية أي لا تؤدّون الأمانة بالإمتناع عن المباشرة وقيل معنى تختانون، أي تنقصون أنفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها بإجتنب ما نهيتهم عنه فحفظه الله عنكم.

**الرابعة:** إختلفوا في أنها هل هي ناسخة لما قبلها أم لا فقال قوم بالنسخ واستدلوا بما حاصله أن حكم الصيام كان قبل نزول الآية حُرمة الجماع في ليلة الصيام بدليل قوله: **أُحِلَّ لَكُمْ** وقوله: **كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ** وقوله، **فَتَابَ عَلَيْكُمْ** وقوله: **وَعَفَا عَنْكُمْ** وقوله: **فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ** إذ لولا حُرمة سابقة لكان المناسب أن يقال فلا جناح عليكم الآن أن تباشروهن أو ما يؤدي هذا المعنى ولم يقل كذلك بل قال **أُحِلَّ لَكُمْ** الخ.



و هو من أدل الدلائل على ثبوت النسخ، و قال الآخرون أن الآية ليست بناسخة.

لعدم وجود حكم تحريمي في آيات الصّوم بالنسبة الى الجماع أو الى الأكل والشرب بل الظاهر أن المسلمين لما نزل حكم فرض الصّوم بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ<sup>(١)</sup> فهموا منه التساوي في الأحكام من جميع الجهات وكانت النصارى كما قيل ينكحون ويأكلون ويشربون في أول الليل ثم يمسون بعد ذلك فالمسلمون أخذوا بذلك غير أن ذلك صعب عليهم ولا سيما شبابهم كانوا لا يكفون عن النكاح سرّاً مع كونهم يرونه معصية و خيانة لأنفسهم و الشيوخ منهم ربّما أجهدهم الكفّ عن الأكل والشرب بعد التّوم فنزلت الآية وبيّنت أن النكاح الأكل والشرب غير محرّم عليهم بالليل في شهر رمضان و عليه فالمراد بالتشبيه في قوله تعالى: كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمُ التّشبيه في أصل الصّوم وأنّه فرض على المسلمين كما كان فرضاً على الذين كانوا قبلهم لا في جميع خصوصياته وأما قوله تعالى: أَجَلٌ لَكُمْ لا يدلّ على سبق حكم تحريمي بل يدلّ على مُجَرّد تحقق الحليّة كقوله تعالى، أَجَلٌ لَكُمْ صيد البحر الآية، إذ من المعلوم أن صيد البحر لم يكن مُحَرّماً عليهم قبل نزول الآية من قبل الله تعالى و هكذا الكلام في قوله تعالى: عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَأَنَّ المعنى أنكم كنتم تختانون أنفسكم ولم يقل تختانون فلو كان الجماع مثلاً في ليلة الصّيام محرّم عليهم شرعاً فحقّ العبارة أن يقال تختانون الله لأنّ فعل الحرام خيانة بالله ورسوله وكذا قوله: فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ غير صريح في كون النكاح والأكل والشرب معصية محرّمة هذا مخلص كلام الطّرفين في الآية من حيث النسخ و عدمه و الأقوى عند قول الأول أعني وجود النسخ في

بَابُ  
النَّكَاحِ  
فِي  
الشَّهْرِ  
رَمَضَانَ

جزء ٢

بَابُ  
النَّكَاحِ

الآية لدلالة الأخبار الواردة عن المعصومين عليه وقد مرّت في صدر البحث و لا سيّما.

ما نقلناه عن تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام حيث قال: كان النكاح و الأكل محرّمان في شهر رمضان بالليل بعد النوم يعني كلّ من صلّى العشاء ونام ولم يفطر ثمّ إنتبه حرّم عليه الإفطار و كان النكاح حراماً الخبر وهكذا ما نقلناه قبله عن الكافي حيث قال عليه السلام: و كانوا قبل أن تنزل هذه الآية اذا نام أحدهم حرّم عليه الطّعام و الشراب الخبر فهذه الأخبار قد دلّت على وجود حكم الحرّمة قبل نزول الآية ثمّ رفع الحكم و لا نعني بالنسخ إلّا هذا و من المعلوم أنّ أهل البيت أدركوا بما فيه.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَإِنَّ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فيه أيضاً مباحث.

الأول: قوله فتاب عليكم فعلى قول من يقول بالنسخ لابدّ فيه من إضمار تقديره، تبتم فتاب الله عليكم و أمّا على قول القائلين بعدمه معناه فرجع عليكم بالإذن.

الثاني: قوله وَعَفَا عَنْكُمْ فعلى القول بالنسخ تقديره عفا عن ذنوبكم، و على القول بعدمه معناه وسع عليكم بإباحة الأكل و الشرب والمباشرة في كلّ الليل قالوا أنّ لفظ العفو قد يشتمل في التوسعة والتخفيف قال عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل و الرقيق، و قال عليه السلام أوّل الوقت رضوان الله و آخره عفو الله والمراد منه التخفيف بتأخير الصلاة الى آخر الوقت و يقال أتاني المال عفواً أي سهلاً.

الثالث: قوله فَإِنَّ بَاشِرُوهُمْ فعلى القول بالنسخ فالأمر بالمباشرة للإباحة لأنّهم قالوا أنّ الأمر الوارد عقيب الحضر ليس إلّا للإباحة وهو ظاهر و

أَمَّا عَلَى الْقَوْمِ بَعْدَ النَّسخِ فَالْأَمْرُ لَيْسَ عَقِيبَ الْحَظَرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَنْ قَالَ أَنَّ الْأَمْرَ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْقَرَائِنِ أَوْ صِغَةِ الْأَمْرِ بِمَا هِيَ هِيَ لَا يَفِيدُ إِلَّا الْإِبَاحَةَ وَالْأُذْنَ فَالْوَجُوبُ وَالنَّدْبُ يَحْتَاجَانِ إِلَى الدَّلِيلِ فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ مَطْلُقَ الْأَمْرِ لِلْوَجُوبِ فَلَا يَدُّ لَهُ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْإِبَاحَةِ ضَمَّ الْجَمَاعَ إِلَيْهِ ثُمَّ أَنَّ الْمُبَاشَرَةَ فِيهَا قَوْلَانِ.

أحدهما: ما ذهب إليه الجمهور من أَنَّهَا الْجَمَاعُ فَقَطْ قَالُوا سُمِّيَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِتَلَاصُقِ الْبَشَرِينَ وَإِنْضِمَامِهِمَا.

ومنه ما روي عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَاشِرَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ وَثَانِيهَا، وَهُوَ قَوْلُ الْأَصَمِّ أَنَّهَا الْجَمَاعُ فَمَا دُونَهُ وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ مَا سَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ الرَّابِعُ قَوْلُهُ: وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهِ مَسَائِلُ.

الأولى: قَالُوا وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ الْوَلَدِ بِالْمُبَاشَرَةِ أَوْ لَا تَبَاشِرُوهُنَّ لِقِضَاءِ الشَّهْوَةِ وَحَدَّاهَا وَلَكِنْ بَاشِرُوهُنَّ لِقِضَاءِ الْإِبْتِغَاءِ وَضَعَ اللَّهُ لَهُ النِّكَاحَ مِنَ التَّنَاسُلِ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَاسَلُوا تَنَاسَلُوا تَكَثَّرُوا.

الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْعَزْلِ لِمَا رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَعْزَلَ عَنِ الْحَرَّةِ إِلَّا بِإِذْنِهَا.

ثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى ابْتَغُوا الْمَحَلَّ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَحَلَّهُ دُونَ مَا لَمْ يَكْتُبَ لَكُمْ مِنَ الْمَحَلِّ الْمَحْرَمِ نَظِيرَ قَوْلِهِ فَأَتَوْهُم مِّنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ.

رَابِعُهَا: أَنَّ هَذَا التَّأَكِيدَ تَقْدِيرُهُ قَالَ لَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ لَكُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَيْكُمْ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةُ كَثِيرَةٌ جَدًّا إِلَّا أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلتَّعْوِيلِ عَلَيْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمِيتِفَادَ مِنَ الْآيَةِ إِبَاحَةَ الْمُبَاشَرَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَأَمَّا مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَإِذْ لَيْسَ فَلَيْسَ.

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ

فمعناه أن الأكل والشرب مباح لكم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض وهو الفجر الثاني المعترض في الأفق كالخيط الممدود، من الخيط الأسود، وهو ما يمثل معه من ظلمة آخر الليل شبههما بخيطين أبيض وأسود قالوا وليس ذلك من باب الإستعارة لأن من شروطها أن يجعل المستعار منه تسيماً منسياً أقول ليس الأمر على ما ذكره من عدم الإستعارة بل هذه إستعارة عجيبة كما أعترف به مهرة الفراء قال السيد الرضي رحمته الله في كتاب مجازات القرآن ما لفظه والمراد بها على أحد التأويلات، حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل والخيطان ههنا مجاز وإنما شبهها بذلك لأن خيط الصبح يكون في أول طلوعه مستدقاً خافياً ويكون سواد الليل فقيضاً ملئاً فهما جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد إنتشاراً وهذا يزداد إستمراراً إنتهى.

رؤي بعض المفسرين عن سهل الساعدي أنها نزلت ولم يكن فيها من الفجر وكان رجال إذا صاموا يشدون في أرجلهم خيوطاً بيضاً وسوداً فلم يزالوا يأكلون ويشربون حتى تبين لهم ثم نزل البيان بقوله من الفجر، إنتهى. أقول لا دليل على صحة هذا النقل والذي نعول عليه في الباب.

ما رؤي في التهذيب والكافي عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئلته عن الخيط الأبيض من الخيط الأسود فقال عليه السلام بياض النهار من سواد الليل قال عليه السلام وكان بلال يؤذن للنبي وإبن مكتوم وكان أعمى يؤذن بالليل حين يطلع الفجر فقال النبي صلى الله عليه وآله إذا سمعتم صوت بلال فدعوا الطعام والشراب فقد أصبحتم إنتهى.

وفي الصحيح عن أبي بصير قال سئلت أبا عبد الله عليه السلام: فقلت متى يحرم الطعام على الصائم وتحل الصلاة صلاة الفجر فقال لي إذا

إِعْتَرَضَ الْفَجْرَ وَكَانَ كَالْقَبْطِيَّةِ فَتَمَّ يَحْرِمُ الطَّعَامَ وَتَحُلُّ الصَّلَاةُ  
صَلَاةُ الْفَجْرِ إِنْتَهَى.

ثُمَّ أَتَوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ  
ففيه مسألتان.

الأولى: قوله ثُمَّ أَتَوْا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ.

الثانية: قوله وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ.

أَمَّا مسئلة الأولى: فحاصلها أمره تعالى بإتمام الصيام إلى الليل وهذا الأمر  
لا كلام فيه فقوله إلى الليل هو غاية الصيام في اليوم كما أنَّ قوله من الفجر هو  
ابتداء الصوم فكأنه قال صوموا من الفجر إلى الليل أما عني به الإبتداء فهو  
معلوم وأما الليل فإنه يصدق على تمام الليل وحيث لم يتبين في الآية المراد  
منه صريحاً فلذلك اختلفوا في تعيين المراد منه أعني به لحظة الإفطار بعد  
إتفاقهم على أنَّ كلمة، إلى، لانتهاء الغاية وأنَّ الصوم ينتهي عند دخول الليل و  
بعبارة أخرى إتفقوا على جواز الإفطار أول الليل وأنما الخلاف في تعيين  
المصدق فقال المفسرون من أهل السنة إذا غربت الشمس فقد جاء الليل ولم  
يشرطوا فيه ذهاب الحمرة المشرقية وأما عندنا فيشترط سقوط الحمرة من  
جانب المشرق وإقبال السواد منه فعلى قول العامة مجرد غروب الشمس  
يكفي في صدق دخول الليل فيجوز الإفطار وأما على المختار غروب الشمس  
لا يكفي بل يشترط سقوط الحمرة عن المشرق.

قال الفخر الرازي في تفسير لهذه الآية فقد ورد في الحديث  
الصحيح فيه ما روى عمر قال: قال رسول الله ﷺ إذا أقبل الليل  
من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وقد غربت الشمس فقد أفطر  
الصائم فهذا الحديث يدل على أنَّ الصوم ينتهي في هذا الوقت انتهى  
ثم قال بعد أسطر المسألة الثانية اختلفوا في أنَّ الليل ما هو فمن

النَّاسِ مَنْ قَالَ أَمَّا الْغَدُ فَأَعْتَبَرُوا فِي حُصُولِ اللَّيْلِ زَوَالِ  
أَثَارِ الشَّمْسِ كَمَا حَصَلَ إِبْتِغَارُ زَوَالِ اللَّيْلِ عِنْدَ ظَهْوَرِ أَثَارِ الشَّمْسِ  
ثُمَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ إِيكْفَى بِزَوَالِ الْحُمْرَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ إِيكْتَبَرُ ظَهْوَرِ  
الظَّلَامِ التَّامِ وَظَهْوَرِ الْكَوَاكِبِ إِلَّا أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ عُمَرُ يُبْطَلُ  
ذَلِكَ وَعَلَيْهِ عَمَلُ الْفُقَهَاءِ انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ  
فَأَنَّهُ تَعَالَى حَدَّ الصَّوْمِ بِأَنَّ آخِرَ وَقْتِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ كَمَا حَدَّ الْإِفْطَارِ  
وَإِبَاحَةُ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَأَوَّلُ الصَّوْمِ بِمَجِيئِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَ  
أَوَّلِ إِدْبَارِ آخِرِ اللَّيْلِ فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ لَا صَوْمَ بِاللَّيْلِ كَمَا لَا فِطْرَ  
بِالنَّهَارِ فِي أَيَّامِ الصَّوْمِ وَعَلَى أَنَّ الْمَوَاصِلَ مُجَوِّعَ نَفْسِهِ فِي غَيْرِ  
طَاعَةِ رَبِّهِ.

ثُمَّ رَوَى مَا رَوَاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ عُمَرَ وَقَدْ نَقَلْنَاهُ وَرَوَى حَدِيثًا آخَرَ  
بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي  
مَسِيرٍ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِرَجُلٍ أَنْزِلْ فَأَجْدَحْ لِي  
قَالُوا لَوْ أَمْسَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَنْزِلْ فَأَجْدَحْ فَقَالَ الرَّجُلُ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمْسَيْتَ قَالَ أَنْزِلْ فَأَجْدَحْ لِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّنَّ عَلَيْنَا  
نَهَارًا فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةُ فَنَزَلَ فَجْدَحَ لَهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ  
مِنْ هَاهُنَا وَضَرَبَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ انْتَهَى.

وَرَوَى أَيْضًا بِأَسْنَادِهِ عَنْ رَفِيعٍ قَالَ قَرَضَ اللَّهُ الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ فَإِذَا  
جَاءَ اللَّيْلُ فَأَنْتَ مُفْطِرٌ إِنْ شِئْتَ فَكُلْ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَأْكُلْ انْتَهَى.

أَقُولُ يَظْهَرُ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرُوهُ فِي الْبَابِ أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي كَوْنِ  
اللَّيْلِ غَايَةً لِلصَّوْمِ وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ فَقَدْ نَمَّ الْيَوْمُ وَالصَّوْمُ وَهُوَ مِمَّا لَا خِلَافَ  
فِيهِ أَمَّا الْخِلَافُ فِي صَدَقِ اللَّيْلِ فَانْتَهَى يَقُولُونَ بِغُرُوبِ الْقُرْصِ عُرْفًا وَأَنَّ كَانَتْ  
الْحُمْرَةُ الْمَشْرِقِيَّةُ بَاقِيَةً وَنَحْنُ نَقُولُ بِذَهَابِهَا مِنْ جَانِبِ الْمَشْرِقِ وَإِقْبَالِ السَّوَادِ

منه وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الأفاق في الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل ولا شك أن الحق ما نقول به لوجوه:

**أما أولاً:** فلما رواه الشيخ عن أبي عبد الله قال عليه السلام: وقت سقوط القرص ووقت الإفطار من الصيام أن تقوم بحذاء القبلة وتتفقد الحمرة التي ترتفع من المشرق فإذا جازت قمة الرأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الإفطار وسقط القرص انتهى.

ثانياً: أن الأصل أيضاً يقتضيه لأن مجيء الليل بإستتار القرص مشكوك فيه وعند سقوطه متيقن والأخذ بالمتيقن وترك المشكوك هو الموافق للأصول المقررة.

**ثالثاً:** هو الموافق للإحتياط لقوله صلوات الله عليه وآله أخوك دينك فأحتط لدينك والحاصل أن اليقين بوجود النهار لا يزول بالإستتار ولكن يزول بسقوط القرص.

**المسألة الثانية:** قوله **وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** دلت الآية على مشروعية الإعتكاف كما دل عليه قوله تعالى: **طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ** ويدل عليه أيضاً مضافاً إلى الإجماع والسنة المستفيضة من أنه صلوات الله عليه وآله **إِعْتَكَفَ** وأمر به وأحكام الإعتكاف مسطورة في الكتب الفقهية ولنشر إلى بعضها على ما تضمنته الآية فنقول:

**الإعتكاف لغة** هو الإقامة والإحتباس في المكان ونقل في الشرع إلى كون مخصوص في مكان مخصوص مشروط بالصوم إبتداءً فقوله تعالى **لَا تُبَاشِرُوهُنَّ**، قيل المراد بالمباشرة هنا يشمل اللمس والتقبيل والجماع قال في المدارك قطع الأصحاب بتحريم كل من الثلاثة عملاً بإطلاق الآية إلا أنهم قيّدوا الأولين بالشهوة واختلفوا في أنه هل يفسد بها الإعتكاف أم لا على قولين إختار الثاني في المختلف ثم قال بعض المحققين بعد نقله عن المدارك ما نقلناه من الاختلاف.

أقول لَمْ أَظفر في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام ما يدلّ على التّعميم بل فيها ما يدلّ على خلاف ذلك.

ففي حَسَنَةِ الحلبي عن أبي عبد الله قال كان رسول الله إذا كان عشر الأواخر إِعْتَكَفَ في المسجد وضربت له قُبَّةٌ من شعر وشمّر المِئْزَرُ وطَوَّى فراشه فقال بعضهم وإِعْتَزَلَ النِّسَاءُ فقال أبو عبد الله أَمَّا إِعْتَزَالَ النِّسَاءِ فلا انتهَى.

قال فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ تشمير المِئْزَرِ كناية عن التَّوَجُّه إلى العبادة وطوي الفراش كناية عن الجماع خاصّة

وقال الشَّيْخُ في التَّهْذِيبِ بعد نقله لهذا الخَبَرِ ونقله للأخبار الدّالة على لزوم الكفّارة بالجماع في رفع التَّنَافِي بينها، المراد بقوله <sup>عَلَيْهَا</sup> أَمَّا إِعْتَزَالَ النِّسَاءِ فلا، مُخَالَطَتُهُنَّ وَمُجَالَسَتُهُنَّ وَمُحَادَثَتُهُنَّ دون الجماع والذي يحرم على المعتكف من ذلك الجماع دُونِ غيره فهذا تصريح منه بتخصيص التّحريم بالجماع وهذا هو الظّاهر من ابن بابويه في الفقيه وهو المُتَبَادِرُ من إطلاق مباشرة النِّسَاءِ مع إصالة الإباحة وظاهر إطلاق الآية يدلّ على شُمُولِ التّحريم في اللَّيْلِ والنَّهَارِ وهو المُفْتَى به ويدلّ عليه أخبار كثيرة حتّى أنّه لو جَامَعَ بالنَّهَارِ فعليه كفّارتان وباللَّيْلِ كفّارة واحدة.

الثّاني: أَنَّ الآية مشعرة بأنّ الإِعْتِكَافَ في المساجد و عليه أجمع العلماء كافّة وأنّما اِخْتَلَفُوا في تعيينه قال الشَّيْخُ <sup>رَضِيَ</sup> في تفسير الآية.

فالإِعْتِكَافُ عندنا هو اللَّبَثُ في أحد المساجد الأربعة، المَسْجِدِ الْحَرَامِ، أو مسجد النَّبِيِّ ﷺ، أو مسجد الكوفة، أو مسجد البَصْرَةِ للعبادة من غير إشتغال بما يجوز من أُمُور الدُّنْيَا وله شرائط ذكرناها في كُتُبِ الْفَقْهِ وَأَصْلُهُ الزُّوْمُ.

قال الطَّرْمَاحُ:

نبات نبات اللَّيْلِ حَوْلِي عُكِّفًا عكوف البواكي بينهم صرِيحٌ



وقال الفرزدق:

ترى حَوْلَهُنَّ الْمُقِنِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُكُفٌ  
قال بعض الفقهاء يَصَحُّ أيضاً في مسجد المدائن، وضابطه عند هؤلاء أن  
يكون مسجداً صَلَّى فِيهِ نَبِيٌّ أَوْ وَصِي نَبِيٍّ صلاة جماعة أو جُمُعة على  
إختلاف بينهم وتظهر الفائدة في مسجد المدائن فالمنقول أَنَّ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
صَلَّى فِيهِ جَمَاعَةٌ لَا جُمُعة، وقيل المراد المسجد الجامع وهذا هو الأقوى  
لدلالة أكثر الروايات عليه فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَا يَكُونُ الْإِعْتِكَافُ إِلَّا فِي  
مسجد جماعة.

وَعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَنْ أَبِيهِ أَنَّ الْمُعْتَكِفَ يَعْتَكِفُ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ.  
وَعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ عَلِيّاً كَانَ يَقُولُ لَا أَرَى الْإِعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ أَوْ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ أَوْ فِي مَسْجِدِ جَامِعٍ.  
وَعَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَقُولُ فِي الْإِعْتِكَافِ  
بِبَغْدَادِ فِي بَعْضِ مَسَاجِدِهَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا إِعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدِ  
جَمَاعَةٍ قَدْ صَلَّى فِيهِ إِمَامٌ عَدَلَ صَلَاةَ جَمَاعَةٍ هَذَا كُلُّهُ عَلَى مَذْهَبِنَا وَ  
أَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْعَامَّةِ فَقَدْ قَالَ الطَّبْرِيُّ وَالتَّشَافَعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَ  
أَصْحَابُهُمَا بِجَوَازِ الْإِعْتِكَافِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ وَحُجَّتُهُمْ حَمْلُ الْآيَةِ  
عَلَى عُمُومِهَا فِي كُلِّ مَسْجِدٍ لَهُ إِمَامٌ وَمُؤَدِّنٌ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ فِي أَحَدِ  
قَوْلَيْهِ وَغَيْرِهِمْ وَرَوَى الدَّارِ قُطْنِي عَنْ الضَّحَّاكِ عَنْ حَذِيفَةَ قَالَ  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كُلُّ مَسْجِدٍ لَهُ مُؤَدِّنٌ وَإِمَامٌ  
فَالْإِعْتِكَافُ فِيهِ يَصْلَحُ، ثُمَّ قَالَ الدَّارِ قُطْنِي، وَالضَّحَّاكُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ  
حَذِيفَةَ، وَذَهَبَ قَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ خَرَجَتْ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ  
وَهُوَ مَا بَنَاهُ نَبِيٌّ كَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ وَمَسْجِدِ إِبِلِيَاءَ  
(إِسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ) فَلَا يَجُوزُ الْإِعْتِكَافُ عَنْدهُمْ فِي غَيْرِهَا وَ  
قَالَ آخَرُونَ لَا إِعْتِكَافَ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ تَجْمَعُ فِيهِ الْجُمُعةُ لِأَنَّ الْإِشَارَةَ

في الآية عندهم الى ذلك الجنس من المساجد رُوي هذا عن علي ابن أبي طالب و ابن مسعود وهو قول عروة والحكم و حماد و الزهري و أبي جعفر محمد ابن علي و هو أحد قولي مالك، نقل ذلك كله القُرطبي في تفسيره أقول قد علمه من هذا أنَّ العامة أيضاً اختلفوا في المسجد والمشهور عندهم هو مطلق المسجد أو مسجد تُجمع فيه الجمعة.

**الثالث:** أنَّ في الآية دلالة على بطلان الإعتكاف اذا حصلت المُباشرة المذكورة في الآية وذلك لأنَّ النّهي في العبادة مُبطل لها ولأنَّ المُباشرة مُبطلة للصّوم الذي هو شرط الإعتكاف وبطلان الشرط يستلزم بطلان المشروط هكذا قيل وفيه نظر وتحقيقه في الفقه.

**الزّابع:** حدّ الإعتكاف عندنا ثلاثة أيام بلياليها ولا يكون أقلّ منها، وإختلف العامة فيه فقال مالك لا يجوز أقلّ من عشرة أيام وقال أبو حنيفة حدّه يوم ولا تحديد عند الشّافعي فيجوز عنده ولو ساعة.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فقولهُ: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ إشارة الى جميع ما ذكر من الأحكام وهو من قبيل التأكيد والتعبير بالقرب مبالغة في ذلك كما يظهر من قوله <sup>عائلاً</sup> من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه أعاننا الله على ذلك وأشار في آخر الآية بقوله: لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ للإشعار بأنّ ما بيّن لهم من الأدلة على ما أمرهم به ونهاهم عنه لكي يتقوا معاصيه ويراعوا حدوده هي حدوده التي أمرهم الله بها ونهاهم عنها وفي ذلك كله دلالة واضحة على أنّ الله تعالى أراد التقوى من جميع الناس الذين بيّن لهم هذه الحدود وجعلنا الله من الممتّعين بمحمد وآله.

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا  
إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ  
بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

### ◀ اللغة

وتُدْلُوا: بضم التاء مضارع أدلى يقال أدلى أدلى دَلَّوه أي أرسلها ليملاها ثم  
أُسْتَعِيرَ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى الشَّيْءِ، قال الشاعر:  
وليس الرزق عن طَلَبِ حَثِيثٍ ولكن أَلَقِ دَلَّوكِ فِي الدَّلَاءِ  
والتَّدْلَى: الدُّنُو وَالِإِسْتِرْسَالُ قَالَ تَعَالَى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى<sup>(١)</sup> أَي تَعَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ  
عَلَى جَبْرِئِيلَ فِي الْهَوَاءِ وَهُوَ مِثْلُ فِي الْقُرْبِ أَي قَرُبَ بِهِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

### ◀ الإعراب

يَسْتَكْمُ يجوز أن يكون ظرفاً، لتأكلوا، ويجوز أن يكون حالاً من الأموال أي  
كائنة بينكم أو دائرة بينكم بالباطل، في موضع نصب بتأكلوا أي لا تأخذوها  
بالسبب الباطل ويجوز أن يكون حالاً من الأموال أيضاً وأن يكون حالاً من  
الفاعل في تأكلوا أي مبطلين تدلوا مجزوم عطفاً على تأكلوا واللام في لتأكلوا،  
متعلقة بتدلوا ويجوز أن يكون تدلوا منصوباً بمعنى الجمع أي لا تجمعوا بين  
أن تأكلوا وتدلوا بالإثم مثل بالباطل.

بَابُ  
الْفَتْحِ  
وَيُفَسِّرُ  
الْقُرْآنَ

جزء ٢

### ◀ التفسير

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَكْلِ الْمَالِ  
بِالْبَاطِلِ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

بَابُ  
الْفَتْحِ  
وَيُفَسِّرُ  
الْقُرْآنَ

أحدهما: أن يكون ذلك على جهة الظلم نحو الخيانة والسُّرقة والغصب و عليه فالتقدير، لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل ومثله قوله تعالى: **وَلَا تَمْزُوا أُنْفُسَكُمْ** معناه لا يلمز بعضكم بعضاً وقوله: **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** أي لا يقتل بعضكم بعضاً.

ثانيهما: لا تأكلوه على وجه الهزء واللَّعب مثل ما يُوجد في القمار والملاهي ونحوها لأنَّ كلَّ ذلك من أكل المال بالباطل قاله الشيخ في التبيان ثم قال أبو جعفر في معنى الآية يعني باليمين الكاذبة يَقْتَطَعُونَ بها الأموال.

وقال أبو عبد الله عليه السلام عَلمَ الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فَتَهَى الله المؤمنين أن يتحاكموا اليهم وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق انتهى قال بعض المفسرين من العامة أنها نزلت في عبدان بن أشوع الحضرمي ادَّعى مالاً على إمرؤ القيس الكندي واختصما إلى النبي صلى الله عليه وآله فأُتِيَ إمرؤ القيس وأُزِيدَ أن يحلف فنزلت هذه الآية فَكَفَّ عن اليمين وحكم عبدان في أرضه ولم يُخاصمه نقله القرطبي في تفسيره.

وقال بعض أنها في الرجل يكون عليه مال وليس عليه فيه بَيِّنَةٌ فَيَجْحَدُ المال ويُخاصم إلى الحكام وهو يعرف أنَّ الحقَّ عليه ويعلم أنه آكِلٌ للحرام نقله عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جببر وعكرمة وأمثالهم.

أقول الحقُّ أنَّ الخطاب بهذه الآية مُتَوَجِّهٌ إلى جميع المسلمين وخصوصية المَورد على فرض ثبوتها لا تنافي عموم المراد فيدخل في هذا القمار والخداع والغشوب وجحد الحقوق وما لا تَطِيبُ به نفس ماله أو حرمة الشريعة طابت به نفس ماله كمهر البغي وحُلوان الكاهن وأثمان الخُمُور والخنازير وأمثال ذلك وبالجملة كلُّ ما صدَّق عليه الباطل فهو داخل في الآية ومعنى الباطل في أصل اللغة الذَّاهِبُ الزَّائِلُ وقد قال الله تعالى: **جَاءَ الْحَقُّ وَ**

زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا<sup>(١)</sup> فَمَنْ أَخَذَ مَالَ غَيْرِهِ لَا عَلَى وَجْهِ أَذْنِ الشَّرْعِ فَقَدْ أَكَلَهُ بِالْبَاطِلِ وَلَا يَنْفِي هَذَا.

ما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: كَانَتْ قَرِيشٌ يَقَامِرُ الرَّجُلَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَتَهَاكُمُ اللَّهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ أَظْهَرِ مُصَادِيقِ الْبَاطِلِ أَوْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهَا وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ حَمْلَهَا عَلَى الْجَمِيعِ أَوْلَى.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

فَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ الْوِدَائِعُ وَمَا لَا يَقُومُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ وَقِيلَ أَنَّهُ مَالُ الْيَتِيمِ فِي يَدِ الْأَوْصِيَاءِ لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَهُ إِلَى الْحُكَّامِ إِذَا طُوبُوا بِهِ لِيَقْطَعُوا بَعْضَهُ وَتَقُومَ لَهُمْ فِي الظَّاهِرِ حِجَّةٌ.

ثَالِثُهَا: مَا يُؤْخَذُ بِشَهَادَةِ الزُّورِ وَالْأُولَى أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْجَمِيعِ أَيْضًا.

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّ لَتَأْكُلُوا طَائِفَةً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْفِعْلِ الْمَوْجِبِ لِلْإِثْمِ بِأَنْ يَحْكُمَ الْحَاكِمُ بِالظَّاهِرِ وَكَانَ الْأَمْرُ فِي الْبَاطِنِ بِخِلَافِهِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَنَّ ذَلِكَ الْفَرِيقَ مِنَ الْمَالِ لَيْسَ بِحَقٍّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مُبْطِلُونَ هَكَذَا قِيلَ فِي مَعْنَاهَا.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ مَا نَقَلْنَاهُ وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ لَا تَجْمَعُوا بَيْنَ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَبَيْنَ الْإِدْلَاءِ إِلَى الْحُكَّامِ بِالْحُجَجِ الْبَاطِلَةِ وَهُوَ كَقَوْلِهِ: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ مِنْ قِبَلِ قَوْلِكَ لَا تَأْكُلِ السَّمَكِ وَتَشْرَبِ اللَّبَنَ ثُمَّ قَالَ، وَقِيلَ الْمَعْنَى لَا تُصَالِحُوا بِأَمْوَالِكُمُ الْحُكَّامَ وَتَرْشُوهُمْ لِيَقْضُوا لَكُمْ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ وَهَذَا الْقَوْلُ يَتَرَجَّحُ لِأَنَّ الْحُكَّامَ مَطْطَنَتُهُ الرِّشَاءُ إِلَّا مِنْ عَصَمٍ وَهُوَ الْأَقْلُ انْتَهَى.

بِالْبَاطِلِ  
وَيَنْفِي هَذَا  
بِالْبَاطِلِ  
وَيَنْفِي هَذَا

جزء ٢

بِالْبَاطِلِ  
وَيَنْفِي هَذَا  
بِالْبَاطِلِ  
وَيَنْفِي هَذَا

قال القُرطبي في آخر البحث قلتُ فالحُكَّامُ اليومَ عَيْنَ الرِّشَا لا مَظَنَّةَ وَلِنَعَمَ ما قال:

ولنُشرَ الى بعض ماورد فيه من الأخبار:

منها ما رواه محمد بن يحيى بأسناده عن أبي بصير قال: قلتُ لأبي عبد الله قول الله عزَّ وجلَّ: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْأُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أبا بصير أِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد عَلِمَ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ حُكَّامًا يَجُورُونَ أَنَا أَنَّهُ لَمْ يَعْزِمْ حُكَّامَ أَهْلِ الْعَدْلِ وَلَكِنَّهُ عَنِ حُكَّامِ أَهْلِ الْجَوْرِ انْتَهَى.

و منها ما رواه العياشي في تفسيره عن الحسن بن علي قال قرأتُ في كتاب أبي الأسد الى أبي الحسن الثاني وجوابه بخطه سأل ما تفسير قوله تعالى وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ قَالَ فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحُكَّامُ الْقِضَاةُ قَالَ ثُمَّ كَتَبَ تَحْتَهُ هُوَ مَنْ يَعْلَمُ الرَّجُلَ أَنَّهُ ظَالِمٌ عَاصٍ هُوَ غَيْرُ مَعْذُورٍ فِي أَخْذِهِ ذَلِكَ الَّذِي حَكِمَ لَهُ بِهِ إِذَا كَانَ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ ظَالِمٌ انْتَهَى. و منها ما رواه في الفقيه عن سماعة بن مهران قال قلت لأبي عبد الله الرَّجُلُ مَتَى يَكُونُ عِنْدَهُ الشَّيْءُ يَبْلُغُ بِهِ وَعَلَيْهِ الدِّينُ أَيْطَمَعُهُ عِيَالُهُ حَتَّى يَأْمَنَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بِمِيسَرَةٍ فَيَقْضِي دِينَهُ أَوْ يَسْتَعْرِضُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي خَبْثِ الزَّمَانِ وَشِدَّةِ الْمَكَاسِبَةِ أَوْ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْضِي بِمَا عِنْدَهُ وَفِيهِ وَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ إِلَّا وَعِنْدَهُ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِمْ أَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يَقُولُ: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ انْتَهَى.

و منها ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره لهذه الآية، قال العالم عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ حُكَّامًا يَحْكُمُونَ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَهَنَى أَنْ يُحَاكِمَ إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ.

فَتَبَطَّلَ الْأَمْوَالَ.

## تنبيه:

قال في لسان العرب في مادة دَلَا، الدَّلُو معرفة واحدة الدَّلَاء التي يُستسقى بها تَذَكُر وتَوَثَّن ثم ساق الكلام وأطال حتَّى قال، وأدلى قال فلان الى الحاكم إذا دفعه اليه ومنه قوله تعالى: **تُدْأَلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ**؛ يعني الرِّشوة قال أبو اسحاق معنى، تدلُّوا في الأصل من أدليت الدَّلُو إذا أرسلتها لتملأها قال ومعنى أدلى فلان بحجته أي أرسلها وأتى بها على صحّة ثم قال فمعنى قوله **وَتُدْأَلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** أي تعملون على ما يوجب الأدياء بالحجة وتخونون في الأمانة لتأكلوا فريقاً من أموال النّاس بالائتم كأنه قال تعملون على ما يوجب ظاهر الحكم وتتركون ما قد علمتم أنّه الحقّ انتهى ما أردنا ذكره.

**أقول** يستفاد من كلام أهل اللغة أنّ الباطل مأخوذ في مفهوم الأدلاء وذلك لأنّ دفع المال أو أيّ شيء الى الغير أن كان بحقّ يعبرون عنه بالدفع والإلقاء وأن كان بغير حقّ يُعبرون عنه بالأدلاء فيقال دفعت ماله اليه أو دفعت حقّه اليه إذا كان المال أو الحقّ له كما إذا كان المال أمانة عنده أو ديناً عليه وأمّا إذا لم يكن المال أو الحقّ له يقال أدليت اليه كما إذا دفع المال الى الحاكم على سبيل الرِّشوة يقول أدليت المال اليه ولا يقال دفعتُ المال اليه وحيث أنّ دفع المال الى الحكّام باطل فاسد قال تعالى: **وَتُدْأَلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** إذا عرفت هذا فنقول لأجل هذه الدّقيقة قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة المشهورة بالشّشقية - حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها الى ابن الخطّاب أو الى فلان بعده، والمراد بالأوّل أبو بكر وبقوله، فلان، عمر بن الخطّاب وبقوله فأدلى بها، الخلافة والحكومة اليه ولم يقل عليه السلام دفعها الى فلان، وذلك لأنّ الخلافة لم تكن حقّ أبي بكر ولا عمر وأنما هي حقّ أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا تصدّى أبو بكر لها بغير حقّ له فيها ثمّ دفعها الى عمر بعد وفاته.

وهو أيضاً بغير حقٍّ قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ** فأدلى بها ولم يقل دفعها مشعراً بأنَّ أبا بكر دفع حقَّ الغير الى الغير ظلماً فصار بذلك مصداقاً كاملاً لهذه الآية.

وكان عالماً بذلك فصار مصداقاً لقوله: **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** وأما قلنا كان عالماً به لقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في أول الخطبة:

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ الرَّخِي، الخ.

فقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ** دليلٌ على المدعى.

أن قلت أن الآية تدل على النهي عن أكل الأموال بالباطل وما ذكرته من كلامه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** حقٌ وليس بمالٍ قلت أما أولاً فقد ثبت في موضعه أن الحق من الأموال في الحقيقة لأن المراد بالمال ما يصلح للملكية سواء كان من الدرهم والدينار أم من الحقوق فإن الإنسان مالك لحقه كما أنه مالك لدرهمه وديناره.

ثانياً: أن الحق سبب له فتضييعه تضييعه ألا ترى أن تضييع حق المسلمين في المقام صار سبباً لتضييع أموالهم إلى آخر الدنيا وسيأتي الكلام في هذا الموضوع في محله إن شاء الله تعالى.





يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ  
وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ  
ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتُّوَالْبُيُوتَ مِنْ  
أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) وَ  
قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا  
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

### ◀ اللغة

الْأَهْلَةُ: الأهلة بكسر الهاء جمع الهلال و هو القَمَر في أول ليلةٍ والثانية  
ثم يقال له القمر ولا يقال له هلال وإنما قيل له هلال لأنَّ النَّاسَ يرفعون  
أصواتهم بالأخبار عنه و منه إستهلَّ ظ الصَّبي إذا ظهرت حياته بصراخه و  
أستهلَّ ظ وجهه فرحاً و يقال تهلَّل إذا ظهر فيه السُّرور.

مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ: مواقيت بفتح الميم جمع ميقات كمصاييح جمع مصباح  
والميقات الوقت المضروب للشئ والوعد الذي جعل له وقت و قد يُقال  
الميقات للمكان الذي يجعل وقتاً للشئ كميقات الحج وهو المراد في المقام.  
الْحَجُّ: هو في الأصل القصد وفي الإصطلاح عند المتشرعة قصد البيت  
للتقرب إلى الله بأفعالٍ مخصوصةٍ في أماكن مخصوصة في زمانٍ مخصوص و  
هو بفتح الحاء المصدر وبالكسر الاسم.

وَلَا تَعْتَدُوا: الإعتداء التَّجاوز من الحدِّ.

في القرآن تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ الإعراب

وَالْحَجِّ معطوف على النَّاسِ البرُّ إسم ليس بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ خبرها و  
بذلك لزم دخول الباء فيه.

## ﴿التفسير﴾

اختلفوا في شأن نزول الآية فقليل أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله أن اليهود يكثرون مسئلتنا عن الأهلة فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أنهم سألوا رسول الله ﷺ لم خلقت هذه الأهلة فأنزل الله الآية قال الطبرسي في المجمع وقال القرطبي بعد نقله ما نقلناه، وقيل أن سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبي ﷺ عن الهلال وما سبب محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس قاله ابن عباس و قتادة وغيرهما فقال الله تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ لَمَّا كَانَ السُّؤَالُ عَنْ حَالِ الْأَهْلَةِ أَيَّ عَنْ زِيَادَتِهَا وَنَقْصَانِهَا وَوَجْهَ الْحِكْمَةِ فِيهَا، فَأُجِيبَ فِي الْآيَةِ بِأَنَّ مَقَادِيرَهَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي صَوْمِهِمْ وَفَطْرِهِمْ وَعَدَدِ نِسَائِهِمْ وَمَحَلِّ ذُنُوبِهِمْ وَحُجَّتِهِمْ وَحَسَابِهِمْ وَكُتَابِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَفِيهَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الصُّومَ لَا يَثْبِتُ بِالْعَدِّ وَأَنَّهُ يَثْبِتُ بِالْهَلَالِ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَوْ كَانَ مُرَاعَى لَمَّا أُحِيلَ فِي مَوَاقِيتِ النَّاسِ فِي الْحَجِّ عَلَى ذَلِكَ بَلْ أُحِيلَ عَلَى الْعَدَدِ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي التَّبْيَانِ قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِيهِ تَبْيِينٌ لَوْجْهَ الْحِكْمَةِ فِي زِيَادَةِ الْقَمَرِ وَنَقْصَانِهِ وَهُوَ زَوَالُ الْإِشْكَالِ فِي الْأَجَالِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْإِيمَانِ وَالْحَجِّ وَالْعَدَدِ وَالصُّومِ وَالْفَطْرِ وَمَدَّةَ الْحَمْلِ وَالْإِجَارَاتِ وَالْأَكْرِیَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ الْعِبَادَةِ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً لِلنَّاسِ وَجَعَلْنَا آيَةً لِلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ (١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ (٢)

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ إِحْصَاءَ الْأَهْلَةِ أَيْسَرُ مِنْ إِحْصَاءِ الْأَيَّامِ وَأَمَّا قَوْلُهُ:

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا فَقَالُوا إِنَّصِلْ هَذَا بِذِكْرِ مَوَاقِيتِ الْحَجِّ لِاتِّفَاقِ وَقُوعِ الْقَضِيَّتَيْنِ فِي وَقْتِ السُّؤَالِ عَنِ الْأَهْلَةِ وَعَنْ دُخُولِ الْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا وَكَيْفِيَّتِهِ عَلَى مَا نَقَلَهُ لِمَفْسَّرُونَ هُوَ أَنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا إِذَا حَجَّوْا وَعَادُوا لَا يَدْخُلُونَ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ فَأَتَتْهُمْ كَانُوا إِذَا أَهَلُّوا بِالْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ يَلْتَزِمُونَ شَرْعاً أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حَائِلٌ فَإِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّ مِنْ إِحْرَامِهِ مِنْ بَيْتِهِ فَرَجَعَ لِحَاجَةٍ لَا يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْحُجْرَةِ مِنْ أَجْلِ سَقْفِ الْبَيْتِ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ فَكَانَ يَتَنَسَّمُ ظَهَرَ بَيْتِهِ عَلَى الْجِدْرَانِ ثُمَّ يَقُومُ فِي حُجْرَتِهِ فَيَأْمُرُ بِحَاجَتِهِ فَتَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتِهِ وَكَانُوا يَرُونَ هَذَا مِنَ النَّسْكِ وَالْبَرَكَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهَا أَشْيَاءَ نَسَكاً فَرَّدَ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَبَيَّنَ الرَّبُّ تَعَالَى أَنَّ الْبَرَّ فِي إِمْتِثَالِ أَمْرِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِذَا أَحْرَمَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالْحَجِّ فَأَنَّ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتِ نَقَبَ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ فَمِنْهُ يَدْخُلُ وَمِنْهُ يَخْرُجُ أَوْ يَضَعُ سَلْماً فَيَصْعَدُ مِنْهُ وَيَنْحَدِرُ عَلَيْهِ وَأَنَّ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَبَرِ يَعْنِي أَهْلَ الْخِيَامِ يَدْخُلُ مِنْ خَلْفِ الْخِيَامِ الْخِيْمَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْحُمْسِ. وَرَوَى الزَّهْرِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْلَ زَمَنِ الْحَدِيثِ بِالْعُمْرَةِ فَدَخَلَ حُجْرَتَهُ وَدَخَلَ خَلْفَهُ رَجُلٌ أَنْصَارِيٌّ مِنْ بَنِي سَلْمَةَ فَدَخَلَ وَخَرَقَ عَادَةً قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ قَدْ أَحْرَمْتَ، فَقَالَ دَخَلْتُ أَنْتَ فَدَخَلْتُ بِدُخُولِكَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَتَيْتَ أَحْمَسَ أَيَّ مِنْ قَوْمٍ لَا يَدِينُونَ بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَأَنَا دِينِي دِينَكَ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ قِيلَ وَهُوَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْأَنْصَارِيُّ ثُمَّ أَنَّ الْحُمْسَ، عِبَارَةٌ عَنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَخِزَاعَةٍ وَثَقِيفٍ وَخَثْعَمٍ وَبَنُو عَامِرٍ بْنُ صَعْصَعَةَ وَبَنُو نَصْرٍ وَسَمَوْهَا حُمْساً لِتَشْدِيدِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَالْحِمَاسَةِ الشَّدَّةِ وَإِخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهَا فَقِيلَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَقِيلَ أَنَّهُ النَّسْيُ

و تأخير الحجّ به حتّى كانوا يجعلون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحجّ اليه والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحجّ عنه فيكون ذكر البيوت على هذا ثقلاً لمخالفة الواجب في الحجّ وشهوره وسيأتي بيان النسي في سورة، براءة وقال أبو عبيدة الآية ضرب مثل، المعنى ليس البرّ أن تسألوا الجهال ولكن اتّقوا الله وإسألوا العلماء فهذا كما تقول أتيت هذا الأمر من بابهِ وحكى المهدوي ومكي عن الأنباري والماوردي عن ابن زيد أنّ الآية مثل في جماع النساء أمر باتيانهن في القبل لا من الدبر وسمي النساء بيوتاً للإيواء اليهن كالإيواء الى البيوت وقال الحسن كانوا يتطّيرون فمن سافر ولم تحصل حاجته كان يأتي بيته من وراء ظهره تطيراً من الخيبة فقيل لهم ليس في التطير برّ بل البرّ أن تتقوا الله و تتوكّلوا عليه أقول هذه الأقوال نقلها القرطبي في تفسيره ثم قال القول الأوّل أصح هذه الأقوال انتهى.

روى الشيخ رحمته الله في تهذيب الأحكام بأسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن الأهلّة قال عليه السلام هي أهلّة الشهور فإذا رأيت الهلال فصم وإذا رأيته فأفطر انتهى.

و بأسناده عن أبي الجارود قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول صُم حين يصوم الناس وأفطر حين يفطر الناس فإنّ الله عزّ وجلّ جعل الأهلّة مواقيت انتهى.

و بأسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ قال: لصومهم وفطرم وحجهم انتهى.

وفي كتاب الإحتجاج عن الأصبغ بن نباتة قال كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوا فقال يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ: لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا فقال عليه السلام: نحن

البيوت أمر الله أن توتي أبوابها نحن باب الله و بيوته التي يوتي منه فمن بايعنا و أقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا و فضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها أن الله عزّ وجلّ لو شاء عرف الناس نفسه حتّى يعرفونه و يأتونه من بابه و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و بابه الذي يوتي منه فمن عدل عن و لايتنا و فضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها و أنهم عن الصراط لناكبون و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل و فيه و قد جعل الله للعلم أهلاً و فرض على العباد طاعتهم بقوله و أتوا البيوت من أبوابها، و البيوت هي بيوت العلم الذي إستودعته الأنبياء و أبوابها أوصياءهم انتهى.

أقول و يدلّ عليه مارواه الفريقين من قوله صلّى الله عليه و آله أنا مدينة العلم و عليّ بابها.

و في تفسير العياشي عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية و ليس البر بأن تأتوا البيوت من أبوابها، فقال عليه السلام آل محمّد صلّى الله عليه و آله أبواب الله و سبيله و الدعاة إلى الجنة و القادة إليها الأتداء عليها إلى يوم القيامة انتهى.

ولنعم ما قيل في المقام:

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم  
ركبتُ على إسم الله في سفن النجاة  
وأسكتُ حبل الله وهو ولاءهم  
إذا افترقت في الدين سبْعون فرقة  
ولم يكُ ناج منهم غير فرقة  
أفي الفرقة الهلاك آل محمّد

مذاهبهم في أبحر العي والجهل  
وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل  
كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل  
وتيف كما قد جاء في محكم الثقل  
فقل لي بها ياذا التفكير والعقل  
أم الفرق اللّاتي نجت منهم قل لي

فَأَنْ قُلْتُ فِي النَّاجِينَ فَالْقَوْلَ وَاحِدٌ وَإِنْ قُلْتُ فِي الْهَلَاكِ بَعْدَ عَنِ الْعِدْلِ  
 إِذَا كَانَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ فَآتَنِي رَضِيتُ بِهِمْ لَا زَالَ فِي ظِلِّهِمْ ظَلِي  
 فَخَلُّوا عَلَيَّ لِي وَلِيًّا وَنَسَلَهُ وَأَنْتُمْ مِنَ الْبَاقِينَ فِي أَوْسَعِ الْحِلِّ  
 وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** أَيِ اتَّقُوا  
 اللَّهَ لِكَيْ تَتَّقُوا وَالتَّقَوُّى عبارة عن الإتيان بما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَالتَّرْكَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ  
 عَنْهُ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْإِمْتِثَالِ.

وقوله تعالى: **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا**.  
 الخطاب بقوله **وَقَاتِلُوا** متوجه إلى المؤمنين أمرهم الله تعالى بقتال من  
 قاتلهم من المشركين ونهاهم عن الإعتداء أي لا تعتدوا بالقتال بقتال من لم  
 تؤمروا بقتاله، وقيل لا تعتدوا إلى النساء والصبيان ومن قد أعطيتهموه الأمان،  
 لا تعتدوا بالقتال على غير الدين وقوله تعالى **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** فالوجه  
 فيه أَنَّ الإعتداء ظلمٌ والله تعالى عَدُوٌّ لِلظَّالِمِينَ، إعلم أَنَّ الْحَسَنَ وَابْنَ زَيْدٍ  
 وَالرَّبِيعَ وَالجُبَايَ وَغَيْرَهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ:  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** <sup>(١)</sup>  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** <sup>(٢)</sup>.

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعمر بن عبد العزيز أنها غير منسوخة، و  
 قال بعضهم أمروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل أنهم أمروا بقتال أهل مكة  
 والأولى حمل الآية على العموم إلا من أخرجه الدليل قال الشيخ في التبيان  
 روي عن أئمتنا عليهم السلام أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** نَاسِخٌ  
 لقوله: **كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** <sup>(٣)</sup>.

وكذلك قوله: **وَأَقْتُلُواهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ** <sup>(٤)</sup> ناسخ لقوله: **وَلَا تَطْعَمُ الْأَكْفَارِينَ** وَ

الْمُنَافِقِينَ وَ دَعِ أَذْيَهُمْ<sup>(١)</sup> انتهى.

قال بعض المحققين في معنى الآية أي جاهدوا وليكن ذلك صادراً منكم في سبيل الله لإعزاز دينه وإعلاء كلمته لا مطالب دينوية وضغائن وأحقاد، والمراد بالَّذِينَ يقاتلونكم، مطلق الكفار إلا من أخرجه الدليل و ذلك لأنهم بصدد قتال المسلمين و من المترصدين لذلك فهم في مقصدهم ذلك و إستحلالهم له في حكم المقاتلين، و قيل المراد بهم أهل مكة الذين حاربوا المسلمين من قبل، و يرشد الى ذلك ما قيل أن سبب النزول لصلح حديبية أن رسول الله لما خرج هو وأصحابه في العام.

الذي أرادوا فيه العمرة فصدّهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى وأحلّوا ثمّ صالحهم المشركون على أن يرجعوا من عامهم ويعودوا في العام القابل فيخلوا لهم مكة ثلاثة أيام فيرجعوا بعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفي لهم المشركون و يقاتلوهم في الحرم والشّهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وقيل معناه، قاتلوا الذين يتوقّع منهم القتال دون غيرهم من المشايخ والصّبيان والنساء ونحوهم، أو المراد قاتلوا المبادرين في القتال دون الكافين عنه كما قيل و على هذا تكون الآية منسوخة بقوله إقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله وَلَا تَعْتَدُوا أي لا يكون قتالكم في غير السبيل بأن تفعلوا ذلك لضغائن وأحقاد و يحتمل أن المعنى لا تفاجؤهم بالقتال قبل عرض الإسلام عليهم، أو لا تفعلوا في قتالهم وإهلاكهم ما لا يجوز كالإعراق بالنّار وإلقاء السّم بالماء و على الوجوه الباقية يكون النّهي عن قتال من لم يؤمروا بقتاله أو مجاوزة من ساغ قتاله الى غيره كالنساء والصّبيان قال القرطبي هذه الآية أول آية نزلت في الأمر بالقتال ولا خلاف في أن القتال كان محظوراً قبل الهجرة:

قال الله تعالى: اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>(٢)</sup>

بَابُ التَّوْقَاتِ فِي تَفْصِيلِ الْقِتَالِ

جزء ٢

بَابُ التَّوْقَاتِ فِي تَفْصِيلِ الْقِتَالِ

قال الله تعالى: فَاغْفُ عَنْهُمْ وَ أَصْفَحْ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَ أَهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ<sup>(٣)</sup>

وما كان مثله ممّا نزل بمكة فلما هاجر الى المدينة أمر بالقتال فنزل، وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ قاله الربيع بن أنس وغيره وروي عن أبي بكر أن أول آية نزلت في القتال، أذن للذين يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا<sup>(٤)</sup>.

**الأول:** أكثر وَ أَنَّ آية الأذن أنما نزلت في القتال عامة لمن قاتل ولمن لم يقاتل من المشركين وذلك أن النبي ﷺ خرج مع أصحابه الى مكة للعمرة فلما نزل الحديبية بقرب مكة والحديبية إسم بئر فسمي ذلك الموضع بإسم تلك البئر فصدّه المشركون عن البيت وأقام بالحديبية شهراً، ثم نقل القصة الى أن قال فلما كان من قابل تجهز للعمرة القضاء وخاف المسلمون غدر الكفار وكرهوا القتال في الحرم وفي الشهر الحرام فنزلت هذه الآية أي يحل لكم القتال أن قاتلكم الكفار فالآية متصلة بما سبق من ذكر الحج وإتيان البيوت من ظهورها فكان ﷺ يقاتل من قاتله ويكفّ عمّن كفّ عنه حتى نزل فأقتلوا المشركين فنسخت هذه الآية قاله جماعة من العلماء وقال ابن زيد والربيع نسخها، وقاتلوا المشركين كافة، فأمر بالقتال لجميع الكفار انتهى.

موضع الحاجة من كلامه ونحن نقول كلامنا في النسخ ماروي عن أئمتنا أن هذه الآية ناسخة لقوله: كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ الخ.

وقد مرّ الكلام فيه فعلى هذا تكون هذه الآية ناسخة لا منسوخة وهو الحق الحقيقي بالإتباع والحمد لله رب العالمين.





وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ  
حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا  
تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ  
فِيهِ فَإِنْ فَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ  
الْكَافِرِينَ (١٩١)

### ◀ اللّغة

تَقِفْتُمُوهُمْ: التّقف الحِذْق في ادراك الشّيء وفعله يقال يقال ثَقِفْتُ كَذَا إِذَا أَدْرَكْتَهُ  
ببصرِكَ لحِذْقٍ فِي النَّظَرِ ثُمَّ يَتَجَوّزُ بِهِ فَيَسْتَعْمَلُ فِي الْإِدْرَاكِ وَأَنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ  
ثِقَافَةٌ قَالَه الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْمُحْكَمُ يُقَالُ رَجُلٌ ثَقِفٌ إِذَا كَانَ  
مُحْكَمًا لَمَّا يَتَنَاوَلُهُ مِنَ الْأُمُورِ.

وَالْفِتْنَةُ: قَالَ فِي الْمَفْرَدَاتِ الْفِتْنَةُ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ  
الْعَبْدِ وَمَتَى كَانَ مِنَ اللَّهِ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ وَمَتَى كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ يَكُونُ  
بُضْدًا ذَلِكَ وَلِهَذَا يَذَمُّ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْوَاعِ الْفِتْنَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

### ◀ الإعراب

حَيْثُ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ ضَمَّ النَّاءُ وَفَتْحَهَا وَكَسَرَهَا وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا فِي مَوْضِعٍ  
جَرٍّ بِإِضَافَةٍ حَيْثُ إِلَيْهَا فِي الْمَوْضِعِينَ تَقَاتِلُوهُمْ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ أَنْ وَهُوَ صِلَةٌ،  
أَنْ وَالْمَوْصُولُ وَالصَّلَةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ، حَتَّى يَتَعَلَّقَ بِتَقَاتِلُوهُمْ.

### ◀ التفسير

لَا شَكَّ أَنَّ الْخَطَّابَ بِقَوْلِهِ: وَأَقْتُلُوهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ الضَّمِيرُ  
فِي قَوْلِهِ: وَأَخْرِجُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَالْمَعْنَى لَا تَبْدُوهُمْ بِقَتْلِ وَلَا

قتالٍ حتَّى يبدؤكم إلا أنَّ القتل نقض بُنية الحياة والقتال محاولة القتل ممَّن يحاول القتل أي إقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأخرجوهم من ديارهم حيث أخرجوكم من دياركم أي أخرجوهم من مكَّة كما أخرجوكم منها، روي أنَّ هذه الآية نزلت في رجل من الصَّحابة قتل رجلاً من الكفار في الشَّهر الحرام قيل هو عمرو بن الحَضرمي حين قتله واقد بن عبد الله التَّميمي في آخر يوم من رجب الشَّهر الحرام، فعابوا المؤمنين بذلك فبيَّن الله تعالى:

وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ كَانَ هُوَ أَيْضاً لَا يَجُوزُ وَتَوْضِيحُ الْمَعْنَى يَسْتَدْعِي التَّكَلُّمَ فِي الْآيَةِ إِجْمَالاً فَنَقُولُ هُنَا خَمْسَ مَسَائِلَ.

**الأولى:** قوله: **وَأَقْتُلُوهُمْ** إلى قوله: **مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ** أمرهم الله تعالى بقتل المشركين وإخراجهم من ديارهم كما دلت الآية عليه وذلك لأنَّ المشركين كانوا كذلك قبل نزول الآية فقتلوا غير واحدٍ من المسلمين وأخرجوهم من ديارهم أعني بها مكَّة وما حولها ولأجل ذلك وقعت الهجرة إلى المدينة والعقل والشرع يحكما بصحة هذا الحكم.

**أما العقل** فلأنَّ هذا الحكم منه تعالى أتما صدر للدِّفاع عن نفوسهم وأموالهم أمرٌ معقول وأما الشرع:

قال الله تعالى: **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَإِنْ غَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ** <sup>(٤)</sup> وغيرها من الآيات

**الثانية:** قوله **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** قال الحَسَنُ و قتادة والرَّبِيعُ ومجاهد وابن زيد و جميع المفسرين أنها الكُفْرُ وأصل الفتنة الإختبار فكأنه قال والكفر الذي يكون عند الإختبار أعظم من القتل في الشهر الحرام قاله الشَّيْخُ في التَّبَيَانِ.

وقال القُرطبي من العامة، أي الفِتْنَةُ التي حَمَلوكم عليها وراموا رجوعكم بها إلى الكُفْرِ أَشَدُّ من القتل وقال غيره أي شركهم بالله وكُفْرهم به أعظم جُرماً وأشد من القتل الذي عَيَّروكم به انتهى.

وقال الطَّبْرِي يعني تعالى ذكره بقوله: **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** والشَّرْكُ بالله أَشَدُّ من القتل ثم قال فتأويل الكلام، وإبتلاء المؤمن في دينه حتَّى يرجع عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه أَشَدُّ عليه وأضرّ من أن يقتل مُقيماً على دينه متمسكاً عليه فحقاً فيه ثم نقل عن مجاهد أنه قال إرتداد المؤمن إلى الوثن أَشَدُّ عليه من القتل ونقل عن قتادة أيضاً كذلك وهكذا غيرهم، أقول يعلم من جميع ما نقلناه منهم أنهم إتَّفَقُوا على أَنَّ المراد بها الشَّرْكُ أو الكفر.

وقال في تفسير الميزان، والفتنة هو ما يقع به إختبار حال الشَّيْءِ ولذلك يطلق على نفس الإمتحان والإبتلاء وعلى ما يلزمه غالباً وهو الشدّة والعذاب على ما يستعقبه كالضلال والشَّرْكُ وقد أستعمل في القرآن الشَّريف في جميع هذه المعاني والمراد به في الآية الشَّرْكُ بالله ورسوله بالزَّجر والعذاب كما يفعله المُشركون بمكّة بالمؤمنين بعد هجرة رسول الله وقبلها بالمعنى شَدَّدوا على المشركين بمكّة كلّ التشديد بقتلهم حيث وجدوا حتَّى ينزجر ذلك إلى خروجهم من ديارهم وجلاءهم من أرضهم كما فعلوا بكم ذلك وما فعلوه أَشَدُّ فَأَنَّ ذلك منهم كان فتنة والفتنة أَشَدُّ من القتل لأنَّ في القتل إنقطاع الحياة الدُّنيا وفي الفتنة إنقطاع الحياتين وإنهادم الدارين انتهى ما ذكره بعين ألفاظه وعباراته هذا ما قالوه في معنى الآية وبه قال غيرهم من العامة والخاصّة وأنا أقول:

لنا معهم كلام في المراد بالآية وهو أَنَّ الأمر لو كان كما ذكروه أي كانت الفتنة بمعنى الكُفر أو الشُّرك لكان حقَّ الكلام أن يقال والكُفر أو الشُّرك أشدَّ من القتل لكونه أبلغ وأظهر في بيان المراد من الفِتْنَةِ التي ليس معناها مُنحصراً في الكُفر أو الشُّرك بل لا يراد منها الكُفر إلا بضربٍ من التأويل فما وجه العدول عن الكُفر إلى الفتنة وأيِّ حُسنٍ فيه ثمَّ أيِّ دليلٍ دلَّ على أنَّ المراد بهما الكُفر أو الشُّرك من جميع معانيهما المحتملة ونحن نُشير إلى شطريهما ثمَّ نقول ما هو الحقُّ عندنا قال في لسان العرب مادة، فِتْنٌ، الأزهري وغيره، معنى الفتنة، الإبتلاء، والإمتحان والإختبار وأصلها مأخوذ من قولك فتنْتُ الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الردي من الجيد وساق الكلام إلى أن قال، قال ابن الأعرابي، الفتنة الإختبار والفتنة المحنة، و الفتنة المال و الفتنة الأولاد، والفتنة الكُفر و الفتنة إختلاف النَّاس و الفتنة الإحراق بالنار و قيل الفتنة في التأويل الظلم وقال ابن سيّدة، الفِتْنَةُ الخبرة، إلى أن قال و الفِتْنَةُ إعجاب المرء وهكذا ثمَّ أَنَّ هذه الكلمة قد تَكَرَّرت في القرآن في آيات كثيرة منها:

قال الله تعالى: **وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَلَا تَقْتَتِبْ أَصْلَافِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **وَلَاؤُضْغُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ** <sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى: **وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** <sup>(٦)</sup>

و الآيات كثيرة اذا عرفت هذا فنقول ينبغي حمل الفتنة في كل آية على معناها المناسب لها على ما سيجي بيانه إن شاء الله تعالى و الفتنة بمعنى الكفر أو الشرك لا تناسب الآية وذلك لأن قوله تعالى و الفتنة أشد من القتل كأنه بمنزلة التعليل لقوله و أقتلوهم حيث ثقتموهم و أخرجوهم من حيث أخرجوكم، و ذلك لأنه تعالى لما أمرهم بقتل المشركين حيث وجدوهم و إخراجهم من مكة، صعب ذلك الحكم على الكفار و ظنوا أنه من الظلم عليهم فكأنهم قالوا لم أمر الله بقتلنا وإخراجنا من ديارنا معاً مع إننا لم نقتلهم وأنما أخرجناهم من مكة و المقابلة بالمثل تقتضي إخراجنا فقط كما أخرجناهم فأما القتل فلماذا فقال الله في جوابهم: **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ** أي أنكم و أن لم تقتلوهم حيث وجدتموهم و لكن أوجدتم الخلاف و التفاف بين الناس و أفسدتم عليهم دينهم و دنياهم بمنعكم أيهم عن قبول الإسلام وإيذاءكم المسلمين بقبولهم الإسلام و هذا الذي فعلتم بالناس أشد ذنباً و قبحاً من القتل الذي فيه قطع الحياة في الدنيا لأنكم أفسدتم على الناس دينهم و دنياهم و المسلمون أفسدوا عليكم دنياكم فقط و أن شئت قلت قتل المسلمين أيكم ليس من الفساد بشيء بل هو إصلاح في الحقيقة لأن قطع مادة الفساد عن الاجتماع إصلاح له بخلاف ما أنتم فيه من الفساد و الإفساد في الجامعة فأنه أشد من القتل قطعاً و عليه فحمل الفتنة في الآية على معناها العرفي و هو إيجاد الاختلاف و الفساد و التفاف ذلك أولى و أنسب.

من حملها على الكفر أو الشرك إذ لا معنى لقوله: **أَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** لأن الكفر أشد من القتل، إذ لم يأمر الله المسلمين بقتل الكفار لأجل كفرهم بل أمرهم بقتلهم لأجل الإفساد وإيجاد التفاف بين الناس إذ لو كان الأمر بالقتل لأجل الكفر فقط فلا وجه لقوله و أخرجوهم من حيث أخرجوكم وأنما قال ذلك بعد الأمر بالقتل للإشعار بأن الكفار لما فعلوا كذلك أي أخرجوا

المسلمين من مكّة وأرعبوهم وأخافوهم أمرنا المسلمين بقتلهم لأنّ ما فعلوه بهم كان من أظهر مصاديق الفساد والإفساد الذي لا دواء له إلا القتل وأما الكُفَر بما هو هو.

قال الله تعالى: لَا إِخْرَافَ فِي الَّذِينَ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ<sup>(١)</sup> كما سيأتي الكلام فيها إن شاء الله تعالى هذا ما فهمناه من الآية والعلم عند الله.

الثالثة: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفَاتِلُوكُمْ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ لِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ: وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ الذَّالِّ بِإِطْلَاقِهِ قَتْلَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَيْضاً فَقَالَ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ الْخ أَي نَهَاهُمْ عَنْ قَتْلِ الْكَفَّارِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَكِنْ لَا مُطْلَقاً بَلْ مَشْرُوطاً بِأَنْ لَا يَبْدُوهُمْ بِالْقِتَالِ فَأَنْ بَدَوْا بِالْقِتَالِ حَلٌّ لِلْمُسْلِمِينَ قِتَالَهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ قَالَ بَعْضُ مُفَسِّرِي الْعَامَّةِ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قولان:

أحدهما: أنّها منسوخة.

الثاني: أنّها محكمة ولا يجوز قتل أَحَدٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُقَاتَلَ وَبِهِ قَالَ طَاوُوسٌ وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَصُّ الْآيَةِ وَاليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه ثُمَّ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ أَنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ قَتَادَةُ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ<sup>(٢)</sup> وَقَالَ مَقَاتِلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسَخَهَا قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ثُمَّ نَسَخَ هَذَا قَوْلَهُ: **أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** فَيَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ بِالْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ وَمِمَّا إِحْتَجَّ جَوَابُهُ أَنَّ بَرَاءَةَ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِسِتِّينَ وَأَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ الْمَغْفِرُ فَقِيلَ أَنَّ ابْنَ خَطْلٍ مَتَّعِلِقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ **أَقْتُلُوهُ** وَقَالَ بَعْضُ الْعَامَّةِ أَنَّ الْآيَةَ أَعْنِي بِهِمَا قَوْلَهُ: **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** أَنْتَهَى.

**أَقُولُ** وَالْحَقُّ أَنَّ الْآيَةَ غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** مَعْنَاهُ أَنْ إِنْتَهَوْا عَنِ قِتَالِكُمْ بِالْإِيمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُمْ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ وَيَرْحَمُ كَلَّامَهُمْ بِالْعَفْوِ عَمَّا إِجْتَرَمَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ إِنْ إِنْتَهَوْا عَنْ كُفْرِهِمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ وَقِيلَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْقَاتِلِ عَمْدًا لِأَنَّهُ بَيَّنَّ أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْمُشْرِكِ وَالشُّرْكَ أَعْظَمُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ مِنَ الْأَعْظَمِ وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَقْلِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.



فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَ  
قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ  
فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)

### ◀ اللغة

انتهوا: أي امتنعوا من الكفر وأذعنوا بالإسلام.  
فلا عدوان: أي فلا قتل عليهم سمي القتل به مجازاً من حيث كان عقوبة  
على العدوان والظلم.

### ◀ الإعراب

حَتَّى لَا تَكُونَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى كَيْ، ويجوز أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ، وَ  
كَانَ هُنَا تَامَةً وَيَكُونُ الدِّينُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَانُ تَامَةً وَأَنْ تَكُونَ نَاقِصَةً وَيَكُونُ  
لِلَّهِ الْخَبَرُ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ خَبَرَ لَا.

### ◀ التفسير

قال الجبائي والحسن وغيرهما أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا  
تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوْكُمْ فِيهِ لِأَنَّهُ أَوْجَبَ قِتَالَهُمْ عَلَى كُلِّ  
حَالٍ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ  
الْعَزِيزِ أَنَّ الْأَوَّلَى لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ فَلَا تَكُونُ هَذِهِ نَاسِخَةٌ بَلْ تَكُونُ مُؤَكَّدَةٌ قَالَ  
الْقُرْطُبِيُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ قَاتِلُوهُمْ أَمْرٌ بِالْقِتَالِ لِكُلِّ مُشْرِكٍ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَلَى  
مَنْ رَأَاهَا نَاسِخَةٌ وَمَنْ رَأَاهَا غَيْرَ نَاسِخَةٍ قَالَ الْمَعْنَى قَاتِلُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ  
فِيهِمْ فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ وَهُوَ أَمْرٌ بِقِتَالِ مَنْ لَا بَشْرَ أَنْ يَبْدَأَ الْكُفَّارَ  
دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ وَقَالَ عَلِيٌّ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى



يقولوا: لا إله إلا الله فدلّت الآية والحديث على أنّ سبب القتال هو الكُفر لأنّه قال حتّى لا تكون فتنة أي كفر، فجعل الغاية عدم الكُفر وهذا ظاهر وقال ابن عبّاس وقتادة والرّبيع والسّدي وغيرهم الفتنة هنا الشّرك وما تابعه من أذى المؤمنين وأصل الفتنة الإختبار والإمتحان مأخوذ من فتنت الفضة إذا أدخلتها النار لتّميز رديئها من جيّدتها انتهى.

وقال في تفسير الميزان ويظهر من هذا الذي ذكرناه أنّ هذه الآية ليست بمنسوخة بقوله تعالى: **وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآلِ يَوْمِ الْآخِرِ** <sup>(١)</sup> بناءً على أنّ دينهم لله سبحانه وذلك أنّ الآية أعني قوله:

**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** خاصّة بالمُشركين غير شاملة لأهل الكتاب فالمراد بكون الدّين لله سبحانه هو أن لا يعبد الأصنام ويقرّ بالتّوحيد وأهل الكتاب مُصرون به وأن كان ذلك كُفراً منهم بالله بحسب الحقيقة كما قال تعالى: **لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآلِ يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ** <sup>(٢)</sup>.

أقول الحقّ أنّ الآية مؤكّدة لقوله فأن قاتلوكم فأقتلوهم وليست بناسخة له وذلك لأنّه تعالى لما أذن لهم بقتال الكُفّار بعد إبتدأهم بالقتال بقوله فأقتلوهم الخ فكأنّه قيل أو سُأل عن مدّة القتال وأمدّه فقال في الجواب **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** وهو ظاهر وأما معنى الآية فأن قلنا أنّ الفتنة في الآية بمعنى الكُفر والذين بمعنى جميع الأحكام والاعتقاد بها كما ذهب اليه المُفسّرون قاطبةً فيصير المعنى قاتلوا الكُفّار حتّى لا يكون كُفر في النّاس ويكون الدّين أي الاعتقاد بالتّوحيد والرّسالة والقيامة كلّهُ لله تعالى بمعنى أنّهم لم يعتقّدوا غيره ولازم ذلك وجوب القتال مع الكُفّار إلى أن حصلت الغاية أو الغايتين أعني بها عدم الكُفر والاعتقاد بالدّين الصّحيح السّالم عن المفاصد الإعتقادية ولا سيّما

بِقَوْلِهِ  
وَقَاتِلُوا  
الَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ  
بِالْحَقِّ  
الَّذِي  
أَنزَلْنَا

جزء ٢

بِقَوْلِهِ  
وَقَاتِلُوا  
الَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ  
بِالْحَقِّ  
الَّذِي  
أَنزَلْنَا

على القول بعدم كونها منسوخة كما ذهب اليه صاحب الميزان والحق أن هذا المعنى لا يستقيم لوجوه:

**أحدها:** أن لازم ذلك وجوب القتال مع الكفار من وقت النزول الى حصول الغاية وهو محو الكفر بالكلية عن الاجتماع وثبات الدين المرضي له تعالى وهو الإسلام لقوله: **أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** وقوله: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**<sup>(١)</sup> ومن المعلوم أن تحصيل هذه الغاية للمسلمين أمر غير معقول لو لم يكن مُمتنعاً عادةً.

**ثانيهما:** أن الله تعالى يقول في كتابه: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**<sup>(٢)</sup> دلت الآية على عدم وجود الإكراه والإجبار في الدين ومعناه أن الناس مخيرون مختارون في قبول الدين وعدمه فلو كان القتال معهم واجباً حتى يكون الدين لله ومحي الكفر فأين الاختيار الثابت للناس في جميع شؤونهم عقلاً ونقلاً.

**ثالثها:** أنه يلزم من ذلك فسق من تقاعد عن القتال قبل حصول الغاية لأن مخالفته الأمر معصيةً وفسق وأكثر المسلمين لولا جميعهم تقاعدوا عن القتال في طول التاريخ والأن كذلك بمعنى أنهم لم يعملوا بهذه الآية إلا من شذو ونذر فهم فسقوا بذلك ونحن أيضاً من الفاسقين المتمردين في هذا العصر لأنهم تقاعدوا عنه وتقاعدنا أيضاً عن القتال وهو كما ترى.

**رابعها:** أن المسلمين كانوا أقل عدداً من الكفار والآن أيضاً كذلك فكيف يعقل أن يأمرهم الله بقتال الكفار حتى لا يكون كفر ويكون الدين لله وهل هذا إلا إهلاكهم وافتاءهم بالكلية.

**خامسها:** أن رسول الله ﷺ والمسلمين في صدر الإسلام بعد نزول الآية

لَمْ يُقَاتِلُوا إِلَى آخِرِ عُمْرِهِمْ مَتَّصِلًا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ فَكَيْفَ يُقَالُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَى حُصُولِ الْغَايَةِ.

**سادسها:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** <sup>(١)</sup> فلو كان الأمر كما يقولون من بقاء الآية على ظاهرها وَأَنَّ الْمَرَادُ بِالْفِتْنَةِ الْكُفْرُ يُلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ فِي التَّهْلُكَةِ وَلَا سِيَّمَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ أَوْ دَرَسُهُ وَصَارَ الْإِسْلَامُ كَالْأَسِيرِ بَيْنَ يَدَيِ الْكُفْرِ وَالْمُسْلِمُونَ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْكُفَّارِ فِي جَمِيعِ الشُّؤْنِ حَتَّى فِي غِذَائِهِمْ وَدَوَائِهِمْ وَبِالْجُمْلَةِ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ وَبِقَاءِهِ فَيَكْفِ يُعْقَلُ أَنْ يَقَالَ لَهُمْ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** أَيِ كُفْرٍ وَمُحْصَلُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** لَيْسَ بِنَاسِخٍ لِقَوْلِهِ: **وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** بَلْ هِيَ مُؤَكَّدَةٌ لَهُ أَيِ اقْتُلُوهُمْ لِأَنَّهُمْ يَدُوكُم بِالْقِتَالِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ إِلَى مَتَى حُلِّ لَنَا الْقِتَالُ مَعَهُمْ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** وَعَلَيْهِ فَالْمَرَادُ بِهَا قِتَالُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ أَيِ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَكْفُوا عَنِ الْقِتَالِ فَسَبَبُ الْقِتَالِ لَيْسَ هُوَ الْكُفْرُ كَمَا زَعَمَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَأَمْثَالُهُ بَلْ سَبَبُهُ الطُّغْيَانُ وَالْبَغْيُ فَإِذَا زَالَ السَّبَبُ وَزَالَ الْمُسَبَّبُ قَهْرًا فَالْفِتْنَةُ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَاهَا الْمِصْطَلَحُ فِي الْعُرْفِ أَعْنَى بِهِ الطُّغْيَانُ وَالْإِفْسَادُ فِي النَّاسِ لَا الْكُفْرَ لِأَنَّهُ كَانَ ثَابِتًا لَهُمْ قَبْلَ إِبْتِلَاءِهِمْ بِالْقِتَالِ فَلَوْ كَانَ هُوَ السَّبَبُ لَكَانَ الْمُسْلِمُونَ مَأْمُورِينَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ إِيَّاهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّ سَبَبَ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ كَانَ طُغْيَانُ الْكُفَّارِ وَالتَّجَاوُزُ بِحَقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَنَفْسِهِمْ فَلَا مَحَالَةَ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الدَّفَاعُ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى حُصُولِ الْغَايَةِ وَهُوَ رَفْعُ التَّجَاوُزِ فَإِذَا حَصَلَ تَرَكَ الْقِتَالُ وَلِلَّذَلِكَ قُلْنَا بِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَيِ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** مِنْ

بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ الْقِرَاءَةِ

أَوَّلُ نَزُولِهَا لَمْ تَكُنْ مُطْلَقَةً بَلْ كَانَتْ مَقْبُودَةً بِزَمَانٍ رَفَعَ الْفِتْنَةَ بِالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ نَعَمْ لَوْ أُرِيدَ بِالْفِتْنَةِ فِي آيَةِ الْكُفْرِ وَقَلْنَا بِأَنَّ آيَةَ مَغْيَاةٍ بَرَفَعَهُ كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَأَمْثَالُهُ فَلَا مُحَالَةَ يَجِبُ الْقِتَالُ إِلَى حَصُولِ الْغَرَضِ الَّذِي هُوَ رَفْعُ الْكُفْرِ عَنِ الْعَالَمِ وَهُوَ كَمَا تَرَى بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:

فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ أَيَّ أَنْ يَنْتَهَوْا عَنِ الْكُفْرِ عَلَى قَوْلِ أَكْثَرِ الْمَفْسِّرِينَ، وَعَنِ الطَّغْيَانِ وَالْإِفْسَادِ عَلَى قَوْلِنَا فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مَعْنَى الْإِنْتِهَاءِ (الشَّهْرُ عَنِ الْكُفْرِ دَخُولُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَ عَلَى قَوْلِنَا قَبُولُهُمْ الْجَزِيَّةَ وَالطَّاعَةَ وَأَنْ يَقُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ وَالْعُدْوَانَ بِضَمِّ الْعَيْنِ التَّعَدِّي وَالظُّلْمَ وَ سُمِّيَ مَا يَصْنَعُ بِالظَّالِمِينَ عُدْوَانًا مِنْ حَيْثُ هُوَ جَزَاءُ عُدْوَانٍ فَهُوَ مِنْ وَضْعِ السَّبَبِ مَوْضِعَ الْمُسَبَّبِ وَأَمَّا قَلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّ الظُّلْمَ يَتَضَمَّنُ الْعُدْوَانَ فَسُمِّيَ جَزَاءُ الْعُدْوَانِ عُدْوَانًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا<sup>(١)</sup> وَالْمَرَادُ بِالظَّالِمِينَ فِي آيَةِ عَلَيَّ حَدِّ التَّأْوِيلِينَ مِنْ بَدَأَ بِالْقِتَالِ وَ عَلَى التَّأْوِيلِ الْآخَرِ مِنْ بَقِيَ عَلَى كُفْرِهِ وَ طُغْيَانِهِ وَفَتْنَتِهِ أَقُولُ يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا أَنَّ الظَّالِمَ إِذَا تَرَكَ الظُّلْمَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْهِ فَالْعُدْوَانُ عَلَى الظُّلْمِ وَالظَّالِمَ لَا عَلَى الْكَافِرِ بِكَفَرِهِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْمَوْافِقُ لِمَا اسْتَظْهَرْنَاهُ مِنَ آيَةِ عَلَيَّ مَا مَرَّ.



الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ  
قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ  
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ  
اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

### ◀ اللغة

الشَّهْرُ: مدّة شهوره بإهلال الهلال أو بإعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشَّمْس من نقطة إلى تلك النّقطة، قيل سُمِّي الشهر شهراً لأن الأيدي تشير بالإشارة إلى موضع الرّؤية ويدّلون عليه وجمعه على أشهر وشهور.

الْحَرَامُ: قيل المراد به في الآية ذو القعدة والأشهر الحرم أربعة، ذو القعدة، ذو الحجة ومحرم، ورجب المُرجب كانوا يحرمون فيها القتال.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ: الحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والقصاص بكسر القاف الأخذ للمظْلوم من الظّالم من أجل ظلمه إياه.

فَمَنْ اعْتَدَى: يقال اعتدى عليه و عدى عليه كما يقال قرب واقترَب وجَلَب وإجْتَلَب وقيل أُنْ في، إفتعل، مبالغة ليست في فعل.

### ◀ الإعراب

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ يجوز أن تكون مَنْ، شرطية وأن تكون بمعنى الذي، بِمِثْلِ الباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم ويجوز أن تكون زائدة وتكون مثل، صفة لمصدر محذوف أي عدواناً مثل عدوانهم.

## التفسير

قالوا سبب نزولها على ما روي عن ابن عباس وقادة ومجاهد ومقسم و  
السدي والزبيع والضحاك وغيرهم أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِراً حَتَّى بَلَغَ  
الحديبية في ذي القعدة سنة سِتٍّ فَصَّده المُشْرِكُونَ عن البيت فانصرف و  
وَعَدَهُ الله سبحانه أَنَّهُ سَيَدْخُلُهُ فَدَخَلَهُ سنة سَبْعٍ وَقَضَى نَسْكَه فَنَزَلَتْ هَذِهِ  
الآية وَرُوي عن الحَسَنِ أَنَّ المُشْرِكِينَ قالوا لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنهَيْتَ يامُحَمَّدُ عن  
القتال في الشَّهْرِ الحَرَامِ قال ﷺ نعم.  
فأرادوا قتاله فَنَزَلَتْ الآية قوله تعالى:

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ قِيلَ فِي معناه أي أن إِسْتَحْلَوْا ذلك فيه فقاتلهم  
فأباح الله بالآية مُدَافِعَتَهُمْ، وقيل تَقْدِيرُهُ قتال الشَّهْرِ الحَرَامِ في الشَّهْرِ الحَرَامِ  
فحُذِفَ المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهنا قول ثالث وهو أن يكون  
تقديره الشَّهْرُ الحَرَامِ على جهة العوض لما فات من الحج في السَّنة الأولى.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ لِحُرُمَاتٍ جمع حُرْمَةٍ كَالظُّلُمَاتِ جمع ظُلْمَةٍ  
والحجرات جمع حُجْرَةٍ وأنما جمعت الحُرُمَاتُ لأنه أراد حُرْمَةَ الشَّهْرِ الحَرَامِ  
وحُرْمَةَ البلد الحَرَامِ وحُرْمَةَ الإِحْرَامِ والحُرْمَةُ ما منعت من إنتهاكه والقصاص  
المساواة اذ صدَّوكم سنة سِتٍّ فَقَضَيْتُمُ العَمْرَةَ سنة سَبْعٍ وقيل الحُرُمَاتُ  
قصاصٌ، بالمراغمة بدخول البيت في الشَّهْرِ الحَرَامِ قال مجاهد لأنَّ قُرَيْشاً  
فخرت بِرَدِّها رسول الله يوم الحديبية مُحَرِّماً في ذي القعدة عن البلد الحَرَامِ  
فأدخله الله عَزَّ وَجَلَّ مَكَّةَ في العام المقبل في ذي القعدة فَقَضَى عُمْرَتَهُ  
وأَقْصَهُ بما حِيلَ بينه وبينه يوم الحديبية.

وقال الآخرون، الحُرُمَاتُ قِصَاصٌ، بالقتال في الشَّهْرِ الحَرَامِ أي لا يجوز  
للمسلمين إلا قِصَاصاً.

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وفيه إشعار بأن المسلم لا يجوز له الإعتداء بدواً ويجوز له الإعتداء دفاعاً عن مثله وهو كذلك بل الحق أن يقال أن هذا ليس من الإعتداء واقعاً كان منه ظاهراً وذلك لأنّ جزاء السيئة بمثلها فالكافر هو المعتدي لأنّه بدأ بالظلم وهو ظاهر.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الخطاب للمسلمين أمرهم بالتقوى في جميع الأمور ثم أعلمهم بأن الله مع المتقين يعني بالنصرة لهم أو أن نصره الله معهم في كل مكان وزمان لأن أصل مع، المصاحبة في المكان والزمان.

روى الشيخ في التهذيب بأسناده عن العلاء بن فضيل قال سألت عن المشركين أيبتدأهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام فقال اذا كان المشركون يبتدؤهم باستحلاله ثم رأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه وذلك قول الله عز وجل:

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ والروم في هذه بمنزلة المشركين لأنهم لم يعرفوا للشهر الحرام حرمة ولا حقاً فهم يبتدئون بالقتال فيه وكان المشركون لا يرون له حقاً ولا حرمة فاستحلوه فاستحل منهم وأهل البغي يبتدئون بالقتال انتهى.

محمّد بن يعقوب بأسناده عن معاوية ابن عمار قال سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قتل رجلاً في الحِلِّ ثم دخل الحرم فقال: لا يُقتل ولا يُطعم ولا يسقى ولا يبايع حتّى يخرج من الحرم فيقام عليه الحدّ قال قلْتُ فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق قال عليه السلام: يقام عليه الحدّ في الحرم لأنّه لم يرع للحرم حرمة وقد قال الله عز وجل: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فقال هذا هو في الحرم فقال لا عدوان إلا على الظالمين.

و عن العلاء بن فضيل قال سئلته عن المشركين أيبئتئهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام فقال عليه السلام: إذا كان المشركون إبتدؤهم بإستحلالهم رأي المسلمين بما أئهم يظهرون عليهم فيه و ذلك قوله: **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ** **اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ.**





وَأَنْتَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى  
التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

### ◀ اللغة

وَأَنْتَفِقُوا: أمرٌ من الإنفاق يقال نَفَقَ الشَّيْءُ إذا مَضَى ونَفَدَ قد يكون في المال وفي غيره وقد يكون واجباً وتَطَوَّعاً.  
وَلَا تُلْقُوا: نهْيٌ من الإلقاء والإلقاء طرح الشَّيْءِ حيث تلقاه أي تراه ثم صار في التعارف إسمًا لكل طَرَحٍ.  
بِأَيْدِيكُمْ: الأيدي جمع يَدٍ وهي الجارحة المخصوصة.  
التَّهْلُكَةُ: التَّهْلُكَةُ ما يُوْذِي إلى الهلاك.  
وَأَحْسِنُوا: أمرٌ من الإحسان وهو الأنعام على الغير وقد يكون في فعله إذا عَلِمَ عِلْمًا حَسَنًا أو عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا وهو المراد في الآية.

### ◀ الإعراب

بِأَيْدِيكُمْ الباء زائدة يقال القى يده وألقى بيده وقال المبرد ليست زائدة بل هي متعلقة بالفعل كَمَرِرْتُ بِزَيْدٍ التَّهْلُكَةُ التَّفَعُّلُ من الهلاك.

### ◀ التفسير

وَأَنْتَفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قال الطبرسي معناه أَنْفَقُوا من، أموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير وأبواب البر فهو سبيل الله لأنَّ السَّبِيلَ هو الطَّرِيقَ فسبيل الله الطَّرِيقَ إلى الله وإلى رحمة الله وثوابه إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأنَّ الجود بالنفس أقصى غاية الجود والجهاد هو الأمر

الَّذِي يَخَاطِرُ فِيهِ بِالرُّوحِ فَكَانَتْ لَهُ مَزِيَّةٌ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الْمُكَلَّفِينَ الْمُتَمَكِّنِينَ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وَ سَبِيلَ اللَّهِ هُوَ كُلُّ طَرِيقٍ شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَ يَدْخُلُ فِيهِ الْجِهَادُ وَالْحَجُّ وَ عِمَارَةُ الْقَنَاظِرِ وَالْمَسَاجِدِ وَ مُعَاوَنَةُ الْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ ثُمَّ قَالَ وَالْإِنْفَاقُ هُوَ إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ مَالِهِ أَوْ مُلْكِهِ إِلَى مَلِكٍ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَوْ أُخْرِجَ إِلَى هَلَاكِ لَمْ يَسْمَإ�َ إِنْفَاقًا إِنْتَهَى

أَقُولُ قَدْ نَقَلْنَا عَنْ الرَّاعِبِ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الْإِنْفَاقَ قَدْ يَكُونُ فِي الْمَالِ وَفِي غَيْرِهِ وَلَعَلَّ مَرَادَهُ بَغْيُهُ النَّفْسِ كَمَا فِي الْجِهَادِ بِمَعْنَى الْقِتَالِ وَالْحَقُّ أَن يُقَالَ أَنَّ دَائِرَةَ الْإِنْفَاقِ أَوْسَعُ مِنْ هَذَا فَأَنَّهُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْمَالِ وَهُوَ أَظْهَرُ مُصَادِقَهُ فِي الْعُرْفِ وَ تَارَةً فِي النَّفْسِ كَمَا فِي الْجِهَادِ مَعَ الْكُفَّارِ وَ تَارَةً فِي الْعِلْمِ كَمَا فِي تَعْلِيمِ الْغَيْرِ وَ تَارَةً فِي الْقُدْرَةِ كَمَا فِي إِعَانَةِ الْمَظْلُومِ وَ تَارَةً فِي الْعَيْنِ وَ هَكَذَا جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ وَ الْجَوَارِحِ وَ النَّعْمِ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ وَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِ هُوَ سَرِيانُ النَّعْمَةِ إِلَى الْغَيْرِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى فَهُوَ الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِهِ وَالْأَفْلَاحُ قَدْ يُقَالَ أَنَّ مَا يَنْفَقُ فِي غَيْرِ سَبِيلِهِ لَيْسَ مِنَ الْإِنْفَاقِ شَرْعًا وَ أَنَّ كَانَ مِنْهُ عَرَفًا وَ كَيْفَ كَانَ وَ لَا شَكَّ أَنَّهُ مَدْمُوحٌ عَقْلًا وَ شَرْعًا وَ قَدْ حَثَّ الشَّرْعُ وَ رَغَّبَ إِلَيْهِ بِمَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَ كَفَاكَ فِي ذَلِكَ الْآيَاتُ الْكَثِيرَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْبَابِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ<sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ<sup>(٤)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>.

والآيات كثيرة جداً وأما قوله:

**وَلَا تُقْلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** قيل معناه لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك بأن تفعلوا ما يؤدّي اليه وحقيقة الإلقاء تصيير الشيء الى جهة السّفْل قاله في التّبيان وقال الطّبرسي في معناه وجوه:

**أحدها:** أنّه أراد لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم تبرك الإنفاق في سبيل الله فتغلب عليكم العدوّ عن ابن عبّاس وجماعة من المفسّرين.

**ثانيها:** معناه لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة عن البراء بن عازب وعبدة السّلماني.

**ثالثها:** أنّ المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدوّ ولا قدرة على دفاعهم عن الثّوري.

**رابعها:** أنّ المراد لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النّفس عن الجبائي ويقرب منه ما روي عن أبي عبد الله قال لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا رفق لقوله سبحانه ولا تلقوا بأيديكم الى التّهلكة انتهى ما ذكره.

**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** قالوا يعني المقتصدين وقال عكرمة معناه أحسنوا الظنّ بالله فيبرئكم وقال الآخر وأحسنوا بالعود على المحتاج، قال القرطبي وروي البخاري عن حذيفة **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** قال نزلت في النّفقة ثم قال وروي يزيد بن أبي عمران قال غزونا القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرّحمن بن الوليد والرّوم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدوّ فقال الناس، مه مه، لا إله إلا الله يلقي بيديه الى التّهلكة فقال أبو أيّوب الأنصاري سبحانه الله أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لمّا نصر الله نبيّه وأظهر دينه قلنا هلمّ نقيم في أمولنا ونصلحها، فأنزل الله عزّ وجلّ: **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**.

والإلقاء باليد إلى التهلكة أن نُقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد فلم يَزَلْ أبو أيوب مجاهداً في سبيل الله حتَّى دُفن بالقسطنطينية فقبّره هناك فأخبرنا أبو أيوب أَنَّ الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله وأنَّ الآية نزلت في ذلك وروي مثله عن حذيفة و الحسن و قتادة و مجاهد و الضّحّاك انتهى ما ذكره.

و قال السيوطي في الدر المنثور نزلت الآية في النّفقة، ثمّ روي بأسناده عن حذيفة في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** قال هو ترك النّفقة في سبيل الله مخافة العيلة، و أيضاً بأسناده عن ابن عباس في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ**.

قال ترك النّفقة في سبيل الله أنفق ولو مشقّصاً، و أيضاً عنه قال ليس التهلكة أن يقتل الرّجل في سبيل الله ولكن الإمساك عن النّفقة في سبيل الله انتهى.

**أقول** ثمّ نقل ما نقلناه عن القرطبي في قصّة أبي أيوب الأنصاري و به قال الطبري أيضاً في تفسيره وقد رويوا أخباراً كثيرة في ذلك ونقلوا عن البراء بن عازب في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** أنّه قال هو الرّجل يذنب الذّنب فيقول لا يغفر الله له، و بأسناده عنه أيضاً قال سأله رجل فقال يا أبا عمارة أرايت قول الله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** أهو الرّجل يتقدم فيقاتل حتّى يقتل قال لا ولكنه الرّجل يعمل بالمعاصي ثمّ يلقي بيده ولا يتوب انتهى.

وفي حديث آخر فيقول لا تقبل لي توبة، أقول والذي حصل لنا من أقوالهم هو أنّ المذاهب في قوله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** سبعة. **أحدها:** معناه لا تهلكوا أنفسكم بترك الإنفاق في سبيل الله فتغلب عليكم العدو.

**ثانيها:** معناه لا تركبوا المعاصي باليأس عن المغفرة.

**ثالثها:** أنَّ المراد لا تقتحموا الحرب من غير نكاية في العدو ولا قدرة على دفاعهم.

**رابعها:** أنَّ المراد لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النَّفي هذه الوجوه ذكرها الطبرسي في تفسيره.

**خامسها:** ما نقله القرطبي وهو أنَّ المراد بالإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله عن أبي أيوب الأنصاري وقد مرّت قصّة.

**سادسها:** ما نقله أيضاً وهو أنَّ رسول الله ﷺ لما أمر النَّاس بالجهاد قام إليه أناس من الأعراب حاضرين بالمدينة فقالوا بماذا نتجهّز فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد فنزل وأنفقوا في سبيل الله، يعني تصدّقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله يعني في طاعة الله: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا.

**سابعها:** أنَّ المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد وقد كان فعل ذلك قوم فأذاهم ذلك إلى الإنقطاع في الطريق أو يكون عالة على النَّاس فهذه هي الأقوال الموجودة في التفاسير من العامّة والخاصّة.

**والقول الأول:** مروى عن ابن عباس وجماعة من المفسرين.

**الثاني:** عن البراء بن عازب وعبدة السلماني.

**الثالث:** عن الثوري وغيره.

**الرابع:** عن الجبائي.

**الخامس:** عن أبي أيوب الأنصاري.

**السادس:** عن ابن عباس أيضاً.

**السابع:** عن زيد بن أسلم.

إذا عرفت هذا فنقول.

الوجوه المذكورة في الآية لا يمكن قبولها والإعتماد عليها لوجهين.  
أحدهما: أنَّ مدارها على أنَّ الآية نزلت في الجهاد وهو أوَّل الكلام إذ لا دليل على نزولها فيه وعليه فقولهم لا تهلکوا أنفسکم بترك الإنفاق في سبيل الله فتغلب عليكم العدو كما ذكروه في أوَّل الأقوال لا معنى له وهكذا الكلام في القول الثالث والزابع والخامس والسادس والسابع كما هو واضح وأما.

**القول الثاني:** فهو وأن لم يتوقف على كون الآية في الجهاد إلا أنه أيضاً باطل لا يعتمد عليه فإنَّ اليأس عن المغفرة لا يُعدَّ من التهلكة لا لُغَةً ولا شَرَعاً ولا عِزْماً وذلك لأنَّ الالتئام باليد إلى التهلكة لا يصدّق إلا على العاقد المختار ومن كان مأیوساً عن المغفرة فهو جاهل لم يعرف الرَّبَّ والجاهل قد يعصي أو ينسب إلى ربّه عن جهله ما لا ينبغي به فيقع بذلك في التهلكة من حيث لا يعلم إلا أنه لا يعدّ ممّن ألقى نفسه بيده إلى التهلكة ضرورة وجود الفرق بين أن يلقي نفسه إلى التهلكة وبين أن يُلقَى فيها من حيث لا يشعر والآية ناظرة إلى الأوَّل دون الثاني مضافاً إلى أنَّ الآية ظاهرة في الفعل أي لا تفعلوا فعلاً يُرَدِّكم إلى التهلكة واليأس عن المغفرة ليس من الفعل بل هو أمرٌ قلبي خارج عمّا نحن فيه.

ثانيهما: أنَّ التهلكة على ما فسروها ليست معناها الهلاك والموت والفناء و أمثالها بل معناها ما يؤدي إلى الموت والفناء فهي سَبَبٌ للموت وعليه فقلوه تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، معناها لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى ما يؤدي إلى الهلاك والموت أو ما شئت فسمّه، ولا شك أنَّ السَّبَبَ المؤدِّي إلى المُسَبَّب لا يكون نفس المُسَبَّب بل هو فعلٌ يؤدي إلى المُسَبَّب فالوجوه التي ذكروها في المقام ليست من الافعال المؤدّية إلى التهلكة لأنَّ ترك الإنفاق والإمساك عن الصدقة وترك الجهاد وهكذا كلّها تترك أي أمورٌ عديمة والعَدَم لا يكون سبباً لوجود شيءٍ آخر حتى يصدّق على من ترك الإنفاق أنه ألقى نفسه

بيده إلى التهلكة ولو سلمَ فإن ألقى نفسه بيده إلى العقاب والعذاب وسخط  
الرب أمر آخر لا كلام فيه فعلاً أن قلت فما معنى الآية ثم ما المراد بالتهلكة في  
الآية قلت الظاهر أن الآية الشريفة قد بينت لنا أموراً ثلاثة.

**أحدها:** الإنفاق في سبيل الله ولا شك أنه ممدوح عقلاً وشرعاً واليه  
الإشارة بقوله: **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** واختصاصه بالجهاد لا دليل عليه إذ  
اللفظ يتناول جميع سبله بإطلاقه ولم يدل دليل على التقييد.

**ثانيها:** النهي عن الإلقاء في التهلكة بالإختيار واليه الإشارة بقوله: **وَلَا  
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** أي لا تفعلوا شيئاً يؤذيكم إلى الموت بأيديكم.  
**ثالثها:** أن الإحسان إلى الغير حسن ممدوح لقوله: **وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ** فهذه الأمور الثلاثة ينبغي للمؤمن مراعاتها بقدر الطاقة وهذه مما  
لا شك فيه وأما أن كل واحد من الأمور مرتبط بالآخر فهو موقوف على القول  
بنزول الآية في الجهاد ولم يثبت لنا كما مر الكلام في أوائل البحث و عليه  
فكل واحد من الثلاثة حكم مستقل بنفسه وهو المطلوب.

تنبيه:

ذكر الطبرسي رحمته في تفسيره عند قوله تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى  
التَّهْلُكَةِ** ما هذا لفظه، قال وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما  
نخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن في  
ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة إذا  
خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله صلوات الله عليه وآله عام  
الحديبية وفعله أمير المؤمنين بصفين وفعله الحسن عليه السلام مع معاوية بين  
المصالحة لما تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته فأن عورضنا بأن  
الحسين عليه السلام قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين.

**أحدهما:** أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله صلوات الله عليه وآله والآخر أنه

غلب على ظنّه لو ترك قتالهم قتله الملعون بن زياد صبراً كما فعله بإبن عمّه  
مُسلم فكان القتل مع عِزِّ النَّفس والجهاد أهون عليه انتهى ما ذكره.

ونحن نقول أنّ الآية لا تدل على شيء ممّا ذكره أصلاً.

أمّا قوله في هذه الآية دلالة على تحريم للإقدام على ما نخاف منه على  
النَّفس، فيقال له ما تقول في الجهاد فأوّ الخوف على النَّفس فيه مُسلمٌ ومع  
ذلك يجب الإقدام عليه بل لو قطع بالقتل كما لو أخبر به الرّسول والإمام مع  
ذلك يجب الإقدام عليه فضلاً عن الخوف.

وقوله وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأنّ في ذلك إلقاء  
النَّفس إلى التهلكة، والجواب أنّ الأمر بالمعروف من أحكام العقليّة وكذا النهي  
عن المنكر والسَّمع مؤكّد وكاشف له وعلى فرض كونهما من الأحكام  
الشّرعية كما ذهبت اليه طائفة فوجوبهما متوقّف على العلم بالتأثير أو احتماله  
فلو علم المكلّف بعدم التأثير يجوز له تركهما وكذا لو لم يكن عالماً أو قوياً  
مطاعاً عليهما وفيهما كما سيأتي البحث في المستقبل إن شاء الله تعالى.

ومحصل الكلام هو أنّ ترك الأمر بالمعروف لا يحتاج إلى الخوف على  
النَّفس نعم هو احد مصاديقه وهذا أي جواز الترك لمن خاف على نفسه لا  
يختصّ بالمقام ففي الحَجّ والصّوم والصّلاة وسائر الواجبات أيضاً كذلك إلّا أنّ  
جواز التّرك فيها ليس من أجل الآية وتفصيل الكلام فيه موكول إلى محلّه، و  
أمّا قوله وفيها دلالة على جواز الصّلح مع الكفّار والبغاة إذا خاف الإمام على  
نفسه أو على المُسلمين.

كما فعله رسول الله عام الحديبيّة وفعله أمير المؤمنين بصقّين وفعله  
الحسن مع معاوية لما تشتّت أمره وخاف على نفسه وشيعته.

فنقول أمّا جواز الصّلح مع الكفّار من الرّسول أو الإمام فهو مشروط بوجود  
مصلحة الإسلام وأمّا الخوف على النَّفس فلا يكون مجوّزاً للصّلح وذلك لأنّه



إذا دار الأمر بين القتل وبقاء الدين أو حفظه لا يجوز لأحد حفظ نفسه إذا خاف على دينه سواء فيه الرسول والإمام وغيرهما من المسلمين فالصُّلح مع الكُفَّار لأجل تلك المصلحة لا لأجل الحفظ على النفس وما فعله الرسول في الحُدَيْبِيَّة وأمير المؤمنين بصفين والحسن عليه السلام مع معاوية من هذا القبيل فأنهم عليهم السلام لما رأوا مصلحة الإسلام وبقاءه في الصُّلح وترك القتال فعلوا ما فعلوا إذ ليس كل قتال ينفع الإسلام كما أنه ليس كل صلح ينفعه وحيث أن الرسول والإمام يعرفان مواضع القتال والصُّلح وانتفاع الإسلام بهما فحيث رأوا مصلحة الدين في القتال قاتلوا مع الكُفَّار وحيث رأوها في الصُّلح صالحوا حفظ النفس فلا موقع لها في قبال الذين وهذا أمر مسلم لا خلاف فيه عند من عَرَفَ موقع الدين فما ذكره عليه السلام من الأمثلة وجعل الآية دليلاً في غير محلّه وكيف يقول مسلم إن حفظ نفسه أهم وأوجب عليه من حفظ دينه حتّى إذا دار الأمر بينهما قدّم نفسه على دينه وأي نفع في الحياة بعد زوال الدين، فإذا كان يجب على كل مكلف حفظ دينه مقدماً على حفظ نفسه فما ظنك بما إذا دار الأمر بين حفظ النفس وحفظ أساس الدين بل كلّهما في الأمثلة المذكورة إذا عرفت هذا فنقول، أن الرسول صلّى الله عليه وآله أقدم على الصُّلح في الحُدَيْبِيَّة لأن بقاء كلّ الإسلام كان يدور مدار وجوده صلّى الله عليه وآله فلو لم يُقدّم على الصُّلح وقتل لم يبق من الإسلام عين ولا أثر وهكذا أمير المؤمنين بصفين والحسن بن علي مع معاوية وهو واضح لا خفاء فيه ولأجل ذلك أقدموا على الصُّلح لأنّ في قتلهم كان قتل الإسلام حقيقةً وفي بقاءهم بقاءه فلو علموا أنّ بقاء الإسلام في قتلهم ما أقدموا على الصُّلح قطعاً فالصُّلح الواقع منهم لم يكن لأجل الآية كما زعمه عليه السلام وأنهم قدّموا نفوسهم على الدين لقوله تعالى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ** بل كان سبباً وموجباً لبقاء الدين ولولا خوف الإطالة وخروج الكتاب عن موضعه لذكرنا في المقام ما هو حقيق بالمقال هذا كلّه مضافاً إلى

أَنْ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ مَوَارِدِ التَّهْلُكَةِ بَلْ هُوَ الْحَيَاةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ<sup>(١)</sup>  
فَالْآيَةُ أَجَنَّبَتْهُ عَنْ مَوْرِدِ الْبَحْثِ بِالْكَلِيَّةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فَإِنْ عَوْرَضْنَا بِأَنَّ الْحُسَيْنَ قَاتِلَ وَحْدَهُ وَمَا أَجَابَ عَنْهُ بِزَعْمِهِ وَقَالَ  
أَنْ فَعَلَهُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ.

**أحدهما:** أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَهُ وَالْآخَرُ أَنَّهُ غَلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ  
إِلَى آخِرِ مَا قَالَ فَهُوَ بَعِيدٌ مِنْهُ جَدًّا وَلَا أُدْرِي كَيْفَ تَقَوُّهُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَهُوَ هُوَ وَ  
بِالْجُمْلَةِ مَا ذَكَرَهُ فِي الْمَقَامِ مَرْدُودٌ مَطْرُودٌ مِنْ وَجْهِهِ.

**ثانيهما:** أَنَّ الظَّنَّ إِسْمٌ لَمَّا يَحْصُلُ عَنْ إِمَارَةٍ وَمَتَى قُوِيَتْ أَدَّتْ إِلَى الْعِلْمِ  
وَمَتَى ضَعُفَتْ جَدًّا لَمْ يَتَجَاوَزْ حَدَّ التَّوَهُّمِ كَمَا أَنَّ الشَّكَّ إِعْتِدَالُ التَّقْيِضِ عِنْدَ  
الْإِنْسَانِ وَتَسَاوِيهِمَا وَذَلِكَ لَوْجُودِ أَمَارَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَيْنِ عِنْدَ التَّقْيِضِ أَوْ لَعَدَمِ  
الْأَمَارَةِ فِيهِمَا وَالْعِلْمُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِحَقِيقَتِهِ وَأَنْ شُكْتُ قُلْتُ الْإِدْرَاكَ أَنَّ حَصَلَ  
لِلْمُدْرِكِ عَنْ إِمَارَةٍ قَوِيَّةٍ فَهُوَ الْعِلْمُ وَأَنْ حَصَلَ عَنْ إِمَارَةٍ ضَعِيفَةٍ فَهُوَ الْوَهْمُ حَصَلَ  
عَنْ إِمَارَةٍ رَاجِحَةٍ مُتَوَسِّطَةٍ فَهُوَ الظَّنُّ وَأَنْ كَانَتِ الْأَمَارَتَانِ مُتَسَاوِيَتَانِ وَلَا يَحْصُلُ  
الْإِدْرَاكَ فَهُوَ الشَّكُّ وَكُلُّ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ مِنْ شُؤْنِ الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ وَهُوَ الصُّورَةُ  
الْحَاصِلَةُ مِنَ الشَّيْءِ عِنْدَ الْعَقْلِ وَأَمَّا الْعِلْمُ الْحُضُورِيُّ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ حُضُورِ  
الْمُدْرِكِ لَدَيْ الْمُدْرِكِ وَلَا صُورَةَ هُنَاكَ وَلَا أَمَارَةَ إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ الظَّنُّ  
وَالْوَهْمُ وَالشَّكُّ مِنْ أَقْسَامِ الْعِلْمِ الْحُصُولِيِّ وَمِنْشَأُ الظَّنِّ وَالشَّكِّ هُوَ الْجَهْلُ فَقَطْ  
ضَرُورَةٌ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ جَاهِلًا بِالْمَعْلُومِ لَا يَوْجَدُ لَهُ الظَّنُّ أَوِ الشَّكُّ بِهِ وَهَذَا فِي  
الْعُلُومِ الرَّسْمِيَةِ الْمُتَعَارِفَةِ بَيْنَ النَّاسِ مَوْجُودٌ وَأَمَّا الْعِلْمُ الْحُضُورِيُّ فَلَا يَتَّصِرُ  
فِيهِ الظَّنُّ وَالشَّكُّ وَأَمْثَالُهَا إِذَا لَجَّ هُنَاكَ قَلٌّ أَوْ كَثُرٌ وَلِذَلِكَ لَا يُوصَفُ الْبَارِي  
تَعَالَى بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ فَلَا يَقَالُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ظَانٌّ أَوْ شَاكٌّ وَلَمَّا ثَبَتَ عِنْدَ أَهْلِ

التَّحْقِيقُ أَنَّ عُلُومَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ سِنَخِ عِلْمِ الْوَاجِبِ لَا مِنْ سِنَخِ عِلْمِ النَّاسِ فَلَا مُحَالَةَ عِلْمِهِمْ بِالْأَشْيَاءِ حَضُورِيٍّ أَيْ أَنَّ الْحَقَائِقَ وَالْوَاقِعَ مُنْكَشِفَةٌ لَدَيْهِمْ وَلِذَلِكَ نَقُولُ فِيهِمْ بِالْعَصْمَةِ أَيْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْخَطَأِ وَالنَّسِيَانِ وَ السَّهْوِ فِي الْأَقْوَالِ كَمَا عَصَمَهُمُ عَنِ الْخَطَأِ فِي الْأَعْمَالِ وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعِلْمَ الْحَصُولِيَّ لَا يَخْلُو عَنِ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ فَكُونُهُمْ مَعْصُومِينَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ خَطَأِهِمْ فِي الْإِدْرَاكِ فَهُمْ عَالِمُونَ بِالْأَشْيَاءِ بِالْعِلْمِ الْحَضُورِيِّ فَقَوْلُ الْقَائِلِ أَنَّهُ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَوْ ظَنُّ كَذَا، شَطَطٌ مِنَ الْكَلَامِ لِأَنَّ مَنْشَأَ الظَّنِّ لَيْسَ إِلَّا الْجَهْلُ بِالْوَاقِعِ وَمَنْ جَهِلَ بِالْوَاقِعِ فَقَدْ يُخْطِئُ وَمَنْ يَخْطِئُ فَلَيْسَ بِمَعْصُومٍ وَمَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ لَيْسَ بِإِمَامٍ وَهُوَ كَمَا تَرَى خِلَافَ الْفَرَضِ إِذَا الْمَفْرُوضُ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِمَامًا مَعْصُومًا وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلٌ بِهِ بَلْ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَكْبُورُ.

**ثانيهما:** لَوْ ظَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَهُ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَلَازِمٌ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَاهِلًا بِالْوَاقِعِ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ أَيْ مِنْ جِهَةِ الْعِلْمِ بِالْوَاقِعِ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ فَأَيُّ رُجْحَانٍ لِلْإِمَامِ عَلَى الْمَأْمُومِ إِذَا الْمَفْرُوضُ أَنَّ الْإِمَامَ كَالْمَأْمُومِ مِنْ حَيْثُ الْجَهْلُ بِالْوَاقِعِ وَهُوَ كَمَا تَرَى.

**ثالثها:** لَوْ فَرضْنَا أَنَّهُ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ قِتَالَهُمْ قَتَلَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ زِيَادٍ صَبْرًا كَمَا فَعَلَهُ بِابْنِ عَمِّهِ مُسْلِمٍ فَكَانَ الْقَتْلُ مَعَ عَزِّ النَّفْسِ وَالْجِهَادِ أَهْوَنَ عَلَيْهِ فَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ يَجُوزُ شَرْعًا الْإِقْدَامُ عَلَى الْقَتْلِ بِمَجَرَّدِ الظَّنِّ عَلَى أَنَّهُ لَوْ تَرَكَ الْقِتَالَ قَتَلَهُ الْمَلْعُونُ بَلْ كَيْفَ يَجُوزُ الْإِقْدَامُ عَلَى فَرَضِ الْعِلْمِ بِهِ فَضْلًا عَنْ الظَّنِّ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْإِلْقَاءِ إِلَى التَّهْلُكَةِ هَذَا أَوَّلًا.

**ثانيًا:** كَيْفَ يَصْدُقُ عَلَى هَذَا الْقِتَالِ الْجِهَادُ وَأَيُّ جِهَادٍ هُوَ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى الْقِتَالِ لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى وَفِي سَبِيلِهِ وَأَنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ عَزِّ النَّفْسِ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنْ لَا يَكُونَ مَقْتُولًا بِيَدِ الْمَلْعُونِ ابْنِ زِيَادٍ.

وابعها: على فرض التسليم وإن ذلك الظن كان مجزواً للقتال حتى قُتل، فهل يكون ذلك الظن الذي صار مجزواً لقتله حجة له بينه وبين الله في حق غيره ممن كان معه من الأولاد والأصحاب الذين قتلوا معه ولا سيما الطفل الرضيع اللهم إلا أن يقول المدعي أنه أي الحسين عليه السلام ما كان عالماً بقتلهم قبل وقوع القتل فيرجع البحث بالأخرة إلى جهله عليه السلام بما سيقع من القتل والنهب والأسر وسائر الحوادث المؤلمة وإذا كان كذلك فكيف يكون إماماً عالماً بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة كما ثبت هذا في بحث الإمامة هذا كله بحسب العقل وأما النقل فقد دلت الأحاديث الواردة في الباب عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين عليه السلام بأنه مقتول هذه الأمة على حد التواتر بل فوق التواتر ويكفيك في إثبات المدعى مؤلفات القوم من العامة والخاصة وقد خصص المجلسي رحمه الله في البحار لذلك باباً على حدة فقال باب ما أخبر به الرسول وأمير المؤمنين والحسن عليه السلام بشهادته فهل يمكن أن يقال أن الحسين لم يسمع هذه الأخبار عن جدّه وأبيه وأخيه، فإن سمع كيف لم يقطع بالشهادة حتى غلب على ظنه كذا وكذا ألم يعلم أن كل ما أخبر به الرسول حق لأنه ﷺ ما ينطق عن الهوى، أن هو إلا وحي يوحى، بلى أنه عليه السلام قد سمع عن جدّه وأبيه وأخيه ما سمع وكان عالماً بشهادته بعلمه الذي أخذه عن علام الغيوب ولم يكن شاكاً فيها أبداً ولذلك كان عليه السلام يخبر بشهادته صريحاً في أكثر المواطن روي أنه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال عليه السلام، الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم - خط الموت على ولد آدم مخط الفلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا ألافه كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً لا مَحِيص عن يوم خُطّ بالقلم رضى

اللَّهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ نَصِيرًا عَلَىٰ بَلَاءِهِ يُؤْفِينَا أَجُورَ الصَّابِرِينَ لَنْ يَشُدَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لِحِمَّتِهِ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ تَقَرَّبُهُمْ عَنْهُ وَتَنْجِزُ لَهُمْ وَعْدَهُ مَنْ كَانَ فِيْنَا بِذَلِكَ مُهْجَتَهُ مُوْطِنًا عَلَىٰ لِقَاءِ اللَّهِ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا فَاتَّيَ رَاحِلٌ مُصْبِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

روى هذه الخُطبة في كشف الغُمة عن كمال الدّين بن طُلحة، ورواها المجلسي رحمته الله في البحار وغيرهما في غيرهما.

وَلَمَّا نَزَلَ عليه السلام بِبَطْنِ الْعُقْبَةِ لَقِيَهِ شَيْخٌ مِنْ بَنِي عَكْرَمَةَ يُقَالُ لَهُ عُمَرُ بْنُ يَرْذَانَ قَالَ لَهُ أَيْنَ تَرِيدُ قَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام الْكُوفَةَ فَقَالَ الشَّيْخُ أُنَشِدُكَ اللَّهَ لَمَّا إِنْصَرَفْتَ قَوْلَ اللَّهِ مَا تُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى الْأَسْنَةِ وَحَدَّ السَّيُوفِ وَأَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَعَثُوا إِلَيْكَ لَوْ كَانُوا كَفُوكَ مَوْنَةَ الْقِتَالِ وَطَوَّوْا لَكَ الْأَشْيَاءَ فَقَدِمْتَ عَلَيْهِمْ كَانَ ذَلِكَ رَأْيًا نَامًا عَلَىٰ ذَلِكَ الْحَالِ الَّتِي تَذَكَّرُ بِأَنِّي لَا أَرَىٰ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ الرَّأْيَ وَلَكِنَّ اللَّهَ لَا يَغْلِبُ عَلَى أَمْرِهِ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: وَاللَّهِ لَإَيْدِعُونَنِي حَتَّى يَسْتَخْرِجُوا هَذِهِ الْعَلَقَةَ مِنْ جَوْفِي فَإِذَا فَعَلُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُذَلِّهِمْ حَتَّى يَكُونُوا أَذَلَّ فِرْقِ الْأُمَمِ انْتَهَى نَقْلُهُ فِي الْبَحَارِ عَنِ الْمُفِيدِ رحمته الله.

**أقول** أنظر إلى هذه الكلمات ثم أقض ما أنت قاض، فأنها صريحة في المدعى وهو أنه كان عالماً بشهادته فيكيف يقال أنه غلب على ظنه كذا ولولا مخافة الإطالة وخروج الكتاب عن موضوعه لذكرت لك فصلاً مشبعاً ولكن الميسور لا يُترك بالمعسور فربما ما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية.

أَنْ قُلْتَ فَمَا تَقُولُ فِي الْبَابِ وَمَا رَأَيْكَ فِيهِ - قُلْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْحَقِّ وَالتَّحْقِيقِ وَهُوَ أَنَّ قِضِيَّةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَإِقْدَامَهُ عَلَى الْقِتَالِ حَتَّى يُنْجَرَ إِلَى شَهَادَتِهِ خَارِجَةٌ عَنْ مَصَادِيقِ آيَةِ خُرُوجِهِ تَخْصِصِيًّا لِأَنَّ آيَةَ نَزَلَتْ فِي وَجُوبِ حِفْظِ النَّفْسِ عَنِ الْإِلْقَاءِ فِي التَّهْلُكَةِ أَعْنِي بِهَا الْمَوْتَ أَوِ الْقَتْلَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَ

لا يكون مَرْضِيًّا عند الله وهو الَّذِي يُسَمَّى بِالْإِتِّحَارِ وهو حرام عقلاً وشرعاً و  
 أمّا الموت أو الشهادة في سبيل الله فهو ليس من التهلكة بشئ بل هو عين  
 الخير والسعادة والحياة لو كانوا يعلمون ولا سيما فيما اذا كان وجود الدين أو  
 بقاء متوقفاً على ترك النفس وإيثار الموت على الحياة الفانية ففي هذه الصورة  
 يجب إختيار الموت أو الشهادة على كل مكلفٍ بمعنى أنّه لا محيص له عنه  
 شرعاً كما في قضية الحسين عليه السلام وبهذا الدليل قتل معه عليه السلام من قتل من  
 الأصحاب لأنّهم أيضاً كانوا مكلفين بالقتال ولذلك قاتلوا حتّى قتلوا غيرهم من  
 المسلمين فقد عصوا بتقاعدهم عن القتال وعدم نصرتهم دين الله كلّ ذلك  
 لعلمه عليه السلام بأنّ بقاء الدين موقوفٌ على شهادته لذلك قال عليه السلام: إن كان دين  
 محمّد لم يستقم إلّا بقتلي فيا سيوف خذيني.

وبذلك ظهر لك أنّ قياس الحسين بجده وأبيه وأخيه من هذه الجهة قياس  
 مع الفارق، لأنّهم عليهم السلام علموا وقطعوا ببقاء الدين مع الصلح، وأمّا  
 الحسين عليه السلام علم ببقاء مع الشهادة فالملاك في الطرفين حفظ الدين لا حفظ  
 النفس كما زعمه الطبرسي رحمه الله ولنعم ما قيل:

إذا لم تستطع أمراً فدعه      وجاوزه الى من يستطيع  
 والحمد لله رب العالمين.



وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا  
 اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى  
 يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ  
 آذَى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ  
 أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى  
 الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ  
 فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ  
 تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَالِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ  
 حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا  
 أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

### ◀ اللغة

أَتَمُّوا: أَمَرٌ مِنَ الْإِتِمَامِ أَيِ اكْمَلُوا.  
 الْحَجَّ: أَصْلُ الْحَجِّ الْقَصْدُ لِلزِّيَارَةِ ثُمَّ خُصَّ فِي تَعَارُفِ الشَّرْعِ بِقَصْدِ بَيْتِ  
 اللَّهِ تَعَالَى إِقَامَةً لِلنَّسْكِ.  
 وَالْعُمْرَةُ: بَضْمُ الْعَيْنِ وَ سَكُونُ الْمِيمِ فِي الْأَصْلِ الزِّيَارَةُ الَّتِي فِيهَا عِمَارَةُ الْوُدِّ  
 وَ جُعِلَ فِي الشَّرِيعَةِ لِلْقَصْدِ الْمَخْصُوصِ.  
 أُخْصِرْتُمْ: أَصْلُ الْحَصْرِ التَّضْيِيقُ، وَالْحَصْرُ وَالْإِحْصَارُ الْمَنْعُ مِنْ طَرِيقِ  
 الْبَيْتِ فَالْإِحْصَارُ فِي الْمَنْعِ الظَّاهِرِ كَالْعَدْوِ وَ الْحَصْرُ فِي الْمَنْعِ الْبَاطِنِ وَ الْمَقَامُ  
 مَحْمُولٌ عَلَى الْأَمْرَيْنِ.

اسْتَيْسَرَ: فَعْلٌ مَاضٍ مَصْدَرُهُ الْإِسْتَيْسَارُ يُقَالُ إِسْتَيْسَرَ أَيِ تَسَهَّلَ وَ تَهَيَّأَ.  
 الْهَدْيُ: بِسَكُونِ الذَّالِ مَخْتَصٌّ بِمَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ قَالَ الْأَخْفَشُ وَالْوَاحِدَةُ  
 هَدِيَّةٌ.

لَا تَحْلِقُوا: الحلق العضو المعروف وحلقه قطع حلقه ثم جعل الحلق لقطع  
الشَّعر وجزه فقبل حلق شعره.

رُؤُوسِكُمْ: الرؤوس جمع رأس وهو معلوم.  
أَذَى: الأذى ما يصل الى الحيوان من الضرر يقال آذيته أُوذِيه إيذاءً  
وأذيةً وأذىً.

فَقَدْ يَتَى: الفدية ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله في عبادة قَصَر فيها  
مثل كفارة اليمين وكفارة الصَّوم.

نُسُكٍ: بضم نون السكون العبادات والناسك العابد واختص بأعمال الحج والمناسك  
مواقف النُّسك.

## الإعراب

وَالْعُمْرَةَ الْجَمْهُورَ عَلَى النَّصْبِ مَعْطُوفاً عَلَى الْحَجِّ وَقِيلَ عَلَى الْحَالِيَةِ وَ  
تَقْدِيرُهُ كَانَتَيْنِ لِلَّهِ وَيَجُوزُ فِيهَا الرَّفْعُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ فَمَا أُسْتَيْسَرَ مَا فِي  
مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَيْ فَعَلَيْكُمْ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ خَبِراً وَ  
الْمَبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ أَيْ فَالْوَاجِبُ مَا اسْتَيْسَرَ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا، فِي مَوْضِعِ  
نَصْبٍ تَقْدِيرُهُ فَأَهْدُوا أَوْ فَأَدُوا، وَإِسْتَيْسَرَ بِمَعْنَى تَيْسَّرَ وَلَا سَيْنَ لَيْسَتْ  
لِلْإِسْتِدْعَاءِ هُنَا الْهُدَى بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَهُوَ بِمَعْنَى الْمُهْدِي،  
وَيَقْرَأُ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ وَهُوَ جَمْعُ هَدِيَّةٍ وَقِيلَ هُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مَحِلُّهُ،  
وَالْمَحَلُّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَكَاناً وَأَنْ يَكُونَ زَمَاناً فَفَقْدِيَّةٌ تَقْدِيرُهُ الْكَلَامُ فَحَلَقَ  
فَعَلِيهِ فِدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ صِفَةً لِلْفِدْيَةِ أَوْ هَاهُنَا لِلتَّغْيِيرِ عَلَى أَصْلِهَا  
أَوْ نُسُكٍ، النُّسُكُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ لِأَنَّهُ مِنْ نَسَكَ يَنْسُكُ  
وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْمَنْسُوكُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِسْمًا لَا مَصْدَرًا وَيَجُوزُ تَسْكِينُ  
التَّيْنِ فِيهَا فَإِذَا آمَنْتُمْ إِذَا فِي مَوْضِعٍ فَمَنْ تَمَتَّعَ، شَرْطُ فِي مَوْضِعٍ مَبْتَدَأٌ فَمَا



اسْتَيْسَرَ جوابه و من جوابها جواب اذا، و العامل في اذا، معني الإستقرار و يجوز أن تكون من، بمعني الذي و دخلت الفاء في خبرها فَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ، في موضع رفع بالابتداء و يجوز أن تكون شرطاً و أن تكون بمعني الذي، و التقدير فعليه صيام و قرأ صياماً بالنصب على تقدير فليصم و المَصْدَر مضاف الى ظرفه في المعني و هو في اللفظ مفعول به على السَّعة و سَبْعَةٍ معطوفة على ثلاثة و قرأ سبعة بالنصب و التقدير أن تصوموا سبعة أو لتصوموا سبعة أو وصوموا سبعة ذَالِكْ لِمَنْ اللَّام على أحد أي ذلك جائز لِمَنْ و قيل اللام بمعني على، أي الهدي على من لم يكن أهله كقوله أولئك لهم اللَّعْنَةُ.

### التفسير

في هذه الآية مسائل الأولى.

### وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ

لا خلاف عند المسلمين في وجوب الحجّ وأَنَّهُ من ضرّوريات الدّين بمعني أن منكره كافر مُرْتَد إذا كان عن فطرة و أما العُمرة فإختلفوا فيها فرُوي عن الشَّعْبِي أَنَّهُ قال بعدم وجوبها ولذلك قرأها في المقام بالرفع على الإبتداء و به قال أهل العراق و عندنا أَنَّهُا واجبة كوجوب الحجّ و به قال الشَّافِعِي و الجمهور على النَّصْب فيها عطفاً على قوله : وَأَتَمُّوا الْحَجَّ و تقديره أَتَمُّوا الْحَجَّ و أَتَمُّوا العُمرة لِلَّهِ، ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ تعالى أمر جميع من توجَّه اليه وجوب الحجّ أن يتمّ الحجّ والعُمرة و هذا ممّا لا خلاف فيه لدلالة صريح الآية عليه و أتما الخلاف في الوجوب والنَّدب بالنسبة اليها وكيف كان قيل في معني إتمامها أقوال:

أحدها: أَنَّهُ يجب إتمامها بعد الدّخول فيهما و هو قول مجاهد والمبرّد و الجبائي.

**ثانيها:** أنَّ المراد به إقامتها إلى آخر ما فيهما لأنَّهما واجبان وبه قال سعيد بن جببر وعطاء والسدي.

**ثالثها:** أنَّ المراد بإتمامهما أفرادهما وبه قال طاووس.

**رابعها:** قال قتادة الإعمار في غير أشهر الحجِّ وأصحَّ الأقوال الأول وبه قال الشيخ في التَّبيان، ثمَّ أنَّ الحجَّ هو القصد إلى البيت الحرام لأداء مناسك مخصوصة بها في أوقات مخصوصة ومناسك الحجِّ على قسمين مفروضٌ و مسنونٌ.

**والمفروض** منها ركزٌ وغير ركن، والأركان ستَّة أحدها النِّية وثانيها الإحرام وثالثها الوقوف بعرفة ورابعها الوقوف بالمشعر وخامسها طواف الزَّيارة و سادسها السَّعي بين الصَّفا والمروة وأما غير الأركان من واجباته، التَّلبية، و ركعتا طواف الزَّيارة، و طواف النَّساء. و ركعتا الطَّواف له.

**وأما المسنَّونات:** فالجهر بالتَّلبية، واستلام الأركان، و أيام منى، و رمي الجمار، والحلق أو التقصير والأضحية أن كان مُفرداً و أن كان مُتَمَتِّعاً فالهدي واجبٌ عليه وإلا فالصَّوم الذي هو بدَلٌ عنه و تفصيل ذلك في الفقه.

و أمَّا العُمرة فهي واجبة عندنا كوجوب الحجِّ وبه قال الحسن وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وعطاء وأمثالهم ومن الأئمَّة الأربعة عند القوم، وافقنا فيه الشَّافعي، وقال أهل العراق أنَّها مسنونة غير واجبة ونقل عن ابن مسعود أنَّه قال فيه خلاف، فَمَن قال بعدم وجوبها قال لأنَّ الله تعالى أمر في الآية بإتمام الحجِّ والعمرة ووجوب الإتمام لا يدلُّ على أنَّه واجب قبل ذلك كما أنَّ الحجَّ المتطوِّع به يجب إتمامه و أن لم يجب الدَّخول فيه قالوا و أمَّا علينا وجوب الحجِّ بقوله تعالى: **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** (١).

و من قال بوجوبها قال أن الله تعالى قال: **وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ أَي**  
**أَقِمُوها**، وهو الأقوى و عليه المذهب لأنه المروي عن علي والأئمة بعده  
عليهم السلام و به قال مسروق والسدي وغيرهما وأصل العُمرة الزيارة لغة و  
في الشرع عبارة عن زيارة البيت، لاداء مناسك مخصوصة أي وقت كان من  
أيام السنة و أفعالها الواجبة، النيّة، والإحرام، والطواف، والصلاة عند المقام  
والسعي بين الصفا ولمروة و طواف النساء و في بعض ذلك خلاف و تفصيله  
في الفقه و مع ذلك نذكر في المقام ما لا بد لنا من ذكره الأول، أقسام الحج و  
هي ثلاثة، قال العلامة في التحرير الحج على ثلاثة أنواع، تمتّع، وقرآن و أفراد،  
فصورة التمتع أن يحرم من الميقات بالعمرة المتمتع بها إلى الحج ثم يدخل  
مكة فيطوف سبعة أشواط بالبيت و يصلي ركعتي الطواف بالمقام و يسعى بين  
الصفا و المروة سبعة أشواط ثم يقصر و قد أحل من كل شيء أحرم منه ثم  
ينشي إحراماً آخر للحج من مكة يوم الترويه و إلا فيما يعلم معه إدراك الوقوف  
ثم يمضي إلى العرفات فيقف بها إلى الغروب ثم يفيض إلى المشعر الحرام  
فيقف به بعد طلوع الفجر ثم يفيض إلى منى و يرمي جمره القضيته ثم يذبح  
هديه ثم يحلق رأسه ثم يأتي مكة ليومه أو من غده فيطوف للحج و يصلي  
ركعتيه ثم يسعى سعي الحج ثم يطوف طواف النساء و يصلي ركعتيه ثم يعود  
إلى منى ليرمي ما تخلف عليه من الجمار الثلاث يوم الحادي عشر والثاني  
عشر والثالث عشر، وأمّا صورة الأفراد أن يحرم من الميقات أو من حيث يصح  
الإحرام منه بالحج ثم يمضي إلى عرفات فيقف لها ثم يقف بالمشعر الحرام ثم  
يأتي منى فيقضي مناسكه بها ثم يطوف بالبيت للحج و يصلي ركعتيه ثم يأتي  
بعمرة مفردة من أدنى الجبل.

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

و صورة القران كذلك إلا أنه يضيف إلى إحرامه سياق الهدي.

**الثاني:** حج التمتع فرض على من نأى عن المسجد الحرام وليس من

حاضريه ولا يجز به غيره مع الإختيار وأما الرقان والأفراد فهو فرض أهل مكة وحاضريها فلو عدلوا الى التمتع ففي الأجزاء قولان احدهما أنه يجزي والثاني أنه لا يجزي وهو الأقوى عند العلامة والأول أقوى عند الشيخ.

**الثالث:** حد حاضري المسجد الحرام الذين لا متعة عليهم من كان بين منزله وبين المسجد اثني عشر ميلاً من كل جانب وقيل ثمانية وأربعون ميلاً اختيار ابن بابويه والعلامة والشيخ في أحد قوليهِ ولا يجوز إدخال الحج على العمرة كما لا يجوز القران بين الحج والعمرة في إحرام واحد.

**الرابع؛** في تروك الاحرام يجب على المحرم اجتناب عشرين شيئاً:

صيد البر، والنساء، والطيب، ولبس المخيط للرجال، والإكتحال بالسواد وما فيه طيب والتظر في المرأة ولبس الخفين وما يستر ظهر القدم، والفسوق الكذب والجدال وهو قول لا والله وبلى والله وقتل هوام الجسد ولبس الخاتم للزينة ولبس المرأة الحلي للزينة وما لم يعتد لبسه منه وإستعمال دهن فيه طيب، وإزالة الشعر، وتغطية الرأس والتظليل سائراً، وإخراج الدم، وقص الأظفار، وقطع الشجر والحشيش، وتغسيل الميت المحرم بالكافور ولبس السلاح، وتفصيل الحكم في كل واحد من هذه الأمور في كتب الفقهية هذا كله في الحج.

**وأما العمرة** فهي واجبة مثل الحج بشروطها في العمر مرة واحدة على الفور على أهل مكة وغيرهم وهي قسمان:

أحدهما: العمرة المفردة.

ثانيهما: العمرة المتمتع بها فالأولى واجبة على القارن والمفرد والثانية على المتمتع ويجزي الثانية عن الأولى، صورة العمرة أن يحرم من الميقات الذي يسوغ له الإحرام منه ثم يدخل مكة فيطوف ويصلي ركعتيه ثم يسعى بين الصفا والمروة ولقصير ثم أن كانت عمرة التمتع فقد أحل من كل شيء

أُحْرِمَ مِنْهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِتْيَانُ بِالْحَجِّ وَأَنْ كَانَتْ مَفْرَدَةً طَافَ بَعْدَ التَّقْصِيرِ أَوْ الْحَلْقِ طَوَافَ النِّسَاءِ لِيَحْلُلْنَ لَهُ وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْهِ وَلَا يَتَمَتَّعَ بِهَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَحَاضِرِيهَا وَالْمَفْرَدَةِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَحَاضِرِيهَا وَلَا يَصِحُّ الْأَوَّلَى إِلَّا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَيَسْقُطُ الْمَفْرَدَةُ مَعَهَا وَيَصِحُّ الثَّانِيَةُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِ السَّنَةِ عَلَى التَّفَاصِيلِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْفَقْهِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: **وَأَتُّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** وَفِي قَوْلِهِ لِلَّهِ إِيَّاهُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ يَشْتَرِطُ فِيهِمَا النِّيَّةُ أَعْنِي بِهَا إِيَّانَ الْفِعْلِ بِقَصْدِ الْقُرْبَةِ وَعَلَيْهِ فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لِلَّهِ، لِلْإِخْتِصَاصِ أَيَّ أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مُخْتَصَّانَ بِهِ تَعَالَى.

**المسألة الثانية: فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ.** يجوز أن يكون موضع، ما، الرِّفْعُ أي فعليكم، أو النَّصَب، أي فأهدوا أو أبعثوا، والإحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف أو المرض من التصرف، قد أحصر فهو محصر ويقال للرجل الذي حبس قد حُصر فهو محصور ونقل عن الفراء أنه قال يجوز أن يقام كل واحد منها مقام الآخر وخالفه المبرد والرجاج وكيف كان فالذي يستفاد من الأخبار استعمال كل من اللفظين أعني المحصر والمحصور والمراد بالحصر المنع عن إتمام أفعال الحج سواء كان بالصد من العدو أم بالمرض هكذا قيل ونقل عن المنتهى إتفاق الأصحاب على تغاير الصد والحصر كذلك ويؤيد ذلك ما رواه معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال المحصور غير المصدود وقال المحصور هو المريض والمصدود هو الذي يرده المشركون كما ردوا رسول الله وأصحابه وليس من مريض والمصدود تحل له النساء والمحصور لا تحل له النساء انتهى.

وقال في القاموس الحصر كالضرب والنصر التضييق والحبس عن السفر وقال، صد فلاناً عن كذا أي منعه ونحوه قال في الصحاح ومقتضى كلامهما

ترادف اللَّفْظَيْن وهو قول أكثر الجُمهور قال في الكشَّاف في تفسير الآية يقال أَحْصَرُوا فلان إذا منعه أمرٌ من خوفٍ أو مرضٍ أو عجزٍ قال الله تعالى: **الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** <sup>(١)</sup> و حصر إذا حبسه عدو عن المضى أو سجن ومنه قيل للمحبس الحَصِير وللملك الحَصِير لآثمه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صدّه وأصدّه انتهى كلامه.

قال الشيخ في التبيان قوله فَأَنْ أُحْصِرُوا فيه خلاف، قال قوم فأن منعكم خوفٌ أو عدوٌ أو مرضٌ أو هلاكٌ بوجهٍ من الوجوه فإمتنعتم لذلك وقال آخرون أن منعكم حابسٌ قاهرٌ فالأول قول مجاهد وقَتادة و عطا وهو المروى عن ابن عباس وهو المروى في أخبارنا والثاني، ذهب إليه مالك بن أنس و الأول أقوى لما روي في أخبارنا ولأن الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء و حصره منعه ولهذا يقال حُصِر العدو ولا يقال أحصر انتهى. أقول فعلى هذا قوله تعالى: **فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ** معناه أن منعكم خوفٌ أو عدوٌ أو مرضٌ أو هلاكٌ بوجهٍ من الوجوه و صرتم بذلك ممنوعين عن إتيان الحجِّ **فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** أي إبعثوا ما أمكنكم من إبلٍ أو بقرةٍ أو غنمٍ، قال الشيخ روي عن عليٍّ **عَلَيْهِ السَّلَام** وابن عباس والحسن وقَتادة أنه شاةٌ وروي عن ابن عمر وعائشة أنه ما كان من الإبل والبقرة وغيره والأول هو المعمول عليه عندنا، والهدي جمع هدية كجدي جمع جديّة أو مفرد مؤنثة، هدية وجمعه هديّ بالتشديد أمّا من الهداية أو من هداه إذا ساقه إلى الرّشاد لآثمه يساق إلى الحرم، وقوله ولا تحلفوا رؤسكم، يمكن أن يكون النّهي عن الأكلال ويكون التعبير بالخلق من قبيل التعبير بالجزء عن الكلّ و يحتمل أن يكون النّهي عن الخلق نفسه، و عليه فيكون النّهي عن بقية محرّمات الإحرام معلوماً من الفحوى أو من دليل آخر و ظاهر الآية والروايات والفتوى شمول الحجِّ

والعمرة في هذا الحكم، ومحله مكة أن كان معتمراً أو منى أن كان حاجاً، و قال بعض العامة لا إحصار في العمرة وفسر الشافعي المحل في قوله: حتّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ بالموضع الذي صد فيه و الحنفية فسره بالحرم، ويدل على ما ذكرناه.

ما رواه في الصحيح عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل أحصر فبعث بالهدي قال يواعد أصحابه ميعاداً أن كان في الحج فمحلّ الهدي يوم النحر فإذا كان يوم النحر فليقتصر من رأسه ولا يجب عليه الحلق حتّى يقضي المناسك، وأن كان في العمرة فلينظر مقدار دخول أصحابه مكة والساعة التي يعدهم فيها فإذا كان تلك الساعة قصر وأحلّ وأن كان مرض في الطريق بعد ما يخرج فأراد الرجوع إلى أهله رجع إليه ونحر بدنه أو أقام مكانه حتّى يبرأ إذا كان في عمرة فإذا أبرئ فعليه العمرة واجبة، قلت أن كان عليه الحج فرجع أو أقام ففاته الحج قال عليه السلام من قابل فأَنَّ الحسين ابن علي عليه السلام خرج معتمراً فمرض في الطريق وبلغ علياً ذلك فخرج في طلبه فأدركه بالسقياء وهو مريض فقال عليه السلام يا بُنَيَّ ما تشتهي فقال عليه السلام أشتهي رأسي فدعا عليّ ببدنه فنحرها وحلق رأسه وردّه إلى المدينة فلما برأ من وجعه إعتمر قلت أرايت حين برأ من وجعه قبل أن يخرج إلى العمرة حلّ له النساء قال عليه السلام لا يحلّ له النساء حتّى يطوف بالبيت وبالصفا والمروة.

قلتُ فما بال رسول الله حين رجع من الحديبية حلّ له النساء ولم يطف بالبيت قال عليه السلام ليسا سواء كان النبي صلى الله عليه وآله مصدوداً والحسين محصوراً انتهى.

أقول يظهر من هذه الرواية أنَّ الصَّد غير الحصر و عليه فحكم المصدود  
يغايير حكم المحصور و ظاهر الآية أيضاً يقتضي ذلك.

و أيضاً روي الشيخ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: اذا  
أحصر الرجل بعث بهديه الحديث، وفي الموثق عن زرعة قال  
سألته عن رجلٍ أحصر في الحجّ قال عليه السلام فليبعث بهديه اذا كان مع  
أصحابه و محلّه أن يبلغ الهدى محلّه، و محلّه منى اذا كان في الحجّ  
و أن كان في عمرة نحر بمكة و أنما عليه أن يعدهم لذلك يوماً فاذا  
كان، ذلك اليوم فقد وفى و اذا اختلفوا في الميعاد لم يضّره إن شاء  
الله تعالى انتهى.

و في الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال المصدود يذبح حيث  
صدّوا يرجع صاحبه فيأتي النساء، والمحصور يبعث بهديه و  
يعدهم يوماً فاذا بلغ الهدى محلّه أحلّ هذا في مكانه انتهى.

المسألة الثالثة: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ  
صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ أَي فَمَنْ كَانَ مَرِيضاً يَحْتَاج فِيهِ إِلَى الْحَلْقِ أَمَا لَزَفَعِهِ  
بِالْكَلْبَةِ أَوْ لَعْدَمِ زِيَادَتِهِ أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ كَالْهُوَامِ، فَفِدْيَةٌ، أَي فَالْوَجِبُ أَوْ  
فَعَلَيْكُمْ فِدْيَةٌ إِذَا حَلَقْتُمْ فَيُشْعِرُ بَأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ أَوْ مَقْتَضَاهُ  
أَنَّهُ لَوْ بَقِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكَانَ اثْمًا وَقِيلَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغَرَضُ بَيَانُ  
الْجَوَازِ ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ الْفِدْيَةَ بِالْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ، وَقَالَ فِي التَّبَيُّانِ فَلَا أَذًى كُلَّمَا  
تَأَذَّيْتُ بِهِ وَرَجُلٌ، أَذًى، إِذَا كَانَ شَدِيدَ التَّأَذَّى وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ  
فِي إِنْسَانٍ يَعْرِفُ بِكَعْبِ بْنِ حَجْرَةَ وَرَوَى أَيْضاً ذَلِكَ أَصْحَابُ التَّأْوِيلِ فِي أَنَّهُ  
كَانَ قَدْ قَمَلَ رَأْسُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ لَكِنَّمَا مَحْمُولَةٌ عَلَى جَمِيعِ الْأَذَى  
انتهى كلامه.



وقال في قوله تعالى: **فَقَدِيَّةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ** فالذي رواه أصحابنا أنَّ الصَّيَامَ ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين وروى عشرة مساكين، والنُّسْكَ، شاة، وفيه خلاف بين المفسرين فعن كعب بن حجرة الأنصاري، و مجاهد و علقمة و إبراهيم و الزبيح و الجبائي مثل ما قلناه و عن الحسن و عكرمة صوم عشرة أيام أو إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع بلا خلاف ولم يختلفوا في النُّسْكَ أنَّه شاة انتهى.

أقول روي في الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال: **مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كَعْبِ بْنِ حَجْرَةَ وَالْقَمَلِ يَتَنَاثَرُ مِنْ رَأْسِهِ وَهُوَ مُحْرَمٌ فَقَالَ ﷺ: لَهُ أَتُؤْذِيكَ هُوَ أَمَّا فَقَالَ نَعَمْ فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ الْآيَةُ فَأَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَحْلُقَ وَجَعَلَ الصَّيَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَالصَّدَقَةَ عَلَى سِتَّةِ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِّدَّانٍ وَالنُّسْكَ شَاةً قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَكُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ فَصَاحِبِهِ بِالْخِيَارِ يَخْتَارُ مَا شَاءَ وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ كَذَا، فَالْأَوَّلُ بِالْخِيَارِ انْتَهَى.**

وهذه الرواية رواها الشيخ في التهذيب عن أبي عبد الله من غير إرسالٍ و ما تضمنته من وجوب الفدية فهو مجمع عليه كما نقله في المنتهى ولأخلاف أيضاً في التخيير فيها بين الأمور الثلاثة وكذا لا خلاف في تقدير الصوم بالثلاثة والنُّسْكَ بذبح شاة، نعم إختلفوا في قدر الصدقة و ما تضمنه الخبر من إطعام الستة ولكل واحدٍ مِّدَّانٍ هو قول الأكثر ويدل عليه رواية المذكورة وذهب بعضهم إلى وجوب إطعام عشرة لكل مسكين مِّدَّ واحد وقد وردت به أيضاً رواية إلا أنَّها مجهولة سنداً مطرودة عملاً، و أما العامة فقد ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية أنَّ كلَّ مَنْ ذكر النُّسْكَ في هذا الحديث مُفسراً فأنما ذكره بشاة وهو أمرٌ لا خلاف فيه بين العلماء و أما الصوم والإطعام فإختلفوا فيه

فجمهور فقهاء المسلمين على أنَّ الصَّوم ثلاثة أيام وهو محفوظ صحيح في حديث كعب بن حجرة وجاء عن الحسن وعكرمة ونافع أنَّهم قالوا الصَّوم في فدية الأذى عشرة أيام والإطعام عشرة مساكين ولم يقل أحدٌ بهذا من فقهاء الأمصار والأئمة الحديث وأما الإطعام في فدية الأذى فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم الإطعام في ذلك مَدَّان بمدَّ النَّبي ﷺ وهو قول أبي ثور وداود وروي عن الثوري أنَّه قال في الفدية من البر نصف صاع ومن التمر والشعير والزبيب صاع، وروي عن أبي حنيفة أيضاً مثله وقال أحمد بن حنبل مرةً كما قال مالك والشافعي ومرةً قال إن أطعم برأ فمداً لكل مسكين وإن أطعم تمرأ فنصف صاع انتهى ما ذكره القرطبي ولا نعلم مأخذ هذا التفصيل أين هو.

المسألة الرابعة: فَإِذَا آمَنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ أي إذا كنتم في حال أمنٍ وسعةٍ قادرين على الحجِّ غير محصورين بالمرض ولا مصدودين بالعدو ونحوه، فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، أي انتفع بالتقرب بها إلى الله مُتَّهِياً بالانتفاع بذلك إلى التقرب والانتفاع بها إلى الحجِّ فالبراء للاله أو للسببية، ويحتمل أنَّ المعنى أنَّ من إنتفع بسببها بإستباحة ما كان قد حرم عليه إلى أن يوقع الإحرام للحجِّ قال الشيخ رحمته الله ففرض التمتع عندنا هو اللازم لكل من لم يكن من حاضري المسجد الحرام وحَدَّ حاضري المسجد الحرام من كان على أثني عشر ميلاً من كلِّ جانبٍ إلى مكة ثمانية و أربعين ميلاً فما خرج عنه فليس من الحاضرين ولا يجوز له مع الإمكان غير التمتع وأما عند الضرورة فيجوز له القران والافراد ومن كان من حاضري المسجد الحرام لا يجوز له التمتع وأتما فرضه القران والافراد على ما تفسره في القران والافراد ثمَّ أنَّ سياق المتمعن أن يحرم من الميقات في أشهر الحجِّ و هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ثمَّ يخرج إلى مكة فيطوف

بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ثم ينشئ إحراماً آخر بالحج من المسجد الحرام ويخرج الى عرفات ويقف هناك ويفيض الى المشعر وبعد و منها الى منى ويقضي مناسكه هناك ويدخل في يومه الى مكة فيطوف بالببيت طواف الزيارة ويسعى بين الصفا والمروة ويطوف طواف النساء وقد أحل من كل شيء ويعود الى منى فيبيت ليلتي بها ويرمي الجمار في ثلاثة أيام على ما هو مذكور في الفقه مفصلاً.

المسألة الخامسة: قوله تعالى فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لا خلاف في وجوب الهدي على المتمتع لظاهر التنزيل وأما الخلاف في أنه نسك أو جبران، أما نحن فنقول أنه نسك ثم أن لم يجد بالهدي ولا ثمنه صام ثلاثة أيام في الحج قال في التبيان وعندما أن وقت الصوم الثلاثة يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة فأن صام في أول العشرة جاز ذلك رخصة وأن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوماً آخر بعد التشريق فأن فاته يوم التروية صام بعد القضاء من التشريق ثلاثة أيام متتابعات، وروي عن ابن عباس وابن عمر و الحسن ومجاهد أنه يجوز ما بين إحرامه في أشهر الحج الى يوم عرفة و استحَبُّوا أن يكون يوماً قبل التروية ويوم عرفة ثم قال ﷺ ووقت صوم السبعة أيام اذا رجع الى أهله و قال مجاهد اذا رجع عن حجة في طريقه فأما أيام التشريق فلا يجوز صومها عندنا لنهي النبي عن صوم أيام التشريق، روي عن ابن عمر وعائشة جوازه انتهى كلام الشيخ ﷺ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وأما العامة ففيه عندهم خلاف فقال بعضهم، والثلاثة الأيام في الحج آخرها يوم عرفة وبه قال طاووس، وروي عن الشعبي وعطاء ومجاهد والحسن

البصري و أصحاب الرأي و قال أبو حنيفة على ما حكى عنه يصومها في إحرامه بالعمرة لأنه أحد احرامي التمتع فجاز صوم الأيام فيه كإحرامه بالحج و نقل عنه قول آخر وهو يوافق مذهبنا أي يصوم يوماً قبل التروية و يوم التروية و يوم عرفة، و عن ابن عباس و مالك بن أنس، له أن يصومها منذ يحرم بالحج إلى يوم النحر لأنه إذا صامها في العمرة فقد أتاه قبل وقته فلم يجزه واللّه تعالى يقول، فصيام ثلاثة أيام في الحج، و قال الشافعي وابن حنبل يصومهنّ ما بين أن يهّل بالحج إلى يوم عرفة و به قال ابن عمر و عائشة قالوا، ليكون يوم عرفة مفطراً فذلك أتبع للسنة أقوى على العبادة و عن أحمد أيضاً أنه قال يجوز أن يصوم الثلاثة قبل أن يحرم و قال الثوري والأوزاعي يصومهنّ من أول أيام العشر، و قال عروة يصومها مادام بمكة في أيام منى أعني بها أيام التشريق الثلاثة التي تلي يوم النحر والأقوال فيه كثيرة كما هو مقتضى التفسير بالرأي.

روي في الكافي بأسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له رجل تمتع بالعمرة إلى الحج في عيبته ثياب يبيع من ثيابه ويشترى هديه قال عليه السلام: لا هذا يتزين به المؤمن يصوم ولا يأخذ شيئاً من ثيابه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج أي في ذي الحجة انتهى.

و أيضاً بأسناده عن رفاعه بن موسى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتمتع لا يجد الهدي قال عليه السلام يصوم قبل التروية بيوم و يوم التروية و يوم عرفة قلت فإنه قدّم يوم التروية قال عليه السلام: يصوم ثلاثة أيام بعد التشريق قلت لم يقم عليه جماله قال عليه السلام يصوم يوم الحصة و بعده يومين قلت وما الحصة قال عليه السلام يوم نفره قلت يصوم وهو مسافر قال نعم أليس هو يوم عرفة مسافر إن أهل بيت نقول ذلك بقول الله عز وجل: فصيام ثلثة أيام في الحج يقول في ذي الحجة انتهى.

و نحوه صحيحة معاوية بن عمار إِلا أَنَّهُ قال قلتُ فأن لم يصم عليه  
جَمَلَهُ أَيَصُومُهَا فِي الطَّرِيق قال إِنْ شاء صامها فِي الطَّرِيق وَ إِنْ  
شاء اذا رَجَعَ الى أَهله انتهَى.

أقول صومها طول ذي الحجة إِلا ما إِسْتَشْنَى قول علماءنا وَ أَكْثَرُ الْعَامَةِ ذَالِكَ  
لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِيهِ إِشارة الى التَّمَتُّعِ  
وَ أَحْكامه لموضع اللَّامِ الْمَوْضُوعَةِ لِلإِشارة الى البعيد كما أَنَّ الكاف للمتوسط وَ  
المجرّد منهما للقريب، وَ قال الشَّافِعِي فِيهِ إِشارة الى الهدى وَ الصَّوْمِ وَ مقتضى  
كلامه أَنَّ التَّمَتُّعَ لحاضري المسجد الحرام جائز لكن لا يلزمهم الهدى وَ به قال  
الشيخ فِي الخلاف ولكن أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا على خلافه لدلالة الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ على  
ذلك.

منها مارواه الشيخ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَلِيّ بْنِ جَعْفَرٍ قال: قلتُ لِأَخِي  
مُوسَى ابْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَتِمَّتَعُوا بِالْعُمْرَةِ الى الْحَجِّ فَقَالَ  
لَا يَصْلَحُ أَنْ يَتِمَّتَعُوا لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ  
حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ أمثال ذلك من الْأَخْبَارِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ  
فَرْضُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ حَجِّ الْإِسْلَامِ، الْقِرَانِ وَ الْإِفْرَادِ  
وَ يَجُوزُ لَهُمُ الْعُدُولُ الى التَّمَتُّعِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ كما يَجُوزُ لَهُمُ التَّمَتُّعُ  
فِي الْحَجِّ الْمَتَطَوِّعِ بِهِ وَ الْمَنْذُورِ وَ هَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهُدْيُ أَمْ لَا فِيهِ  
أَقْوَالٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْفَقْهِ، وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ،  
أَمْرُهُمُ بِالْتَّقْوَى أَوَّلًا فَقَالَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ، ثُمَّ جَذَّرَهُمْ عَنْ مَخَالَفَتِهِمْ إِيَّاهُ  
فِي أَوْامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ فَقَالَ وَ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ  
مِنْهُ.

تنبيه:

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

قال الطَّبْرَسِيُّ رحمته الله فِي هَذَا الْمَقَامِ رَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ

الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سَنِينَ لَمْ يَحْجْ  
ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ الْآيَةَ فَأَمَرَ الْمُؤَدِّنِينَ أَنْ يُؤَدِّنُوا بِأَعْلَى  
صَوْتِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْجُّ مِنْ عَامِهِ هَذَا فَلَعِمَ بِهِ مِنْ حَضَرِ  
الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْعَوَالِي وَالْأَعْرَابِ فَأَجْتَمَعُوا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فِي أَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحَلِيفَةِ فَزَالَتْ  
الشَّمْسُ إِغْتَسَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي عِنْدَهُ الشَّجَرُ فَصَلَّى فِيهِ  
الظَّهْرَ وَأَحْرَمَ بِالْحَجِّ ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ بِالْمَرْوَةِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ السَّعْيِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ  
فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَنَّ هَذَا جِبْرَائِيلُ وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى خَلْفِهِ  
يَأْمُرُنِي أَنْ أَمَرَ مَنْ لَمْ يَسْقِ هَدِيًّا أَنْ يَحْلَ فَلَوْ اسْتَقْبَلْتَ مِنْ أَمْرِي مَا  
اسْتَدْبَرْتَ لَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا أَمَرْتُكُمْ وَلَكِنِّي سَقَتُ الْهَدْيَ وَلَا يَنْبَغِي  
لِسَائِقِ الْهَدْيِ أَنْ يَحْلَ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيَ مَحَلَّهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ  
أَنْخَرَجَ حَجَّاجًا وَرُؤُسَنَا تَقْطُرُ فَقَالَ ﷺ: أَنْكَ لَنْ تَوْمَنَ بِهَا أَبَدًا فَقَامَ  
إِلَيْهِ سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ خَثْعَمِ الْكِنَانِيِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْتَنَا  
دِينَنَا فَكُنَّا نَخْلُقُنَا الْيَوْمَ فَهَذَا الَّذِي أَمَرْتَنَا بِهِ لَعَامِنَا أَوْ لِمَا نَسْتَقْبِلُ  
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ هُوَ لِلْأَبَدِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ  
أَصَابِعِهِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَقَالَ دَخَلْتَ الْعِمْرَةَ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَدَخَلَ  
عَلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ قَدْ أَحْلَتْ فَوْجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً وَوَجَدَ عَلَيْهَا ثِيَابًا  
مَصْبُوغَةً فَقَالَ مَا هَذَا يَا فَاطِمَةُ فَقَالَتْ أَمَرْنَا بِهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُسْتَنْقِيًّا مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ  
اللَّهِ أَنِّي رَأَيْتُ فَاطِمَةَ قَدْ أَحْلَتْ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ مَصْبُوغَةٌ فَقَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ أَنَا أَمَرْتُ النَّاسَ بِذَلِكَ وَأَنْتِ يَا عَلِيٌّ بِمِ أَهْلَلْتَ فَقَالَ قُلْتُ يَا

رَسُولُ اللَّهِ إِهْلَالًا كإِهْلَالِ النَّبِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ كُنْ عَلَى إِحْرَامِكَ  
مِثْلِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِي هَدَيْتِي الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ.

أَنْزَلَ هَذَا الْحَدِيثَ نَصًّا فِي أَنَّ الْعُمْرَةَ دَخَلَتْ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ  
الْعُمْرَةَ هَذِهِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ مُتَعَتَانِ مُحَلَّلَتَانِ، أَوْ كَانَتَا  
عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا وَأُعَاقِبُ عَلَيْهِمَا، مَتَعَةُ النِّسَاءِ وَمَتَعَةُ  
الْحَجِّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الثَّالِثَةُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ التَّمَتُّعَ جَائِزٌ عَلَى مَا يَأْتِي  
تَفْصِيلُهُ، وَأَنَّ الْأَفْرَادَ جَائِزٌ، وَأَنَّ الْقِرَانَ جَائِزٌ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ كِلَا وَ  
لَمْ يَنْكَرْهُ فِي حُجَّتِهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بَلْ أَجَازَهُ لَهُمْ وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ ﷺ وَ  
أَمَّا إِخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا كَانَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَرَّمًا فِي حُجَّتِهِ وَفِي الْأَفْضَلِ مِنْ  
ذَلِكَ لِإِخْتِلَافِ الْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ قَائِلُونَ مِنْهُمْ مَالِكٌ كَانَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ مُفْرَدًا وَ الْأَفْرَادَ أَفْضَلَ مِنَ الْقِرَانِ وَ الْقِرَانَ أَفْضَلَ مِنَ التَّمَتُّعِ وَفِي  
صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ مَنْ أَرَادَ  
مِنْكُمْ أَنْ يَهْلَ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْلَ بِحَجٍّ فَلْيَهْلَلْ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ  
يَهْلَ بِعُمْرَةٍ فَلْيَهْلَلْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَهْلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَجٍّ وَأَهْلَ بِهِ نَاسٌ مَعَهُ  
وَأَهْلَ نَاسٌ بِالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَأَهْلَ نَاسٌ بِعُمْرَةٍ وَكُنْتُ فِيمَنْ أَهْلَ بِالْعُمْرَةِ رَوَاهُ  
جَمَاعَةٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِيهِ، قَالَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا أَنَا فَأَهْلُ بِالْحَجِّ، وَهَذَا نَصٌّ فِي مَوْضِعِ الْخِلَافِ وَهُوَ حُجَّةٌ مِنْ  
قَالَ بِالْأَفْرَادِ وَفَضْلُهُ وَحَكِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ إِذَا جَاءَ عَنْ  
النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثَانِ مُخْتَلِفَانِ وَبَلَّغْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ عَمَلَا بِأَحَدِ الْحَدِيثَيْنِ وَ  
تَرَكَمَا الْآخَرَ كَانَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا عَمَلَا بِهِ انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.  
وَأَنَا أَقُولُ، أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ عَائِشَةَ فَمَعَ قَطْعَ النَّظَرِ عَنْ سَنَدِهِ فِيهِ  
إِشْكَالَانِ.

بَابُ التَّحْرِيمِ فِي الْقِرَانِ

وَالْحَدِيثُ

جزء ٢

**أحدهما:** أنه يستفاد منه أن الناس كانوا مُخَيَّرِينَ فِي الْإِهْلَالِ بِالْحَجِّ أَوْ بِهِ وَالْعُمْرَةِ، أَوْ بِالْعُمْرَةِ فَقَطْ وَهُوَ كَمَا تَرَى.

**ثانيهما:** أنه على فرض التسليم يلزم أن تكون عائشة و غيرها مَمَّنْ أَهْلٌ بِالْعُمْرَةِ عَلَى خِلافِ الرَّسُولِ لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا فِي الْمَقَامِ بِالتَّخْيِيرِ بَيْنِ الثَّلَاثَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ لَا نَشْكُ فِي أَنَّ مَا اخْتَارَهُ الرَّسُولُ مِنْهَا هُوَ أَوْلَى وَأَحْسَنُ وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ الرَّسُولَ أَهْلٌ بِالْحَجِّ، وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** <sup>(١)</sup>، فَلَمْ تَرَكْتَ عَائِشَةَ التَّأْسِي بِهِ ﷺ - ثُمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ بَعْدَ نَقْلِهِ الْأَقْوَالِ فِي أَفْضَلِيَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا عَلَى الْآخَرِ مَا لَفْظُهُ إِحْتِجُّ مِنْ فَضْلِ التَّمَتُّعِ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ نَزَلَتْ آيَةُ ﷺ ثُمَّ لَمْ تَنْزِلْ آيَةُ تَنْسَخُ آيَةَ مَتْعَةِ الْحَجِّ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ قَالَ رَجُلٌ بَرَأَيْهِ بَعْدَ مَا شَاءَ وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكٍ بْنُ أَنَسٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ أَنَّهُ سَمِعَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ وَ الصَّحَّاحَ بْنَ فَيْسَ عَامَ حَجِّ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَهُمَا يَذْكُرَانِ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ الصَّحَّاحُ بْنُ قَيْسٍ لَا يَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ جَهَلَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ سَعْدُ بْنُ قُتَيْبَةَ يَا بَنَ أَخِي فَقَالَ الصَّحَّاحُ فَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ سَعْدٌ قَدْ صَنَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَنَعْنَاهَا مَعَهُ هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ.

و روي ابن إسحاق عن الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ قَالَ أَتَيْتُ لِجَالِسٍ مَعَ ابْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَسَأَلَهُ عَنْ تَمَتُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ حَسَنٌ جَمِيلٌ، قَالَ: فَأَنَّ أَبَاكَ كَانَ يَنْهَى عَنْهَا، فَقَالَ وَبِكَ فَأَنَّ كَانَ أَبِي نَهَى عَنْهَا وَقَدْ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرُهُ، أَفَبِقَوْلِ أَبِي آخِذًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُمْ عَنِّي،



أخرجه الدار قطني وأخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث سالم بن كيسان عن ابن شهاب عن سالم.

وروي عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال تمتع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وأول من نهى عنها معاوية، قال أبو عمرو حديث ليث هذا حديث منكرو هو ليث بن أبي سليم ضعيف والمشهور عن عمر وعثمان أنهما كانا ينهيان عن التمتع، انتهى.

ما ذكره القرطبي وقال السيوطي في الدر المنثور وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى وفعلناها مع رسول الله ﷺ ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول الله حتى مات، فقال رجل برأيه ما شاء انتهى.

وأخرج مسلم عن أبي ثغرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهي عنها فذكر ذلك لجابر بن عبد الله الأنصاري، فقال على يدي دار الحديث.

تمتعنا مع رسول الله ﷺ: فلما قام عمر قال أن الله كان يحل لرسول الله ما شاء مما شاء وأن القرآن قد نزل منازل فأتوا الحج والعمره كما أمركم الله وأفصلوا حجاجكم من عمرتكم فإنه أتم لحجبتكم ولعمرتكم انتهى.

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده وأحمد عن الحسن أن عمر بن الخطاب هم أن ينهي عن متعة الحج فقام إليه أبي بن كعب فقال: ليس ذلك لك قد نزل بها كتاب الله وأعتمرنا مع رسول الله فنزل عمر انتهى.

وأخرج مُسلم عن عبد الله بن شقيق قال: كان عثمان ينهي عن المتعة وكان عليّ يأمر بها فقال عثمان لعليّ كلمة فقال عليّ لقد علمت إنّنا قد تمتعنا مع رسول الله قال أجل ولكنّا كنّا خائفين انتهي. أقول ظاهر الحديث يدلّ على أنّ عثمان وأمثاله كانوا خائفين في حياة رسول الله من الله ورسوله وأما بعد وفات الرسول فقد زال عنهم الخوف فقالوا في دين الله ما شاؤوا وأرادوا ولمثل هذا فليكن الباكون.

قال الفخر الرازي وقوله: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فيه مسائل.

المسألة الأولى، معنى التمتع التلذذ يقال تمتع بالشئ أي تلذذ به والمتاع كلّ شئ يتمتع به وأصله من قولهم حباً مائع أي طويل إلى أن قال والمتمتع بالعمرة إلى الحجّ هو أن يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحجّ ثم يقيم بمكة حلالاً ينشئ منها الحجّ فيحجّ من عامه ذلك وأما سُمّي مُتَمَتِّعاً لأنه يكون مستمتعاً بمحظورات الإحرام فيما بين تحلّله من العمرة إلى إحرامه بالحجّ والتمتع على هذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وهيهنا نوع آخر من التمتع مكروه وهو الذي حذّر عنه عمرو وقال مُتَمَتِّعَانِ كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحجّ والمراد من هذه المتعة أن يجمع بين الإحرامين ثم يفسخ الحجّ إلى العمرة ويتمتع بها إلى الحجّ.

وروي أنّ رسول الله ﷺ: أذن لأصحابه في ذلك ثم نسخ.

وروي عن أبي ذرّ أنّه قال: ما كانت متعة الحجّ إلّا لي خاصّة فكان السبب فيه أنّهم كانوا لا يرون العمرة في أشهر الحجّ ويعدونّها من أفجر الفجور، فلما أراد رسول الله ﷺ إبطال ذلك الإعتقاد عليهم بالغ فيه بأن نقلهم في أشهر الحجّ من الحجّ إلى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحجّ خاصّاً بهم إنتهى ما ذكره بألفاظه.

**أقول** ما حذّر عنه عمر إنّما هو التمتع بالمعنى المتعارف بين الناس أعني ما ذكره أولاً لا ما ذكره بقوله وهيهنا نوع آخر من التمتع مكروه، والدليل على ما ذكرناه إتفاق علماء أهل السنة ومهرة الفن عليه والرّازي ليس من فرسان هذا الميدان وقد نقلنا عن القرطبي والسبّوطي وغيرهما ما هو نصّ في المدعى نعم نقل القرطبي هذا القول في تفسيره وقال وإن كان جماعة من أهل العلم قد زعموا أنّ المتعة التي نهى عنها عمر وضرب عليها فسخ الحجّ في العمرة إنتهى.

والتّعبير بقوله، قد زعموا، يدلّ على فساد هذا القول وأنّه خلاف المشهور وذلك لأنّه لم يسمع من أحدٍ فسخ الحجّ الى العمرة والتمتع بها الى الحجّ، بل الحقّ أنّهم أبدعوا هذه الإحتمالات في المقام ليدفعوا بها عن خليفتهم ولم يعلموا أنّ الأمر لو كان كما ذكروه فكيف حذّر عنه عمر والتّحذير والضرب على المكروه لا معنى له وهم قد صرّحوا بأنّ هذا النوع من التمتع مكروه لا حرام.

وأما ما نقله عن أبي ذر فهو أيضاً من المجعولات التي لا أصل لها لأنّ أبا ذر كام من أصحاب عليّ عليه السلام وشيعته وهو أظهر من الشمس فكيف يعقل مخالفته لعليّ عليه السلام في المسئلة وإن يقول ما كانت متعة الحجّ إلّا لي خاصّة، و المفروض أنّ الحجّ من الأحكام الإجتماعية التي لجميع المسلمين بل و لجميع الناس قال الله تعالى: **وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** <sup>(١)</sup> ولم يقل لأبي ذر خاصّة بل ولا لرسول الله خاصّة والحاصل أنّ هذه الملفقات لا ينبغي التوجّه اليها في المقام وكفاك في ذلك ما نقله القرطبي في تفسيره <sup>(٢)</sup> عن أحمد بن حنبل إمام الحنابلة أنّه قال ولم يجمعوا على ما قال أبوذر ولو أجمعوا كان حجة قال وقد خالف ابن عباس أبا ذر ولم يجعله خصوصاً ثم قال القرطبي و

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

أَحْتَجَّ أَحْمَدُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ حَدِيثُ جَابِرِ الطَّوِيلِ فِي الْحَجِّ وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَوْ أَنِّي إِسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا إِسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً فَقَامَ سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بَنِ مِثْمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا مَنَا هَذَا أَمْ لِأَبِي فَشَبَّكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى وَقَالَ دَخَلْتُ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ لَا بَلَّ لِأَبْدٍ أَبَدٍ لَفْظُ مُسْلِمٍ ثُمَّ قَالَ وَالْيَ هَذَا مَالُ النَّجَارِيِّ حَيْثُ تَرْجَمُ (بَابُ مَنْ لَبَّى بِالْحَجِّ وَسَمَاهُ) وَسَاقَ حَدِيثَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّتَهَى.

أَقُولُ هَذَا الَّذِي نَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ أَحْمَدَ حَقُّ لَامِرِيَّةٍ فِيهِ وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ كَمَا مَرَّ الْحَدِيثُ فِيهِ فِي صَدْرِ الْبَحْثِ وَلِنَخْتِمَ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَمَنْ أَرَادَ الْوُقُوفَ عَلَى الْأَقْوَالِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ فَعَلَيْهِ بِالْمَطَوَّلَاتِ فَقَدْ نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَقَامِ أَرْبَعَةَ أَوْجِهٍ فِي التَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ وَعَدَّ قِسْمًا وَاحِدًا مُجْتَمِعًا عَلَيْهِ وَالثَّلَاثَةَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا لَا يَنْبَغِي الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهَا، قَالَ فَأَمَّا الْوَجْهُ الْمَجْتَمِعُ عَلَيْهِ فَهُوَ التَّمَتُّعُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَذَلِكَ أَنْ يُحْرِمَ الرَّجُلُ بِعُمْرَةٍ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ وَقَدْ مَكَةَ ففَرَّغَ مِنْهَا ثُمَّ أَقَامَ حَلَالًا بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ شَاءَ لِحَجٍّ مِنْهَا فِي عَامِهِ ذَلِكَ قَبْلَ رَجُوعِهِ إِلَى بَلَدِهِ أَوْ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى مِيقَاتِ أَهْلِ نَاحِيَّتِهِ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مَتَمِّعًا وَعَلَيْهِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى التَّمَتُّعِ وَذَلِكَ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، بِذَبْحِهِ وَيُعْطِيهِ لِلْمَسَاكِينِ بِمَنْىَ أَوْ بِمَكَّةَ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ وَلَيْسَ لَهُ صِيَامُ يَوْمِ النَّحْرِ بِإِجْمَاعٍ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّتَهَى.

أَقُولُ وَهَذَا التَّمَتُّعُ هُوَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ عُمَرُ وَحَذَرَ عَلَيْهِ لَا مَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَآمِثَالُهُ مِنَ الْإِحْتِمَالَاتِ الَّتِي تَضَحِكُ بِهِ التَّكْلِيْ هَذَا تَمَامُ الْكَلَامِ فِي مُتْعَةِ الْحَجِّ الْبَحْثُ فِي مُتْعَةِ النِّسَاءِ فَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مُحَلِّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ  
فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ  
مَاتَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ  
الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (١٩٧)

### ◀ اللغة

فَلَا رَفَثَ: الرَّفَثُ بفتح الراء والفاء على ما قاله الرَّاغِبُ في المفردات كلامٌ متضمنٌ لما يستتبع ذكره من ذكر الجماع و دواعيه وجعل كناية عن الجماع لقوله تعالى: أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الْصَّيَامِ أَلَرَفَثٌ إِلَى نِسَائِكُمْ<sup>(١)</sup> وأما الرَّفَثُ في المقام فيحتمل أن يكون نهياً عن تعاطي الجماع وأن يكون نهياً عن الحديث في ذلك إذ هو من دواعيه والأول أصح انتهى.

لَا فُسُوقَ: الفُسُوقُ بضم الفاء الكذب كما جاءت به الرواية عنهم وفُسُوقٌ فُسُوقاً: من باب فقد خرج من الطاعة والإسم الفُسُوقُ وقد يقال أصل الفُسُوقُ خروج الشيء على وجه الفساد فقوله وَلَا فُسُوقَ أي لا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وإرتكاب المحرمات.

وَلَا جِدَالَ: الجِدَالُ المفاوضة على سبيل المنازحة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله.

الْأَلْبَابِ: الباب جمع لب وهو العقل.

### ◀ الإعراب

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مبتدأ وخبر والتقدير الحجُّ حجٌّ أشهر وقيل التقدير أشهر الحجِّ أشهر وعلى التقديرين لا بد من حذف مضافٍ فَمَنْ فَرَضَ من مبتدأ و

بَابُ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

يجوز فيها الشَّرْطُ بمعني الَّذِي فَلَا رَفَثَ و ما بعده، الخَبَرُ والعائد محذوف تقديره فلا رَفَثَ منه وَأَتَقُونِ بكسر التَّوْنِ أصله و اتَّقُونِي.

## ◀ التفسير

أشهر الحجَّ عندنا شوال وذو القعدة وعشرين ذي الحجة على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام وبه قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والحسن وغيرهم و قال عطاء والزبيعي وابن شهاب وطاووس أشهر الحجَّ شوال وذو القعدة وذو الحجة وروي ذلك في أخبارنا أيضاً وإنما كانت هذه أشهر الحجَّ لأنَّ الأحرام بالحجَّ لا يصح أن يقع إلا فيها لا خلاف بين المسلمين و عندنا أنَّ الأحرام بالعمرة التي يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها ومن قال أنَّ جميع ذي الحجة من أشهر الحجَّ قال لأنَّ جميع ذي الحجة يصح أن يقع فيه شيء من أفعال الحجَّ مثل صوم الثلاثة أيام وذبح الهدي ف قوله تعالى:

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ معناه أشهر الحجَّ أشهر معلومات لا يخفى على أحد وقد بينا الأقوال فيها فَمَنْ قَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ أي فمن ألزمه نفسه بالشروع فيه بالنية قصداً باطناً وبالأحرام فعلاً ظاهراً وبالتلبية لفظاً مسموعاً والمقصود أنَّ من فرض على نفسه في الأشهر المعلومات الحجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ قيل كتبي بالرفث عن الجماع ههنا وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء وقيل هو الجماع والتعرض له بمداعبته ومواعدة والمراد بالفسوق هنا الكذب على قول أصحابنا وقيل هو معاصي الله كلها وقيل قيل هو التنازع بالألقاب لقوله تعالى: يَنْسُ الْأَسْمُ الْأَنْفُسُوقُ بَعْدَ الْأَيْمَانِ<sup>(١)</sup> وقيل هو السباب لقوله سباب المؤمن فسوق و قتاله كفر، والمراد بالجدال هو قول لا

والله وبلى والله صادقاً وكاذباً وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ.. حَتَّى عَلَى فَعَلِ  
 الخير في ضمن أفعال الحجّ الواقع في هذه الأشهر أو هو حَتَّى عَلَى الحجّ فيها  
 فأنّه من أعظم أفعال الخير أو أنّ إجتنب ما نهى الله عنه بعد فرض الحجّ من  
 أعظم القربات وهو الباقيات الصّالحات ويحتمل أن يكون القصد في قوله: وَ  
 مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ إشارة الى الحَتَّى على فعل الواجب والمندوب من أنواع  
 الخير وفي قوله: خَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى الخ.

إشارة الى الحَتَّى على ترك المحرّمات والمكروهات من أنواع الشرّ والفرق  
 بين اللّب والعقل أنّ اللّب عبارة عن العقل الخالص عن شوائب الأوهام وما  
 ذكره في الآية لا يدرّكه ولا يراعيه إلّا مَنْ كان من أولي الأبواب ولِنشر الى  
 بعض الأخبار الواردة في المقام.

منها صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ  
 وجلّ: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ قَالَ عليه السلام:  
 الفرض التّلبية والأشعار والتقليد فأَيّ ذلك فَعَلْ فقد فرض الحجّ ولا  
 يُفرض الحجّ إلّا في هذه الشّهور الّتي قال الله تعالى الْحَجُّ أَشْهُرٌ  
 مَّعْلُومَاتٌ وهو شوال وذو القعدة وذو الحجة انتهى.

ومنها صحيحة عمر بن يزيد عنه عليه السلام قال: مَنْ أَشْعَرَ بَدَنَهُ فَقَدْ  
 أَحْرَمَ وَأَنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ انْتَهَى.

ومنها ما رواه الشّيخ في الصّحيح عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد  
 الله عليه السلام قال عليه السلام: إذا أَحْرَمْتَ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ ذَكَرَ اللَّهِ وَ قَلَّةِ  
 الكلام إلّا بخيرٍ فَإِنَّ تَمَامَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَنْ يَحْفَظَ الْمَرْءُ لِسَانَهُ إِلَّا مِنْ  
 خَيْرٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَالَرَّفَتْ الْجَمَاعَ  
 والفسوق الكذب والسّباب والجدال قول الرّجل لا والله وبلى والله  
 انتهى.

أَنْ قُلْتَ كَيْفَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ  
نَحْنُ نَرَاهَا مَوْجُودَةً فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ.

قُلْتُ الْجَوَابَ عَنْهُ بوجهين:

أحدهما: أَنَّهُمْ قَالُوا الْمَرَادُ بِالْمَنْفِيَّاتِ الثَّلَاثِ فِي الْآيَةِ النَّهْيِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا  
تَرْفُثُوا وَلَا تَفْسُقُوا وَلَا تُجَادِلُوا فِي الْحَجِّ لَا نَهْيَ جِنْسِهَا بِالْكَلْبَةِ.

ثانيهما: مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ وَهُوَ أَنَّ الْمَرَادَ نَهْيَهُ مَشْرُوعاً لَا مَوْجُوداً وَ  
بِعِبَارَةٍ أُخْرَى يَرْجِعُ النَّهْيُ إِلَى وَجُودِهِ مَشْرُوعاً لَا إِلَى وَجُودِهِ مُحْسُوساً كَقَوْلِهِ  
تَعَالَى: وَ الْمُطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ<sup>(١)</sup> معناه شرعاً لَا حِسّاً فَأَنَّا  
نَجِدُ الْمُطْلَقَاتُ لَا يَتَرَبَّصْنَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ<sup>(٢)</sup> أَي لَا تَمَسُّهُ  
أَحَدٌ شَرْعاً فَأَنَّ وَجَدَ الْمَنْ فَهُوَ عَلَى خِلَافِ حُكْمِ الشَّرْعِ قَالَ وَهَذِهِ الدَّقِيقَةُ هِيَ  
الَّتِي فَاتَتْ الْعُلَمَاءُ فَقَالُوا أَنَّ الْخَبَرَ يَكُونُ بِمَعْنَى النَّهْيِ وَمَا وَجَدَ ذَلِكَ قَطّاً وَلَا  
يُصَحُّ أَنْ يَوْجَدَ فَأَتَيْنَاهُمَا مُخْتَلِفَانِ حَقِيقَةً وَتَضَادَّتَانِ وَصِفَاءً انْتَهَى.

أَقُولُ لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ التَّكْلِيفَاتِ فِي مَعْنَى الْآيَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى فَلَا  
رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى  
لِّلْمُتَّقِينَ<sup>(٣)</sup> وَالْمَعْنَى لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَابَ فِيهِ أَحَدٌ فِي الْمَقَامِ أَيْضاً نَقُولُ لَا  
رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ معناه لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ أَي فِي الْحَجِّ مِنْ  
هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْئاً وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ نَهْيَ الرَّفْثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ مِنْ  
نَفْسِ الْحَجِّ كَذَلِكَ لَا مِنَ الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ وَكَيْفَ كَانَ فَلَا مَرَّ سَهْلَ بَعْدَ وَضُوحِ  
الْمَعْنَى.

أَنْ قُلْتَ أَنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ بِصَدَدِ بَيَانِ الْحَجِّ وَأَنَّ مِنْ فَرَضٍ عَلَى نَفْسِهِ الْحَجِّ  
يَجِبُ عَلَيْهِ إِتِمَامُهُ تَارِكاً لِلرَّفْثِ وَالْفُسُوقِ وَالْجِدَالِ وَأَمَّا قَوْلُهُ:



فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ فَإِنَّهُ بَحْثٌ آخِرٌ فِيمَا وَجَّهَ ذِكْرَ التَّقْوَىٰ بَعْدَ الْحَجِّ،  
قُلْتُ لَمَّا ذَكَرَ فِي الْحَجِّ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ حَتَّى  
الْمُكَلَّفِينَ عَلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ فَقَالَ وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَفِعْلَ الْخَيْرِ لَا  
يُصْدِرُ إِلَّا مِنَ الْمُتَّقِينَ فَقَوْلُهُ:

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ إشارة مشعرٌ بأنَّ الحاجَّ والمُعْتَمِرَ يَنْبَغِي  
لَهُ تَحْصِيلُ التَّقْوَىٰ فِي أَعْمَالِهِ وَهُوَ يَتَحَقَّقُ بِتَرْكِ الْمُنْهَيَّاتِ وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ قَالَ  
بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ سَفَرُ الْآخِرَةِ وَحُثُّهُمْ عَلَىٰ تَزَوُّدِ التَّقْوَىٰ لِأَنَّ  
التَّقْوَىٰ زَادُ الْآخِرَةِ كَمَا أَنَّ الْمَالَ زَادُ الدُّنْيَا وَلَنَعْمَ مَا قِيلَ:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى      ولا قيت بعد الموت من قد تزودا  
ندمت على ألا تكون كمثلته      وأنتك لم ترصد كما كان أرصدا  
وقال الآخر:

الموت بحرٌ طامحٌ موجه      تذهب فيه حيلة السابح  
يانفس إنني قائلٌ فأسمعي      مقالة من مُشفقٍ ناصحٍ  
لا يصحبه الإنسان في قبره      غير التقى والعمل الصالح  
اللهم أجعلنا من المتقين بمحمدٍ وآله الطاهرين...



لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ  
فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ  
الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَايَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ  
مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)

### ◀ اللغة

جُنَاحٌ: الجناح قطعة من الليل مظلمة من قولهم جنحت السفينة أي مالت  
إلى أحد جانبيها و سُمِّي الإثم المائل بالإنسان عن الحق جناحاً ثم سُمِّي كل  
إسم جناحاً فالجناح الإثم في الآية.

أَنْ تَبْتَغُوا: الابتغاء الطلب يقال بَغَيْتَ الشَّيْءَ إِذَا طَلَبْتُ أَكْثَرَ مَا يَجِبُ  
وَابْتَغَيْتَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ<sup>(١)</sup> أَي طَلَبُوهَا.

أَفَضْتُمْ: مِنْ أَفَاضَ إِفَاضَةً يُقَالُ أَفَاضَ إِنَاءَهُ إِذَا مَلَأَهُ حَتَّى أَسَالَهُ وَمِنْهُ  
اسْتَعِيرَ أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ إِذَا خَاضُوا فِيهِ وَحَدِيثٌ مُسْتَفِضٌ، أَي مُنْتَشَرٌ.

عَرَفَاتٍ: هِيَ الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ قِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا رَوَى أَنَّ جَبْرِئِيلَ  
عَمِدَ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَى عَرَفَاتٍ فَقَالَ هَذِهِ عَرَفَاتُ فَأَعْرَفَ بِهَا مَنَاسِكَكَ وَاعْتَرَفَ  
بَذَنْبِكَ فَسُمِّيَتْ عَرَفَاتٍ.

الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ: هُوَ جَبَلٌ بِأَخْرِ مَزْدَلِفَةَ وَإِسْمُهُ قِرَحٌ وَيُسَمَّى جَمْعاً وَ  
مَزْدَلِفَةَ وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ لِأَنَّهُ مَعْلَمُ الْعِبَادَةِ وَوُصِفَ بِالْحَرَامِ لِحُرْمَتِهِ أَوْ لِأَنَّهُ مِنْ  
الْحَرَمِ وَمِيمُهُ مَفْتُوحَةٌ عَلَى الْمَشْهُورِ وَيُسَمَّى كُلُّ مَوْضِعٍ لِلْمَنَسكِ مَشْعَرًا لِأَنَّهُ  
مَوْضِعُ لِعِبَادَتِهِ تَعَالَى.

## ◀ الإعراب

أَنْ تَبْتَغُوا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى تَقْدِيرٍ فِي أَنْ تَبْتَغُوا عَلَى قَوْلِ سَيَبُوهِ وَ قِيلَ هُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرِّ مَنْ رَبِّكُمْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِتَبْتَغُوا، فَيَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ ظَرْفَ وَالْعَامِلَ فِيهِ، فَأَذْكُرُوا عَرَفَاتٍ جَمَعَ سَمِّي بِهِ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ نَكْرَةً وَهُوَ مَعْرِفَةٌ وَقَدْ نَصَبُوا عَنْهُ عَلَى الْحَالِ فَقَالُوا هَذِهِ عَرَفَاتٌ مُبَارَكًا فِيهَا لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا بَقْعَةٌ بَعَيْنَهَا عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَأَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ كَمَا هَذَا يَكُنْ الْكَافُ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ نَعْتًا لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ تَقْدِيرُهُ فَأَذْكُرُوهُ مُشْبِهِينَ لَكُمْ حِينَ هَذَا كُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِنْ هَاهُنَا مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَالتَّقْدِيرُ أَنَّهُ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ ضَالِّينَ.

## ◀ التفسير

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَنْزِيهِ الْحَجِّ عَنِ الرِّفْثِ وَالْفُسُوقِ وَالجَدَالِ رَخَّصَ فِي التَّجَارَةِ قَالُوا وَابْتِغَاءَ الْفَضْلِ وَرَدَّ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى التَّجَارَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: **فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** <sup>(١)</sup> وَقَدْ نَقَلَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ، كَانَتْ عَكَازٌ وَمَجَنَّةٌ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَتَأَثَّمُوا أَنْ يَتَجَرَّوْا فِي الْمَوَاسِمِ فَنَزَلَتْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ قَالَ فِي التَّبَيَانِ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَصْرِيحٌ بِالِإِذْنِ فِي التَّجَارَةِ وَنَحْوِهَا فِي حَالِ الْإِحْرَامِ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ بِذَلِكَ فِي صَدَرِ الْإِسْلَامِ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمرٍ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَا وَالحَسَنُ وَقَتَادَةُ الْمُرَوِّى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَقِيلَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّكُمْ رَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَالْأَشْهُرُ الْأَوَّلُ فَظَهَرَ بِذَلِكَ أَنَّ الْحَجَّ مَعَ قَصْدِ التَّجَارَةِ لَا بَأْسَ بِهِ وَكَذَا الْجَمَالُ وَالْمَكَارِي وَالْأَجِيرُ وَأَنَّ ذَلِكَ لَا

بَابُ التَّجَارَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بَابُ التَّجَارَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

ينافي الإخلاص وكذا الحجّ عن الغير والزوايات الواردة بذلك كثيرة.  
 منها مارواه في الكافي بأسناده عن الفضل بن عبد الملك قال سأل أبو  
 عبد الله عن الرجل يكون له الإبل يكرها فيصيب عليها فيحجّ وهو كرى تغنى  
 عنه حجّته أو يكون يحمل التجارة الى مكّة فيحجّ فيصيب المال في تجارة أو  
 يضع أ تكون حجّته نامة أو ناقصة أو لا يكون حتّى يذهب به الى الحجّ ولا  
 ينوي غيره أو يكون ينوبهما جميعاً أيقضي ذلك حجّته قال نعم حجّته تامة  
 انتهى.

ومنها مارواه الشيخ عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد  
 الله عليه السلام عن رجل حجّ عن غيره يجزيه ذلك عن حجة الإسلام قال  
 نعم قلت حجة الجمال تامة أو ناقصة قال عليه السلام: تامة قلت حجة  
 الأجير تامة أو ناقصة قال عليه السلام: تامة انتهى والأخبار كثيرة ولا  
 ينافي ذلك مارواه الشيخ محمّد بن عبد الله بن حمّاد الأنصاري عن  
 محمّد بن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله  
 يأتي على الناس زمان يكون فيه حجّ الملوك نزهة وحجّ الأغنياء  
 تجارة وحجّ المساكين مسألة، لإمكان حمله على ما اذا تجرّد  
 قصدهم لذلك عن قصد الثواب والأجر والإمتثال وقد ثبت أنّ  
 الأعمال بالنيات، أو أنّهم ليسوا بتلك المرتبة التي أعدها الله للحاجّ  
 بل أنقص فضلاً، أو يكون المعنى أنّ هؤلاء يتركون الحجّ يعدلون  
 عنه و يشتغلون بهذه الأمور أو غير ذلك من المعاني المحتملة.

ملخص الكلام أنّ الحديث لا يدلّ على عدم قبول الحجّ رأساً وأما قوله

تعالى:

فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ أَيْ إِذَا دَفَعْتُمْ وَأَنْصَرَفْتُمْ عَنْهَا بَعْدَ الْإِجْتِمَاعِ فِيهَا مِنْ  
 أَفْضَلِ الْمَاءِ إِذَا صَبَّهَ بِكَثْرَةٍ، وَأَصْلُهُ أَقَضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ

لمعلوميته، و عرفات جمع عرفة وبها سُميت البقعة المباركة التي يجب الوقوف بها في الحج كما سُميت بمُفردها.

روى في العلل بأسناده عن معاوية بن عمار قال سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن عرفات لم سُميت عرفات فقال عليه السلام: أَنَّ جبرئيل عليه السلام خَرَجَ بِإِبْرَاهِيمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَلَمَّا زَالَت الشَّمْسُ قَالَ لَهُ جَبْرئِيلُ يَا إِبْرَاهِيمَ اعْتَرَفْ بِذَنْبِكَ وَأَعْرِفْ مَنَاسِكَكَ فَسُمِّيَتْ عَرَفَاتُ لِقَوْلِ جَبْرئِيلِ اعْتَرَفْ فَأَعْتَرَفَ انْتَهَى.

وقيل سُميت بذلك لأن إبراهيم عرفها بما تقدّم له من النّعت لها والوصف، روي ذلك عن علي عليه السلام وقيل لأنّ آدم وحواء اجتمع فيها فتعارفا وقيل غير ذلك من الوجوه وكيف كان ففي الآية دلالة على وجوب الكون بعرفة وأنّه من فرائض الحجّ قال العلامة رحمته الله في التّحرير، الوقوف بعرفة ركّن من تركه عمداً بطل حجّه بالإجماع ولو تركه ناسياً أو لتعذّر تداركه فإن لم يمكنه ولحق الوقوف بالمشعر في وقته أدرك الحجّ وإلا فقد فاته ثمّ قال للوقوف بعرفة قتان إختياري وأوله زوال الشّمس من يوم عرفة وآخره غروبها، وإضطرابي الى طلوع الفجر من يوم النّحر فلو لم يتمكّن من عرفات نهاراً وتمكّن من الوقوف ليلاً وجب وأجزأه اذا أدرك المشعر قبل طلوع الشّمس ولو فاته الوقوف نهاراً وخاف أن مضى اليه ليلاً فوات المشعر يسقط الوقوف بعرفة وأجزأه المشعر انتهى.

وأما العامّة فقالوا بالوقوف بها ولم يختصّوه بشئ من اللّيل أو النّهار قال القرطبي والحجّة للجمهور مطلق قوله تعالى: فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ وَلَمْ يَخْصْ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ وحديث عروة بن مّعرس قال أتيت النّبي صلّى الله عليه وآله وهو في الموقف من جمع فقلت يا رسول الله جئتكَ من جبلي طي أكللت مطّيتي و بقيت نفسي والله أن تركت من جبلٍ إلا وقفتُ عليه فهل لي من حجّ يا رسول

اللَّهُ فَقَالَ ﷺ مَنْ صَلَّى مَعَنَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِجَمْعٍ وَقَدْ أَتَى عَرَفَاتٍ قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَقَدْ قَضَى تَفَتُّهُ وَتَمَّ حَجُّهُ أَخْرَجَهُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ أَنْتَهَى كَلَامُهُ.

**أقول** أما قوله حُجَّةُ الْجُمْهُورِ مطلق قوله تعالى: **فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ** ولم يخصَّ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ، ففيه أَنَّ الوقوف بعَرَفَاتٍ أيضاً لا دلالة للآية عليه وبعبارة أُخْرَى أَنَّ الآيةَ كما أَنَّهَا مُطْلَقَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيْ لَمْ تُقَيَّدْ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا كَذَلِكَ مُطْلَقَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوُقُوفِ بِهَا وَعَدَمُهُ لِأَنَّهَا بظَاهَرِهَا لَا تَدُلُّ عَلَى الْوُقُوفِ بِهَا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ إِذَا الْمَعْنَى إِذَا دَفَعْتُمْ وَإِنْصَرَفْتُمْ عَنْهَا وَهُوَ يَصْدُقُ مَعَ الْعُبُورِ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ فِيهَا فَمَنْ أَيْنَ أَخَذْتُمْ الْوُقُوفَ بِهَا، وَأَمَّا حَدِيثُ عُرْوَةَ بْنِ مَعْرُسٍ فَقَدْ قَالُوا فِي صَحِّحَتِهِ مَا قَالُوا وَلِلْبَحْثِ فِيهِ مَوْضِعٌ آخَرُ. وَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ هُمْ أَدْرَى بِمَا فِيهِ.

**فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ** نقل عن الجوهرى أَنَّهُ قَالَ الْمَشَاعِرُ مَوْضِعُ الْمَنَاسِكِ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ أَحَدُ الْمَشَاعِرِ وَكَسَرَ الْمِيمَ فِيهِ لُغَةً، وَقَالَ أَيْضاً وَ يُقَالُ لِلْمُزْدَلِفَةِ، جَمْعٌ، لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ.

فِيهَا رَوَى ابْنُ بَابُوَيْهٍ فِي الصَّحِيحِ عَنْ مَعَاوِيَةَ ابْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ ﷺ فِي حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ جَبْرِئِيلَ إِنْتَهَى بِهِ إِلَى الْمَوْقِفِ وَأَقَامَ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ أَفَاضَ بِهِ ثُمَّ قَالَ يَا إِبْرَاهِيمَ إِزْدَلِفِ إِلَى الْمَشْعَرِ فَسُمِّيَتْ مُزْدَلِفَةً.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمَّيْتُ جَمْعَ لِأَنَّ آدَمَ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَنْتَهَى.

ثُمَّ أَنَّ حَدَّ الْمَشْعَرِ مِنَ الْمَازِمِينَ إِلَى الْحِيَاضِ إِلَى وَادِي مُحَسَّرٍ وَهُوَ مَجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأَصْحَابِ بَلْ قَالَ فِي الْمُنْتَهَى لَا نَعْلَمُ فِيهِ مَخَالَفاً وَالْأَخْبَارُ تَدُلُّ عَلَيْهِ. فِي صَحِيحَةِ زُرَّارَةَ حَدَّ الْمُزْدَلِفَةِ مَا بَيْنَ الْمَازِمِينَ إِلَى الْجَبَلِ إِلَى حِيَاضٍ

محسّر ثم أن الوقوف بالمشعر ركناً من أركان الحج كالوقوف بعرفات قال العلامة في التحرير الوقوف بالمشعر ركناً من تركه عملاً بطل حجّه ويجب بعد طلوع الفجر الثاني ولا يجوز الإفاضة قبل طلوعه إختياراً فلو أفاض قبل طلوعه عاملاً بعد أن يكون قد وقف ليلاً وجب عليه دم شاة وصحّ حجّه وقال ابن إدريس بطل حجّه ولو كان ناسياً لم يكن عليه شيء الخ وقال أيضاً، جمّع كلّها موقف وحدها ما بين مازمي عرفة إلى الحياض إلى وادي مُحسّر يجوز الوقوف في أي موضع شاء منه ولو ضاق عليه الموقف جاز له أن يرتفع إلى الجبل، و وقت الوقوف بالمشعر بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس حال الإختيار ويمتدّ وقت الضرورة إلى الزوال من يوم النحر فيجب الإتيان به ويجزي مع إدراك عرفات إختياراً وكذا لو أدرك عرفات إضطراباً والمشعر إختياراً أمّا لو أدرك الإضطرابين ففي إدراك الحج إشكال.

قال الشيخ رحمته الله من ترك الوقوف بالمشعر عمداً وجبت عليه بدنة والحقّ بطلان الحج ولو ترك الموقفين معاً بطل حجّه سواء أكان عامداً أو ناسياً أو جاهلاً ولو نسي الوقوف بعرفة رجع فوقف بها ولو إلى طلوع الفجر إذا علم أنّه يدرك المشعر قبل طلوع الشمس، والمراد بذكر الله فيه هو ذكره تعالى بالأاء ونعماءه والصلاة على سيّد أنبياءه وعلى عليّ سيّد أصفياه والأدعية الماثورة داعياً متضرعاً مُبتهلاً.

وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَايَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ كَرَّرَ الذِّكْرَ مبالغة في المحافظة وإيماء إلى أنّه ينبغي أن يكون رعاية لحقّ الهداية إلى ما يوصلكم إلى رضاه وأداء لشكر هذه النعمة أو أنّ المراد ذكراً حسناً جميلاً حيث كانت النعمة جليّة، أو أنّ المراد أذكروه ذكراً على الطّريقة المتلقّاة منه سبحانه بأن يكون بالأوصاف التي وصف بها نفسه وأن كنتم من قبل إرشاده لمن الضّالّين الجاهلين بذلك وإن هي مخفّفة من الثّقيلة بدلالة اللام الفارقة

بينها وبين النَّافِيَةِ ويمكن أن تكون نافية واللام بمعنى إلاً، كقوله: وَإِنْ نَظُنُّكَ  
لَعِنَ الْكَاذِبِينَ<sup>(١)</sup> أي إلاً من الكاذبين، قال الشاعر:

ثكلتك أمك إن قتلت لمسلماً      حلّت عليك عقوبة الرحمن  
أي ما قتلت إلاً مُسلماً، وهنا قول ثالث وهو أن تكون بمعنى، قد، أي قد كنتم  
من قبله لمن الضالين، والضّمير في قبله، عائد إلى الهدى وقيل إلى القرآن أي  
ما كنتم من قبل إنزاله إلاً ضالّين، بالنسبة إلى الحجّ أو مطلقاً، وهو واضح.





ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا  
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. (١٩٩) فَإِذَا قُضِيَتْ  
 مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ  
 ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ  
 مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠) وَ مِنْهُمْ مَنْ  
 يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ  
 حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ  
 نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)  
 وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ  
 فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ  
 لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ  
 تُحْشَرُونَ (٢٠٣)

### ◀ اللغة

أَفِضُوا: أمر من أَفَاضَ إفاضةً ومعناها الدَّفْعُ أي إدْفَعُوا من حَيْثُ دَفَعَ النَّاسُ.  
 قُضِيَتْ: أي أُدِّيَتْ فَأَنَّ الْقَضَاءَ هُنَا الْإِتْيَانُ.  
 خَلَقٍ: الخلاق الحظّ والنصيب.

### ◀ الإعراب

أَوْ أَشَدُّ هُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ لِكَتْنِهِ لَا يَنْصَرِفُ لِأَنَّهُ عَلَى وَزْنِ الْفِعْلِ وَهُوَ صِفَةٌ وَ  
 يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الْمَصْدَرِ عَلَى وَ أَذْكُرُوهُ أَشَدَّ ذِكْرًا وَ ذَكَرًا مَنْصُوبٌ  
 عَلَى التَّمْيِيزِ فِي الْآخِرَةِ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

## التفسير

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ أَيِ إِدْفَعُوا مِنْ حَيْثُ دَفَعَ النَّاسُ  
وَإِخْتَلَفُوا فِي الْمَرَادِ بِالْإِفَاضَةِ فَقِيلَ الْمَرَادُ إِفَاضَةُ عَرَفَاتٍ وَأَنَّ الْأَمْرَ لِقَرِيشَ  
لَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَقْضُونَ بَعَرَفَاتٍ مَعَ سَائِرِ الْعَرَبِ وَيَقُولُونَ نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ فَلَا  
نَخْرُجُ مِنْهُ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِمُوَافَقَةِ سَائِرِ الْعَرَبِ وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالنَّاسِ هُوَ  
إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيِ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ وَسَمَّاهُ بِالنَّاسِ كَمَا سَمَّاهُ أُمَّةً وَأَصْلُ  
الْإِفَاضَةِ السَّيْرُ فَأَسْتَعِيرْتُ لِلدَّفْعِ فِي السَّيْرِ، وَأَفْضَتِ الْمَاءَ إِذَا دَفَعْتَهُ بِكَثْرَةٍ  
وَأَفَاضَ السَّيِّدُ يَفِيضُ فَيَضًا، وَقِيلَ الْمَرَادُ بِالنَّاسِ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَ  
غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقَةِ وَالْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ النَّاسَ بِالْكَسْرِ  
مِنَ النَّسِيَانِ يَعْنِي آدَمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: فَنَسِيَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا<sup>(١)</sup>.

و روى العياشي في تفسيره عن معاوية بن عمار عن أبي عبد  
الله عليه السلام في قوله ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ؛ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَ  
إِسْمَاعِيلَ، وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ.  
و عَنْ رَوْضَةِ الْكَافِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ  
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَخْبِرْنِي  
أَنْ كُنْتُ عَالِمًا، عَنْ النَّاسِ، وَأَشْبَاهِ النَّاسِ، وَالتَّنَسُّاسِ، فَقَالَ أَمِيرُ  
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا حُسَيْنُ أَجِبِ الرَّجُلَ فَقَالَ الْحُسَيْنُ أَمَّا قَوْلُكَ خَبِّرْنِي  
عَنِ النَّاسِ فَنَحْنُ النَّاسُ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ثُمَّ أَفِيضُوا  
مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي أَفَاضَ الْحَدِيثَ وَ  
قَالَ بَعْضُ مَفْسَّرِي الْعَامَّةِ الْخَطَّابُ فِي الْآيَةِ لِلْحَمْسِ فَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا  
يَقْفُونَ مَعَ النَّاسِ بَعَرَفَاتٍ بَلْ كَانُوا يَقْفُونَ بِمُزْدَلِفَةٍ (بِالْمُزْدَلِفَةِ) وَهِيَ  
مِنَ الْحَرَمِ وَكَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ قَطِينُ اللَّهِ أَيِ سَكَّانِ حَرَمِهِ إِلَى آخِرِ  
مَا قَالَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

قال القُرطبي أن ثم في هذه الآية ليست للترتيب وأنما هي لعطف جملة كلام هي مُنقطعة وقال الضحاك المخاطب بالآية جملة الأمة والمراد بالناس إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**، الآية، وهو يريد واحداً و يحتمل على هذا أن يؤمروا بالإفاضة من عرفة ويحتمل أن تكون إفاضة أخرى وهي التي من المُزدلفة، فيجيئ ثم، على هذا الإحتمال على بابها وبه قال الطبري والمعنى أفيضوا من حيث أفاض إبراهيم من مُزدلفة جمع أي ثم أفيضوا إلى منى لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع انتهى.

وقال الشيخ في التبيان فأن قيل، فاذا كانت، ثم، للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا، قلنا الذي رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً وتأخيراً وتقديره، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم، **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** فاذا أفضتُم من عرفات فأذكروا الله عند المشعر الحرام، وأسئفروا الله أن الله غفورٌ رحيمٌ.

**أنا أقول** لا بأس بما ذكره الشيخ رحمته الله من التقديم والتأخير وذلك لأنه يرجع إلى جمع الآيات وترتيبها في النظم ونظائرها كثيرة فأن الترتيب يقتضي أن يكون قوله تعالى فاذا أفضتُم من عرفات الآية، مؤخراً عن قوله: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** وقد قدم عليه في الكتاب، اللهم إلا أن يقال أن قوله تعالى: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** المراد بهذه الإفاضة الإفاضة من المُزدلفة إلى منى، كما احتمله الطبري وغيره، إلا أنه لا يساعد ما عليه القوم من أن الآية نزلت فيمن تخلّفوا عن الوقوف بعرفات وقالوا نحن سَكَانَ حَرَمِهِ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالْإِفاضةِ إلى عَرَفَاتٍ مع سائر الناس وهذا المعنى متسالم عليه عند الكل فكيف يُحمل الإفاضة في الآية على الإفاضة من المُزدلفة إلى منى، فالحق ما ذكره الشيخ رحمته الله من التقديم والتأخير في الآية وأن من جمع القرآن في عهد عثمان كان جاهلاً بهذا المعنى فوضع في النظم كلاً من الأيتين موضع

الأخر وليس هذا أول قارورة كسرت في الإسلام وستمر عليك نظائرها في المستقبل إن شاء الله تعالى ولنعم ما قيل:

إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم سبيل الهالكين  
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ الإستغفار طلب المغفرة كما أن  
الإستخبار طلب السؤال والمغفرة التغطية للذنب بإيجاب المتوبة وقيل في  
معنى الإستغفار قولان:

أحدهما: الحث عليه في تلك المواطن الشريفة لأنها خليقة بالإجابة.  
الثاني: أستغفروه لما سلف من مخالفتكم في الوقوف والإفاضة كما سنه  
الله تعالى للناس عامة والفرق بين الغفور والغافر أن في الغفور مبالغة لكثرة  
المغفرة بخلاف الغافر فإنه يكفي فيه وقوع الغفران ولا مبالغة فيه والعفو أيضاً  
المغفرة والفرق بينهما أن العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية  
الذنب بإيجاب المثوبة ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله تعالى دون  
صفات العباد فلا يقال إستغفر السلطان كما يقال إستغفروا الله ففي صحيحة  
معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام إذا غربت الشمس في عرفة  
فأفص مع الناس و عليك السكينة والوقار وأفض بالإستغفار فإن الله تعالى  
يقول: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ.

روي أيضاً عنه في صحيحة أخرى عن أبي عبد الله في حديث  
طويل قال ونزل رسول الله ﷺ بمكة بالبطحاء هو وأصحابه و  
لم ينزلوا الدور فلما كان يوم التروية عند الزوال أمر الناس أن  
يغتسلوا ويهلوا بالحج وهو قول الله تعالى الذي أنزل على نبيه  
فاتبعوا ملة إبراهيم فخرج النبي وأصحابه مهلين بالحج حتى أتى  
منى فصلّى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر ثم

غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع و  
يمنعون الناس أن يفيضوا منها فأقبل رسول الله ﷺ وقريش  
ترجو أن تكون أفاضته من حيث كانوا يفيضون فأنزل الله: ثُمَّ  
أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ وَ  
إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ فِي أَفَاضَتِهِمْ مِنْهَا وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ فَلَمَّا رَأَتْ  
قَرِيشُ أَنَّ قَبْةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَضَتْ كَأَنَّهُ دَخَلَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ  
لَّذِي كَانُوا يَرْجُونَ مِنَ الْأَفَاضَةِ مَكَانَهُمْ حَتَّى انْتَهَى.

إلى نمرة الحديث وقال في مجمع البيان وهو المروي عن الباقر عليه السلام  
وكيف كان فقوله: وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ أي إطلبوا المغفرة في هذا الوقت الشريف  
والمحل المنيف حيث كنتم وافدين إليه وأضيافه أنه كثير المغفرة واسع  
الرحمة كما يدل عليه ما رواه في الكافي في باب حج آدم حيث أمره جبرائيل  
أن يستغفر الله من ذنوبه عند جميع المشاعر وقيل أن الاستغفار حين الأضافة  
إلى المشعر وما ذكرناه.

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا  
أي فإذا فرغتم منها فاذكروا الله، وأصل القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو  
فعلاً وكل واحد منهما على وجهين، إلهي وبشري، فمن القول الإلهي.  
قال الله تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ <sup>(١)</sup> أي أمر بذلك.  
قال الله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ <sup>(٢)</sup>.  
فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيًا  
جزمًا ومن الفعل الإلهي.

قال الله تعالى: وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا  
يَقْضُونَ بِشَيْءٍ <sup>(٣)</sup>.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

ومن القول البَشْرِي نحو قضى الحاكم بكذا فَأَنَّ حكم الحاكم بالقول ومن الفعل البَشْرِي، فإذا قضيتُم مناسككم الآية.

قال الله تعالى: **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** <sup>(١)</sup>.

وقال بعض المحققين أصل القضاء فصل الأمر على أحكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى، والمناسك جمع المنسك وهو إما اسم مكان والمراد الأفعال الواقعة هناك من قبيل تسمية الحال باسم المَحَل أو على حذف المضاف أي عبادات مناسككم، وأما مصدر مَسَمَى بمعناه المصدري أو بمعنى المفعول وإنما جمع لأنه يشتمل على أفعال مختلفة كالأصوات جمع صوت ثم أَنَّ المناسك الأمور بها في المقام جميع أفعال الحج المتعبد بها على المشهور وقيل هي الذبائح، الذَّكَر في الآية فيه قولان.

أحدهما: أَنَّ المراد به التكبير الْمُخْتَصَّ بأيام منى لأنه الذَّكَر المرغَّب فيه.

ويدل عليه ما رواه في الكافي في الصحيح عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عزَّ وجلَّ: **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ** قال عليه السلام هي أَيَّام التَّشْرِيق كانوا إذا قاموا بمنى بعد النَّحر تفاخروا فقال الرَّجل منهم كان أبي يفعل كذا وكذا فقال عزَّ وجلَّ: **فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا** قال عليه السلام: **والتكبير لله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر** ولله الحمد لله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما أبلانا.

فإن قيل ليست الآية هكذا فكيف يحسن الإستدلال بها، قلت الظاهر أنه طوى الوسط فكأنه قال فإذا أفضتُم من عرفات الى قوله: **فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ**

كَذَكَرْكُمْ الْخِ إِيْمَاءُ إِلَى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ كَزَّرَ الْأَمْرَ بِالذِّكْرِ هُنَا مَبَالِغَةً فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ كَانَ يَتَشَاغَلُ بِالْمَفَاخِرَةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَمَاكِنِ الْمُتَّيْفَةِ.

كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ وَيَتَفَاخَرُونَ بِالْآبَاءِ وَبِمَآثِرِهِمْ وَيُبَالِغُونَ فِيهِ وَيَذْكُرُونَ أَيَّامَهُمُ الْقَدِيمَةَ وَأَيَادِيهِمُ الْجَسِيمَةَ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَذْكُرُوهُ مَكَانَ ذِكْرِهِمْ آبَائِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ.

ثَانِيهِمَا: أَنْ يَرَادَ بِالذِّكْرِ مَطْلَقُ الدَّعَاءِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَأَنَّهُ مَرْغُوبٌ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ وَحَمْلُهُ عَلَى مَا يَشْمَلُ التَّكْبِيرَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْإِذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ لَيْسَ بِبَعِيدٍ بَلْ هُوَ الْأَقْرَبُ قَالَهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ فِي بَعْضِ تَحْقِيقَاتِهِ فِي الْمَقَامِ وَ عَلَيْهِ فَحَاصِلُ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَمَّا تَعَارَفَ عَنْهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ ذَكَرَ مَفَاخِرَ الْآبَاءِ وَ تَعَدَّادَ نِعَمِهِمْ وَ ذَكَرَ أَيَادِيَهُمْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ سَبْحَانَهُ لِأَنَّهُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى آبَائِهِمْ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذِكْرُهُ أَشَدَّ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذَكَرْكُمْ آبَائِكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا.

قَالَ كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا وَقَفُوا بِالْمَشْعَرِ يَتَفَاخَرُونَ بِآبَائِهِمْ فَيَقُولُونَ، لَا وَأَبِيكَ، وَلَا وَأَبِي، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا لَا وَاللَّهِ وَبَلَى وَاللَّهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا الْخ... فَكَلِمَةٌ، مِنْ، فِي قَوْلِهِ: فَمِنَ النَّاسِ وَ فِي قَوْلِهِ: وَ مِنْهُمْ مَن يَقُولُ لِلتَّبْعِيضِ أَيُّ بَعْضِ النَّاسِ يَقُولُ كَذَا وَبَعْضُ آخَرِ يَقُولُ كَذَا وَمَحْصَلُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ الطَّالِبِينَ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ أَوْ مَطْلَقًا عَلَى قَسَمِينَ.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مَنْ يَطْلُبُ نَعِيمَ الدُّنْيَا وَلَا يَطْلُبُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ. إِمَّا لِعَدَمِ إِيْمَانِهِ بِالنُّشُورِ أَوْ لِإِنْعِمَاكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَغَلْبَةِ حُبِّهَا عَلَيْهِ وَاهْتِمَامِهِ بِهَا بِحَيْثُ غَفَلَ عَنِ الْآخِرَةِ وَأَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالْبَعْثِ فَيَقُولُ:

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ أَيُّ اجْعَلْ عَطَانًا فِي

الدُّنْيَا، فهذا يُعْطِيهِ اللَّهُ مَا سَأَلَهُ لِدُنْيَاهُ وَأَنْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَطْلُبْهَا فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالذِّكْرِ مَا يَشْمَلُ الدَّعَاءَ وَدَلَالَةٌ عَلَى شِدَّةِ التَّحْرِيبِ عَلَى ذَلِكَ حَيْثُ أَنَّهُ يُعْطِي الذَّاكِرَ الدَّاعِيَ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحَقًّا وَأَهْلًا لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ.

كما يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ ابْنُ بَابُوَيْهٍ فِي كِتَابِهِ مَرْسَلًا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا يَقِفُ أَحَدٌ عَلَى تِلْكَ الْجِبَالِ بَرًّا وَلَا فَاجِرًا إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَأَمَّا الْبَرُّ فَيَسْتَجَابُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَيَسْتَجَابُ لَهُ فِي دُنْيَاهُ انْتَهَى.

وَفِي الْكَافِي عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنِيَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبِي بَعْدَ مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْمَوْقِفِ قَالَ أَتُرَى يَجِيبُ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فَقَالَ أَبِي مَا وَقَفَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَحَدٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا إِلَّا أَنَّهُمْ فِي مَغْفِرَتِهِمْ عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلَ.

مُؤْمِنٌ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَفِيهِمْ مَنْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَأُحْسِنَ فِيهِمَا بَقِيَّةُ مِنْ عُمْرِكَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَافِرٌ وَقَفَ هَذَا الْمَوْقِفَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا غُفِرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ إِنْ تَابَ مِنَ الشَّرِّ فِيهِمَا بَقِيَّةُ مِنْ عُمْرِهِ وَأَنْ لَمْ يَتَبَّ وَقَاهُ أَجْرَهُ وَلَمْ يُحْرَمْ أَجْرَ هَذَا الْمَوْقِفِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وفي هذا الخبر دلالة على أَنَّ المراد بالقسم الأوّل هو من عبّر عنه سبحانه في هذه الآية بقوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

وفي صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: طف بالبيت سبعة أشواط وتقول في الطّواف اللهم أنّي أسألك الى أن قال وتقول فيما بين الرّكن والحجر الأسود رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً.

وفي صحيحة عبد الله بن سنان أَنَّ مَلَكاً موكلاً يقول آمين، القسم الثّاني، من يطلب نعيم الدّنيا والآخرة معاً لإيمانه بالقيامة وإعراضه عن الدّنيا وخطامها فهو ينظر الى الدّنيا بالنظر الآلي لا الإستقلالي بمعنى أنّه يجعل الدّنيا سبباً ووسيلة الى الآخرة ولأجل ذلك يطلبها لأنّ المُسبّب لا يُوجد بدون السّبب وطالب الدّنيا بهذا المعنى هو بعينه طالب الآخرة وهذا هو الَّذي قال الله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

والمراد بالحسنة رضوان الله في الآخرة.

ففي صحيحة جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال أَنَّ الحسنة رضوان الله والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدّنيا وفي رواية أخرى السّعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدّنيا. وروي عن النّبي صلّى الله عليه وآله قال: من أوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تُعينه على أمر دنياه وآخرفته فقد أوتي في الدّنيا حسنة وفي عذاب النّار وعن عليّ عليه السلام أنّها المرأة الصّالحة في الدّنيا وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النّار بالعتق والمغفرة أو جنّتنا المعاصي المؤدّية الى النّار وعنه عليه السلام أَنَّ عذاب النّار إمراة السّوء. ومن كتاب الإحتجاج روي عن موسى بن جعفر عليه السلام: عن أبيه عن

آبائهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ إِذْ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْبِلَاءِ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ لَا رِيْشَ عَلَيْهِ فَأَتَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا هُوَ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ لَا رِيْشَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْبِلَاءِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ كُنْتَ تَدْعُو فِي صَحَّتِكَ دَعَاءَ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ يَا رَبِّ أَيُّمَا عَقُوبَةٍ أَنْتَ مُعَاقِبُنِي بِهَا فِي الْآخِرَةِ فَعَجَّلَهَا لِي فِي الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا قُلْتَ اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَاثِمًا نَشِطْتَ مِنْ عَقَالٍ وَقَامَ صَبِيحًا الْحَدِيثُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا**، أُولَئِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْفَرِيقِ الثَّانِي كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ الْمَذْكُورَةُ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةٌ إِلَى الْفَرِيقَيْنِ مَعًا فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: **لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا** أَيِ مِنْ جَنْسِهِ أَوْ مِنْ أَجَلِهِ أَنْ خَيْرًا خَيْرًا وَأَنْ شَرًّا شَرًّا وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ، وَالْمُرَادُ بِالْكَسْبِ هُنَا الْعَمَلُ الَّذِي تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْفَائِدَةُ وَالرِّيحُ كَالدَّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَنَحْوَهُمَا مِنَ الْأَعْمَالِ وَقَوْلُهُ: **وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنْ قُرْبِ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْلِ قَوْلِهِ: **إِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**، وَقَوْلُهُ: **وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ<sup>(١)</sup>** أَيِ أَنَّهُ يَوْشِكُ أَنْ تَقِيمَ الْقِيَامَةُ وَيَحَاسِبُ عِبَادَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فَيَكُونُ فِيهَا تَحْرِيزًا عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهَا وَعَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّوْبَةِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْإِنْزِجَارِ عَنْهَا وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ سَرِيعُ الْمَجَازَاةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ فِيهَا أَيْضًا تَرْغِيبٌ وَحَثٌّ عَلَى الدَّعَاءِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَحَاسِبُ الْعِبَادَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ أَعْمَالِهِمْ فِي لَمْحَةٍ أَوْ أَقَلٍّ كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُ يَحَاسِبُ الْخَلَائِقَ فِي مَقْدَارِ حَلْبٍ.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

المراد بالمعدودات أيام التشريق والذكر هو التكبير فيها، أمر الله تعالى المكلفين أن يذكروا الله في الأيام المعدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر أعني بها الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك وأما الأيام المعلومات عشر ذي الحجة قيل أن المعلومات أيام التشريق والمعدوات العشر والأول أشهر وسميت معدودات لأنها قلائل كما قال تعالى: وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ<sup>(١)</sup>.

أي قليلة والجمع بالآلف والتاء يصلح للقليل والكثير والقليل أغلب عليه قالوا أن الآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام وهو أن يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد وزاد أصحابنا على هذا القدر، الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا ورزقنا من بهيمة الأنعام قال الشيخ رحمه الله في التبيان وأول التكبير عندنا لمن كان بمنى عقيب الظهر من يوم النحر إلى الفجر من يوم الرابع من النحر، عقيب خمسة عشرة صلاة وفي الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر إلى عقيب الفجر يوم الثاني من التشريق عقيب عشر صلوات إنتهى.

في التفسير  
في تفسير القرآن

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

وقالوا المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم الثاني من التشريق وإن أقام إلى النفر الأخير وهو اليوم الثالث من التشريق كان أفضل فإن نفر في الأول نفر بعد الزوال إلى الغروب فإن غربت فليس له أن ينفر وقال الحسن إنما

جزء ٢

الجزء الثاني

له أن ينفر بعد الزوال الى وقت العصر فإن أدركته صلاة العصر فليس له أن ينفر إلا يوم الثالث وليس للإمام أن ينفر في النفر الأول وبه قال الحسن قال بعض المحققين في تفسير قوله تعالى: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ الْخ..** أي من تعجل في سفره وإرتحاله بعد إقامته بها يومين وهذا يدل على أنه يجب المبيت بمئى ليلتين وهما ليلة الحادي عشر والثاني عشر وهو مذهب الأصحاب وبه قال أكثر أهل الخلاف.

يدل على صحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام: لا تبیت ليالي التشريق إلا بمئى والأخبار الواردة بذلك كثيرة، روي ابن بابويه في كتاب الفقيه بأسناده عن الصادق عليه السلام وسأل عن قول الله عز وجل: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** قال عليه السلام ليتبين هو على أن ذلك واسع إن شاء صنع ذا وإن شاء صنع ذا لكنه يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له والأخبار بذلك كثيرة.

وهو مجمع عليه بين العلماء كافة قال في المنتهى، ويرد هنا سؤال وهو أن المتأخر لا يتصور في حقه التقصير فما الفائدة في التصريح بنفي الإثم عنه، والجواب عنه أن المراد بيان أن الحاج يرجع مغفوراً له كيوم ولدته أمه على كلا التقديرين كما يدل عليه الخبر المذكور وغيره من الأخبار الدالة على أنه يرجع مغفوراً له ولو جعل رفع الإثم الى التعجيل والتأخير معاً كما قيل، لأمكن الجواب بأن التقدير رخصة وهي قد تكون عزيمة فنبه تعالى برفع الإثم بالتأخير على أن ذلك ليس من العزيمة أو يقال أن لهذا البيان سبب وهو أن الناس في عهد الجاهلية كانوا فريقين، فمهم من يجعل المتعجل أنما ومنهم من عكس فوردت الآية رداً عليها وقد يقال أن رفع الإثم في المتأخر الذي يزيد على الثلاثة وذلك أنه لما كانت أيام التشريق ثلاثة فهي في مظنته أنه لا يجوز

نقصها ولا الزيادة عليها فَنَبَّهَ تعالى على جواز الأمرين وأنه لا إثم فيهما أو يقال أنه من باب رعاية المقابلة والمشاكلة، أو يقال التصريح بذلك لرفع التَّوهم الحاصل من دليل الخطاب.

يَدُلُّ عليه ما رواه الشَّيْخُ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ عليه السلام: أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فَلَوْ سَكَتَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا تَعَجَّلَ لَكِنَّهُ قَالَ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَفِي رَوَايَةِ سَفِيَّانَ بْنِ عَيْنِيَةَ عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ عليه السلام: وَ فِيهِمْ أَيْ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ مَنْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وَقِيلَ لَهُ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمرِكَ وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ يَعْنِي؛ مَنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى الْكِبَائِرَ وَ أَمَّا الْعَامَّةُ فَيَقُولُونَ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ يَعْنِي فِي النَّفَرِ الْأَوَّلِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ يَعْنِي لِمَنْ اتَّقَى الصَّيْدَ افْتَرَى أَنَّ الصَّيْدَ يَحْرُمُهُ اللَّهُ بَعْدَ مَا أَحْلَاهُ فِي قَوْلِهِ وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَأَصْطَادُوا وَ فِي تَفْسِيرِ الْعَامَّةِ مَعْنَاهُ وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَأَتَقُوا الصَّيْدَ وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ مَعْنَاهُ مَنْ مَاتَ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ أُنْسَى أَجْلَهُ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ. وَ رَوَى ابْنُ بَابُوَيْهٍ عَنْ مَعْوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْفِرَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْفِرَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ فَإِذَا تَأَخَّرْتَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَهُوَ يَوْمُ النَّفَرِ الْآخِرِ فَلَا عَلَيْكَ أَيْ سَاعَةً نَفَرْتَ وَ رَمِيتَ قَبْلَ الزَّوَالِ وَ بَعْدَهُ قَالَ وَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى قَالَ يَتَّقِي الصَّيْدَ حَتَّى يَنْفِرَ أَهْلُ مَنْى النَّفَرِ الْآخِرِ. اَنْتَهَى.

و في رواية أخرى عنه عليه السلام قال: ينبغي لمن تعجل في يومين أن يمسه عن الصّيد حتّى ينقضي اليوم الثالث انتهى.

و روى في الكافي بأسناده عن إسماعيل بن بختيخ الرّماح قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام بمنى ليلة من الليالي فقال عليه السلام ما يقول هؤلاء فيمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه قلنا ما تدري قال عليه السلام بلّى يقولون من تعجل من أهل البادية فلا إثم عليه و من تأخر من أهل الحضر فلا إثم عليه وليس كما يقولون قال الله عزّ وجلّ: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ أَلَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مِنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ أَمْ أَهِيَ لَكُمْ وَالنَّاسِ سَوَادٌ وَ أَنْتُمْ الْحَاجُّونَ** انتهى.

و في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنّ العبد المؤمن حين يخرج من بيته حاجباً لا يخطو خطوة و لا تخطو به راحلته إلّا كتب الله له بها حسنّة و رفع له درجة فاذا وقف بعرفات فلو كانت ذنوبه عدد الثرى رجع كما ولدته أمّه فقال ليستأنف العمل يقول الله عزّ وجلّ **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ**.

و عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ** قال عليه السلام أنتم والله هم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لا يثبت على ولاية عليّ إلّا المتّقون انتهى.

والأخبار بذلك كثيرة ثم أنّ قوله تعالى: **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** فيه قولان:

**أحدهما:** أنّ معناه لا إثم عليه لأنّ سيئاته صارت مكفّرة بما كان من حجه المبرور و هو قول ابن مسعود.

**الثاني:** أنّ معناه لا إثم عليه في التعجيل و التأخير و أنّما نفي الإثم لئلا يتوهّم متوهم أنّ في التعجيل إثماً و أنّما قال: **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** في التأخير على

جهة المزاجية كما يقال أن أعلنت الصدقة فحسن وأن أسرّت فحسن وأن كان  
الإسرار أحسن وأفضل، وفي قوله تعالى: **لِمَنِ اتَّقَى** أيضاً وجهان:  
**أحدهما:** أن الحج يقع مبروراً مكفراً للسيئات إذا إتقى ما نهى عنه.  
والوجه الآخر، أن قوله: **لِمَنِ اتَّقَى** متعلق بالتعجيل في يومين و تقديره  
**فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** لمن إتقى الصيد الى انقضاء النفر الأخير  
وما بقى من إحرامه ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر في الأول وهو المَرَوِي عن  
ابن عباس واختاره الفراء وقوله: **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** أي  
إجتنبوا معاصي الله وأعلموا أنكم تجمعون الى الموضع الذي يحكم الله فيه  
بينكم ويجازيكم على أعمالكم ولمثل هذا فليعمل العاملون وقال تعالى:  
**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** <sup>(١)</sup>.



وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ  
(٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا  
وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ  
(٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ  
فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)

### ◀ اللغة

أَلَدُّ الْخِصَامِ: الألد الخَصَم الشديد التآبِي و جَمْعُهُ، لَدَّ قَالَه الرَّاغِب فِي  
المُفْرَدَاتِ وَالْخِصَامُ بِكَسْرِ الْخَاءِ جَمْعُ خَصَمٍ.  
تَوَلَّى: أَي أَعْرَضَ.  
الْحَرْثُ: بَفَتْحِ الْهَاءِ إِقْلَاءُ الْبَذْرِ فِي الْأَرْضِ وَ تَهْيِئُهَا لِلزَّرْعِ وَ يُسَمَّى  
الْمَحْرُوثَ حَرْثًا.

### ◀ الإعراب

مَنْ يُعْجِبُكَ مِنْ نَكْرَةٍ موصوفة فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا متعلق بالقول والتقدير في  
أُمُورِ الدُّنْيَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِعُجْبِكَ وَيُشْهَدُ اللَّهُ يَجُوزُ فِيهِ الْعُطْفُ عَلَى  
يُعْجِبُكَ وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي يُعْجِبُكَ وَ  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْهَاءِ فِي، قَوْلِهِ، وَ الْعَامِلُ فِيهِ الْقَوْلُ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ  
يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ صِفَةً مَعْطُوفَةً عَلَى يُعْجِبُكَ وَأَنْ تَكُونَ حَالًا مَعْطُوفَةً  
عَلَى وَ يَشْهَدُ، وَأَنْ تَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي يَشْهَدُ، وَ الْخِصَامُ هُنَا جَمْعُ  
خَصَمٍ نَحْوُ كَعْبٍ وَ كَعَابٍ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا وَ فِي الْكَلَامِ حَذْفُ مُضَافٍ  
أَي أَشَدَّ ذَوِي الْخِصَامِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا بِمَعْنَى إِسْمِ الْفَاعِلِ لِيُفْسِدَ اللَّامُ



متعلّقة، بسعى يَهْلِكُ معطوف على يفسد، والحرث، مفعوله وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الْفُسَادَ مبتدأ وخبر الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ في موضع نصب على الحال من العِزَّةِ  
 فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ مبتدأ وخبر وقيل جهنم فاعل، حسبه، لأن حسبه في معنى  
 إسم الفاعل أي كافيه وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ المخصوص بالذم أي ولَبِئْسَ المهاد  
 جهنم.

### ◀ التفسير

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ قيل المعني بهذه الآية المنافق، وقيل  
 المرائي وقيل أنها نزلت في الأخنس بن شريق واسمه أبي، والأخنس لقب  
 لقّب به لأنه خنس يوم بدر بثلاث مائة رجل من حلفاءه من بني زهرة عن قتال  
 رسول الله ﷺ وكان رجلاً خلو القول والمنظر فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ  
 فأظهر الإسلام وقال الله يعلم أنني صادق ثم هرب بعد ذلك فمَرَّ بِزَرْعٍ لقوم من  
 المسلمين وبحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر قال المهدوي وفيه نزلت ولا  
 تطع كل حلافٍ مهينٍ هَمَازٍ مَشَاءٍ بنميم، ويُلْ لَكلِ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، قال ابن عطية  
 ما ثبت قط أن الأخنس أسلم، وقال ابن عباس نزلت في قوم من المنافقين  
 تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرّجيع، عاصم بن ثابت وخبيب وغيرهم  
 وقالوا وَيَحْ لهؤلاء القوم قعدوا في بيوتهم ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم فنزلت  
 هذه الآية في صفات المُنافقين، وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء  
 نزلت في كل مبطنٍ كفرًا أو نفاقًا أو كذبًا أو إضرارًا وهو يظهر بلسانه خلاف  
 ذلك فهي عامّة الحقّ الحقيق بالإتباع ولنرجع إلى تفسير الألفاظ فيها وَمِنَ  
 النَّاسِ أي بعضهم فكلمة من، للتبعض مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا والإعجاب هو السُّرُورُ بالشئِ سُرُورُ العجب بما يستحسن ومنه العجب  
 بالنفس أي تستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك في الحياة الدنيا

فيقول مثلاً أنا آمَنْتُ بك أو أنا صاحبُ لك و أمثال ذلك من العبارات اللطيفة وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ أي يحلف بالله ويشهده على ما في ضميره و أنه لا يقول إلا حقاً و أن باطنه موافق لظاهره مع أن الأمر ليس كذلك واقعاً هُوَ الدُّ الْخِصَامِ أي والحال أنه أشد المخاصمين خصومةً و أما على قول من جعل الخِصَامَ مصدرًا فالمعنى هو شديد الخصومة عند المخاصمة أى:

وَإِذَا تَوَلَّىٰ إِذَا أَعْرَضَ، وقيل إذا ملك الأمر و صار والياً على النَّاسِ بمعنى أنه صار سلطاناً جار وقيل ولَّى عن قوله الذي أعطاه سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ أي أَسْرَعَ في المشي من عندك وقيل عمل في الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا أي ليقطع الرِّحْمَ و يُسْفِكَ الدَّمَاءَ وقيل ليظهر الفساد ويعمل المعاصي وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ أي يهلك ويفني النَّبَاتَ و الاولاد و ذلك لأن الحرث النَّسَاءَ لقوله تعالى: نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ وَالنَّسْلُ الْاَوْلَادُ و روي أن الحرث في هذا الموضع الدِّينَ و النسل النَّاسَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ أي العمل بالفساد وقيل لا يحب أهل الفساد وكيف كان ففي الآية الأولى أعني بها قوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ دَلَالَةً عَلَىٰ وجود المنافق في النَّاسِ في كلِّ عصرٍ وزمان وأنه يقول بلسانه ما ليس في قلبه وفي الآية الثانية وهى قوله: وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ الآية دلالة على أن المنافق ينتهز الفرصة فاذا وجدها عمل بما يقتضى نفاقه وهو كذلك قال بعض العامة وفي هذه الآية أعني بها قوله وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ الْخَ، دليل و تنبيه على الإحتياط فيما يتعلّق بأمر الدِّينَ والدُّنْيَا و إستبراء أحوال الشُّهُودِ والقُضَاةِ و أن الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال النَّاسِ و ما يبدو من إيمانه في الظَّاهر حتَّى يبيح عن باطنهم لأنَّ الله تعالى بيّن أحوال النَّاسِ و أن منهم من يظهر قولاً جميلاً و هو ينوي قبيحاً فأن قيل هذا يُعارضه قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحديث.

وقوله **عَلَيْهَا** : فأفضي له على نحو ما أسمع، فالجواب أن هذا كان في صدر الإسلام حيث كان إسلامهم سلامتهم وأما وقد عم الفساد فلا، ثم قال والصحيح أن الظاهر يعمل عليه حتى يتبين خلافه لقول عمر بن الخطاب في صحيح البخاري أيها الناس أن الوحي قد انقطع وأتينا نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس لنا من سريره شيء، الله يحاسبه في سريره ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه ولم نصدقه وأن قال أن سريره حسنة انتهى.

**وأنا أقول** كلا القولين عار عن التحقيق وذلك لأن الآيات والأحكام الشرعية لا تختص بزمانٍ دون زمانٍ ولا فرق فيهما في العمل بها في صدر الإسلام إلى آخر الدنيا لأن القرآن نزل على الرسول وهو معجزته الباقية إلى يوم القيامة فيجب العمل به وأما الفحص والاستبراء عن أحوال الشهود والقضاة الخ ما قال فهو أمر لا ينكر وقد صرح الكتاب به حيث قال: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** <sup>(١)</sup> وأما ما نقله عن عمر بن الخطاب من قوله أيها الناس أن الوحي قد انقطع وأتينا نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم الخ فهو كلام لا طائل تحته وذلك لأن انقطاع الوحي وعدمه لا دخل له فيما نحن بصده لأن الرسول ﷺ كان لا يعمل في إستماع الأقوال والشهود على أساس الوحي لأن ﷺ كان مأموراً بالظاهر لا بالواقع وهو قد ثبت في محله فإنقطاع الوحي لا يوجب الأخذ بما ظهر لنا من أعمال الناس كيف إتفق ومن أي شخص صدر بل لا بد لنا في قبول قوله من المعرفة بحاله والفحص عن أحواله بحسب القدرة وهذا القدر مما لا بد منه وأما الإطلاع على الضمائر فهو خارج عن القدرة لا يكلف الله نفساً إلا وسعها <sup>(٢)</sup> ولذلك إتفق الأصحاب على قبول شهادة العدل وأما على مسلك العامة

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

العدل

فالأمر مشكل لأنه لم يشترطوا العدالة بل يكفي عندهم التظاهر بالإسلام هذا كله في أصل القاعدة وأما الآية الشريفة فالحق أنها بمعزل عن هذا البحث إذ ليس فيها أمرٌ بقبول القول وعدمه وإنما هي بصدد بيان أمرٍ آخر وهو الإعلام بأن بعض الناس كذلك وهذا ممّا لا خلاف فيه نعم الإحتياط في جميع الأمور لا ينبغي تركه قال **عَلَيْكَ دِينُكَ** فأحتط لدينك وهو أمرٌ آخر وأما قوله تعالى: **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ** فوجه الربط فيه أنه تعالى لما بين من حال الإنسان أنه حلّو الكلام وأنه يقرّر صدق قوله في الإستشهاد بالله وأنه ألدّ الخصام بين بعد ذلك أن كلّ ما ذكره باللسان فقلبه منطوّر على ضدّ ذلك لنفاقه فقال فيه **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ** ومعناه إذا انصرف من عندك سعى في الأرض بالفساد والمراد بالفساد ما كان من إتلاف الأموال بالتخريب والتحريق والنهب كما مرّ في قصّة الأخنس وقيل أن المراد إلقاء الشبه في قلوب المسلمين كما قال تعالى حكاية عن قوم فرعون حيث قالوا له **أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** <sup>(١)</sup> أي يردّوا قومك عن دينهم ويفسدوا عليهم شريعتهم وقال أيضاً، أني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهروا في الأرض الفساد، وأنما سُمّي هذا المعنى فساداً في الأرض لأنه يوقع الإختلاف بين الناس ويفرق كلمتهم ويؤدّي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض فتقطع الأرحام وتنسك الدماء كما قال فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، ولا يخفى أن عمل الفساد على هذا المعنى في الآية أولى من حمله على التخريب والنهب وأن كان هو أيضاً من مصاديقه وذلك لأنه تدلّ قال ويهلك الحرث والنسل والمعطوف مغاير للمعطوف عليه لا محالة هذا ما حصل لنا في معنى الآية والله تعالى أعلم بما قال على كلّ حال.

روى محمد بن يعقوب عن عدّة من أصحابنا بأسناده عن أبي

إِسْحَاقُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ بِظُلْمِهِ وَسُوءِ سِرِيرَتِهِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ بَشَّارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَيَهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ هُمُ الذَّرِّيَّةُ وَالزَّرْعُ.

وَعَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُهُمَا عَنْ قَوْلِهِ: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ فَقَالَ النَّسْلُ الْوَلَدُ وَالْحَرْثُ الْأَرْضُ وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَرْثُ الذَّرِّيَّةُ.

وَعَنْ سَعْدِ الْإِسْكَافِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ بِهِ هُمْ يَخْصِمُونَ قَالَ قُلْتُ مَا أَلَدُ، قَالَ عليه السلام: شَدِيدُ الْخُصُومَةِ انْتَهَى.

رَوَى السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْرِيِّ أَنَّهُ ذَكَرَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْطُبِيَّ فَقَالَ أَنَّ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا أَلَسَّنَتْهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقُلُوبُهُمْ أَمَرٌ مِنَ الصَّبْرِ لِبَسُوا لِبَاسَ مَسُوكِ الضَّانِ مِنَ اللَّيْنِ يَجْتَرُونَ الدُّنْيَا بِالَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى يَجْتَرُونَ وَبِئْسَ يَغْتَرُونَ وَعَزَّتِي لِأَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تتركُ الْحَلِيمَ مِنْهُ حَيْرَانٌ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَالَ سَعِيدٌ قَدْ عَرَفْتُ فِيمَنْ أُنْزِلَتْ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: أَنَّ الْآيَةَ تَنْزِلُ فِي الرَّجُلِ تَكُونُ عَامَّةً بَعْدَ انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا بِالْقَوْمِ كَيْفَ يَلْبَسُونَ جُلُودَ الضَّانِ وَيَتَشَبَّهُونَ بِالرَّهْبَانِ كَلَامَهُمْ أَحْلَى مِنْ

العسل و قلوبهم أَمَرٌ مِنَ الصَّبْرِ أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ لِي يَخَادِعُونَ وَ  
عَزَّتِي لِأَتَرَكَنَّ الْعَالَمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا لَيْسَ مِنِّي مَنْ تَكْهَنُ أَوْ تَكْهَنَ لَهُ أَوْ  
سِحْرٌ أَوْ سِحْرٌ لَهُ مَنْ آمَنَ بِي فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَلْيَتَّبِعْ  
غَيْرِي انْتَهَى.

و أخرج أحمد في الزهد عن وهب أن الرب تبارك و تعالى قال لعلماء بني  
إسرائيل يفقهون لغير الدين و يعلمون لغير العمل و يبتغون الدنيا بعمل الآخرة  
يلبسون مسوك الصّان و يخفون أنفس الذّباب و يقفون القذى من شرابكم و  
يبالغون أمثال الجبال من المحارم و يثقلون الدّين على النّاس أمثال الجبال ولا  
يعينونهم برفع الخناصر يبيضون الثّياب و يطيلون الصّلاة ينتقصون بذلك مال  
اليتيم و الأرملة فِعَزَّتِي حَلَفْتُ لِأَضْرِبَنَّكُمْ بِفِتْنَةٍ يَضِلُّ فِيهَا رَأْيُ ذِي الرَّأْيِ  
و حكمة الحكيم انتهت<sup>(١)</sup>

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ.  
معناه و اذا قيل لهذا المنافق الذي يُفسد في الأرض، اتَّقِ اللَّهَ، ولا تفعل  
ذلك أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ أي دخلته العِزَّة بالاثم أي دخلته عِزَّة وَحَمِيَّة،  
والعِزَّة القُوَّة والغلبة من عَزَّه اذا غلبه و منه قوله، و عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، و قيل  
العِزَّة الحميَّة و قيل هي المنعة و شدَّة النّفس أي إعَزَّزَ فِي نَفْسِهِ فأوقعتة تلك  
العِزَّة في الإثم حين أخذته وألزمته إيّاه و قيل أخذته العِزَّة بما يؤثمه أي  
إرتكب الكفر للعِزَّة والحميَّة والحاصل أنّه اذا قيل له مهلاً ازداد إقداماً على  
المعصية ولا يقبل قول النّاصح و من كان كذلك، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ، أي فكفاه  
عقوبة من ضلاله أن يصلّى نار جهنّم فأنّها بئس المهاد لمن يصلّاها.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ  
اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)

### ◀ اللغة

يَشْرِي: أي يبيع كما قال تعالى: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ<sup>(١)</sup> أي باعوه و الشراء إستبدال العوض بأثمن.  
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ: الإبتغاء الطلب.  
رَءُوفٌ: من الرأفة وهي الرحمة.

### ◀ الإعراب

ابْتِغَاءَ نَصْب لَأَنَّهُ مَفْعُولُ لَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ مُبْتَدَأُ وَخَبَرٌ.

### ◀ التفسير

وَمِنَ النَّاسِ أَي بَعْضُهُمْ مَنْ يَشْرِي أَي يَبِيعُ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ  
أَي طَلَباً لِمَرْضَاتِهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ.

أَي أَنَّهُ وَاسِعَ الرَّحْمَةِ فَأَنَّ رَحْمَتَهُ وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَقِيلَ الرَّأْفَةُ أَشَدُّ وَأَرْقُ  
مِنَ الرَّحْمَةِ وَلَا تَكَادُ تَقَعُ فِي الْكَرَاهَةِ وَالرَّحْمَةُ قَدْ تَقَعُ فِيهَا لِلْمَصْلَحَةِ وَالرَّؤُوفُ  
مِنْ أَسْمَاءِ تَعَالَى وَهُوَ الرَّحِيمُ بَعَادَهُ الْعُطُوفُ عَلَيْهِمْ بِالطَّافَةِ، ثُمَّ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا  
فِي نَزُولِهَا فَرَوَى السَّيِّدِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ  
هَرَبَ النَّبِيُّ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْغَارِ وَنَامَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرَاشِهِ وَنَزَلَتْ بَيْنَ  
مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ نَزَلَتْ فِي أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ وَصَهْبِ بْنِ سَنَانٍ لِأَنَّ  
أَهْلَ أَبِي ذَرٍّ أَخَذُوا أَبَا ذَرٍّ فَإِنْغَلَّتْ مِنْهُمْ فَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ فَلَمَّا رَجَعَ مَهَاجِراً

بُيِّنَ الْفَرْقَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

أعرضوا عنه فإنفلت حتى نزل على النبي صهيب فأثمه أخذه المشركون من أهله فافتدئ منهم بماله ثم خرج مهاجراً وروي عن علي و ابن عباس أنَّ المراد بالآية الرجل الذي يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة نزلت في المهاجرين والأنصار وقال الحسن هي عامّة في كلّ مجاهد في سبيل الله نقل هذه الأقوال في مجمع البيان.

قال القرطبي في تفسيره لها، قيل نزلت في صهيب فأثمه أقبل مهاجراً إلى رسول الله ﷺ فأتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وأنتشل ما في كنانته و أخذ قوسه وقال لقد علمتم أنني من أركامكم وأيّم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقى في يدي منه شيء ثم أفعلوا ما شئتم فقالوا لا نتركك تذهب عنا غنيّاً وقد جئتنا صعلوكاً ولكن دلّنا على مالك بمكة ونخلّو عنك وعاهدوه على ذلك ففعل فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية فقال له رسول الله ﷺ ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه الآية أخرجه رزين وقاله سعيد بن المسيّب المفسّرون أخذ المشركون صهيباً فعذبوه فقال لهم صهيب أنني شيخ كبير لا يضركم، أمنكم كنْتُ أم من غيركم فهل لكم أن تأخذ مالي و تذرّوني و ديني ففعلوا ذلك وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج إلى المدينة فتلّقه أبو بكر وعمر ورجال فقال له أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقال له صهيب و يبيعك لا يخسر فما ذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وقال الحسن أندرون فيمن نزلت هذه الآية نزلت في المسلم لقى الكافر فقال له قل لا إله إلا الله فإذا قتلها عصمت مالك و نفسك فأبى أن يقولها فقال المسلم لأشربن نفسي لله فتقدم فقاتل حتى قتل.

ونقلوا عن ابن عباس أنّه قال إقتل الرجلان أي قال المغيّر للمفسد إتق الله فأبى المفسد وأخذته الغرة فشرى المغيّر نفسه من الله وقاتله فأقتلّا، وقال



أبي الخليل سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية فقال عمر إنّا لله وإنّا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فقتل وقيل نزلت فيمن يقتحم القتال حمل هشام بن عامر على الصّف في القسطنطينية فقاتل حتّى قتل فقراً أبو هريرة ومن النّاس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله، ومثله عن أبي أيّوب، وقيل نزلت في شهداء غزوة الرّجيع وقال قتادة هم المهاجرون والأنصار وقيل نزلت في عليّ بن أبي طالب حين تركه النّبي على فراشه ليلة خرج إلى الغار انتهى.

وهذه الوجوه ذكرها القرطبي في تفسيره وأنما نقلناه بطولها وتفصيلها لتعلم أنّهم اختلفوا في شأن نزول الآية إختلافاً شديداً والإنصاف أنّ ما ذكروه في شأن نزولها لا يناسبها وأنها نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن طالب عليه السلام ودونه خبط القتاد والدليل على ذلك هو أنّه إتفقوا على أنّ كلمة، يشري في الآية بمعنى، يبيع، كما في قوله تعالى في قصّة يوسف عليه السلام: وَشَرَّوه بِثَمَنِ بَخْسٍ دِزَاهُمْ مَّعْدُودَةٍ، أي باعوه بثمنٍ بخس، ومن المعلوم أنّ قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ صَرِيحٌ في بيع النّفس الذي هو كناية عن تركها وبذلها في سبيل الله إبتغاء لمرضاته وهذا لا يكون إلّا في صورة الإختيار وأنما قلنا هو كناية عن بذلها كذلك لأن بيع النّفس حقيقة لا معنى له وهو واضح اذا عرفت هذا فنقول أمّا قصّة صهيب فعلى فرض صحّتها وعدم كونها من المجموعات لا تصلح لنزول الآية وذلك لأنّه باع ماله بحفظ نفسه كما اعترفوا به حيث قالوا، إفتدى منهم بماله ثم خرج، ومن إفتدى بماله لا يقال فيه أنّه شري مفسه بل يقال شري ماله ولو كان الأمر كما ذكروه فكان ينبغي أن يقال وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي ماله إبتغاء مَرْضَاتِ الله والآية ليست كذلك، وأمّا قصّة أبي ذرّ وهو أنّ أهل أبا ذرّ أخذوه فإنفلت منهم فقدم على النّبي الخ فهي أيضاً لا تناسب الآية إذ لم يكن هناك شراء نفيس أي بيعها نعم هو فرّ من أهله

حِفْظًا لِدِينِهِ وَالْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِيَّ شَرَاءِ النَّفْسِ لَا فِيَّ فِرَارِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا مَا نَقَلُوهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَهُوَ أَيْضًا لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِشَرَائِطِهِ وَمِنْ الشَّرَائِطِ بَلْ أَعْظَمُهَا عِلْمُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ ظَنُّهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْتُلُ فَإِنْ عِلْمٌ أَوْ ظَنٌّ بِالْقَتْلِ لَا يَجِبُ بَلْ لَا يَجُوزُ لَهُ الْقِيَامُ بِهِ لَوْ جُوبَ حِفْظُ النَّفْسِ وَلِقَوْلُهُ تَعَالَى: **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** <sup>(١)</sup> وَعَلَيْهِ فَإِنْ عِلْمٌ أَوْ ظَنٌّ بِالْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَمَعَ ذَلِكَ أَقْدَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ فَهُوَ عَاصٍ وَأَنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قُتِلَ أحياناً فهو لا يعدّ من البائع نفسه لِأَنَّ بَيْعَ النَّفْسِ إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ لَعْدَمُ عِلْمِهِ بِهِ وَهُوَ وَاضِحٌ وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَقْوَالِ الْمَذْكُورَةِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِنَا أَنَّ الْأَقْوَالَ الْمَذْكُورَةَ لَا تُنَاسِبُ الْآيَةَ وَلَا هِيَ تُنَاسِبُهَا فَإِنَّ الْآيَةَ بِمَعْرِزٍ عَنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ رَأْسًا وَمُلْخَصُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ الْآيَةَ نَازِلَةٌ بَلْ نَاصَةٌ فِيمَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ وَفَدَى بِهَا إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَأَمَّهُ مِنْ فَدَى بِمَالِهِ أَوْ جَاهَدَ حَتَّى قُتِلَ فَلَا يَكُونُ مُصَدِّقًا لَهَا كَمَا لَا يَخْفَى وَالْحَقُّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَاتَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْمَبِيتِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْقِصَّةَ أَوَّلًا ثُمَّ (وَمِنْ نَرُدُّهَا بِذِكْرِ الْأَخْبَارِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ فَنَقُولُ:

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ لَمَّا تَتَابَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْهَجْرَةِ أَقَامَ هُوَ ﷺ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَخَلَّفَ مَعَهُ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشُ ذَلِكَ حَذَرُوا خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ وَهِيَ دَارُ قُصَيِّ بْنِ كَلَابٍ وَتَشَاوَرُوا فِيهَا فَدَخَلَ مَعَهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَقَالَ أَنَا مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعْتُ بِخَبْرِكُمْ فَحَضَرْتُ وَعَسَى أَنْ لَا تَعْدُمُوا مِنِّي رَأْيًا وَكَانُوا، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأَبَا سُفْيَانَ وَطُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ وَحَبِيبَ بْنَ مَطْعَمٍ

والحرث ابن عامر والنظر بن الحارث (الحرث) وأبا البختری بن هشام وربعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأبا جهل وبينها ومنها إبنی الحجاج وأمیه بن خلف وغيرهم فقال بعضهم لبعض أن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وما نأمنه على الوثوب علينا بمن أتبعه فأجمعوا فيه رأياً فقال بعضهم إحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا لكم برأي لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلاؤشكوا أن يثبوا عليكم فينزعه من أيديكم فقال آخر نخرجه ونفيه من بلدنا ولا نبالي أين وقع اذا غاب عنا فقال النجدي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه لو فعلتم ذلك لحل على حي من أحياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم يأخذ أركم من أيديكم فقال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيباً ونعطي كل فتى منهم سيفاً ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا ميناً بالفعل فقال النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي فتفرقوا على ذلك فأتى جبرئيل النبي ﷺ فقال لا تبت الليلة على فراشك فلمّا كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلمّا رأهم رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وأتسح ببردي الأخضر فتم فيه وأمره أن يؤدّي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فجعله على رؤوسهم يتلوا هذه الآيات، يس والقرآن الحكيم إلى قوله فهم لا يبصرون ثم إنصرف فلم يردّه فأتاهم آتٍ فقال ما تنتظرون قالوا محمداً قال خيبيكم الله خرج عليكم ولم يترك أحداً منكم إلا جعل على رأسه التراب وإنطلق لحاجته فوضعوا أيديهم على رؤوسهم فأروا التراب فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا وجعلوا ينظرون فيرون علياً نائماً وعليه برد النبي ﷺ ويقولون أن محمداً لنائم فقام

عَلَيَّ عَنِ الْفِرَاشِ فَعَرَفُوهُ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ  
أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ<sup>(١)</sup> وَ سَأَلْ أَوْلِيكَ الزَّهْرَةَ عَلِيًّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَا  
أَدْرِي أَمَرْتُمُوهُ بِالْخُرُوجِ فَخَرَجَ فَضْرِبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَحَبَسُوهُ سَاعَةً  
ثُمَّ تَرَكُوهُ وَنَجَّى اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ مَكْرِهِمْ وَأَمَرَهُ بِالْهَجْرَةِ وَقَامَ عَلِيٌّ يُؤَدِّي أَمَانَةَ  
النَّبِيِّ ﷺ وَيَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ أَنْتَهَى مَا أَرَدْنَا نَقْلَهُ عَنِ الْكَامِلِ.

**أَقُولُ** وَفِي ذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر  
رسول إليه خاف أن يمكروا به أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص  
قلائص تفرين الحصى أينما تفري وبت أراعيهم وما يشبثوني  
فقد وطئت نفسي على القتل والأسى أردت به نصر الإله تبثلاً  
وأضمرته حتى أوسد في قبري

وقد نقل القصة جميع المؤرخين بأدنى تفاوت في الألفاظ وهذا مما لا كلام  
فيه عند الكل وأما أن الآية نزلت في شأنه عليه السلام كما هو المدعى فقد تضافرت  
الأخبار بذلك من العامة والخاصة ونحن نذكر في المقام شطراً منها بعون الله و  
توفيقه.

**أما العامة :**

فمنها ما نقله في كتاب غاية المرام من تفسير الثعلبي في الجزء  
الأول في تفسير سورة البقرة قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي  
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قَالَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ الْهَجْرَةَ  
خلف علي ابن أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه وردّ الودائع التي  
كانت عنده وأمره ليلة الخروج إلى الغار وقد أحاط المشركون  
بالدار أن ينام على فراشه فقال له يا عليّ إتشح ببردي الحضرمي ثم

نم على فراشي فأنت لا يخلص اليك منهم مكروه إن شاء الله عز وجل وفعل ذلك عليه السلام فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكائيل عليهما السلام أنني آخيتُ بينكما وجعلتُ عُمر أحدكما أطول من الآخر فأيتكما يؤثر صاحبه بالحياة فإختارا كلاهما الحياة فأوحى الله عز وجل اليهما ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيتُ بينه وبين محمد فنام على فراشه يُفديه بنفسه ويؤثره بالحياة إهبطا إلى الأرض فأحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله فقال جبرئيل بَخ بَخ من مثلك يابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انتهى.

ومنها مرواه عنه أيضاً بأسناده عن الحكم بن ظهير قال: حدثنا السدي في قول الله عز وجل: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قال قال ابن عباس نزلت في علي بن أبي طالب حين هرب النبي من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام علي على فراش النبي انتهى.

ومنها مرواه صاحب الكتاب عن أبي المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي بأسناده عن علي بن الحسين قال: أن أول من يشري نفسه ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ تعالى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقال علي عند بيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله شعراً - وقيتُ بنفسي خير من وطئ الثرى، الأشعار وقد نقلناها.

ومنها مرواه أبو نعيم الحافظ بأسناده عن ابن عباس قال: بات علي بن أبي طالب ليلة خرج النبي إلى الغار على فراشه ونزلت: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انتهى.

و منها مارواه الثعلبي في تفسيره و ابن عُقبة في ملحمة و أبو السَّعادات في فضائل العشرة و الغزالي في الأخبار برواياتهم عن أبي اليقضان و جماعة من أصحابنا نحو ابن بابويه و ابن شاذان و الكليني و الطوسي و غيرهم بأسانيدهم عن ابن عباس و أبي رافع و هند ابن أبي هالة أَنَّهُ قال رسول الله أَوْحَى اللَّهُ إِلَى جِبْرَائِيلَ وَ مِيكَائِيلَ أَنِّي أَخِيْتُ بَيْنَكُمَا وَ جَعَلْتُ عُمَرَ أَحَدَكُمَا أَطُولَ مِنْ عُمَرِ الْآخَرِ صَاحِبَهُ فَإِيَكُمَا يُؤْثِرُ أَخَاهُ فَكُلَاهُمَا كَرَاهَا الْمَوْتَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمَا أَلَّا كُنْتُمَا مِثْلَ وَلِيِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِيْتُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّي فَأَثَرَهُ بِالْحَيَاةِ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ ظَلَّ أَرْقَدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ يَقِيهِ بِمُهِجَتِهِ إِهْبَاطًا إِلَى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ احْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَهَبَطَ جِبْرَائِيلُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَ مِيكَائِيلُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ يَقُولُ بَحٌّ بَحٌّ مِنْ مِثْلِكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَاللَّهِ يَبَاهِي بِكَ الْمَلَائِكَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انْتَهَى.

و منها ما رواه المالكي في كتاب فصول المهمة قال: أورد الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين أَنَّ اللَّيْلَةَ بَاتَ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ وَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جِبْرَائِيلَ وَ مِيكَائِيلَ أَنِّي أَخِيْتُ بَيْنَكُمَا وَ جَعَلْتُ عُمَرَ أَحَدَكُمَا أَطُولَ مِنْ عُمَرِ الْآخَرِ وَ سَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ انْتَهَى.

و منها ما رواه المحدث الحنبلي الموصلي في قوله تعالى: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ نَزَلَتْ فِي مَبِيتِ عَلِيٍّ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَرْدَوَيْهِ أَيْضًا وَ ذَكَرَ

إبن الأثير في كتابه كتاب الإنصاف الذي جمع فيه بين الكاشف و  
الكشاف أنها نزلت في عليّ وذلك حين هاجر النبي ﷺ وترك علياً  
في بيته بمكة وأمر أن ينأى على فراشه ليوصل إذا أصبح ودائع  
الناس اليهم وقال الله عز وجل لجبرائيل وميكائيل أني قد آخيتُ  
بينكما وجعلتُ عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، وساق الحديث  
الى قوله بخّ بخّ لك يا بن أبي طالب الحديث.

ومنها ما رواه عبيد بن كثير عن هشام بن يونس بأسناده عن إبن  
عبّاس في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ  
مَرْضَاتِ اللَّهِ قَالَ نَزَلَتْ فِي عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام: حين بات على  
فراش رسول الله ﷺ حيث طلبه المشركون انتهت.

وَأَمَّا الْخَاصَّةُ:

فلا خلاف فيه عندهم لأنهم قد إتفقوا على أنها نزلت في عليّ حين  
بات على فراش رسول الله ﷺ ومع ذلك نُشير الى بعض ما ذكره في  
المقام تيمناً وتبركاً به فمنها ما رواه في غاية المرام عن أمالي  
الشيخ الطوسي بأسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله عز وجل:  
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ قَالَ نَزَلَتْ فِي  
عَلِيّ يُرِيدُونَ قَتْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ومنها ما رواه ايضاً بأسناده عن انس بن مالك قال: لما توجه  
رسول الله ﷺ الى الغار ومعهُ ابوبكر امر النبي علياً ان ينام على  
فراشه و تغيشى ببردته فبات على موطناً نفسه على القتل و باتت  
رجال من قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله ﷺ فلما  
أرادوا أن يضعوا عليه أسيافهم لا يشكون أنه محمّد فقالوا أيقظوه  
ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه فلما أيقظوه فرأوه علياً تركوه

وَتَفَرَّقُوا فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ انتهى.  
ومنها ما رواه عنه أيضاً بأسناده عن ابن عباس قال بات علي عليه السلام ليلة خرج رسول الله عن المشركين على فراشه ليعمي على قريش وفيه نزلت وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ انتهى.

والأحاديث كثيرة جداً أنظر غاية المرام وغيرها من المطولات وفيما ذكرناه كفاية في الباب والمُنكر يعدّ من المُعاندين الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ<sup>(١)</sup> كيف وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مشتتاً بذلك وَأَنَّهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ.

بات علي فراش رسول الله ولذلك ترى الشعراء كانوا يمدحون علياً بهذه الفضيلة وأمثالها في أشعارهم فلو كانت الآية نزلت في ضُبيب وأمثاله لقالوا فيه كما قالوا في علي ولا بأس بنقل بعض الأشعار الواردة في الباب تأييداً وتكميلاً للبحث، قال السيد الحميري:

وَمَنْ ذَا الَّذِي قَد بَاتَ فَوْقَ فِرَاشِهِ  
وَحَمْرُ مَنْهُ وَجْهَهُ بِلِحَافِهِ  
فَلَمَّا بَدَأَ صَبْحُ يَلُوحُ تَكْشِفَتْ  
وَدَارَتْ بِهِ أَحْرَاسُهُمْ يَطْلُبُونَهُ  
أَتَوْا طَاهِرًا وَالطَّيِّبُ الطُّهْرُ قَدْ مَضَى  
فَهَمُّوا بِهِ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَقَدْ سَطُّوا  
وَأَدْنَى وَسَادِ الْمَصْطَفَى فَتُوسِدَا  
لِيُدْفَعَ عَنْهُ كَيْدُ مَنْ كَانَ أَكِيدًا  
لَهُ قَطْعُ مَنْ حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدًا  
وَبِالْأَمْسِ مَاسِبُ النَّبِيِّ وَأَوْعَدَا  
إِلَى الْغَارِ يَخْشَى فِيهِ أَنْ يَتَوَرَّدَا  
بِأَيْدِيهِمْ ضَرْبًا مُقِيمًا وَمَقْعَدًا



وأيضاً قال :

وليلة كاد المُشركون محمداً  
فبات مُبيتاً لم يكن لمبيته  
وأيضاً قال :

وبات على فراش أخيه فرداً  
وقد كمت رجلاً من قريش  
فلما أن أضاء الصّبح جاءت  
ولمّا أبصروه تجنبوه  
وقال غيره:

أمن شرى لله مُهجة نفسه  
هل جاد غير أخيه ثمّ بنفسه  
وقال الآخر:

ونام على الفراش له فداء  
وقال الآخر:

وقى النبيّ بنفسٍ كان يبذلها  
حتّى إذا ما أتاه القوم عاجلهم  
فسائلوه عن الهادي فشاكرهم  
وقال الآخر:

باهى به الرّحمن أملاك العلّى  
يا جبرائيل وميكائيل فأنثنى  
أفان بدا في واحدٍ أمري فَمَن  
متوتّفاً كلُّ يَضَنّ بنفسه  
أنّ الوصي فدئ أخاه بنفسه  
فلتهبطا ولتمنعا من راقه  
لما أنثنى من فرش أحمد يهجع  
آخيتُ بينكما و فضلي أوسع  
يفدي أخاه من المنون ويقنع  
قال إلّا له أنا الأعزّ الأرفع  
ولفعله زلفى لدئ وموضع  
عمّن له بمكيدة يتسرّع

وقال الآخر:

عَلِيّ فِي مَهَادِ الْمَوْتِ عَارٍ      وَأَحْمَدُ مَكْنَسِ غَارِإِغْتِرَابٍ  
يَقُولُ الرُّوحُ بَخٌ بِخَ يَا عَلِيَّ      فَقَدْ عَرَضْتُ رَوْحَكَ لِإِنْتِهَابِ  
وَالْأَشْعَارُ كَثِيرَةٌ وَالْعَجَبُ مِنْ مُفْسِرِي كَلَامِ اللَّهِ مِنَ الْعَامَّةِ حَيْثُ أَنَّهُمْ لَمْ  
يَنْقُلُوا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُتُبِهِمُ الْمُعْتَبَرَةِ شَيْئاً فِي تَفَاسِيرِهِمْ مَعَ  
أَنْ نَزَلَ الْآيَةُ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْوُضُوحِ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَأَعْجَبُ مِنْ  
ذَلِكَ ذِكْرُهُمْ حَدِيثَ الْغَارِ وَأَنَّ قَوْلَهُ لَا تَحْزَنُ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مِنْ أَشْرَفِ الْفَضَائِلِ  
لَأَبِي بَكْرٍ وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَذْلَ النَّفْسِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِتِّقَاءِ عَلَى النَّفْسِ فِي الْهَرَبِ  
إِلَى الْغَارِ وَكَوْنَهُ مُخَاطَباً بِقَوْلِهِ لَا تَحْزَنُ مِنْ أَذَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى جَبْنِهِ وَضَعْفِ  
نَفْسِهِ وَكَيْفَ يَقَاسُ مَنْ كَانَ خَائِفاً عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ فِي الْغَارِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ بِمَنْ  
كَانَ مُحَاطاً بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِي اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ نَامَ عَلَى فِرَاشِهِ  
وَلَمْ يَقُلْ أَنِّي مُحْزُونٌ أَوْ خَائِفٌ أَبَداً.

وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَضْلِ الشَّيْبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَلَى مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ  
الْمَنَاقِبِ قَالَ فَخَرَّتْ عَائِشَةُ بِأَبِيهَا وَمَكَانَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْغَارِ فَقَالَ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ نَامَ فِي مَكَانِهِ وَهُوَ  
يَرَى أَنَّهُ يُقْتَلُ فَسَكَتَ وَلَمْ تَحْرَجْ جَوَاباً وَشَتَّانَ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ لَا تَحْزَنُ أَنَّ اللَّهَ مَعَنَا وَكَانَ النَّبِيُّ  
مَعَهُ يُقْوِي قَلْبَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَ عَلِيٍّ ظَاهِراً وَهُوَ لَمْ يَصْبِهِ وَجَعَ وَعَلَى يَرْمِي  
بِالْحِجَارَةِ وَهُوَ مُخْتَفٍ فِي الْغَارِ وَعَلِيٌّ ظَاهِرٌ لِلْكَفَّارِ وَاسْتَخْلَفَهُ الرَّسُولُ لِرَدِّ  
الْوُدَاعِ لِأَنَّهُ كَانَ أَمِيناً فَلَمَّا أَذَاهَا قَامَ عَلَى الْكَعْبَةِ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ هَلْ مِنْ صَاحِبِ أَمَانَةٍ هَلْ مِنْ صَاحِبِ وَصِيَّةٍ هَلْ مِنْ صَاحِبِ عِدَّةٍ لَهُ  
قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ فَلَمَّا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ لِحَقِّ النَّبِيِّ وَكَانَ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى خِلَافَتِهِ  
وَأَمَانَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ وَحَمَلْ نِسَاءَ الرَّسُولِ خَلْفَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَفِيهِنَّ عَائِشَةُ فَلَهُ

الْمَنَّة عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِحِفْظِ وَلَدِهِ وَلَعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَنَّة عَلَيْهِ فِي هِجْرَتِهِ وَعَلَيَّ عَلَيْهِ  
ذُو الْهِجْرَتَيْنِ وَالشَّجَاعُ الْبَائِتُ بَيْنَ أَرْبَعِ مِائَةِ سَيْفٍ وَأَمَّا أَبَاتُهُ عَلَى فَرَاشِهِ  
بِنَجْدَتِهِ فَكَانُوا مُحَدِّقِينَ بِهِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُ ظَاهِرًا فَيَذْهَبَ دَمُهُ  
بِمَشَاهِدَةِ بَنِي هَاشِمٍ قَاتِلِيهِ مِنْ جَمِيعِ الْقِبَائِلِ.

نَقَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ، وَمَضَى  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضْطَجَعْتُ فِي مَضْجَعِهِ أَنْتَظِرُ مَجِيَّ الْقَوْمِ إِلَيَّ حَتَّى دَخَلُوا  
عَلَيَّ فَلَمَّا اسْتَوَى بِي وَبِهِمُ الْبَيْتُ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ بِسَيْفِي وَدَفَعْتُهُمْ عَنْ نَفْسِي بِمَا  
قَدْ عَلِمَهُ النَّاسُ فَلَمَّا أَصْبَحَ اقْسَمَ بِبَاسِهِ وَلَدَ عَشْرُونَ سَنَةً وَأَقَامَ بِمَكَّةَ وَقَدْ  
مَرَاغِمًا لَاهِلُهَا حَتَّى آدَى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

وَرَوَى مُحَمَّدُ الْوَاقِدِيُّ وَابُو الْفَرَجِ النُّجْدِيُّ وَابُو الْحَسَنِ الْبَكْرِيُّ وَاسْحَاقُ  
السَّبْطِيُّ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْهِجْرَةِ قَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَا خَرَجَ  
إِلَّا خَفِيًّا وَقَدْ طَلَبْتَهُ قَرِيشٌ أَشَدَّ طَلَبٍ وَأَنْتَ تَخْرُجُ جِهَارًا فِي إِيَّانِي وَهُوَ دَاجٍ وَمَا  
مَالُ وَرِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَتَقَطَّعَ بِهِمُ السَّبَاسِبُ وَالشَّعَابُ مِنْ بَيْنِ قِبَائِلِ قَرِيشٍ مَا  
أَرَى لَكَ أَنْ تَمْضِيَ إِلَّا فِي خِفَارَةٍ خِزَاعَةٍ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِهِ.

أَنَّ الْمَنِيَّةَ شَرِبُهُ مُورُودَةٌ لَا تَنْزَعُنْ وَشَدُّهُ لِلتَّرْحِيلِ  
أَنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا رَجُلٌ صَدُوقٌ قَالَ عَنْ جَبْرِئِيلَ  
أَرْخِ الزَّمَانَ وَلَا تَخَفْ مِنْ عَائِقٍ فَاللَّهِ يَرُدُّهُمْ عَنِ التَّنْكِيلِ  
إِنِّي بِرَبِّي وَاثِقٌ وَبِأَحْمَدٍ وَسَبِيلُهُ مُتَلَحِّقٌ بِسَبِيلِي

قَالُوا: فَكُمْنُ مَهْلَعِ غَلَامٍ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ فِي طَرِيقِهِ بِاللَّيْلِ فَلَمَّا رَأَاهُ سَلَّ  
سَيْفَهُ وَنَهَضَ إِلَيْهِ فَصَاحَ عَلِيٌّ صَيْحَةً خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَجَلَلَهُ بِسَيْفِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ  
تَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا شَارَفَ ضُجْجَانًا أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ بِثَمَانِيَةِ فَوَارِسٍ وَقَالُوا يَا  
غَدَارُ أَظْنَنْتَ إِنَّكَ نَاجٍ بِالنِّسْوَةِ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَى الصَّحَابَةِ الْهِجْرَةَ  
وَعَلَى عَلِيٍّ الْمَبِيتَ ثُمَّ الْهِجْرَةَ ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ كَانَ إِمْتَحَنَهُ بِمِثْلِ مَا إِمْتَحَنَ بِهِ

إبراهيم بإسماعيل و عبد المطلب به عبد الله ثم أن التدفعية كانت دأبه في  
الشعب فإن كان بات أبو بكر في الغار ثلاث ليالٍ فأن علياً بات على فراش النبي  
في الشعب ثلاث سنين وفي رواية أربع سنين والحمد لله على ما هدانا  
لولايته ولنعم ما قيل:

ما لعلّي سوئ أخيه      محمّد في الوريّ نظيرُ  
فداه إذا قبلت قريشُ      عليه في فرشت الأمير  
وافاه في حُجٍّ وأرتضاه      خليفةً بعده وزيرُ  
والكلام طويل وكتابتنا هذا ليس موضوعاً لنقل الفضائل الثابتة له وإن كانت  
فضائله لا تُحصى سلام الله عليه.



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا  
تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ  
(٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ  
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)

### ◀ اللغة

السِّلْمُ: فتح السَّين وكسرها، الصُّلح يذكر ويؤنث وقيل السِّلْم بكسر السَّين  
المُسالم يقال، أنا سلمٌ لمن سألني و حَرَبٌ لمن حاربني، قوم سَلِم وسَلِم،  
مسالمون، الصِّلحُ السَّلام، الإسلام قاله في المُنجد. قال الرَّاعِب في المفردات  
يقال سَلِمَ سَلَمًا وسَلِمًا كما يقال ربح رِبْحًا و رِبْحًا فهما مصدران وليسا  
بوصفين ثم قال وقيل السِّلْم إسمٌ بإزاء الحرب والإسلام الدَّخول في السِّلْم و  
هو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه.

كَافَّةً: قال بعض أهل اللغة، هي مؤنث الكاف بمعنى الجماعة يقال الناس  
كَافَّةً، أي كلهم، ولا يدخلها، الألف واللام ولا تضاف بل تكون منصوبة على  
الحال نصباً لازماً وقال الرَّاعِب التَّاء فيه للمبالغة كقولهم راوية و علامة و نسابة.  
خُطُوبَاتٍ: الخطوة بضم الخاء ما بين القَدَمين عند المشي والجمع منها على  
خُطَى وخُطُوبَاتٍ.

زَلَلْتُمْ: الزَّلَّة في الأصل إسترسال الرَّجل من غير قصدٍ، يقال زَلَّت رجلٌ تَزَلُّ  
والزَّلَّة: المكان الزَّلَق وقيل للذنب من غير قصدٍ زَلَّةٌ تشبيهاً بزَلَّةِ الرَّجل.  
الْبَيِّنَاتُ: البَيِّنَةُ الدَّلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة قال الله تعالى:  
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ<sup>(١)</sup>.

حَكِيمٌ: الحِكْمَةُ من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام  
والحكيم هو صاحب الحِكْمَةِ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

## ◀ الإعراب

كَافَّةً حال من الفاعل في، أدخلوا، وقيل هو حال من السِّلْم أي في السِّلْم من جميع وجوهه وكلمة ما، موصولة وقوله: جَاءَتْكُمْ صَلَته وما بعد الفاء في موضع الرفع لأنها بعد الفاء في جواب الشرط، و الفاء مع الجملة في محلّ الجزم أو الرفع لأنه جواب شرطٍ مَبْنِيٍّ.

## ◀ التفسير

لَمَّا أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِيْمَا مَضَى مِنَ الْآيَاتِ أَصْنَافَ النَّاسِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَقَالَ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

خاطبهم جميعاً بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً

و المقصود منها دخولهم في الاستسلام والانقياد والطاعة لله و عدم متابعتهم للشيطان و ذلك لأنه عَدُوٌّ لهم ولا ينبغي متابعة العَدُوِّ وفي قوله تعالى، مُبِين، إشارة الى وضوح عداوته للناس ومن كان كذلك يجب الاحتراز منه، قال الطبرسي رحمته الله في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه أدخلوا في السِّلْم، أي في الإسلام أي دوموا فيما دخلتم فيه كقوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ و برسوله عن ابن عباس و السَّدي و الضَّحَّاك و مجاهد و قيل معناه، أدخلوا في السِّلْم، عن الزَّبيع و هو إختيار البلخي والكلام محتمل لِلأمرين و حملها على الطَّاعة أعم و يدخل فيه مارواه أصحابنا من أنَّ المراد به الدَّخول في الولاية انتهى.

**أقول** قد إعترض عليه بعض المفسرين بما أنه من قبيل تحصيل الحاصل لأن قوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** يدل على كونهم مسلمين لأن الإيمان والإسلام واحد فمن يكون مؤمناً يكون مسلماً قطعاً هذا أن قلنا بعدم الفرق بينهما كما ذهب اليه العامة وأما على مذهب الخاصة من كون الإيمان أعم من الإسلام حيث أنهم إشتراطوا في الإيمان الإقرار باللسان والإعتقاد بالقلب والعمل بالأركان والجوارح وأما الإسلام فلم يشرطوا فيه إلا الإقرار باللسان فقليل في الإسلام بقلوبكم، فظهر الفرق، والجواب عنه أن الإيمان باللسان لا معنى له بل يعبر عنه بالإسلام كما أن الإسلام بالقلب أيضاً لا معنى له وهو واضح فالإشكال بحاله وأجاب الآخر بأن الآية نزلت في طائفة من مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبي ﷺ أقاموا بعده على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبب وكرهوا لحوم الإبل و ألبانها وكانوا يقولون ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام و واجب في التوراة فنحن نتركها احتياطاً فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة إعتقاداً له و عملاً به لأنه صارت منسوخة الى آخر ما قال والجواب عنه.

**أما أولاً:** فبأنه لا دليل على أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه. **ثانياً:** هو وأصحابه على ما ذكره هذا القائل كانوا من المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فكيف خاطبهم الله تعالى بقوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** والإيمان ضد التفاف اللهم إلا أن يقال أنهم كانوا مؤمنين بشرعية موسى فتقدير الآية يا أيها الذين آمنوا بشرعية موسى أدخلوا في الإسلام لكونه ناسخاً لها وهذا ممّا لا بأس به لو تمّ القول بنزول الآية فيه وفي المقام قول آخر أنها نزلت في حق أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي مع أنهم كانوا مؤمنين بشرعية موسى أو عيسى فخاطبهم الله تعالى بقوله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا**

فِي الْأَسْلَامِ جَمِيعاً وَالْإِشْكَالُ فِيهِ كَمَا فِي سَابِقِهِ وَالتَّحْقِيقُ حَسْبَمَا مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ  
النَّظَرُ الدَّقِيقُ هُوَ أَنَّ السَّلَامَ فِي الْمَقَامِ بِمَعْنَى الْمَسَالْمَةِ وَالصُّلْحِ قَالَ الْأَخْفَشُ  
السَّلَامُ بِكسر السَّيْنِ الصُّلْحُ وَبفتحها وَفَتْح اللَّامِ الْإِسْتِسْلَامُ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ السَّلَامُ  
هَذَا بفتح السَّيْنِ الْمَسَالْمَةُ وَتَرَكَ الْحَرْبَ بِإِعْطَاءِ الْجَزْيَةِ وَقَالَ أَبُو عبيدة السَّلَامُ  
بِكسر السَّيْنِ وَالْإِسْلَامُ وَاحِدٌ وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ الْمَسَالْمَةِ وَالصُّلْحِ بَعْضُ  
أَهْلِ اللَّغَةِ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ، كَسَرُ السَّيْنِ وَفَتْحُهَا مَعَ تَسْكِينِ اللَّامِ وَفَتْحُهَا وَقَالَ  
الرَّجَاجُ السَّلَامُ جَمِيعُ شُرَائِعِهِ وَالْأَقْوَالُ فِيهِ كَثِيرَةٌ وَالَّذِي حَصَلَ لَنَا فِي الْمَقَامِ  
بَعْدَ الْفَحْصِ الثَّامِ فِي كَلِمَاتِهِمْ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يَرَادُ مِنْهَا الْإِسْلَامُ كَمَا قَدْ يَرَادُ  
مِنْهَا الْمَسَالْمَةُ وَالصُّلْحُ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعْنَى الثَّانِي أَعْنِي بِهِ الْمَسَالْمَةُ وَالصُّلْحُ  
أَنْسَبُ بِالْمَقَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ ضَرُورَةٌ أَنَّ الْإِسْلَامَ مُنْدرَجٌ فِي الْإِيمَانِ وَعَلَيْهِ  
فَالْمَعْنَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِدْخُلُوا فِي الْمَسَالْمَةِ وَالصُّلْحِ وَاجْتَنِبُوا عَنْ  
النَّشْتِ وَالتَّفَاقُ وَالْإِخْتِلَافِ وَالْحَرْبِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى  
قَوْلُهُ ﷺ: أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَكُمُ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُم حَيْثُ جَعَلَ ﷺ

السَّلَامُ مُقَابِلًا لِلْحَرْبِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الصُّلْحَ يَضَادُهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الشَّيْطَانَ  
يُوقِعُ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ الَّتِي بِمَنْزِلَةِ الْمَادَّةِ لِلْحَرْبِ وَالْإِخْتِلَافِ وَ  
قَوْلُهُ: إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى الْعَدُوِّ وَعَدَاوَةُ  
الشَّيْطَانِ لِبَنِي آدَمَ مِمَّا لَا خِفَاءَ فِيهَا وَأَنْ شُئْتُ قُلْتُ، السَّلَامُ فِي الْآيَةِ هُوَ حَبْلُ  
اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا<sup>(١)</sup> وَلَمَّا كَانَتْ  
الْأَلْفَةُ وَالصُّلْحُ فِي ظِلِّ الْوَلَايَةِ قَالَ الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَرَادُ بِالْحَبْلِ فِي الْآيَةِ وَلَا  
يَتَنَاسَكُمَا فَسَّرَ السَّلَامُ أَيْضًا بِهَا فِي الْمَقَامِ نَشِيرَ إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْمَقَامِ.  
رَوَى فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجَلَانَ عَنْ

بِ  
الْتَّحْقِيقِ فِي  
بَعْضِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

بِ  
الْتَّحْقِيقِ فِي  
بَعْضِ الْقُرْآنِ



أبي جعفر عليه السلام: في قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال عليه السلام: في ولايتنا.

وبأسناده عن محمد بن إبراهيم قال سمعت الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عليه السلام يقول في قوله تعالى: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال: في ولاية علي بن أبي طالب وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ قال عليه السلام: لا تتبعوا غيره.

وبأسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال عليه السلام: هي ولايتنا.

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ قال عليه السلام: أتدري ما السِّلْم قال قلت أنت أعلم قال عليه السلام: ولاية علي والائمة الأوصياء من بعده قال عليه السلام: وخُطُواتِ الشَّيْطَانِ واللَّه فلان وفلان.

وبأسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله قالوا سألناهما عن قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً عليه السلام قال عليه السلام: أمروا بمعرفتنا.

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: السِّلْم آل محمد أمر الله بالدخول فيه.

وعن جابر عنه عليه السلام قال: السِّلْم هو آل محمد أمر الله بالدخول فيه وهم حبل الله الذي أمر بالإعتصام به قال الله تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ أمر قال هي الثاني والأول.

و بأَسْنَادِهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَلَا أَنْ الْعِلْمَ الَّذِي هَبَطَ بِهِ آدَمُ وَ جَمِيعَ مَا فَضَّلَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ فِي عَتْرَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلِينَ فَأَيُّنَ يَتَاهُ بِكُمْ وَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ يَامَعَاشِرَ مَنْ فَسَخَ مِنْ أَصْلَابِ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ فَهَذَا مِثْلُ مَا فِيكُمْ فَكَمَا نَجَى فِي هَاتِيكَ مِنْهُمْ مَنْ نَجَى وَكَذَلِكَ يَنْجُو فِي هَذِهِ مِنْكُمْ مَنْ نَجَى وَرَهْنُ ذِمَّتِي وَ وَيْلٌ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ أَنْتُمْ فِيكُمْ كَأَصْحَابِ الْكَهْفِ وَ مِثْلُهُمْ بَابُ حُطَّةٍ وَ هُمْ بَابُ السَّلَامِ: فَادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ انْتَهَى.

وَ أَمَّا أَحَادِيثُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ.

فَإِنْ رَزَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

معناه ان عدلتم عن الطريق القويم الذى اولكم الله من بسكونه من بعد ما جائتكم البينات اى الحج والمعجزات فاعلموا ان الله عزيز فى نعمته وعقوبته حكيم فيما شرع فى الاحكام دينه و فيما لفعله بكم من العقاب بعد اقامة الحجة ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عنها.

قال الطبري يعنى بذلك جل ثناؤه فان اخطأتم الحق فضلتم عنه و خالفتم الإسلام و شرائعه من بعد ما جاءكم حُججى وبيّنات هُداى و انضحت لكم صَحّةُ أمر الإسلام بالأدلة التي قطعت عذرکم أيها المؤمنون فاعلموا ان الله ذو عِزّة لا يمنعه من الإنتقام منكم مانع و لا يدفعه عن عقوبتكم على مخالفتكم أمره و معصيتكم إياه مدافع، حكيم فيما يفعل بكم من عقوبته على معصيتكم إياه بعد إقامته الحجة عليكم و في غيره من أمور و قد قال عدد من أهل التأويل أن البيّنات هي محمد صلّى الله عليه وآله و القرآن و ذلك قريب من الذي قلناه في تأويل ذلك لأنّ محمدًا صلّى الله عليه وآله و القرآن من حُجج الله تعالى على الذين خوطبوا بهاتين الأيتين انتهى.

ما أردنا ذكره من كلامه وقد تبعه في ذلك جميع مفسري العامة وبعض  
 الخاصة ومنهم من سلك مسلكاً آخر في تفسيرها والحاصل أن قلنا أن المراد  
 بالسلم في الآية السابقة هو الإسلام أو الإستسلام والانقياد والطاعة وأمثالها  
 فما ذكروه حق لا مرية فيه وأن قلنا أن المراد به الولاية كما هو الحق فالمراد  
 بالبينات الأدلة العقلية والنقلية التي دلت على إثبات الولاية لأهل البيت بعد  
 النبي ﷺ كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ<sup>(١)</sup>  
 وقوله ﷺ من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه وغيرها من النصوص وما  
 على الرسول إلاّ البلاغ وعلى الأمة الانقياد والطاعة قال الله تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ  
 السَّبِيلَ إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا<sup>(٢)</sup>.



هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ  
الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ  
تَرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

### ◀ اللّٰغَة

يَنْظُرُونَ: النَّظَرُ الْإِنْتِظَارُ لِأَنَّ النَّاطِرَ يَطْلُبُ إِدْرَاكَ مَا يَتَوَقَّعُ فَإِذَا كَانَ بِمَعْنَى  
الْفِكْرِ فِي الْقَلْبِ فَلَأَنَّ الْمُتَفَكِّرَ يَطْلُبُ بِهِ الْمَعْرِفَةَ وَإِذَا كَانَ بِالْعَيْنِ فَلَأَنَّ النَّاطِرَ  
يَطْلُبُ الرُّؤْيَا يُقَالُ نَظَرْتُهَ وَإِنْتَظَرْتُهُ وَأَنْظَرْتُهُ أَيَّ أَخَّرْتُهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٢)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٣)

هَذَا إِذَا أُسْتَعْمِلَ فِي الْمَخْلُوقِ وَأَمَّا فِي الْخَالِقِ فَهُوَ بِمَعْنَى إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ  
وَإِفَاضَةِ نِعْمَةٍ عَلَيْهِمْ وَمِنْهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ (٤)

وَعَلَى ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (٥)

فِي ظُلُلٍ: الظُّلُّ جَمْعُ الظِّلِّ قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ الظِّلُّ ضِدُّ الضَّحِ وَ  
هُوَ أَعَمُّ مِنَ الْقَيِّ فَإِنَّهُ يُقَالُ ظِلُّ اللَّيْلِ وَظِلُّ الْجَنَّةِ وَيُقَالُ لِكُلِّ مَوْضِعٍ لَمْ تَصِلْ  
إِلَيْهِ الشَّمْسُ، ظِلٌّ وَلَا يُقَالُ الْقَيِّ إِلَّا لَمَّا زَالَ عَنْهُ الشَّمْسُ، إِلَى أَنْ قَالَ وَالظَّلَّةُ  
سَحَابَةٌ تَظَلُّ مَا يُقَالُ فِيهَا يَسْتَوْخِمُ وَيُكْرَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ الظَّلَّةُ مَا يَسْتَظِلُّ بِهِ  
الشَّمْسُ وَسُمِّيَ السَّحَابُ ظِلَّةً لِأَنَّهُ يَسْتَظِلُّ بِهِ.

مِّنَ الْغَمَامِ: الغمام السَّحاب الأبيض الرقيق سَمِيَ بذلك لأنه يَغْم أي يستر.  
قال الله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ.

### الإعراب

فِي ظُلَلٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَأَنْ يَكُونَ حَالًا مِّنَ الْغَمَامِ (من الغمام) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا لِظُلَلٍ وَيَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ (مِنْ) بِيَأْتِيَهُمْ أَيْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَمَامِ وَالْغَمَامُ جَمْعُ غَمَامَةٍ وَالْمَلَايِكَةُ يقرأ بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى إِسْمِ اللَّهِ وَبِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى ظُلَلٍ وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى الْغَمَامِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

### التفسير

كلمة، هل، لفظها لفظ الإستفهام ومعناه النفي ولهذا جاءت بعدها، إلا، و المعنى لا ينظرون أي ما ينتظرون الان يأتيتهم جلائل آيات الله وأتما ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد ويراد بذلك جنده وقيل معنى الآية هل ينتظرون هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتيتهم أمر الله أو عذاب الله و ما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب وقيل قطع من السحاب و هذا كما يقال قتل الأمير فلاناً أو ضربه و أعطاه و أن لم يتولى شيئاً من ذلك بنفسه ذكر هذين الوجهين الطبرسي رحمته الله.

أقول توضيح الكلام في الآية يستدعي التكلّم فيها إجمالاً ففيها أبحاث.  
الأول: أنَّ العقلاء قد أجمعوا على أنه سبحانه وتعالى منزّه عن المجي والذهاب على سبيل الحقيقة وذلك لأنّ كلّ موجود يصحّ عليه هذين الوصفين لا ينفكّ عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفكّ عن المحدث فهو محدث فيلزم في ذاته الحدوث وقد ثبت أنّه قديم فلا بدّ لنا في المقام ونظائره من التأوّل على وجه يصحّ إسناده اليه تعالى وقد ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها: أن المراد بقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ أي آيات الله فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات كما يقال جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته قالوا والذي يدل على صحة هذا التأويل أنه تعالى قال في الآية المتقدمة، فأن زلتم من بعد ما جاء تكم البيّنات فأعلموا أن الله عزيز حكيم فذكر ذلك في معرض الزجر والتهديد ثم أنه تعالى أكد ذلك بقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فلما كان المقصود من الآية الوعيد والتهديد وجب أن يضمّر في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد.

ثانيها: أن يقدر في الآية الأمر والتقدير، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ والوجه فيه هو أنه تعالى إذا ذكر فعلاً وأضافه إلى شيء فإن كان ذلك محالاً فالواجب صرفه إلى التأويل وذلك كقوله تعالى: وَالَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ، والمراد يحاربون أولياء الله، وقوله: وَإِسْأَلُ الْقَرْيَةِ، أي أهل القرية، وقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ والمراد جاء أمر ربك وهو من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وهو مجاز مشهور.

ثالثها: أن المراد هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بما وعد من العذاب والحساب فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم.

رابعها: أن يكون، في، بمعنى، الباء و حرف الجر يقام بعضه مقام البعض و تقدير الآية هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ.

خامسها: ان قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً لَوْ قُلْنَا إِنَّهَا انزلت في اليهود حيث آمنو بموسى ولم يوفق بمحمد ﷺ فاقهرهم الله بالدخول في اسلم اى اسلام او الاستسلام والطاعة على ما مر الكلام فيه و على هذا التقدير فقوله: فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكُمُ الْبَيِّنَاتُ أيضاً يكون خطاباً إلى اليهود وحينئذ يكون قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ حكاية عنهم فيكون المعنى أنهم لا يقبلون دينك.

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَرَىٰ أَنَّهُمْ فَعَلُوا  
 مَعَ مُوسَىٰ مِثْلَ ذَلِكَ حَيْثُ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً<sup>(١)</sup> و عليه فلا  
 مانع من إجراء الآية على ظاهرها و ذلك لأنهم أي اليهود كانوا على مذهب  
 التشبيه و يجوزون على الله المجي والذهاب وكانوا يقولون أنه تعالى قد تجلّى  
 لموسى على الطور في ظللٍ من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمان محمد ﷺ  
 و على هذا التقدير يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه  
 فلا يحتاج الى التأويل ولا الى حمل اللفظ على المجاز فالآية تدل على أن قوماً  
 ينتظرون أن يأتيهم الله وليس فيها دلالة على أنهم مُحَقِّقُونَ فيه.

البحث الثاني: أنَّ الأقوال في قوله: والملائكة، ثلاثة، فمنهم من يقول أنه  
 معطوف على اسم الجلالة والتقدير، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ  
 وَالْمَلَائِكَةُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ و عليه فالإعراب فيه الرفع و  
 منهم من يقول أنه معطوف على ظللٍ و عليه فالإعراب الجر.  
 وهكذا القول بأنه معطوف على الغمام والقول الأول أظهر وأنسب بسياق  
 الكلام.

البحث الثالث: في تفسير قوله تعالى: فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وفيه أقوال.  
 أحدها: أنَّ معنى كونه فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ أنَّ سماع ذلك النداء ووصول  
 تلك الظلل يكون في آنٍ واحد.

ثانيها: أنَّ المراد حصول أصواتٍ مقطعةٍ مخصوصةٍ في تلك الغمامات  
 تدل على حكم الله تعالى على كلٍّ أحدٍ بما يليق به من السعادة والشقاوة.  
 ثالثها: أنَّ الله تعالى يخلق نقوشاً منظومة في ظللٍ من الغمام لشدة بياضها  
 و سواد تلك الكتابة يُعرف بها حال أهل الموقف في الوعد والوعيد وتكون  
 فائدة الظلل أنه تعالى جعلها إمارة لما يريد إنزاله بالقوم ليعلموا أنَّ الأمر قد  
 حضر.

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

**رابعها:** أَنْ الْمَأْتِي بِهِ مَحْذُوفٌ وَالْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِأَسْهٍ أَوْ بِنَقْمَتِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ، عَزِيزٌ، وَفَائِدَةُ الْحَذْفِ كَوْنُهُ أَبْلَغُ فِي الرَّعِيدِ لِإِنْقِسَامِ خَوَاطِرِهِمْ وَذَهَابِ فِكْرَتِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهِ.

**خامسها:** أَنْ فِي، بِمَعْنَى الْبَاءِ أَيْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَرَادِ الْعَذَابُ الَّذِي يَأْتِيَهُمْ فِي الْغَمَامِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ.

**سادسها:** أَنْ الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ إِتْيَانِ اللَّهِ تَصْوِيرَ غَايَةِ الْهَيْبَةِ وَنَهَايَةِ الْفَرْعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ وَلَا قَبْضُ وَلَا طَيٌّ وَلَا يَمِينٌ وَأَمَّا الْغَرَضُ تَصْوِيرَ عَظَمَةِ شَأْنِهِ.

**سابعها:** أَنَّهُ بِنَاءٌ عَلَى أَنْ الْخَطَابُ فِي أَدْخُلُوا لِلْيَهُودِ فَالْمَرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ دِينَ الْحَقِّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا عَلَى عِتْقَادِ التَّشْبِيهِ وَكَانُوا يَجُوزُونَ الْمَجْئِي وَالذَّهَابَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً وَيَقُولُونَ أَنَّهُ تَعَالَى تَجَلَّى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الطُّورِ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ فَطَلَبُوا مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ حِكَايَةً عَنِ مَعْتَقَدِ الْيَهُودِ وَلَا يَبْقَى اشْكَالٌ فَهَذِهِ هِيَ الْوَجْهَ الْمُحْتَمَلَةُ فِي الْمَقَامِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْآيَةَ مِنَ الْمُسْتَبْهَاتِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ تَفْسِيرَهَا وَلَا تَأْوِيلَهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ الرَّسُولُ عِدْلاً لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ أَنِّي تَارَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعُرْتِي الْحَدِيثَ.

فَنَقُولُ ذِكْرٌ فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَضَالِ قَالَ: سَأَلْتُ الرَّضَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَقُولُ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَهَكَذَا نَزَلَتْ وَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ جَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يوصف



بالمجيئ والذهاب تعالى الله عن الانتقال وأنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً.

و عن تفسير علي بن أسناده عن أبي جعفر قال: سمعته يقول ابتداءً منه أن الله اذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بد منه أمر منادياً يُنادي فليجتمع الجن والإنس في أسرع من طرفة عين ثم أذن لسماء الدنيا فتنزل وكان من وراء الناس وأذن لسماء الثانية فتنزل وهي ضعف التي تليها فاذا رآها أهل السماء قالوا جاء ربنا وهو آتٍ يعني أمره حتى تنزل كل سماء كل واحدة من وراء الأخرى وهي ضعف التي تليها ثم ينزل أمر الله في ظلل من الغمام والملائكة و قضي الأمر والى الله ترجع الأمور.

و عن العياشي بأسناده عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ قَالَ: ينزل في سبع قباب من نور لا نعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة. و عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: يا أبا حمزة كأني بقائم أهل بيتي قد علا بخفكم فاذا علا بخفكم نشرت راية رسول الله فاذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر و قال أبو جعفر أنه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق فهذا حين ينزل وأما: وَقُضِيَ الْأَمْرُ فهو الوسم على الخرطوم يوم يؤسم الكافر انتهى<sup>(١)</sup>

سَلِّ بْنِ إِسْرَآئِيلَ كَمْ أَتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ  
يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

### ◀ اللغة

سَلِّ: فعل أمر من سأل يسأل وأصله إسأل فلما تحركت السين لم يحتج  
إلى ألف الوصل فيقال سَلِّ، وقيل إن العرب في سقوط الف الوصل في سَلِّ و  
بثوتها في اسئل وجهين.

احدهما: حذفهما في احديهما و ثبوتها في الاخرى.

الثاني: انه يختلف اثباتها واسقاطها به اختلاف الكلام فتحذف الهمزة في  
المبتداء مثل قوله: سَلِّ بْنِ إِسْرَآئِيلَ وثبت في العطف مثل قوله: واسأل الله  
القرية واسئلوا من فضله قال علي بن عيسى.

بَنَى إِسْرَآئِيلَ: أي أولاد يعقوب وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة  
والمراد بهم علماءهم.

بَيِّنَةٍ: المراد بها الحجة الظاهرة الواضحة الدالة على صحة المدعى والمراد  
بها في المقام اليد البيضاء و قلب العصا حية و فلق البحر و تظليل الغمام و  
إنزال المنّ و السلوى و أمثالها مما ظهر لهم على يد موسى عليه السلام.

### ◀ الإعراب

كَمْ في موضع نصب لأنه مفعول ثانٍ لآتيناً و لكونه متضمناً معنى الإستفهام  
وجب له الصّدر ثمَّ أنَّ الجملة أعني بها، كم آتيناهم من آيةٍ قد وقعت موقع  
المفعول الثاني لقوله تعالى سَلِّ مِّنْ آيَةٍ يَتَعَلَّقُ بِآيَاتِنَا مَا حَرَفَ مَوْصُولٍ،  
جاءت، صلته والموصول والصلّة في موضع جرٍّ بإضافة بعد، اليه و قيل كم،

مبتدأ في موضع الرفع آتَيْنَاهُمْ خبرها، والعائد محذوف والتقدير آتَيْنَاهُمُوهَا  
أو آتَيْنَاهُمْ إِيَّاهَا وهو ضعيف عند سيبويه.

## ◀ التفسير

خاطب الله فقال: سَلْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أي أولاد يعقوب وهم اليهود و  
المقصود علماءهم الَّذِينَ كانوا حول المدينة وهذا السؤال لتقرير التأكيد أي  
تقريراً لتأكيد الحجة على اليهود كَمْ آتَيْنَاهُمْ أي أعطيناهم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ أي  
علامة واضحة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حيةً وأمثالها من المعجزات التي  
قد دَلَّتْ كُلَّ واحدةٍ منها فضلاً عن جميعها على صحة نبوة موسى وقيل  
المعنى، كم، من حجة واضحة لمحمد ﷺ تدل على صدقه في التوراة

وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ لَفْظٌ عَامٌّ لجميع العامة وأن كان  
المشار اليه بني إسرائيل لكونهم بدّلوا ما في كتبهم وحدثوا أمر الرسول ﷺ  
فاللفظ منسحب على كل مبدلٍ نعمة الله تعالى قال الطبري النعمة هنا الإسلام  
وقال الرمخشري في الكشف: كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ على أيدي أنبياءهم  
وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام ثم قال  
ونعمة الله، آياته أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنّجاة من الضلالة و  
تبديلهم إِيَّاهَا هو أنّ الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب  
ضلالتهم كقوله فزادتهم رجساً إلى رجسهم، أو حرّفوا آيات الكتب الدّالة على  
دين محمد ﷺ فأن قلت كم، إستفهامية أو خبرية قلت يحتمل الأمرين و  
معنى الإستفهام فيها للتقرير انتهى موضع الحاجة من كلامه.

بني  
إسرائيل  
في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وقال بعض المفسرين المراد بنعمة الله ما أتاهاهم من أسباب الصحة والأمن والكفاية والمراد بتبديلها أنهم لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف بل إستعملوها في غير مواردنا انتهت.

قال بعض أهل التحقيق في قوله تعالى: **بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ مَا حَاصِلَةُ أَنَّ النِّعْمَةَ** لو فُسِّرَت بإيتاء الآيات والدلائل فالمراد من قوله: **بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ مَا تَمَكَّنَ مِنْ** معرفتها أو من بعد ما عرفها كقوله تعالى: **ثُمَّ يُخْرِفُوهَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ** **يَعْلَمُونَ**<sup>(١)</sup> لأنه إذا لم يتمكَّن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه، وأن فسِّرَت بما يتعلَّق بالدنيا من الصحة والأمن والكفاية فلا شك أنَّ عند حصول هذه الأسباب يكون الشُّكر واجب فكان الكفر أقبح كما قال الله تعالى: **فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** أعاذنا الله منه.



زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)

### ◀ اللغة

زُيِّنَ: على ما لم يُسمَّ فاعله يقال زَيَّنَهُ أَي حَسَّنَهُ وزخرفه.  
يَسْخَرُونَ: السَّخَرِيَّةُ الإستهزاء.

### ◀ الإعراب

أثماً، حذفت التاء لأجل الفصل بين الفعل وما أسند اليه ولأنَّ تأنيث الحياة  
غير حقيقي وذلك يحسن مع الفصل، والوقف على آمنوا، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا مبتدأ  
وفوقهم خبره.

### ◀ التفسير

قيل أنَّها نزلت في أبي جهل وأمثاله من رؤوساء قريش وذلك لأنَّه بسطت  
الدُّنْيَا لهم وكانوا يَسْخَرُونَ من قوم من المؤمنين مثل عبد الله بن مسعود وبلال  
و حباب وغيرهم وكانوا يقولون لو كان مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيًّا لَأَتَّبِعَهُ أَشْرَافُنَا نقل  
هذا عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه حيث كانوا  
يسخرون من ضعفاء المؤمنين، عن مقاتل وقيل نزلت في رؤوساء اليهود من  
بني قريظة والنَّظِيرِ وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطاء قال الطَّبْرَسِي  
بعد نقله الأقوال المذكورة ولا مانع من نزولها في جميعهم ثمَّ يَبَيِّنُ اللَّهُ تعالى أنَّ  
عدولهم عن الإيمان وسلوكهم هذا المسلك أثماً هو لا يثارهم الحياة الدُّنْيَا  
فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

الجلد الثاني

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَذَا مَسَائِلُ:

**الأولى:** قال الرَّاغِب الزَّيْنَةُ الحَقِيقِيَّةُ مَا لَا يَشِينُ الْإِنْسَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّا يَزِينُهُ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ فَهُوَ مِنْ وَجْهِ شَيْءٍ ثُمَّ إِيْلَعْلَم أَنَّ الزَّيْنَةَ النَّفْسِيَّةَ كَالْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ الصَّحِيْحَةِ الْحَسَنَةِ وَالْإِتِّصَافِ بِالْمِلَكَاتِ الْفَاضِلَةِ كَالسَّخَاوَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصَّدَاقَةِ وَمَا شَابَهَا.

**ثانيها:** الْبَدَنِيَّةُ كَالْقُوَّةِ الْجَسْمَانِيَّةِ وَ طَوْلُ الْقَامَةِ وَحَسَنُ الْوَجْهِ وَبِالْجَمْلَةِ تَنَاسُبُ الْأَعْضَاءِ وَالْأَجْزَاءِ.

**ثالثها:** الْخَارِجِيَّةُ كَالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَوْلَادِ وَالْعَشِيرَةِ وَنَحْوِهَا.

فَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ<sup>(١)</sup>

وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا زَيَّنَّا أَلَدُنْيَا بَرِيْنَةَ الْكُؤَابِبِ<sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَزَيَّنَّا أَلَسْمَاءَ أَلَدُنْيَا بِمَصَابِيْحٍ وَحِفْظًا<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي أَلَسْمَاءِ بُرُؤْجًا وَزَيَّنَّاها لِلنَّاطِرِينَ<sup>(٤)</sup>

وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِنْ الثَّالِثِ: قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَارُونَ: فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ<sup>(٥)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ<sup>(٦)</sup> إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَتَقُولُ زِينَةُ

الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْجَاهِ وَأَمْثَالُهَا مِنْ قِسْمِ الثَّالِثِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِيْلَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لِعِبٍ وَ لَهُوَ وَزِينَةُ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ<sup>(٧)</sup>

١- الْحَجَرَاتُ = ٧.

٢- الصَّافَاتُ = ٦.

٣- فَصَّلَتْ = ١٢.

٤- الْحَجَرُ = ١٦.

٥- الْقَصَصُ = ٧٩.

٦- الْأَعْرَافُ = ٣٢.

٧- الْحَدِيدُ = ٢٠.

قال الله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ  
أَعْمَالَهُمْ فِيهَا<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا<sup>(٢)</sup>  
و غيرها من الآيات وسيأتي الكلام فيها في المستقبل بوجه أبسط ولنعم  
ما قيل بالفارسية:

حال دنیا را بپرسیدم من از فرزانه‌ای

گفت یا خواب است یا باد است یا افسانه‌ای

گفتمش هر کس به مهر دل بر او برست دل

گفت یا غول است یا دیو است یا دیوانه‌ای

أَنْ قُلْتُ قَوْلَهُ تَعَالَى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ صَارَتْ زِينَةً فِي أَعْيُنِ الْكَفَّارِ وَلَمْ يَعْينَ فِي الْآيَةِ أَنَّ  
الْمُزَيْنَ لَهَا مَنْ هُوَ.

قُلْتُ: اِخْتَلَفُوا فِي الْمَزَيْنِ لَهَا فَقَالَ قَوْمٌ أَنَّ الْمَزَيْنَ هُوَ الشَّيْطَانُ زَيَّنَ لَهُمُ الدُّنْيَا  
وَحَسَّنَهَا فِي أَعْيُنِهِمْ بوساوسه وحبَّيها اليهم فال يُريدون غيرها وإستدلوا عليه:

قال الله تعالى: وَ لَكِنْ فَسَدَ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ  
أَلْيَوْمَ<sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ  
أَعْمَالَهُمْ<sup>(٥)</sup> و غيرها من الآيات وذهب آخرون الى أَنَّ الْمَزَيْنَ هُوَ اللَّهُ  
تعالى وإستدلوا بقوله:

قال الله تعالى: كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ  
يَعْمَهُونَ<sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَنْبَلُوهُمْ أَفِيَهُمْ أَحْسَنُ  
عَمَلًا<sup>(٣)</sup>

قال في الكشف بعد نقله ما نقلناه ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن  
خذلهم حتى إستحسنوها وأحبوها أو جعل إمهال المزين له تزيناً ويدل عليه  
قراءة من قرأ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا على البناء للفاعل انتهى.  
وقال بعض المفسرين من العامة وردت إضافة التزيين الى الله تعالى و  
إضافته الى غيره في مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين  
لكن الإضافة الى قدرة الله تعالى حقيقة والإضافة الى غيره مجاز على قواعد  
السنة والزمخشري يعمل على عكس هذا فإن أضاف الله فعلاً من أفعاله الى  
قدرته جعله مجازاً وأن أضافه الى بعض مخلوقاته جعله حقيقة وسبب هذا  
التعكيس إتباع الهوى في القواعد الفاسدة انتهى ما ذكره.

أنا أقول قل كل يعمل على شاكلته، وذلك لأن الزمخشري في الأصول  
سلك مسلك الاعتزال والمعتزلة لا يسندون القبائح الى الله تعالى حقيقة  
والمستشكل من الأشاعرة وهم يسندونها اليه تعالى لقولهم بالجبر فعلى  
مذهبهم الفعل في الحقيقة فعل الله وإسناده الى غيره على سبيل المجاز و  
المعتزلة على خلاف الأشاعرة فعلى مذهبهم الفعل في الحقيقة يسند الى  
فاعله المباشر له وهو الخلق وأنما يسند الى الخالق مجازاً وهذا بحث عميق  
والحق في المقام مع المعتزلة ونحن أيضاً نقول بمقاتلهم ولا نقول بالجبر و



لتحقيق البحث مقام آخر اذا علمت هذا فنقول الحق في المقام أنَّ المزين لها هو الشيطان حيث زينها لهم بأن ترى دواعيهم وحسن فعل القبيح والإخلال بالواجب اليهم وأما الله تعالى فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها وقال في كتابه وأعلم أنها متاع الغرور وقال متاع الدنيا قليل، وقال رسول الله حب الدنيا رأس كل خطيئة وبه قال الحسن والجبائي نعم أن الله تعالى خلق الأشياء المحبوبة وخلق فينا الشهوة لها:

قال الله تعالى: **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ<sup>(١)</sup>**

وذلك لأن التكليف لا يتم إلا مع الشهوة والى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله **حُقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ:**

قال الله تعالى: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْشُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا<sup>(٢)</sup>**

ولأجل هذه الدقيقة نهانا عن متابعة الشهوات فما قاله البيضاوي في تفسيره لهذه الآية من أنَّ المزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء إلا هو فاعله ويدل عليه قراءة، زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الأمور البهيمية والأشياء الشهوية مزين بالعرض، ليس بشيء بل هو باطل عاطل نشأ من قلة التدبر في الكتاب والسنة أو سوء الفهم اذ لو كان الأمر على ما ذكره البيضاوي وأمثاله يلزم منه الجبر المحض وكأنهم لم يفرقوا بين خالق الزينة ومن يؤسوس إليها فلو كان الله تعالى هو المزين لها بالحقيقة فلم نهانا عن متابعة الشهوات ثم أنَّ المزين لها لو كان هو الله تعالى يلزم منه الكفر وذلك لأنَّ المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فأن كان المزين هو الله تعالى فلا يخلو إما أن يكون صادقاً في ذلك

بَابُ تَرْغِيبِ النَّاسِ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ

جزء ٢

بَابُ تَرْغِيبِ النَّاسِ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ

التزيين وأما أن يكون كاذباً فإن كان صادقاً وجب أن يكون ما زينه حسناً فيكون فاعله المستحسن له مُصيباً وذلك يوجب أن الكافر مصيبٌ في كفره ومعصيته وهذا القول كفر، كان كاذباً في ذلك التزيين أدّى ذلك الى لا يوثق منه تعالى بقولٍ ولا خبر وهذا أيضاً كفر فصّح أن المراد من الآية أن المزين هو الشيطان فثبت المطلوب.

وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ففيه إشارة الى مقام المتقين الذين لم يؤثروا الحياة الدنيا على الآخرة ولم يغتروا بالحياة الدنيا فأنّ مقامهم يوم القيامة فوق مقام الكفار في الدرجات.



كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

### ◀ اللغة

أُمَّةٌ: قال الراغب في المفردات، الأُمَّةُ كُلُّ جماعةٍ يجمعهم أمرٌ ما، إما دينٌ واحد، أو زمانٍ واحد أو مكانٍ واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً وجمعها، أُمَمٌ.  
بَغْيًا: البَغْيُ طلب تجاوز الإقتصاد فيما يتحرى تجاوزه أو لم يتجاوزه فتارةً يعتبر في القدر الذي هو الكمية وتارةً يُعتبر في الوصف الذي هو الكيفية قاله الراغب في المفردات، والباقي واضح.

### ◀ الإعراب

قوله: مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ حالان وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ في موضع الحال من الكتاب أي وأنزل الكتاب شاهداً لهم ومؤيداً والكتاب جنس أو مفرد في موضع الجمع وبِالْحَقِّ في موضع الحال من الكتاب لِيُحْكَمَ اللام متعلقة بأنزل وفاعل، يحكم، هو الله مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ مِنْ، تتعلق، باختلاف بَغْيًا مفعول لأجله والفاعل فيه، اختلف مِنَ الْحَقِّ في موضع من الهاء في، فيه، بِإِذْنِهِ حال من الَّذِينَ آمَنُوا أي مَأْذُونًا لَهُمْ.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

## ﴿التفسير﴾

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً إِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمَقَامِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْآيَةَ مَا دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الْحَقِّ أَمْ فِي الْبَاطِلِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ قَتَادَةَ وَمَجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ وَالضَّحَّاكَ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْكُفْرِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَإِخْتَارَهُ الْجَبَائِيُّ ثُمَّ إِخْتَلَفُوا فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانُوا كُفَّارًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانُوا كُفَّارًا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ كَانُوا كُفَّارًا بَعْدَ نُوحٍ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّينَ بَعْدَهُ وَقِيلَ كَانُوا كُفَّارًا عِنْدَ مَبْعَثِ كُلِّ نَبِيٍّ، ثُمَّ أَنَّ الْقَائِلِينَ بِكُونِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ أَيْضًا إِخْتَلَفُوا فِي وَقْتِهِ فَقَالَ إِبْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ هُمْ كَانُوا بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ وَهُمْ عَشْرُونَ فِرْقًا كَانُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ فَإِخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَنَقَلَ عَنْ الْوَاقِدِيِّ وَالْكَلْبِيِّ قَالَا، هُمْ أَهْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ حِينَ غَرَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ إِخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَالْتَقَدِيرُ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَإِخْتَلَفُوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ وَنَقَلَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلًا ثَالِثًا إِخْتَارَهُ أَبُو مُسْلِمٍ وَالْقَاضِي وَهُوَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً فِي التَّمَسُّكِ بِالشَّرَائِعِ الْعَقْلِيَّةِ كَالظُّلْمِ وَالْكَذِبِ وَالْجَهْلِ وَالْعَبَثِ وَأَمْثَالِهَا وَإِحْتِجَ الْقَاضِي عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ بِأَنَّ لَفْظَ النَّبِيِّينَ يُفِيدُ الْعُمُومَ وَالْإِسْتِغْرَاقَ وَحَرْفَ الْفَاءِ يُفِيدُ التَّرَاخِيَّ:

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ يُفِيدُ أَنَّ بَعْثَهُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً عَنْ كَوْنِ النَّاسِ أُمَّةً وَاحِدَةً فَتِلْكَ الْوَحْدَةُ الْمَتَقَدِّمَةُ عَلَى بَعْثِهِ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ لَا بَدَّ وَ أَنَّ تَكُونَ وَحْدَةً فِي شَرِيعَةٍ غَيْرِ مُسْتَفَادَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَوْجِبَ أَنَّ تَكُونَ فِي شَرِيعَةٍ مُسْتَفَادَةٍ مِنَ الْعَقْلِ وَ ذَلِكَ مَا بَيَّنَّاهُ وَ أَيْضًا فَالْعِلْمُ بِحَسَنِ شُكْرِ الْمُنْعَمِ وَ طَاعَةِ الْخَالِقِ وَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ وَ الْعَدْلُ مُشْتَرِكٌ فِيهِ بَيْنَ الْكُلِّ وَ الْعِلْمُ بِقِيحِ

الكذب والظلم والجهل والعَبَث مشترك فيه بين الكلّ فلا يُظهر أنّ النَّاس كانوا في أوّل الأمر على ذلك ثمّ إختلفوا بعد ذلك لإسباب منفصلة، ثمّ سأل القاضي نفسه فقال أليس أوّل النَّاس آدم عليه السلام وأنه عليه السلام كان نبياً فكيف يصح إثبات النَّاس مكلفين قبل بعثة الرّسل، وأجاب بأنّه يحتمل أنّه عليه السلام مع أولاده كانوا مجتمعين على التمسك بالشرائع العقلية أولاً ثمّ أنّ الله تعالى بعد ذلك بعثه إلى أولاده ويحتمل أن بعد ذلك صار شرعه مندرساً فالنّاس رجعوا بعد ذلك إلى التمسك بالشرائع العقلية انتهى ما نقل عنه.

ونقل في تفسير الميزان في المقام قولاً رابعاً وهو أنّ، كان، في الآية منسلخ عن الدلالة على الزّمان كما في قوله تعالى: **وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** <sup>(١)</sup>

فهو دال على الثبوت والمعنى أنّ النَّاس أمة واحدة من حيث كونهم مدينين بالطّبع فالإنسان مدنيّ بالطّبع لا يتم حياة الفرد الواحد منه وحده لكثرة حوائجه الوجوديّة وإتساع دائرة لوازم حياته بحيث لا يتم له الكمال إلاّ بالاجتماع والتعاون بين الأفراد والمبادلة في المساعي وساق الكلام إلى أن قال وكونه اجتماعيّاً مدنيّاً لم يزل على ذلك فهو مقتضى فطرته وخلقه غير أنّ ذلك يؤدي إلى الاختلاف واختلال نظام الاجتماع فشّرّع الله سبحانه بعنايته البالغة شرائع ترفع هذا الاختلاف وبلغها إليهم ببعث النبيين مبشرين ومنذرين وانزال الكتب الحاكم معهم للحكم في موارد الاختلاف انتهى.

أقول هذه هي الأقوال المنقولة في تفاسيرهم في حلّ الإشكال وأنت ترى أنّها لا ترجع إلى محض ولا يمكن حسم مادّة الإشكال بهذا الاستخراجات الظنيّة التي لا يساعدها عقل ولا نقل وذلك لأنّ الإشكال باق على حاله كما كان وذلك لأنّ قوله تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ** يدل على كونهم أمة أي جماعة واحدة قبل البعثة ثمّ بعث الله النبيين مبشرين و

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

وَاللَّهُ

مندرين سواء قلنا بأن المراد من كونهم أمة واحدة أنهم كانوا على الحق أم على الضلالة وسواء قلنا أنهم كانوا قبل البعثة متمسكين بالشرائع العقلية أم لا وهكذا القول بكونهم مدنيين طبعاً وذلك لأن البحث ليس في هذه الأمور وأما الكلام في المراد بالناس وأنه كيف يجوز شرعاً وعقلاً أن يكون الاجتماع خالياً عن الحجة ولو في مدة قليلة وقد ورد في الحديث أنه لولا الحجة لساخت الأرض أهلها وقوله الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق فالقول بأن الناس كانوا بدون الحجة ولو في مدة قليلة لا يساعده العقل والنقل وهذا الإشكال هو الذي أوقع المفسرين في الحيص والبيص فقالوا ولم يعلموا ما قالوا ألا ترى أن القائل منهم صرح بأن الفاء تغيد التراخي فقوله تعالى: قَبِعَتْ اللَّهُ النَّبِيِّينَ يفيد أن بعثته جميع الأنبياء كانت متأخرة عن كون الناس أمة واحدة فتلك الوحدة المتقدمة على بعثته جميع الشرائع لابد وأن تكون وحدة في شريعة غير مستفادة من الأنبياء فوجب أن تكون في شريعة مستفادة من العقل ولقائل أن يقول لو كان الأمر كذلك يلزم أن لا تكون الحجة قد تمت عليهم قبل البعثة فهم كانوا غير مكلفين لأن التكليف لا يكون إلا بعد إتمام الحجة والعقل وحدة لا يكفي في المقام لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ لَّهٗ عَلَى النَّاسِ حِجَّتَيْنِ حِجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحِجَّةٌ بَاطِنَةٌ أَمَّا الظَّاهِرَةُ فَهِيَ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلُ وَالْأُتَمَّةُ وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَهِيَ الْعَقْلُ، هَذَا بِحَسَبِ النُّقْلِ وَأَمَّا عَقْلًا فَلَأَنَّ الْعَقْلَ لَا حَكْمَ لَهُ فِي مَا رَوَاهُ الْمُحْسُوسَاتُ وَالْمُدْرَكَاتُ وَلَأَجْلَ هَذَا لَا يَكُونُ مُسْتَغْنِيًا عَنْ حِجَّةٍ ظَاهِرَةٍ هِيَ النَّبِيُّ أَوْ الْوَصِيُّ وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ.

وثانياً، لو كان العقل كافياً ولو في برهة من الزمان فلم لا يكون كافياً في كل الإعصار أليس حكم الأمثال واحد ثبتت وتحقق أن الشريعة المستفادة من العقل كلام لا طائل تحته ضرورة أن الشريعة لا يستفاد من العقل أصلاً، القول بأن الحجة كانت موجودة في الناس باطناً لا ظاهراً للتقية فهو أيضاً غير معقول

إذ لم يدلّ على هذا القول دليل من العقل أو النّقل مضافاً إلى كونه مخالفاً لظاهر الآية ومحصّل الكلام هو إنّنا بعد الفحص والتّتبّع في كلمات المُفسّرين لم نجد شيئاً يعتمد عليه فمنهم من قنع في تفسيره للآية بذكر الأقوال فقط ومنهم من حقّق بزعمه ولم يعلم أنّ الجواب إذا لم يكن مناسباً للسؤال فهو من قبيل تعيين الدّواء قبل تشخيص الدّاء، وممّن تصدّى لِدفع الإشكال هو صاحب الميزان رحمته الله فإنّه أطال الكلام في المقام وحقّق في الآية بما لا مزيد عليه فيما ذكره وأثبت أنّه خارج عن المدّعى الذي نحن بصدده بل هو شيء آخر لا كلام لأحد فيه ونحن نشير إلى بعض تحقيقاته لتعلم صدق ما قلناه ومن أراد الإطلاع على جميع ما ذكره فعليه بمراجعة تفسيره.

قال بعد ذكره الآية الشّريفة ما لفظه، بيان، الآية تبيّن السّبب في تشريع أصل الدّين و تكليف النّوع الإنساني به وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان أنّ الإنسان وهو نوع مفطور على الاجتماع والتّعاون كان في أوّل اجتماعه أمة واحدة ثمّ ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في إقتناء المزايا الحيوانية فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطّارئة والمشاجرات في لوازم الحياة فألبست القوانين الموضوعية لباس الدّين و شقّعت بالتبشير والإنذار بالثّواب والعقاب وأصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النّبیین وإرسال المرسلين ثمّ اختلفوا في معارف الدّين أو أمور المبدء والمعاد فاختلّ بذلك أمر الوحدة الدّينية وظهرت الشّعوب والإحزاب وتبع ذلك الاختلاف في غيره ولم يكن هذا الاختلاف الثّاني إلّا بغياً من الدّين أوتوا الكتاب وظلماً وعتواً منهم بعد ما تبيّن لهم أصوله ومعارفه وتمّت عليهم الحجّة فالاختلاف اختلافان إختلاف في أمر الدّين مُستند إلى بغى الباغين دون فطرتهم و غريزتهم وإختلاف في أمر الدّنيا وهو فطريّ وسبب لتشريع الدّين ثمّ هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحقّ المختلف فيه بأذنه والله يهدي من يشاء إلى

صراط مستقيم فالدين الإلهي هو السبب الوحيد لإسعادة هذا النوع الإنساني والمصلح لأمر حياته يصلح الفطرة بالفطرة و يعدل قواها المختلفة عند طغيانها وينظم للإنسان سلك حياته الدنيوية والأخروية والمادية والمعنوية فعذا إجمال تاريخ حياة هذا النوع (الحياة الاجتماعية والدينية) على ما تعطيه هذه الآية الشريفة، ثم ذكر ﷺ بحثاً آخر تحت عنوان (بدء تكوين الإنسان) و بحثاً آخر تحت عنوان (تركبه من روح وبدن) و بحثاً آخر، تحت عنوان (فشوره الحقيقي وإرتباطه بالأشياء) وعلومه العملية، وجره على إستخدام غيره إنتفاعاً، وكونه مدنياً بالطبع وحدوث الإختلاف بين أفراد الإنسان، ورفع الإختلاف بالدين، والإختلاف في نفس الدين، والإنسان بعد الدنيا، ثم أردف كلامه بقوله (كلام في عصمة الأنبياء) كلام في النبوة وهكذا والذي يستفاد من مجموع أبحاثه في المقام هو أن إختلاف الناس صار سبباً لتشريع الدين وأن الآية بصدد بيان هذا لا غير وأن الإختلاف على قسمين قسم منه مستند الى بغى الباغيين وقسم آخر مستند الى أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين ثم أنه ﷺ لم يقنع بهذا بل صرح بأن المراد بالآية أن الناس أمة واحدة ليس أنهم كانوا على الهداية ولا على الضلال فقال ما هذا لفظه و بهذا البيان ظهر فساد ما ذكره بعضهم أن المراد بالآية أن الناس كانوا أمة واحدة، على الهداية وأستدل على مدعاه بما حاصله أنهم لو كانوا على البداية فما هو الموجب بل ما هو المَجْوزُ لبعث الأنبياء وإنزال الكتب الى آخر ما قال ثم قال ﷺ ويظهر به ايضاً فساد ما ذكره آخرون أن المراد بها أن الناس كانوا أمة واحدة على الضلالة واستدل على قوله بقوله فلو كانوا على الضلالة قبل البعث والانزال وهي ضلالة الكفر والنفاق والفجور والمعاصي فما المصحح لنسبة ذلك الى حملة الكتاب وعلماء الدين الى آخر ما قال ونحن نقول لا شك أن الانسان مَفْطُورٌ على التعاون والاجتماع وأن افراد البشر



بحسب الفطرة يظهر فيهم الاختلاف في الأمور وهذا هو السبب لبعث الانبياء وانزال الكتب لأن هذا أمر قد فرغنا منه في بحث النبوة بما لا مزيد عليه وإنما الكلام في أن قوله ﷺ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ما المراد به وأنهم في أي زمان كانوا أمة واحدة قبل بعث الأنبياء أو بعده وحيث أن الآية مُصَرَّحة بأنهم كانوا أمة واحدة قبل البعث بدليل الفاء في قوله تعالى: فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ المفيد للتأخير فزيد أن نفهم هل يجوز عقلاً وشرعاً خلق الاجتماع عن النبي أو الوصي المعبر عنه بالحجة أم لا يجوز فإن قلنا بالجواز قبل البعث نقول به بعده أيضاً لأن حكم الأمثال واحد وإن لم نقل كما هو الحق فما معنى الآية كان الناس أمة واحدة ولا فرق في ذلك بين القول بإنسلاخه عن الدلالة على الزمان وعدمه كما هو ظاهر على المتأمل هذا.

**أولاً وثانياً:** على فرض وجود الناس قبل البعث لا يخلو حالهم عن أحد الأمرين، الهداية أو الضلالة إذا الأمر دائر بين النفي والإثبات وارتفاعهما من قبيل إرتفاع التقيضين الذي إتفقوا على إستحالاته فما معنى قوله ﷻ وبهذا البيان يظهر فساد كذا وكذا.

**ثالثاً:** قوله فالإختلاف إختلافان، إختلاف في أمر الدين مستند الى بعض الباغيين، وإختلاف في أمر الدنيا وهو فطري الى آخر ما قال لا ربط له بالآية وإن كان هو كذلك في الواقع ونفس الأمر فإن الإختلاف في الدين غيره في أمر الدنيا، إلا أن الآية ساكتة عن هذا التقسيم وذلك لأن الإختلاف المذكور في الآية واحدة فقوله: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ بِمَنْزِلَةِ التفسير والبيان لقوله تعالى: لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ كَأَنَّهُ قِيلَ ومن المختلف فقال وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ وأما الإختلاف بحسب الفطرة فليس في الآية منه عين ولا أثر وأظن أن الذي أوقعه في هذه الورطة، قوله تعالى لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فظن أن المراد،

بِالنَّاسِ الْعَوَامِ وَبِاخْتِلَافِهِمْ إِيخْتِلَافُهُمْ بِحَسَبِ الْفِطْرَةِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَأَنَّ الْمَرَادَ بِالنَّاسِ هُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتَوْهُ بَغِيًّا، فَكَأَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تَفْسِيرُ النَّاسِ لَنَا فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَمِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَحْكُمُ النَّبِيُّ أَوْ الْكِتَابُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتَوْهُ فَالنَّبِيُّ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ لِيَرْتَفَعَ الْإِخْتِلَافُ، الْإِخْتِلَافُ النَّاشِئُ عَنِ الْفِطْرَةِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَالْأَيَّةُ سَاكِنَةٌ عَنْهُ وَأَنَّ كَانَ النَّبِيُّ حَاكِمًا فِيهِ أَيْضًا هَذَا أَنَّ قُلْنَا أَنَّ الْمَرَادَ، بِالنَّاسِ، عُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ أَوْتَوْهُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ كَمَا مَرَّ، وَإِنْ قُلْنَا أَنَّ الْمَرَادَ بِالنَّاسِ جَمِيعُ الْأَفْرَادِ وَحَمَلْنَا الْإِخْتِلَافَ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا النَّشِئُ عَنِ الْفِطْرَةِ، يُحْمَلُ الْإِخْتِلَافُ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ أَيْضًا عَلَى النَّاشِئِ عَنِ الْفِطْرَةِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الَّذِينَ يَرْفَعُ الْإِخْتِلَافَ أَيْ إِيخْتِلَافًا كَانَ سِوَاهُ كَانَ مُسْتَنْدَاً إِلَى بَغْيِ الْبَاغِينَ أَمْ إِلَى أَمْرِ الدُّنْيَا النَّاشِئِ عَنِ الْفِطْرَةِ هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي الْمَقَامِ وَنَرْجِعُ إِلَى تَفْسِيرِ الْكَلِمَاتِ فَنَقُولُ، كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا<sup>(١)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ<sup>(٢)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

حُجَّةٌ<sup>(٣)</sup>

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ<sup>(٤)</sup>

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَيْ أَنْزَلَ اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّينَ الْكِتَابَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْقُرْآنِ وَغَيْرِهِمَا وَجَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوَارِدِ الْإِخْتِلَافِ فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ.

قال الله تعالى: **وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ** <sup>(٥)</sup>

**وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** يعني أن منشأ الاختلاف بينهم هو البغي وفيه إشارة إلى أن أصل الكتاب لا اختلاف فيه لأنه من عند الله وأنما الاختلاف ينشأ من عدم رعايتهم الحق وأنهم يفسرونه على طبق أميالهم وأغراضهم فكل يجر النار إلى قرصته ولذلك ورد في الشريعة، كل من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده في النار.

**فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ** وذلك لأن المؤمن لا يكون باغياً تابعاً لهواه بل يكون مطيعاً متقاداً للشرع مستمداً من ربه متوكلاً عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالله تعالى لا يكله نفسه طرفة عين وإلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله:

**وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ليس فيه إعوجاج ولا انحراف فإن اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة ولذلك نقول، إهدنا الصراط المستقيم وقال الله تعالى مخاطباً لنبيه فاستقم كما أمرت، وأما المراد من الآية فهو أن الله تعالى لم يخل الأرض من حجة في كل عصر وزمان لقوله لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها ولتلا يكون للناس على الله حجة، قل فالله الحجة البالغة اذا ثبت هذا فأعلم أن لا دلالة منها على وجود الناس قبل الحجة عند التأمل منها وذلك لأن الغاء لا تفيد التأخير كما فقله تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ** يدل على اتصال

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

٢- البقرة = ١٧٦

٤- الشورى = ١٠

١- الإسراء = ١٠٥

٣- آل عمران = ٣

٥- النحل = ٣٩

البعثة بالناس و لازم ذلك أنه لم يكن زمان خالياً عن الحجّة أعني بها لأنبي  
والناس موجودين فيه وبعبارة أخرى تفيد الآية إتصال البعثة بالناس وجوداً  
وأما قدّم الناس في الترتيب على البعث لأنه فرع على وجود الناس اذ لولا  
الناس فالى من يبعث النبي فعلى هذا يكون وجود الناس بمنزلة الأصل  
والحجّة بمنزلة الفرع ولا يلزم منه الفصل حتّى يقال متى كان الناس أمة واحدة  
قبل البعث والعجب منهم كيف غفلوا عن هذه الدقيقة وقالوا أن الفاء يفيد  
التأخير و اذا ثبت التأخير فعلى أي دين كان الناس قبل البعث ولم يعلموا أن  
الفاء للترتيب لا للتأخير والترتيب على قسمين إتصالي بمعنى أت ما بعد الفاء  
متصل بما قبله إلا أنه متفرّع عليه وبعده، وإنفصالي كما في ثم، حيث أن بعده  
منفصل عن قبله فلو كانت الآية ثم بَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ كان الإشكال بحاله و  
ليست كذلك فلا إشكال فيها من هذه الجهة أصلاً.

أن قلت اذا كان الأمر على هذا المنوال فما المستفاد من صدر الآية وأي  
شي تبين بها، قلت الآية أفادت أن الناس لابد لهم من الدين بواسطة النبي  
بمعنى أن وجود الناس يلزم وجود النبي المبعوث اليهم إتماماً للحجّة ثم بين  
الله تعالى فيها ما يتفرّع على وجوده بعد البعث ولذلك أتى بكلمة الفاء المفيد  
للترتيب الإتصالي للدلالة على أن وجود الناس لا ينفك عن البعث وبينهما  
ملازمة عقلية أو شرعية وأما السبب في تشريع أصل الدين فهذه الآية تدل  
عليه ظاهراً وأما هو ثابت في محله هذا ما فهمنا من الآية و لا نقول أن  
المقصود منها هو هذا لا غيره و ذلك لأن القرآن كلام الخالق وله بطنٌ ولبطنه  
أيضاً بطنٌ آخر وهكذا وأين التراب من ربّ الأرباب كيف وقد قال الله تعالى:  
وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup> ولعله يأتي بعدنا من يفهم منها غير ما فهمنا منها  
والله أعلم بحقائق الأمور.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ  
الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ  
وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ  
مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)

### ◀ اللغة

أَمْ: بمنزلة بل، فهي مُنْقَطِعَةٌ.

حَسِبْتُمْ: أي ظننتم.

لَمَّا: هنا، لم، دخلت عليها، ما، وبقي جزمها.

الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ: الشدة والمكروه، والضراء، يقابل بالسراء والنعماء.

زُلْزِلُوا: التزلزل الإضطراب وتكرير حروف لفظه تبينه على تكرير معنى

الزَّل في أي زُعِزَعُوا من الرَّعْب.

### ◀ الإعراب

أَنْ تَدْخُلُوا صلة و موصول في موضع نصب بأنه مفعول حسبتهم وقد سدّ  
مفعوليه عند سبويه وأما عند الأخفش فالمفعول الثاني محذوف وتقديره أم  
حسبتهم دخولكم الجنة ثابتاً والجنة نصب لأنها ظرف مكان، لتدخلوا مَسَّتْهُمُ  
جملة مستأنفة لا موضع لها وهي شارحة لأحوالهم ويجوز أن تضممر معها، قد،  
فتكون حالاً حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ يقرأ بالنصب والتقدير إلى أن يقول الرسول  
فهو غاية والفعل مستقبل والمعنى على المضي والتقدير إلى أن قال الرسول  
مَتَى نَصُرُ اللَّهَ الجملة وما بعدها في موضع نصب بالقول وموضع متى، رفع  
لأنه خبر المصدر وعلى قول الأخفش موضعه نصب على الظرف، ونصر  
مرفوع به.

## التفسير

قال أكثر المفسرين أنَّ الآية نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحرّ والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد. وقيل نزلت في حرب أحد، وقالت فرقة نزلت تسليّة للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ وأسَرَ قَوْمٌ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ النِّفَاقَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ أَمْ حَسِبْتُمْ أَيِّ بَلٍ أَطْنَنْتُمْ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّغَةِ أَنَّهَا قَدْ تَجِي بِمِثَابَةِ أَلْفِ الْإِسْتِفْهَامِ لِيَبْتَدَأَ بِهَا وَكَيْفَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَمْ حَسِبْتُمْ وَخَلْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ أَوْ لَمَّا تَمْتَحِنُوا بِمِثْلِ مَا مِاتَحْنُوا فَتَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا مَسَّتْهُمْ الْبِأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ الْبِأْسَاءُ نَقِضَ النِّعْمَاءُ وَالضَّرَّاءُ نَقِضَ السَّرَّاءُ وَقِيلَ الْبِأْسَاءُ الْقَتْلُ وَالضَّرَّاءُ الْفَقْرُ وَقِيلَ هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَضَارِّ الدِّينِ مِنْ حَرْبٍ وَخُرُوجٍ مِنَ الْأَهْلِ وَ الْمَالِ نَقْلَهُ الطَّبْرَسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِلْآيَةِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ أَوْ زَعَزَعُوا وَاضْطَرَبُوا بِالْمَخَافَةِ مِنَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ أَوْ حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ فَالْلَفْظُ مُسْتَقْبَلٌ وَالْمَعْنَى عَلَى الْمَضِيِّ وَتَفْصِيلُهُ أَنَّ أَتْبَاعَ الرَّسُولِ قَالُوا مَتَى نَصْرُ اللَّهِ فَقَالَ الرَّسُولُ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.



يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ  
فَلِلَّهِ الدِّينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ  
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ  
عَلِيمٌ (٢١٥)

### ◀ اللغة

قال الرَّاغِب، نَفَقَ الشَّيْءُ، مَضَى وَنَفَدَ الْيَتَامَى جَمْعُ الْيَتِيمِ قال الرَّاغِب،  
الْيَتِيمُ، انْقِطَاعُ الصَّبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَبْلَ بُلُوغِهِ وَفِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ قَبْلِ أُمِّهِ، وَ  
قِيلَ كُلُّ مَنْفَرِدٍ يَتِيمٌ يَقَالُ دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ، تَبْنِيهَا عَلَى أَنَّهُ انْقَطَعَ مَادَتُهَا.  
الْمَسَاكِينُ: جَمْعُ الْمَسْكِينِ، قِيلَ هُوَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ وَهُوَ أُبْلَغُ مِنَ الْفَقِيرِ.

### ◀ الإعراب

مَاذَا يُنْفِقُونَ فِي مَاذَا، مَذْهَبَانِ لِلْعَرَبِ.  
أحدهما: أَنْ تَجْعَلَ مَا، إِسْتَفْهَامًا بِمَعْنَى أَيِّ شَيْءٍ وَذَا، بِمَعْنَى الَّذِي وَ  
يُنْفِقُونَ، صَلَاتُهُ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ فَتَكُونُ مَا، مُبْتَدَأُ وَذَا وَصَلَتْهُ خَبَرًا.  
الثَّانِي: أَنْ يَجْعَلَ مَا، وَذَا، بِمَنْزِلَةِ إِسْمٍ وَاحِدٍ لِلِإِسْتِفْهَامِ وَمَوْضِعُهُ هُنَا نَصَبُ  
بِیْنْفِقُونَ وَ مَوْضِعُ الْجُمْلَةِ نَصَبُ بِیْسْأَلُونَ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ مَا أَنْفَقْتُ مَا شَرْطُ فِي  
مَوْضِعِ نَصَبِ بِالْفِعْلِ الَّذِي بَعْدَهَا مِنْ خَبَرٍ وَقَدْ تَقَدَّمَ إِعْرَابُهُ فَلِلَّهِ الدِّينَ جَوَابُ الشَّرْطِ  
وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا بِمَعْنَى الَّذِي وَتَكُونُ مُبْتَدَأُ وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ وَمِنْ خَيْرٍ  
مَالٍ مِنَ الْمَحْذُوفِ فَلِلَّهِ الدِّينَ خَبَرٌ فَامَّا مَا فِي وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَشَرْطُ الْبَتَّةِ.

بَابُ النِّقَاطِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ التفسير

قال بعض المفسرين أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ أَنِّي لِي  
دِينَارٌ فَقَالَ أَفِيقَهُ عَلَى نَفْسِكَ، قَالَ أَنِّي لِي دِينَارَيْنِ، قَالَ ﷺ أَنْفَقَهُمَا عَلَى

أهلك قال أن لي ثلاثة قال أنفقتها على خادمك قال أن لي أربعة قال أنفقتها على والدك قال أن لي خمسة قال أنفقتها على قرابتك قال أن لي ستة قال أنفقتها في سبيل الله وهو أحسنها نقل هذا القول عطا عن ابن عباس وروي الكلبي عنه أنها نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً هرمأً وهو الذي قتل يوم أحد وعنده مال عظيم فقال ماذا أنفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت هذه الآية، أن قيل أن القوم سألوا عما ينفقون لا عما تصرف النفقة اليهم وبعبارة أخرى سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف فالجواب لا يطابق السؤال قلنا، قد تضمن قوله تعالى مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن الإنفاق لا يقيد به إلا أن يقع موقعه قال الشاعر:

أَنْ الصَّيْغَةُ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

قاله الزمخشري في الكشف، ونقل عن القفال أنه قال، السؤال وأن كان وارداً بلفظ، ما، إلا أن المقصود السؤال عن الكيفية لأنهم كانوا عالمين بحسن الإنفاق وأن الذي أمروا به إنفاق مالٍ يخرج به قربة إلى الله وإذا كان هذا معلوماً لم ينصرف الوهم إلى أن ذلك المال أي شيء هو وإذا لم يكن هذا مراداً تعين أن المطلوب بالسؤال هو أن مصرفه أي شيء هو وحينئذ يكون الجواب مطابقاً للسؤال انتهى.

قال بعض المحققين أعلم أنه تعالى راعى الترتيب في الآية فقدم والدين وذلك لأنها كالمُخرج له من العدم إلى الوجود في عالم الأسباب ثم ربياه في الحال الذي كان في غاية الضعف فكان أنعامهما على الإبن أعظم من أنعام غيرهما عليه ولذلك قال تعالى: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا<sup>(١)</sup> وفيه إشارة إلى أنه ليس بعد رعاية حق الله شيء أوجب من رعاية



حَقَّ الوالدين لأنَّ الله تعالى هو الَّذي أخرج الإنسان من العدم إلى الوجود حقيقة والوالدان أخرجاه إلى عالم الوجود في عالم الأسباب لا ظاهرة فَبِتْ أَنْ حَقَّهُمَا أعظم من حَقِّ غيرهما بعد حَقِّ الله تعالى، ثُمَّ ذكر الله تعالى بعد الوالدين الأقربين والسَّبَب فيه أَنَّ الإنسان لا يمكنه أن يقوم بمصالح جميع الفقراء بل لا بدَّ وأن يَرْجَح البعض على البعض والتَّرجيح لا بدَّ له من مرجح و القرابة تصلح أن تكون سَبَباً للتَّرجيح لأنَّ القريب بمنزلة الجزء منه ومن المعلوم أَنَّ الإنفاق على النَّفس أولى منه على الغير وقد قيل أَنَّ الأقرب يمنع الأبعد، ثُمَّ ذكر بعد الأقربين اليَتَامَى وذلك لأنَّهُم لصغرهم لا يقدرُونَ على الإكتساب ولكونهم يتامَى ليس لهم أحد يكتسب لهم فالطُّفُل الَّذي مات أبواه عُدَّ الكسب والكاسب وأشرف على الصَّياع، ثُمَّ ذكر بعدهم المساكين لأنَّ حاجاتهم أقلَّ من حاجات اليَتَامَى من حيث قدرتهم على التَّحصيل.

ثُمَّ ذكر ابن السَّبِيل لأنَّه بسبب إنقطاعه عن بَلَدِه قد يقع في الإحتياج والفقر فلَمَّا فَصَّلَ هذا التَّفصيل الحسن أَرَدَه بعد ذلك بالإجمال فقال وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ انتهى.

وَأَمَّا الخير، فيمكن أن يراد به المال لقوله تعالى: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ<sup>(١)</sup> وقوله: إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ<sup>(٢)</sup> وعليه فالمعنى في قوله: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ شيء من المال قلَّ أو كَثُرَ ويمكن أن يراد به مطلق الخير الشَّامِل للإِنْفَاق وسائر وجوه البر والطَّاعة وهو أولى، أعلم أَنَّ السَّرَّ في فضيلة الإِنْفَاق بالمال ثلاثة أمور.

**أحدها:** أَنَّ التَّوْحِيد العام أن لا يبقى لِلْمَوْحَد محبوب سوى الواحد الفرد إذا المحبَّة لا تقبل الشركة والتَّوْحِيد باللسان قليل الجَدوى وإِنَّمَا تمتحن درجة الحُبِّ بِمُفَارَقَةِ سائر المحَّاب والأموال محبوبَة عند النَّاس لأنَّها آلة

بَابُ التَّوْحِيدِ فِي تَفْصِيلِ الْخَيْرِ

جزء ٢

بَابُ التَّوْحِيدِ فِي تَفْصِيلِ الْخَيْرِ

تَمَتَّعَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَأَجْلَهَا يُنْسَوْنَ بِهَذَا الْعَالَمِ وَيَخَافُونَ مِنَ الْمَوْتِ فَأَمْتَجَنُوا فِي صَدَقِ دَعْوَاهُمْ الْحَبَّ التَّامَّ لِلَّهِ تَعَالَى، بِمَفَارِقَتِهِمْ عَنِ الْأَمْوَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ <sup>(١)</sup> وَنَفَهُمْ هَذَا السِّرِّ فِي بَذْلِ الْأَمْوَالِ إِنْقَسَمَ النَّاسُ بِحَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ وَالمَحَبَّةِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ.

قَسَمٌ صَدَقُوا التَّوْحِيدَ وَافُوا بَعْدَهُ وَلَمْ يَجْعَلُوا قُلُوبَهُمْ إِلَّا مَحَلًّا لِحَبِّ وَاحِدٍ فَتَزَلُّوا عَنْ جَمِيعِ أَمْوَالِهِمْ وَلَمْ يَذْخَرُوا شَيْئاً مِنَ الدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ.

وَقَسَمٌ دَرَجَتُهُمْ دُونَ هَذَا وَهُمْ الَّذِينَ أَمْسَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ رَاقِبُوا مَوَاقِيتَ الْحَاجَاتِ وَمَرَاسِمَ الْخَيْرَاتِ وَيَكُونُ قَصْدُهُمْ مِنَ الْإِمْسَاكِ الْإِنْفَاقَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ دُونَ التَّنَعُّمِ وَصَرَفَ الْفَاضِلَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى وَجْهِ الْبَرِّ.

وَقَسَمٌ، إِقْتَصَرُوا عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ فَلَا يَزِيدُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُونَ مِنْهُ وَهُوَ أَدْوَنُ الدَّرَجَاتِ وَأَقَلُّ الْمَرَاتِبِ فَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ.

**الثَّانِي:** تَطْهِيرُ النَّفْسِ عَنْ رَذِيلَةِ الْبَخْلِ فَأَنَّهُ مِنَ الْمَهْلُكِينَ وَأَمَّا تَزُولُ هَذِهِ الرَّذِيلَةُ بِبَذْلِ الْمَالِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَتَّعُودَ.

**الثَّلَاث:** شُكْرُ النِّعْمَةِ فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فِي نَفْسِهِ وَنِعْمَةً فِي مَالِهِ فَالْعِبَادَاتُ الْبَدَنِيَّةُ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ الْبَدَنِ وَالْمَالِيَّةُ شُكْرٌ لِنِعْمَةِ الْمَالِ ثُمَّ أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارَ فِي مَدْحِ الْإِنْفَاقِ كَثِيرَةٌ جَدًّا أَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا مَخَافَةَ الْإِطْنَابِ وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِيهِ بِوَجْهِ أَسْطَ.



كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن  
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا  
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ (٢١٦)

### ◀ اللغة

كُتِبَ: معناه فرض قال الشاعر:

كتب قتل والقتال علينا و على الغاينات جرّ الذبول  
الْقِتَالُ: يقال قتله، قتلاً، قتلاً، والقتل في الاصل ازالة الروح من الجسد كالموت لكن  
اذا اعتبر بفعل المتولى لذللك يقال، قتل واذا اعتبرت بفوت الحياة يقال موت.  
كَرْهٌ: بضم الكاف وبفتحها نحو الضعف والضعف والكره معناه المشقة التي  
تنال الإنسان من خارج فيما يُحْمَل عليه باكره والكره ما يناله من ذاته يعافه و  
ذلك على ضربين.

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع والثاني، ما يعافه من حيث العقل  
والشرع ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد أنني أريده وأكرهه  
بمعنى أنني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل والشرع أو بالعكس  
فقوله تعالى عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ أي تركهونه من حيث الطبع.  
عَسَى: أي طمع وترجى.

شَرٌّ لَّكُمْ: الشر الذي، يرغب عنه الكل كما أن الخير هو الذي يرغب فيه  
الكل كالعقل والعدل والفضل والشيء النافع.

بَيِّنَاتُ  
النِّفَاقِ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ الإعراب

وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ مبتدأ وخبر والجملة في موضع الحال وقيل في موضع  
الصفة ويُقرأ بضم الكاف وفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل الفتح بمعنى

الكراهية فهو مصدر والضمّ إسم المصدر وقيل الضمّ بمعنى المشقة وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا أَنْ والفعل في موضع فاعل، عَسَى وليس في عَسَى، ضمير وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ في موضع نصب فيجوز أن تكون صفة لشيء ويجوز أن تكون حالاً من النكرة وَاللَّهُ يَعْلَمُ مبتدأ وخبر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ في موضع الحال.

## ◀ التفسير

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أي فرض عليكم وهذه الآية دالة على وجوب الجهاد وفرضه وبه قال أكثر المفسرين كما أَنَّ قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ<sup>(١)</sup>، يدل على وجوب الصّوم وقد مرّ الكلام فيه والفرق بين المقامين هو أَنَّ الصّوم واجب عيناً أي على كلّ مكلف وأما الجهاد فهو واجب كفاية وحكى الشيخ عن عطاء القول بوجوب الجهاد على الصّحابة وأما بعدهم فقد سقط فرضه قال الشيخ بعد نقله ما نقلناه عنه والصّحيح الأول الوجوب كفاية على الجميع لحصول الإجماع عليه اليوم وقد فالرض خلاف عطاء انتهى.

وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ الكره بالفتح المشقة التي تحمل على النفس وبالضمّ المشقة حملت عليها أولم تحمل وعن الكسائي أنّهما لغتان وحاصل المعنى أنّه كُتِبَ عليكم القتال أعني به الجهاد في سبيل الله والحال أنّه شاقّ عليكم لما فيه من حمل النفس على المهلك وقتل الحريم والحميم والصديق إلا أنّها كراهة طباع لا سخط لأنّ كلّما كان على خلاف الطبع فهو مكروه على النفس لأنّها جبلت على محبة الحياة وإرتكاب الأمور السهلة والمستلذة قال النبي ﷺ خَفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَخَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وقيل أنّه كُرْهُ لَكُمْ قبل الأمر والتكليف لأنّ المؤمن لا يكره ما فرضه الله عليه لمنافاته للإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فالمعنى أَنَّهُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي حَالِ كُنْتُمْ تَكْرَهُونَهُ ثُمَّ أَقْبَهُ بَيَانُ أَنَّ فَرْضَهُ عَلَيْكُمْ مَصْلَحَةٌ وَمَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَأُخْرَوِيَّةٌ وَتَرْكُهُ شَرٌّ وَضَرَرٌ فِيهِمَا فَهُوَ سَبْحَانَهُ فِي عِلْمِهِ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي تَكَالِيفِهِ كَالطَّبِيبِ يَحْمِلُ الْمَرِيضَ عَلَى مَا يَكْرَهُهُ وَيَمْنَعُهُ عَنِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ التَّعْبِيرُ بِعَسَى لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَظْهَرُ وَجْهُ الْمَصْلَحَةِ فِي بَعْضِ التَّكَالِيفِ كَمَا يَقُولُهُ الْعَدْلِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَسَنِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ وَقُبْحِهَا وَأَنَّهُ قَدْ يَدْرِكُ بِالنَّظَرِ سَيِّمًا إِذَا رِئَاضَتْ النَّفْسُ فِي ذَلِكَ وَتَوَطَّنَتْ عَلَيْهِ فِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الْأَشْيَاءِ وَقُبْحُهَا عَقْلِيَّانِ وَأَنَّهُ قَدْ يَخْفَى فَيَكْشِفُهُ الشَّرْعُ الْمَطَّلَعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَالْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ وَعَلَى أَنَّ أَحْكَامَ الشَّرْعِ تَابِعَةٌ لِلْمَصَالِحِ الثَّابِتَةِ فِي الْأَفْعَالِ وَأَنْ خَفِيَ عَلَيْنَا وَهِيَ صَرِيحَةٌ الدَّلَالَةُ عَلَى وَجُوبِ الْجِهَادِ وَظَاهِرًا إِطْلَاقُهَا أَنَّهُ حِينِي إِلَّا أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ الْأَخْبَارِ وَانْعِقَادُ الْإِجْمَاعِ أَوْجَبَ الْحَمْلَ عَلَى الْوُجُوبِ الْكِفَائِيِّ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: عَلَيْكُمْ دَلَالَةٌ عَلَى خُرُوجِ النِّسَاءِ عَنْ هَذَا التَّكْلِيفِ وَكَذَا غَيْرُ الْمَكْلَفِينَ كَالصَّبِيَّانِ وَالْمَحَانِينِ وَإِشَارَةٌ إِلَى خُرُوجِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ كَالْمَرِيضِ وَنَحْوِهِ هَكَذَا قِيلَ.

**أقول** والحقُّ أَنَّ خُرُوجَ النِّسَاءِ عَنْ هَذَا التَّكْلِيفِ بِالْإِجْمَاعِ وَالْأَخْبَارِ، وَلَا دَلَالَةَ لِقَوْلِهِ عَلَيْكُمْ عَلَى خُرُوجِ النِّسَاءِ وَالتَّذْكِيرِ لِلتَّغْلِيْبِ وَأَمَّا خُرُوجُ الصَّبِيَّانِ وَالْمَحَانِينِ، فَنَعَمْ لِأَنَّ الْخُطَابَ لَا يَتَوَجَّهُ إِلَى غَيْرِ الْمَكْلَفِ وَهُوَ وَاضِحٌ وَهَكَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَرَّةٌ لَكُمْ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالتَّكْلِيفِ وَأَمَّا بَعْدُهُ فَلَا لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكْرَهُ مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ لِمَنَافَاتِهِ الْإِسْلَامَ فَأَنَّهُ مَلَأَمٌ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ إِذَا لَا يَسَاعِدُهُ الْعَقْلُ وَالثَّقَلُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبِيعَ غَيْرَ الْإِرَادَةِ فَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَنَافِيًا لِلطَّبِيعِ مَلَأَمًا لِلْإِرَادَةِ وَالَّذِي يَنَافِي الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ هُوَ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَحْكَامِ مَنَافِيَةٌ لِلطَّبِيعِ وَمَعَ ذَلِكَ يَرِيدُهَا الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ فَيَفْعَلُهَا بِالطَّوْعِ وَالرَّغْبَةِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَ

أمثالها وهذا معنى أفضل الأعمال أحمّصها فلو لم يكن منافياً للطّيع فما معنى حموضته ولذلك قالوا يصح أن يقول الإنسان في الشّيء الواحد أتّي أريده و أكرهه بمعنى أتّي أريده من حيث الطّبع و أكرهه من حيث العقل و الشّرع و ذلك كأكثر المحرّمات أو أريده من حيث العقل و الشّرع و أكرهه من حيث الطّبع كأكثر الواجبات فقلوه تعالى: **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ** أي تكرهونه من حيث الطّبع ثمّ بيّن ذلك بقوله:

**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** أي عسى أن تكرهوا شيئاً، بالطّبع و هو خير لكم في الدّنيا والأخرة، ثمّ أنّ الخير على قسمين: خيرٌ مطلق و خيرٌ مقيد وهكذا في الشّرّ إلّا أنّ الشّرّ المطلق لم يوجد في الخارج.

فالخير المطلق ما يكون مرغوباً فيه بكل حالٍ وعند كلّ أحدٍ كما وصف عليه السلام به الجنّة فقال **عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ**، وأمّا المقيد فيهما فهو أن يكون الشّيء خيراً لو اوجد و شراً لآخر للمال الذي بما تكون خيراً للزبد و شراً لغيره

**وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ** أي مضرّ لكم و لا نفع فيه لكم و ذلك لأنّ الاحكام تابعة للمصالح و المفساد الواقعيته و العلم بهما مختصّ بالله تعالى و لذلك قال الله:

**يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** و الحاصل أنّه سبحانه لا يأمر العبد إلّا بما فيه مصلحته و لا ينهيه إلّا عمّا فيه مضرّته و الله يعلم المصلحة و المفسدة و هو لا يعلم و عليه فاذا أمر بشي علم قطعاً أنّ الذي أمره الله تعالى به فيه مصلحة فوجب إيمثاله سواء كان مكروهاً للطّيع أم لم يكن و هو واضح لا خفاء فيه.

يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ  
 فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ  
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ  
 اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ  
 يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ  
 اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَيْمَتْ  
 وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
 وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا  
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ  
 اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

### ◀ اللغة

صَدُّ: الصَّدَّ مصدر قولك صَدَّ يَصُدُّ صَدًّا وهو قد يكون بمعنى الانصراف  
 عن الشيء و الإمتناع منه نحو قوله تعالى: يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا وقد يكون  
 بمعنى المنع كما في هذه الآية.

الْفِتْنَةُ: قال أرباب اللغة فتن، فتنته ومفتونا الحيرة، الضلال، الكفر،  
 إختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال.

يَرْتَدِدُ: الإرتداد الرجوع الى القهقري قال الراغب الرَّد، صرف الشيء بذاته  
 أو بحالته من أحواله يقال رددته فارتد انتهى.

حَبِطَتْ حَبَطَ حَبْطًا وَحُبُوطًا: حمله، ذهب اليه سدى وباقي اللغات  
 واضح.

## ﴿الإعراب﴾

قِتَالٍ فِيهِ هُوَ بَدَلٌ مِنَ الشَّهْرِ بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ لِأَنَّ الْقِتَالَ يَقَعُ فِي الشَّهْرِ الْكَسَائِي هُوَ مَخْصُوصٌ عَلَى التَّكْرِيرِ وَالتَّقْدِيرِ عَنْ قِتَالٍ فِيهِ وَبِهِ قَالَ الْقَرَاءُ وَالْأَقْوَى أَنَّ حَرْفَ الْجَزْرِ لَا يَبْقَى عَمَلُهُ بَعْدَ الْحَذْفِ إِخْتِيَارًا قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ وَجَازُ الْإِبْتِدَاءِ بِالنُّكْرَةِ لِأَنَّهَا قَدْ وَصَفَتْ بِقَوْلِهِ فِيهِ وَصَدُّ مُبْتَدَأٌ وَعَنْ سَبِيلِ اللَّهِ صِفَةٌ لَهُ أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِهِ وَكُفْرٌ مُعْطُوفٌ عَلَى صَدُّ وَخَرَجُ أَهْلِهِ أَيْضًا مُعْطُوفٌ وَالْخَبَرُ قَوْلُهُ أَكْبَرُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: حَتَّى يَرُدُّوكُمْ بِجُوزٍ أَنْ تَكُونَ، حَتَّى بِمَعْنَى، إِلَى، وَهِيَ فِي الْوَجْهِينِ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ، يِقَاتِلُونَكُمْ وَجَوَابُ إِنْ اسْتَطَاعُوا مُحَذُوفٌ قَامَ مَقَامَهُ وَلَا يَرَاوُنَ فَيَمُتُّ مُعْطُوفٌ عَلَى يَرْتَدُّ فَأَوَّلُكَ حِطَّتْ خَبَرٌ لِقَوْلِهِ وَمَنْ يَرْتَدُّ، فَأَنْ، مَنْ فِي مَوْضِعٍ مُبْتَدَأٌ.

## ﴿التفسير﴾

اختلفوا المفسرون في السائل في هذا السؤال فقال الحسن وغيره هم أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام وبه قال الجبائي وأكثر المفسرين وقال البلخي وغيره هم أهل الإسلام سألوا ليعلموا كيف الحكم فيه، وأما سبب نزولها فقد روي القرطبي في تفسيره عن أبي جندب بن عبد الله أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم، أبا عبيدة بن الحارث أو عبيدة بن الحارث فلما ذهب لينطلق بكى صباة إلى رسول الله ﷺ فبعث عبد الله بن مجش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأوا الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا وقال ولا تكرهن أصحابك على المسير فلما بلغ قرأ الكتاب، فاسترجع وقال سمعاً وطاعة لله ولرسوله فرجع رجلان ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أَنَّ ذلك اليوم من رجب فقال المشركون قتلهم في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى:



يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ أَيْضاً فِي تَفْسِيرِهِ وَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ بِأَسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ صَدَّوْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَدَّوْهُ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَعَابَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْقِتَالَ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ إِلَى أَنْ قَالَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا بَعَثَ سَرِيَّةً فَلَقُوا عَمْرُو بْنَ الْحَضْرَمِيِّ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنَ الطَّائِفِ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ وَأَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُمَادِي وَكَانَتْ أَوَّلَ رَجَبٍ وَلَمْ يَشْعُرُوا فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَأَنَّ الْمَشْرِكِينَ أَرْسَلُوا الْبَعِيرَ وَنَهَ بَذْلُكَ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ الْحَدِيثُ وَلَنَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِ الْآيَةِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَهُوَ رَجَبٌ سُمِّيَ بِهِ لِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِيهِ وَلِذَلِكَ كَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَنْزِعَ الْأَسْنَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَنْزِعُونَ الْأَسْنَةَ وَالتَّصَالُ عِنْدَ دُخُولِ رَجَبٍ وَكَانَ يُدْعَى الْأُمَمَ لِأَنَّهُ لَا يُسْمَعُ فِيهِ قَعْقَعَةُ السَّلَاحِ فَتُنَسَبُ الضَّمُّ إِلَيْهِ كَمَا نُسِبَ الصَّوْمُ إِلَى اللَّيْلِ فِي قَوْلِهِمْ، لَيْلٌ صَائِمٌ فَكَانَ النَّاسُ لَا يَخَافُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَتَأْمَنُ السُّبُلُ إِلَى أَنْ يَنْقُضِيَ الشَّهْرُ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ

قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ أَيْ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِتَالِ فِيهِ قُلْ نَعَمْ فِيهِ قِتَالٌ كَبِيرٌ أَيْ كَبِيرٌ إِثْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ذَنْبُهُ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مُبْتَدَأٌ وَكُفْرٌ بِهِ أَيْ بِاللَّهِ عَطْفٌ عَلَيْهِ عَطْفٌ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَى السَّبِيلِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَيْ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، عَطْفٌ عَلَى صَدٍّ، وَالْمَرَادُ النَّبِيُّ وَالْمُؤْمِنُونَ وَكُونُهُمْ أَهْلُهُ بِإِعْتِبَارِ كُونِهِمُ الْقَائِمِينَ بِحَقُوقِهِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ عَنِ الْجَمِيعِ أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي فَعَلْتُمَا الْمُشْرِكُونَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَالسُّؤَالُ عَنْهَا وَالْفِتْنَةُ الَّتِي يَفْتَنُونَ بِهَا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الدُّخُولِ فِيهِ كَمَا فَعَلُوا غَيْرَ مَرَّةٍ أَكْبَرُ إِثْمًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ أَوْ الْقَتْلِ مُطْلَقاً كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَقَالَ: وَلَا يَزَالُونَ يُفَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا.

بَابُ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ

جزء ٢

بَابُ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ

الى ذلك و أعانهم الشيطان على الافتتان عن الدين و الإخراج منه و ذلك بالنسبة الى من لم يستوثق الإيمان في قلبه ثم ذكر حال المرتدين فقال: وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ وَهُوَ الْإِسْلَامُ وَلَمْ يَتَبْ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَيْ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا الدُّنْيَا فَلَأَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِمُ الْغَسْلُ وَالْكَفَنُ وَالذَّفْنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمُ الثَّوَابُ وَ الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّادِرَةِ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهَا قَدْ حَبِطَتْ بِالْإِرْتِدَادِ وَ شَرَطَ اسْتِحْقَاقَ الثَّوَابِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ الْمَوْافَاةَ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا جَزْمَ وَأَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَ هِيَهْنَا بَحْثَانِ.

البحث الأول: أَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ إِلَى قَوْلِهِ: حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ يَدُلُّ عَلَى حَبْطِ الْأَعْمَالِ وَبُطْلَانِهَا بِالْكَلْبَةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمَرْتَدِّ دِينَافِي قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ<sup>(١)</sup> والجواب أَنَّ الإحباط ليس على إطلاقه في الآية بل هو مقيد بموت المرتد في حال كفره وعدم توبته قبل الموت كما قال تعالى، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ، وَأَمَّا إِذَا مَاتَ عَلَى التَّوْبَةِ فَلَا وَيَدُلُّ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ

ففي رواية زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَحَجَّ ثُمَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ فَكَفَرَ ثُمَّ تَابَ يَحْسَبُ لَهُ كُلُّ عَمَلٍ عَمَلَهُ وَلَا يَبْطُلُ مِنْهُ شَيْءٌ أَنْتَهَى.

و صحّح به بريدة بن معاوية العجلي قال سألت أبا عبد الله عن رجل حجّ و هو في بعض هذه الأصناف من أهل القبلة ناصب متدين ثم من الله عليه فعرف هذا الأمر يقضي حجة الإسلام فقال عليه السلام: يقضي أحبّ إليّ و قال كل عمل عمله و هو في حال نصبه

و ضلّالته ثمّ منّ الله عليه وعزّفه الولاية فأنّه يؤجر عليه إلا الزكاة  
فأنّه وضّعها في غير موضعها لأنّها لأهل الولاية وأمّا الصّلاة  
والحجّ والصّيام فليس عليه قضاء انتهي.

وما رواه في الكافي عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:  
من كان مؤمناً فعمل خيراً في إيمانه فأصابته فتنة فكفر ثمّ تاب بعد  
كفره كتّبت له وحُسب بكلّ شيء كان عمله في إيمانه ولا يبطله الكفر  
إذا تاب بعد كفره.

ونحو ذلك من الأخبار وعليه عمل الأصحاب وبه قال جماعة من العامة  
كالشافعي، فعلى هذا يكون قوله تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ <sup>(١)</sup> و  
نحوهما ممّا هو مطلق، مقيداً بهذه الآية ونحوها ويتفرّع على ذلك أنّ ما وقع  
منه من الأفعال حال الإيمان كالطّهارة والصّلاة والصّوم والحجّ والزكاة ونحو  
ذلك ثمّ إرتدّ ثمّ عاد إلى الإيمان فلا يجب عليه إعادة شيء من تلك الأفعال كان  
وقتها باقياً لوقوعها مستجمعة الشّرائط وبذلك قال الأصحاب إلا الحجّ فإنّ  
الشيخ خالف فيه وهو ضعيف، ونقل عن جماعة من العامة منهم أبو حنيفة  
القول بأنّ نفس الرّدة مبطلّة للعمل وأنّ لم يمت على الكفر وهذه الآية و  
إجماع العصاة حجة عليه ويؤيده قوله تعالى: (أَنْ اللَّهَ لَا يَضِيعَ عَمَّا عَامِلٍ  
مِنْكُمْ) الآية وقوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ونحو ذلك ممّا دلّ على  
المجازاة بالعمل خرج عنه من وافاه كافراً وبقي الآخر تحت العموم.

**البحث الثّاني:** أنّ الظاهر من الآية قبول التّوبة من المرتدّ سواء كان عن فطرة  
أو ملّة ويدلّ عليه إطلاق كثير من الرّوايات كرواية الحسن بن محبوب عن  
غير واحد من أصحابنا عن أبي جعفر وأبي عبد الله في المرتدّ يستتاب فإن  
تاب وإلا قتل والمرأة إذا إرتدت أستتبت فإن تابت ورجعت وإلا خلّدت  
السّجن وضيقّ عليها في حبسها انتهى.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجزء الثاني

ورواية جميل عن أحدهما عليه السلام في رجل رجع عن الإسلام قال يستتاب فإن تاب والآقتل الحديث ونحو ذلك من الأخبار وهذا المذهب ينسب إلى ظاهر ابن الجنيّد وهو مذهب العامة والمشهور بين الأصحاب أنّ الفطريّ وهو من حملت به أمّه واحد أبويه مسلم لا تقبل توبته ولا يستتاب ويجب قتله و تبين منه زوجته وتعتدّ منه عدّة الوفاة وتقسم أمواله بل هذا هو المذهب عندهم.

ويدلّ عليه ما رواه الشيخ عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عن المرتدّ فقال عليه السلام: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله بعد إسلامه فلا توبة له وقد وجب قتله و به انت منه إمرأته وتقسم ما ترك على ولده.

وفي الصحيح عن عليّ بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: سألت عن مسلم تنصر قال: يقتل ولا يستتاب قلت فنصراني أسلم ثمّ إرتدّ عن الإسلام قال عليه السلام: يستتاب فإن رجع وإلا قُتل انتهى.

وفي الصحيح عن الحسين بن سعيد قال قرأت بخط رجل إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: رجل ولد على الإسلام ثمّ كفر وأشرك و خرج عن الإسلام هل يُستتاب أو يقتل ولا يستتاب فكتب عليه السلام يُقتل.

وفي الموثّق عن عمّار الساباطي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كلّ مسلم بين مسلمين إرتدّ عن الإسلام وجد محمدًا نبوتّه و كذبّه فإنّ دمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه وامرأته باينة منه يوم إرتدّ فلا تقرّبه و يقسم ماله على ورثته وتعتدّ إمرأته عدّة المتوفّي عنها زوجها و على الإمام أن يقتله ولا يستتبه.

و الأخبار بهذه المضامين كثيرة فهذه الروايت مخالفة للروايات الأولى وطريق الجمع يتعيّن أن يكون بما ذكرناه من التفصيل فيكف وبعضها صريح

بذلك وهي مقيدة لا طلاق الآية والاخبار المطلقة ويؤيده ان الآية وردت في مبدء الإسلام ولم يعهد في ذلك الوقت فطرى فينصرف الاطلاق الآية الى المللى ولوجوب قتله المانع من قبول توبته كما ورد في من سب النبي و ما قيل من أنه لا يقبل توبته بحسب الظاهر واما فيما بينه وبين الله و ذلك كما اذا لم يطلع عليه احد و لم يقتل او تاخر قتله و وتاب فتقبل توبته في هذه الحال و تصح عباداته ومعاملاته و يثاب على أعماله ولكن لا يعود ماله و زوجته اليه و يجوز أن يجدد العقد عليها بعد إنقضاء العدة بل فيها على احتمال كالمطلقة بايناً فإنه يجوز أن يعقد عليها وهي في العدة.

ففيه أنه خلاف ظاهر الأخبار المذكورة مع إمكان حمل الأخبار الأولى على التقية لموافقتها للعامة كما عرفت و أما دلالة الآية فهي من دلالة المفهوم من قبيل مفهوم الصفة و على القول بأنه حجة لا يصلح لمعارضته الأخبار المطلقة الدالة بمنطوقها هذا ما ذكره بعض المحققين ثم قال والقول بقبول التوبة باطلاً لا يخلو من وجه بل هو الأوجه لقوله تعالى: **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا** من قبل أن تقدروا عليهم فأعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ و غيرها من الآيات الدالة بإطلاقها على قبول التوبة و لاطلاق الأخبار الكثيرة الدالة على ذلك و يجاب عن الروايات الدالة على نفي قبول التوبة بأن المراد نفي الاستيتاب الظاهري لا نفي قبول الطاعة باطلاً و ذلك غير بعيد من ظاهرها اذ لا منافاة بين قبولها باطلاً، وإجراء الأحكام الثلاثة ظاهراً هذا تمام الكلام في قوله تعالى: **وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ** الخ بقي في المقام شيء وهو أن القتال في الشهر الحرام منسوخٌ أو ليس كذلك، قال الطبرسي **مَنْزُوعٌ** ما هذا لفظه:

قال قتادة وغيره أن تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخٌ بقوله تعالى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** (١) وبقوله إقتلوا المشركين

بِقَوْلِهِ  
الْقَاتِلُونَ  
فِي الْقِتَالِ

جزء ٢

بِقَوْلِهِ  
الْقَاتِلُونَ  
فِي الْقِتَالِ

حيث وجدتموهم ، وقال عطاء هو باقٍ على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة ولا يبتدئون فيها بالقتال وكذلك في الحرم وأما أباح الله للمؤمنين والنبي قتلاً أهل مكة عام الفتح فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ أَحْلَاهَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَلَمْ يَحْلَهَا لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَا يَرَى مِنْهُمْ حُرْمَةَ الْحَرَمِ وَحُرْمَةَ هَذِهِ الْأَشْهُرِ جَازَ قِتَالَهُ أَيْ وَقَتِ كَانَ وَلَا تَحْرِيمَ مَنْسُوخٍ فِي حَقِّهِ انْتَهَى.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية - الثانية - إختلفوا في نسخ هذه الآية فالجمهور على نسخها وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح واختلفوا في نسخها فقال الزهري نسخها قوله تعالى: **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً** <sup>(١)</sup> نسخها غزو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تنقيفاً في الشهر الحرام وقيل نسخها بيعة الرضوان على القتال في ذي القعدة ثم نقل عن عطاء أنه قال، الآية محكمة ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم وكان يحلف على ذلك لأن الآيات التي وردت بعدها عامة في الأزمنة وهذا خاص والعام لا ينسخ الخاص انتَهَى.

**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ أَنْ هَذِهِ آيَةٌ** نزلت في قصة عبد الله بن جحش وأصحابه لما قاتلوا في رجب وقتل ابن الحضرمي على ما مر شرحه فظن قوم أنهم أن سلموا من الإثم فليس لهم أجره، فأنزل الله الآية فيهم بالوعد وقال **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا** نقل هذا القول الشيخ في التبيان والقرطبي في تفسيره والطبري وغيرهما من العامة وكيف كان فالآية قد دلت على أن الله تعالى يغفر الذنوب التي صدرت من المؤمن المهاجر المجاهد في سبيل الله وهو كذلك ولا شك فيه لأحد من المسلمين أنما الكلام في المراد بهذه الأوصاف فنقول الإيمان عند هو الإقرار باللسان والإعتقاد بالقلب والعمل بالجوارح وعند العامة هو مجرد الإعتقاد أو هو مع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإقرار وأما العمل فلا يشترطونه فيه مفصلاً في الماضي وسيأتي البحث فيه في المستقبل.

وأما الهجرة فمعناها بحسب اللغة الإنتقال من موضع إلى موضع آخر، والهجر ضد الوصل والإسم الهجرة وهذا المعنى أعني به الإنتقال من موضع إلى موضع هو المعتبر عند العامة في صدق الهجرة وعليه حملوا الآيات الواردة في مدح الهجرة والمهاجرين بلا قيد و شرط وأما عندنا فيعتبر فيها قصد التقرب بها إلى الله تعالى إعتقاداً والعمل بمقتضاها شرعاً وعليه فليس كل من هاجر مع النبي مهاجراً في الواقع وهكذا الكلام في الجهاد وتفصيل البحث فيها موكول إلى محله.



يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ  
كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا  
وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)

### ◀ اللغة

الْخَمْرُ: قال بعض أهل اللغة، خَمَرَهُ خَمَرًا سَتَرَهُ وقال الراغب في المفردات أصل الخمر ستر الشيء يقال لما يستر به خمار وساق الكلام الى أن قال، والخمر سُميت لكونها خامرة لمقر العقل وهو عند بعض الناس إسم لكل مسكر وعند بعضهم إسم للمتخذ من العنب والتمر لما روي عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ، الْخَمْرُ إسم من هاتين الشجرتين النخلة والعنب ومنهم من جعلها إسمًا لغير المطبوخ انتهى.

الْمَيْسِرُ: بفتح الميم وكسر السين القمار قال أهل اللغة، الميسر كل قمار اللعب بالقداح، الجزور التي كانوا يتقامرون عليها.  
إِثْمٌ: بكسر الألف وجمعه على آثام إسم للأفعال المبطنة عن الثواب.

### ◀ الإعراب

فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ مبتدأ وخبر وإِثْمُهُمَا وَنَفْعُهُمَا مصدران مضافان الى الْخَمْرِ والميسر فيجوز أن تكون إضافة المصدر الى الفاعل لأن الْخَمْرَ هو الَّذِي يُوْثَمُ ويجوز أن تكون الإضافة اليهما لأنَّهُما سبب الاثم او محلة قُلِ الْعَفْوَ يقرأ بالرفع على أَنَّهُ خبر والمبتداء محذوف تقديره يُنْفِقُونَ الْعَفْوَ هَذَا اذا جعلت ما وذا اسماً واحداً لأنَّ العفو جواب و اعراب الجواب كاعراب القول كَذَلِكَ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي تبيناً مثل هذا التبين يُبَيِّنُ لكم.



## ◀ التفسير

قيل نزلت الآية في جماعةٍ من الصحابة أتوا رسول الله فقالوا أفنتا في الخمر والميسر فأنها مُذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت الآية

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَدْ عرفت معناهما بحسب اللغة فنقول قال الشافعي كل شرابٍ مسكر فهو خمر، وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب الشديد الذي قذف بالزبد واحتج الشافعي على قوله بما رواه أبو داود عن ابن عمر أنه قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة، من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة وقال القرطبي، الخمر، ماء العنب الذي غلى أو طبخ وما خامر العقل من غيره فهو في حكمه وقال الزمخشري في الكشاف والخمر ما غلا واشتدّ وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتدّ ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحلّ شربه مادون السكر اذا لم يقصد شربه اللّهُو والطّرب عند أبي حنيفة ثم قال وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كلّ ما أسكر من كلّ شراب.

وأما الميسر فهو القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا أقمرته وإشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله ثم قال في صفة الميسر.

كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام، والأقلام الفذ والتّوام، والرّقيب، والتّافس والمسبل والمعلّى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحدٍ منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزّونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا ثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم:

لي في الدنيا سهام  
وأساميهنَّ وغدُ  
ليس فيهنَّ ربيعُ  
و سفيح و منيحُ

للفد سهم، للتوأم سهمان، للزَّيْب ثلاثة، للحلس أربعة، للناس خمسة، للمنبل ستة وللمعلّى سبعة، يجعلونها في الزَّيْبَة وهي خريطة يضعونها على يدي عدل ثمَّ يجلبجلبها ويدخل يده فيخرج بإسم رجل رجل قَدْحاً منها فمن خرج له قَدْح من ذوات الأنصاء أخذ النَّصيب الموسوم به ذلك القَدْح ومن خرج له قَدْح ممَّا لا نصيب له لم يأخذ شيئاً و غرم ثمن الجزور كلّه وكانوا يدفعون تلك الأنصاء إلى الفقراء ولا يأكلون فيها ويفتخرون بذلك و يذّمون من لم يدخل فيه ويسمّونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من الترد والشطرنج وغيرهما وعن النَّبي ﷺ إِيَّاكُمْ وَهَاتَيْنِ اللَّعْبَتَيْنِ الْمُشْتُمَتَيْنِ فَأْتَهُمَا مِنْ مَيْسِرِ الْعَجْمِ وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ التَّردَ وَالشَّطْرَنْجَ مِنَ الْمَيْسِرِ وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ حَظْرٌ فَهُوَ مِنَ الْمَيْسِرِ أَنْتَهَى كَلَامُ صَاحِبِ الْكَشَافِ إِذَا عَرَفْتَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ مِنْهُمَا فَأَعْلَمْ أَنَّهُمَا أَيُّ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ حَرَامٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

قُلْ فِيهِمَا آثَمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وهذا هو الدليل على حُرْمَتِهِمَا، قيل إثم الخمر ما يصدر عن الشارب من المخاصمة والمشاعة وقول الفحش والزور وزوال العقل الذي يعرف به ما يجب لخالقه وتعطيل الصلاة والتعوق عن ذكر الله إلى غير ذلك.

وأما الميسر فلاه يفضي إلى العداوة لأنَّ صاحبه إذا أخذ ماله مجاناً أبغضه حدّاً وهو أيضاً يشغل عن ذكر الله ومع ذلك هو من اللعب واللغو واللهو منا فعهما، فقالوا أنَّ منفعة الخمر أنَّهم كانوا يتغالون بها إذا جلبوها من النواحي وكان المشتري إذا ترك المحاكمة في الثمن كانوا يعدّون ذلك فضيلة ومكرمة فكان تكثر أرباحهم بسبب ذلك و أنَّها يقوي الضعيف ويهضم الطعام ويُعين

على الباء ويسلّي المحزون ويشجع الجبان ويسخي البخيل ويصفي اللون و  
ينعش الحرارة الغريزية ويزيد في الهمة والإستعلاء، ومن منافع الميسر  
التوسعة على ذوي الحاجة لأن من قمر لم يأكل من الجزور وأما كان يغرقه  
في المحتاجين ونقل أن الواحد منهم ربما كان في المجلس الواحد قمر مائة  
بغير فيحصل له مال من غير كدّ و تعب ثم يصرفها الى المحتاجين فيكتسب به  
المدح والثناء الى غير ذلك ثم أن الله تعالى حرهما لأن إثمهما أكبر من  
نفعهما بل يقال أن نفعهما بالنسبة الى ضرهما كالقطرة بالنسبة الى البحر وكيف  
كان فهما مُحَرَّمان، كتاباً وسنة وإجماعاً، وعقلاً.

أما الكتاب فمنه هذه الآية وتقريب الإستدلال على حرمتها بها هو أن الآية  
دالة على أن الخمر والميسر يشتملان على الإثم لقوله تعالى: **فِيهِمَا أَثْمٌ** والإثم  
حرام، فالمشتمل عليه أيضاً حرام، أما إشتمالهما على الإثم فقد ثبت بنص  
الآية، وأما أن الإثم حرام.

قال الله تعالى: **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ  
الْإِثْمَ وَالْبَغْيَ** <sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: **وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ** <sup>(٢)</sup>.  
**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ** <sup>(٣)</sup> وإذا ثبت حرمة الإثم ثبت  
حرمة ما يشتمل عليه فهو المطلوب

قال الله تعالى: **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَرْزَاقُ رِجْسٌ مِنْ  
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** <sup>(٤)</sup>

قال الله تعالى: **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ** <sup>(٥)</sup> وغيرها من الآيات.

٢- الشورى = ٣٧.

٤- المائدة = ٩٠.

١- الأعراف = ٣٣.

٣- النجم = ٣٢.

٥- الحج = ٣٠.

## وَأَمَّا السَّيِّئَةُ

فمن طريق العامة روي أبو داود عن النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ  
 أَنَّ مِنَ الْعَنْبِ خَمْرًا وَأَنَّ مِنَ التَّمْرِ خَمْرًا وَأَنَّ مِنَ الْعَسَلِ خَمْرًا وَأَنَّ مِنَ الْبَرِّ  
 خَمْرًا وَأَنَّ مِنَ الشَّعِيرِ خَمْرًا قال الرازي بعد ذكره الحديث أَنَّ هذا صريح في  
 أَنَّ هذه الأشياء داخله تحت الخمر فتكون داخله تحت الآية الدالة على  
 تحريم الخمر انتهى.

و منها ما رواه أبو داود أيضاً عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول  
 الله ﷺ كُلَّ مَسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ.

و منها ما رواه أيضاً عن عايشة قالت سئل رسول الله ﷺ عن  
 التبع فقال: ﷺ كُلُّ شَرَابٍ مَسْكِرٌ وَهُوَ حَرَامٌ قَالَ الْخَطَّابُ التَّبَعُ  
 شَرَابٌ تَتَخَذُ مِنَ الْعَسَلِ وَفِيهِ ابْطَالٌ كُلُّ تَاوِيلٍ بِذِكْرِهِ الْخَطَّابُ مِنْ  
 تَحْلِيلِ الْإِنْبِذَةِ وَافْسَادِ لِقَوْلٍ مِنْ قَالَ إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْمَسْكِرِ مَبَاحٌ لِأَنَّهُ  
 سئل من نوع واحد من الإنبذة فاجاب لتحريم الجنس فيدخل فيه  
 القليل والكثير.

و منها ما رواه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ ما  
 أسكر كثيره فقليله حرام.

و منها، ما رواه عن عائشة قال: رسول الله ﷺ كُلُّ مَسْكِرٍ حَرَامٌ وَ  
 مَا أَسْكِرُهُ مِنَ الْفَرْقِ فَمُلِّي الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ قَالَ الْخَطَّابِيُّ الْفَرْقُ يَكْتَالُ  
 يَسَعُ سِتَّةَ عَشَرَ رَطْلًا وَفِيهِ أَبِينُ الْبَيَانِ أَنَّ الْحَرَمَةَ شَامِلَةٌ لْجَمِيعِ  
 أَجْزَاءِ الشَّرَابِ وَمِنْهَا، مَا رَوَاهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ  
 كُلِّ مَسْكِرٍ وَمُسْكِرٍ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ الْمُسْكِرُ كُلُّ شَرَابٍ يورث الفُتُورَ فِي  
 الْأَعْضَاءِ وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مُتَنَاوِلٌ لْجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ قَالَ الرَّازِيُّ  
 فِي تَفْسِيرِهِ بَعْدَ نَقْلِهِ الْأَحَادِيثَ الْمَذْكُورَةَ فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا دَالَّةٌ  
 عَلَى أَنَّ كُلَّ مَسْكِرٍ خَمْرٌ وَهُوَ حَرَامٌ أَنْتَهَى.

ثم قال: المسألة الرابعة إختلفوا في أنَّ الميسر هل هو إسم لذلك القمار المعين أو هو إسم لجميع أنواع القمار رُوي عن النبي ﷺ أنه قال أيّاكم و هاتين الكعبتين فأنهما من ميسر العجم و عن ابن سيرين و مجاهد و عطاء، كلّ شيء فيه خطر فهو من الميسر حتّى لعب الصّبيان بالجوز و أمّا الشطرنج. فروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال النرد و الشطرنج من الميسر انتهى.

أمّا من طريق الخاصّة

نقل ابن بابويه في الفقيه أنّه سأل عن الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ قال، قال الرّجس من الأوثان الشطرنج و قول الزور أيضاً، والنرد أشدّ من الشطرنج فإنّ إتخاذها كفر واللّعب فيها شرك و تعليمها كبيرة موبقة والسّلام على اللّاهي فيها معصية و مقلّتها كمقلّب لحم الخنزير وساق الحديث الى أن قال و لا يجوز اللّعب بالخواتيم والأربعة عشر و كلّ ذلك و أشباهه قمار حتّى لعب الصّبيان بالجوز هو القمار و أيّاك والضرب بالصّوابخ فإنّ الشيطان يركض معك والملائكة تنفر عنك و من بقى في بيته طنبور أربعين صباحاً فقد باء بغضب من الله انتهى.

و أيضاً في هذا الكتاب بأسناده عن عليّ ابن طالب عليه السلام قال: نهى رسول الله عن بيع النرد و أن يشتري الخمر و أن يسقي الخمر و قال عليه السلام لعن الله الخمر و غارسها و عاصرها و شاربها و ساقيتها و بايعها و مشتريها و أكل ثمنها و حاملها و المحمولة اليه.

و منها ما رواه الشّيخ عن صابر قال: سألت أبا عبد الله عن الرّجل يؤجر بيته فيبيع فيه الخمر قال عليه السلام حرام أجره و منها عن إسحاق بن عمّار قال قلت لأبي عبد الله الصّبيان يلعبون بالبليض والجوز و يقامرون فقال لا تأكل منه فأنّه حرام انتهى.

والأحاديث كثيرة وسيجيئ بعضها في تفسير قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ** <sup>(١)</sup> في سورة المائدة إن شاء الله تعالى.

وأما الإجماع على حرمة الخمر والميسر فهو ثابت لا كلام فيه كيف ولم يقل أحد من علماء الإسلام بحلّية الخمر أو الميسر بقولٍ مطلقٍ

**وَأَمَّا الْعَقْلُ**

فلأنَّ عقل الإنسان أشرف صفاته والخمر مزيل له مفسدٌ إيّاه وكلُّ ما كان عدوَّ الأشرف فهو أخسُّ فيكون شرب الخمر أخسَّ الأمور وتقديره أَنَّ العقل أتمُّ سَميَّ عقلاً لأنَّه يجري مجرى عقل الناقة فإنَّ الإنسان إذا دعا طبعه إلى فعلٍ قبيح كان عقله مانعاً له من الإقدام عليه فإذا شرب الخمر بقى طبع الداعي إلى فعل القبائح خالياً عن العقل المانع منها والتقريب بعد ذلك معلوم فهذا إجمالٌ من التفصيل في الباب وسيأتي الكلام فيه في المستقبل بوجه أبسط.

**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ.** إعلم أنَّ قراءة الجمهور فيه النصب و عليه المصاحف أي قل العفو العفو وهو الزيادة عن مؤنة الأهل والعيال قال الواحدي العفو في اللغة الزيادة فقوله تعالى خذ العفو، أي الزيادة وقال القفال العفو ما سهل و تيسر ممَّا يكن فاضلاً عن الكناية يقال خذ، ما عفا لك، أي ما تيسر ولما كان السؤال في الآية المتقدمة في قوله تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ** سؤالاً عن مصرف النفقة كما بيّناه هناك كان السؤال في هذه الآية عن قدر الإنفاق وهو في شأن عمر بن الجموح كما تقدم فأثَّه لما نزل قوله تعالى:

**قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ** <sup>(٢)</sup> قال كم أنفق فنزل قل العفو أي أنفق ما سهل و تيسر وفضل ولم يشقَّ على القلب إخراجه واليه أشار الشاعر بقوله:

**خُذْ الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي    وَلَا تَنْطِقِي فِي سُورَتِي حِينَ أَغْضَبُ**

فالمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة هكذا قال القرطبي في تفسيره، وأما على قراءة الرفع فتكون، ذا، بمعنى الذي أي ما الذي ينفقون، قل العفو أي قل الذي ينفقون هو العفو، والمأل فيهما من حيث المعنى واحد.

كَذَٰلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ أي لكي تتفكرون فأدّ التّرجي من الله تعالى ليس على حقيقته وحاصل المعنى هو أنّ الله تعالى يبيّن لكم الآيات فيُعرّفكم أنّ الخمر والميسر مثلاً فيهما إثم فاذا تفكّرتم في هذا الحكم وأمثاله علمتم أنّ الإجتنب عن المنهي عنه أولى وأنفع لكم في الدارين وذلك لأنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد في الواقع والله يعلم المفسدة والمصلحة وأنتم لا تعلمون فالتفكير الصحيح يرشدكم إلى ما فيه صلاحكم وفيه سعادة الدارين وحلاوة المشائين قال رسول الله ﷺ تفكروا ساعة خير من عبادة ستين سنة صدق الله ورسوله.



فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى  
قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

### ◀ اللغة

تُخَالِطُوهُمْ: المخالطة مجامعة يتعذر معها التمييز كمخالطة الخل للماء و  
الخليطان الشريكان لإختلاط أموالهما.  
لَأَعْتَبْتَكُمْ: الأعانت الحمل على مشقة لا تطاق ثقلًا وعنت العظم عنتًا  
أصابه وهن أو كسر بعد جبر وأصل الباب المشقة والشدة.

### ◀ الإعراب

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي متعلقة بمتفكرون ويجوز أن تتعلق بيبين إصلاح  
لَهُمْ خَيْرٌ مبتدأ ولهم، نعت له، وخير، خبر والتقدير خيرٌ لهم أو خيرٌ لكم، أي  
إصلاحهم نافع لكم، وجاز الإبتداء بالنكرة وأن لم توصف، لأن الإسم هنا في  
معنى الفعل وتقديره، أصلحوهم ويجوز أن تكون النكرة والمعرفة هنا سواء لأنه  
جنس فإخوانكم أي فهم أخوانكم ويجوز فيه التنبص وتقديره، فقد خالطتم  
أخوانكم المُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ هنا جنسان وليس الألف واللام لتعريف المعهود  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ المفعول محذوف وتقديره ولو شاء الله إيعانتكم لأعنتكم.

### ◀ التفسير

قيل في سبب نزول الآية أنه لما أنزل الله تعالى: وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ<sup>(١)</sup>



وقوله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا<sup>(١)</sup> إنطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله عنه فنزلت الآية فلا بد من اضممار في الكلام فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى والتصرف في أموالهم قل يا محمد الآية وقيل أن السائل عبد الله بن رواحة، وقيل كانت العرب تتشأم بملابسة أموال اليتامى فنزلت الآية.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي، متعلقة، بتفكرون أو متعلقة بيبين أي أن الله تعالى يبين لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة.

أي في أمر الدنيا والآخرة فتعلموا أن الدنيا دار بلاء وعناء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا في هذه وترغبوا في تلك وأما على القول بأنه من صلة، يبين فالمعنى أن الله تعالى كما يبين لكم الآيات في الخمر والميسر وأمثالهما كذلك يبين لكم الآيات في أمور الدنيا والآخرة لكي تتفكروا في ذلك، وقيل فيه تقديم وتأخير والتقدير كذلك يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون، وفي هذا التوجيه ضعف بين، أما أولاً فلأن ما ذكره عدول عن ظاهر الآية بغير دليل مضافاً إلى أن العدول عنه خلاف الأصل وثالثاً، مامعنى بيان الآيات في الآخرة وليست بدار التكليف، وقيل أن المعنى أن الله تعالى يبين لكم الآيات فيعرفكم أن الخمر والميسر فيهما منافع في الدنيا ومضار في الآخرة فاذا تفكرتم في أحوال الدنيا علمتم أنه لا بد من ترجيح الآخرة على الدنيا، ويحتمل أن يكون المعنى أن إنفاق المال في وجوه الخير لأجل الآخرة وإمساكه لأجل الدنيا فتتفكرون في أمر الدنيا والآخرة حيث أن الدنيا فانية والآخرة باقية وتعلمون حسن ترجيح الآخرة على الدنيا.

بِإِ  
نْفِ  
فِي  
نَفْسِ  
الْعَالَمِ

جزء ٢

بِإِ  
نْفِ  
فِي  
نَفْسِ  
الْعَالَمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ أَيْ قُلْ لَهُمْ بِإِمَامِهِمْ  
مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم والإعراض  
عنهم وذلك لأن في مجانبتهم بالكلية ضررٌ عليهم وذلك لأن اليتيم محتاج  
إلى من يتكفله بعد أبيه في ماله وقضاء حوائجه وهذا بخلاف المخالطة على  
وجه الإصلاح ولذلك:

إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ أَيْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمِنْ حَقِّ الْأَخِ أَنْ يُخَالِطَ  
أَخَاهُ وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ الْمَخَالَطَةَ عَلَى الْمُصَاهَرَةِ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ  
مُضَافاً إِلَى أَنَّ الْمَخَالَطَةَ أَعَمُّ مِنْهَا فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى الْحَمْلِ عَلَيْهَا وَحَيْثُ أَنَّ  
الْمَخَالَطَ قَدْ يَقْصِدُ الْإِصْلَاحَ فِي مَالِ الْيَتِيمِ وَقَدْ يَقْصِدُ الْإِفْسَادَ فِيهِ وَلَا يَطَّلِعُ  
عَلَى قَصْدِهِ إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ:

وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ أَيْ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مَنْ دَاخَلَهُمْ مِنْكُمْ بِإِفْسَادٍ  
وَإِصْلَاحٍ فَيَجَازِيهِ عَلَى حَسَبِ مَدَاخِلَتِهِ وَقَصْدِهِ فَأَحْذَرُوا وَلَا تَتَحَرَّوْا غَيْرَ الْإِصْلَاحِ.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَنَّاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَيْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ  
يَحْمِلَكُمْ عَلَى الْعَنْتِ وَالْمَشَقَّةِ وَأُحْوجَكُمْ فَلَمْ يَطْلُقْ لَكُمْ مَدَاخِلَتَهُمْ، لِفَعْلٍ،  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ، أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ، أَيْ غَالِبٌ يَقْدِرُ  
عَلَى أَنْ يَعْنِيَ عِبَادَهُ وَيُحَرِّجَهُمْ وَلَكِنَّهُ، حَكِيمٌ، لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وَسْعَهَا  
وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ.

رَوَى الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ  
تَعَالَى: إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، يَعْنِي الْيَتَامَى إِذَا كَانَ  
الرَّجُلُ يَلِي الْأَيْتَامَ فِي حَجَرِهِ فَلْيُخْرِجْ مِنْ مَالِهِ عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ  
عَلَى قَدَرِ مَا يَخْرُجُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَيَخَالِطُهُمْ وَيَأْكُلُونَ جَمِيعاً لَا  
يُزِرُّهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ شَيْئاً أَنْمَا هِيَ النَّارُ انْتَهَى.

و في حديثٍ آخر تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم وتخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه قلت أرايت أن كانوا يتامى صغاراً وكباراً أو بعضهم أعلى كسوة من بعضٍ وبعضهم أكل من بعضٍ و مالهم جميعاً فقال أما الكسوة فعلى كلِّ إنسانٍ ثمن كسوته وأما الطَّعام فأجعلوه جميعاً فإنَّ الصَّغير يوشكَّ أن يأكل مثل الكبير انتهى<sup>(١)</sup>.



وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَآئِمَةٌ  
 مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا  
 تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ  
 خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ  
 إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ  
 بِآذِنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

### ◀ اللغة

قال الراغب اصل النكاح العقد ثم استعير للجماع و فحال ان يكون فى الاصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء الجماع كلها كنايةات لإستقباحهم ذكره.  
 المُشْرِكَاتِ: جمع مُشْرِكَةٍ، قال الرَّاغب، الشُّرك العظيم هو اثبات شريك لله تعالى فكل من أشرك بالله فهو مشرك.  
 لَآئِمَةٌ: الأمة بفتح الهمزة الخادة أو المملوكة جَمعها، إماء و الباقي واضح.

### ◀ الإعراب

يُؤْمِنُ في محل نصب بأن مضمرة وأن يؤمن في موضع جر بحتى ولو أَعْجَبَتْكُمْ لوها هنا بمعنى إن، وكذا في كل موضع وقع بعد، لو، الفعل الماضي وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ بضم التاء لأنه من أنكحت والمفعول الثاني منه محذوف أي لا تنكحوا المشركين الأزواج.

### ◀ التفسير

إعلم أن أصناف الكفار ثلاثة:  
 أحدها: من ليس له كتاب ولا شبهته كتاب كعبدة الأوثان و النيران و الكواكب و غيرهم.

الثاني: من له كتاب كاليهود والنصارى.

الثالث: مَنْ له شبهة كتاب كالمجوس والحقُّ أنَّ هذين الصَّنَفين داخلان في المُشركين فتكون الآية شاملة للأصناف الثلاثة حرائر وإماء نكاحاً وإنكاحاً دائماً ومنقطعاً ويرشد اليه التعبير بصيغة الجمع المحلي باللام المفيد للعموم هكذا قال بعض المحققين ثم قال ويدل على هذا الحكم أيضاً أنَّ أهل الكتاب كفَّار بلا خلاف وقد سمَّاهم الله بذلك في قوله: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ<sup>(١)</sup> ونكاح الكفار لا يجوز لقوله تعالى: وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ<sup>(٢)</sup> انتهى ما أفاده في المقام اذا عرفت هذا فنقول.

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ قِراءَةُ الجمهور بفتح التاء مِن نَكَح يَنْكَحُ أي لا تتزوجوا عليهن حتى يؤمن بمعنى لا تختاروهن لأنفسكم أزواجاً وإطلاق الآية يشمل الحرّة والأمة والدائمة والمُنقطعة ومنهم من قرأ الآية بضم التاء وعليه فالمعنى لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ الرِّجَالُ المُسلمين وهو بعيد والأوّل هو الصّواب قال الطبرسي رحمته الله أي لا تتزوجوا النِّساء الكافرات حَتَّى يُؤْمِنَ أي يصدّقن بالله وبرسوله وهي عامّة عندنا في تحريم مناهجة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة انتهى.

وقال الشيخ في التبيان، هذه الآية على عمومها عندنا في تحريم مناهجة الكفار وليست منسوخة ولا مخصوصة وقال ابن عباس في رواية شهر بن جوشب عنه، قال فرّق عمر بين طلحة وحذيفة وبين إمرأتَيْهِمَا اللَّتَيْنِ كَانَتَا عندهما غيره عن ابن عباس واليه ذهب الحسن ومجاهد والرَّبِيع هي عامّة إلا أنّها نسخت بقوله: وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ<sup>(٣)</sup> وقال قتادة وسعيد بن جبير هي على الخصوص وأما اختيار ما قلناه لأنّه لا دليل على نسخها ولا

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

على خصوصها و سُبَّيْن وجه الآية في المائدة اذا إنتهينا إليها انتهى ما ذكره رحمته.

و قال الطبري و هو من أعيان العامة في تفسيره لهذه الآية إختلف أهل التأويل في هذه الآية هل نزلت مراداً بها كلّ مشركة أم مراداً بحكمها بعض المشركات دون بعض و هل نسخ بها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا فقال بعضهم نزلت مراداً بها تحريم نكاح كلّ مشركة على كلّ مسلم من أيّ أجناس الشّرك كانت عابدة وثن أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من أصناف الشّرك ثمّ نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب:

قال الله تعالى: **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُجِّلَ لَهُمْ قُلْ أُجِّلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ إِلَى قَوْلِهِ: وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ<sup>(١)</sup>.**

ثمّ روى بسنده عن ابن عباس أنّه قال: **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ** ثمّ استثنى نساء أهل الكتاب:

قال الله تعالى: **وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أُجُورَهُنَّ<sup>(٢)</sup>.**

و أيضاً بأسناده عن عكرمة و الحسن البصري قالوا **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ** فنسخ من ذلك نساء أهل الكتاب أحلّهن للمسلمين انتهى.

ثمّ قال: و قال آخرون بل نزلت هذه الآية مراداً بحكمها مشركات العرب و لم ينسخ منها شيء و لم يستثنى و أنّما هي آية عامة ظاهرها خاصّ ثمّ ذكر بعد ذلك من الأخبار ما يدلّ عليه أن شئت فراجع و بعد نقل الأخبار و الأقوال إختار فيها عدم النسخ و هذا لفظه و قد بيّنا في غير هذا الموضع من كتابنا هذا

و في كتابنا كتاب اللطيف من البيان أن كل أيتين أو خبرين كان أحدهما نافياً  
حكم الآخر في فطرة العقل فغير جائز أن يقضي على أحدهما بأنه ناسخ حكم  
الأخر إلا بحجة من خبر قاطع للعدر مجيئه و ذلك غير موجود بأن قوله: **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ناسخ ما كان قد وجب تحريره من النساء  
بقوله: **وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ** فإن لم يكن ذلك موجوداً كذلك  
فقول القائل هذه ناسخة دعوى لا برهان له عليها والمدعى دعوى لا برهان  
عليها متحكّم والتحكّم لا يعجز عنه أحد انتهى.

**أقول** ما قاله حق لا مرية فيه وسيجي تفصيل الكلام في هذا الباب في سورة  
المائدة إن شاء الله تعالى:

**وَلَا مَـؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ** و ذلك لأن الإيمان خير من الكفر والمراد  
بالأمة المؤمنة المملوكة المسلمة خير من حرة مشركة فضلاً عن أمتها **وَلَوْ  
أَعْجَبَتْكُمْ بِمَالِهَا وَحَسَنِهَا وَجَمَالِهَا** وقلنا سابقاً، أن، لو، بمعنى، أن، أي وأن  
أعجبكم جمالها وحسنها ومالها وذلك لأن الإيمان هو الأصل في الإنسان و  
هو في المشركة مفقود **وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا** أي ولا تنكحوا  
النساء المسلمات جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا بالله  
وبرسوله قال بعض المفسرين وهذا يؤيد قول من يقول أن قوله **وَلَا تُنكِحُوا  
الْمُشْرِكَاتِ** يتناول الجميع أي جميع الكافرات **وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ  
مُّشْرِكٍ** قالوا أي عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك **وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ** ماله و  
جمالها **أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**؛ يعني أن المشركين يدعو إلى النار أي الكفر  
والمعاصي التي هي سبب دخول النار ولعلنا إشارة إلى أن الزوج يدعو زوجته  
إلى دينه **وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ** أي يدعو إلى ما يوجب الدخول فيها  
**وَالْمَغْفِرَةِ** من الإيمان والطاعة **يَاذُنْ** أي بأذن الله تعالى **وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ**

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ بِهَا وَيَتَأْمَلُونَ فِي مَضَامِينِهَا وَيَتَطَّلِعُونَ عَلَى أَسْرَارِهَا بِقَدْرِ  
الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ وَحِلَاوَةُ النَّشَاطَيْنِ وَقَدْ قَالَ ﷺ تَفَكَّرْ سَاعَةً  
خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً وَتَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ فِي سُورَةِ  
الْمَائِدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.





وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا  
النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ  
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ  
اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)

### ◀ اللغة

عَنِ الْمَحِيضِ: المَحِيض بفتح الميم وكسر الحاء الحَيْض وهو مصدر يقال  
حاضت المرأة حَيْضاً، مُحَاضٌ، نَحِيضٌ فهي حائض وحائضة أيضاً قال  
الشاعر:

كَحَائِضَةٍ يُزْنِي بِهَا غَيْرَ طَاهِرٍ.

قال الرَّاعِبُ الحَيْض الدَّم الخارج من الرَّحِمِ عَلَى وصفٍ مَخْصُوصٍ فِي  
وَقْتٍ مَخْصُوصٍ وَالْمَحِيضُ الحَيْضُ وَ وَقْتُ الحَيْضُ وَ موضعه عَلَى أَنَّ  
المصدر فِي هَذَا النَّحْوِ مِنَ الفِعْلِ يَجِيئُ عَلَى مَفْعَلٍ نَحْوِ معاش ومعاد.  
أَذَى: الأذى كناية عن القدر و يطبق عَلَى القول المكروه أيضاً وَ منه قوله  
تعالى: لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى<sup>(١)</sup> أَي بما تسمعه من المَكْرُوه وَأَما  
عَبَّرَ عَنِ الحَيْضُ بِهِ لِأَنَّ المرأة تَأْذِي بِهِ وَ هكذا غيرها يَتَأَذَّى بِرَأْسِهَا دَمُ الحَيْضِ.  
فَاعْتَزِلُوا: الإِعْتَزَالُ الإِجْتِنَابُ وَ هِيَ كناية عن الوطئ.

### ◀ الإعراب

مِنْ حَيْثُ جار و مجرور وَ حَيْثُ مَبْنِي لا يظهر فِيهِ الإِعْرَابُ الْمُشَابِهَةُ  
الْحَرْفِ وَمِنْ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ فَأَتُوهُنَّ، أَمَرَكُمُ اللَّهُ جملة فِي محلِّ الجَرِّ بِإِضافة،  
حَيْثُ، إِلَيْهِ.

بَابُ التَّوَارُفِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

المجلد الثاني

## ﴿التفسير﴾

ذكر الطبري عن السدي أنّ السائل ثابت بن أبي الدحداح، وقيل أسيد بن خضير وعباد بن بسر وهو قول الأكثرين و سبب السؤال على ما قيل هو أنّ العرب في المدينة وما والاها كانوا استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنّب مأكلة الحائض ومساكنتها فنزلت هذه الآية وقيل كانوا يتجنّبون النساء في الحيض و يأتونهنّ في أديارهنّ مدة زمن الحيض فنزلت الآية وقيل غير ذلك.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ الْمَحِيضِ يجي مصدر كالمجي والمبيت تقول حاضت المرأة مَحِيضًا، واسم زمان أي مدة المَحِيض، واسم مكان أي مكان المحيض القبل اذا عرفت هذا فنقول المَحِيض الأول أعني به قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ مصدر لا غير وعليه فالمعنى يسألونك عن الْحَيْض و أحواله قُلْ هُوَ أَذَىٌّ الْأَذَى هو المكروه المُستقَدَر الَّذِي ينفر الطبع منه فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ أصل الإعتزال التَّنْجِي والمقصود منه في المقام ترك الجماع في المحيض أي في زمن الْحَيْض إن حملت المحيض على المصدر أو في محلّ الحيض إن حملته على الإسم وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ أي حَتَّى ينقطع الدَّم عَنْهُنَّ هذا على قراءة التَّخْفِيفِ وَأما على قراءة التَّشْدِيدِ معناه حَتَّى يغتسلن في قول الحسن والقراء وقال مجاهد وطاووس معنى، تَطْهُرْنَ، توضأن مذهبنا قاله الشيخ في التبيان فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أي فاذا اغتسلن على مسلك القوم، وتوضأن على مختار الشيخ رحمته، فأتوهنّ من حيث أَمَرَكُمُ اللَّهُ، قيل صورته صورة الأمر ومعناه الإباحة أي فأتوهنّ من حيث أَمَرَكُمُ اللَّهُ بتجنّبه في حال الْحَيْض وهو الفرج على قول بعض المفسرين السدي والضحاك من قبل الطهر دون الحيض وعن ابن الحنفية من قبل النكاح دون الفجور والأول أولى وأحسن إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ قيل المتطهرين بالماء وقيل من الذنوب و

الأول أظهر وأليق وأنسب بظاهر الكلام هذا تمام الكلام في تفسير ألفاظ الآية وفي الآية الشريفة مسائل لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً.

**الأولى:** إشتهر عند الأصحاب أن الحيض لغةً هو السَّيل من قولهم حاض الوادي إذا سأل بقوةً ويؤيده قول صاحب القاموس حيث قال حاضت المرأة حيضاً سال دَمها، ولا يبعد كونه شرعاً حقيقة في هذا المعنى لأصالة عدم النفل، وعرفه جماعة من أصحابنا بأنه الدَّم الذي له تعلقٌ بإنقضاء العدة ولقليله حدٌّ، وإكتفى بعضهم بذكر الأوصاف المذكورة في بعض الأخبار مثل ما روي عن الصادق عليه السلام أن دم الحيض حارٌّ عبيطٌ أسود له دفعٌ وحرارةٌ ودم الإستحاضة أصفر بارد.

**الثانية:** المشهور عندنا هو أن أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة فما نقص عن ثلاثة أو أكثر وتجاوز عن عشرة فليس بحيضٍ وأما العامة فقد نقل القُرطبي عن فقهاء المدينة أن أكثره خمسة عشر يوماً وما زاد عليها لا يكون حيضاً وأنما هو إستحاضة قال هذا مذهب مالك وأصحابه وقد روى عن مالك قولاً آخر أيضاً وهو أنه لا وقت لقليل الحيض ولا لكثيره إلا ما يوجد في النساء الشافعي أقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً، وقال أبو حنيفة وأصحابه أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة.

**الثالثة:** وجوب الاعتزال المؤكَّد مادامت المرأة حائضاً وهو ممَّا أجمعت عليه الأمة ثمَّ اختلفوا في جواز الإستمتاع فيما بين السرة والركبة بعد إتفاقهم على الجواز فيما عدا ذلك فذهب المرتضى رحمته الله منّا إلى المنع وهو قول أكثر العامة وذهب أكثر أصحابنا إلى الجواز وهو الأقوى لعموم قوله تعالى إلا على أزواجهم، خرج منه موضع الدَّم بالإجماع فبقي ما عداه، وللأصل، ولأنَّ المتبادر من الاعتزال هو اعتزال موضع الدَّم ولأنَّ المحيض أمّا ان يراد به المعنى المصدري أو زمان المحيض أو مكانه وعلى الأول يحتاج إلى الإضمار

اذ لا معنى لكون المصدر ظرفاً بلا اعتزال فلا بد من اضمار زمانه او مكانه ندم  
أول وهو خلاف الاصل وعلى الثاني يلزم وجوب اعتزال النساء مدة الحيض  
بالكلية وهو خلاف الإجماع فتعين الثالث وهو المطلوب قاله في المُنْتَهَى.

**الزابعة:** في غاية تحريم الوطئ قيل هي إنقطاع الدّم المعلوم بالاستبراء  
على النحو المذكور في الأخبار وبه قال أكثر علمائنا وبعض العامة فقال ابن  
بابويه أنه يحرم الوطئ بعد الإنقطاع وقبل الغسل إلا أن يكون الرجل شبقاً و  
تغسل فرجها فإنه يُباح له ذلك، وقال الطبرسي أن وطئها مشروط بأن تتوضأ أو  
تغتسل ومراده بالوضوء غسل الفرج هكذا قيل، وذهب أكثر العامة الى القول  
بالتحريم، والأظهر ما عليه أكثر الأصحاب لما تتضمنه الآية الشريفة من  
تخصيص الاعتزال بزمان المَحِيض أو مكانه ويُرشد الى ذلك الوصف بكونه  
أذى، ولما يقتضيه قراءة التخفيف في يطهّرن، وذلك كله قرينة على كون  
المراد من قوله، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ، بمعنى طهّرن فيكون من قبيل تطعمت الطعام  
بمعنى طعمته ويحتمل أن يكون المراد به غسل الفرج وهو المعنى اللغوي اذ  
لم تثبت الحقيقة الشرعية.

**الخامسة:** أن المراد بقوله: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ يَتَجَنَّبَهُ وهو محلّ  
الحيض أعني القبل، وقيل من قبل الطهّرن لا من قبل الحيض، وقيل من النكاح  
دون الفجور وغير ذلك من الأقوال.



نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ  
وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ  
مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

### ◀ اللّٰغَة

نِسَاؤُكُمْ: النِّسَاء والنِّسْوَان والنِّسْوة جمع المرأة من غير لفظها كالقوم في جمع المَرء.  
حَرْثٌ لَّكُمْ: الحرث إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها لِلزَّرْع و سُمِّي المحروث حرثاً.

### ◀ الإعراب

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فالنِّسَاء مبتدأ والحَرْث خبره أَنَّى شِئْتُمْ أي كيف شئتم والمفعول محذوف أي شئتم الإتيان قَدِّمُوا قيل المفعول محذوف وتقديره قَدِّمُوا نِيَّةَ الولد أو نِيَّةَ الأعفان.

### ◀ التّفْسير

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ أنما أفرد الخبر والمبتدأ جمع لأنَّ الحَرْث مصدر وصف به هو في معنى المفعول أي محروثات لكم قال في الكشف أي مواضع حرث لكم وهذا مجاز شَبَّهَ بالمحارث تشبيهاً لما يُلْقَى في أرحامهنَّ من النَّطف التي منها النِّسل بالبدور، وقوله: فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ تمثيل أي فأتوهنَّ كما تأتون أراضيكُم التي تريدون أن تحرثوها من أيَّ جهة شِئْتُمْ لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهنَّ من أيَّ شقٍّ أردتم بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث وقوله: هُوَ أَذَى فَاغْتَرِلُوا النِّسَاءَ،

وقوله: مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ وقوله: فَأَتُوا حَزَنَكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله تعالى آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم انتهى.

قال بعض المفسرين روي أن اليهود قالوا من جامع إمرأته في قبلها من دبرها كان ولدها أحول مخبلاً وزعموا أن ذلك في التوراة فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال كذبت اليهود ونزلت هذه الآية وعن ابن عباس أن عمر جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هلكت وحكى وقوع ذلك منه فنزلت الآية كانت الأنصار تنكر.

أن يأتي الرجل المرأة من دبرها في قبلها وكانوا أخذوا ذلك من اليهود كانت قريش تفعل ذلك فأنكرت الأنصار ذلك عليهم فنزلت الآية أقول شبه فرج المرأة بالأرض والبطقة بالبذر والولد بالنبات الخارج والحرث مصدر ولهذا وحد الحرث والمعنى نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد فحذف المضاف قال الرازي في تفسيره المسألة الثالثة ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد من الآية أن الرجل مخير بين أن يأتيها من قبلها وبين أن يأتيها من دبرها في قبلها فقوله: أَنْتِ شِئْتُمْ محمول على ذلك ونقل نافع عن ابن عمر أنه كان يقول المراد من الآية تجويز إتيان النساء في أديبارهن وسائر الناس كذبوا نافعاً في هذه الرواية وهذا قول مالك واختيار السيد المرتضى من الشيعة وهو رواه عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انتهى.

أنا أقول ، أما قوله تعالى: نَسَاؤُكُمْ حَزْتُ لَكُمْ فلا كلام لأحد فيه وذلك لوضوح المعنى فيه وأنه على سبيل المجاز، وأما قوله تعالى: فَأَتُوا حَزَنَكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ فالأقوال فيه كثيرة مختلفة فقال الطبرسي رحمه الله معناه من أين شئتم عن قتادة وقيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم عن الضحاك وهذا

خطأ عند أهل اللغة لأنّ، أتى، لا يكون إلا بمعنى، أين كما قال أتى لك هذا و قيل من أي وجه و ساق الكلام الى أن قال و إستدل مالك بقوله: **أَتَى شِئْتُمْ** على جواز إتيان المرأة في دبرها و رواه عن نافع عن ابن عمر و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر قال كثير من أصحابنا و خالف في ذلك جميع الفقهاء و قالوا أنّ الحرث لا يكون إلا بحيث النسل فيجب أن يكون الواطئي حيث يكون النسل، فأجيبوا عن ذلك بأنّ النساء و أن كنّ لنا حرثاً فقد أبيع لنا و اطنهنّ بلا خلاف في غير موضع الحرث كالواطئي فيما دون الفرج و شبهه انتهى ما ذكره **مَنْزُكٌ** و قال الفيض **مَنْزُكٌ** في الصافي قيل من أي جهة شئتم و العياشي و القي عن الصادق أي متى شئتم في الفرج و في رواية أخرى عنه في أي ساعة شئتم و في أخرى من قدامها و من خلفها في القبل و في التهذيب عن الرضا **عليه السلام** أنّ اليهود كانت تقول اذا أتى الرجل المراءة من خلفها خرج ولده اقول فانزل الله تعالى:

**نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** او قدام خلافاً لقول اليهود و لم يعن في ادبارهنّ و عن الصادق **عليه السلام** من الرجل يأتي المراءة دبرها قال لا بأس اذا رضيت قيل فان قول الله عزّ وجلّ: **فَاتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** قال **عليه السلام** هذا في طلب الولد من حيث أمركم الله تعالى يقول **نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** انتهى.

ثم قال **مَنْزُكٌ** أقول لا منافاة بين الروایتين لأنّ المراد بالأولى نفى دلالة هذا الآية على حلّ الأدبار و المراد بالثانية نفى دلالة قوله تعالى: **مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** على حرمتها و أمّا تلاوته **عليه السلام** هذه الآية عقيب ذلك فإستشهاد منه بها على أنّ الله سبحانه أنما أراد طلب الولد إذ سماهنّ الحرث ثم قال و يجوز أن يكون قوله تعالى: **إِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** إشارة الى الأمر بالمباشرة و طلب الولد في قوله سبحانه: **فَالْأَنْ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** <sup>(١)</sup> و في الرواية الثانية إشارة

ضياء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

إلى أن المتوقف حله على التطهر هو موضع الحرث خاصة دون سائر المواضع وفي الكافي سأل عن الصادق عن إتيان النساء في إيجازهن فقال **عَلَيْهَا** هي لعبتك لا تؤذوها وفي رواية والمرأة لعبة لا تؤذي وهي حرث كما قال الله، و في أخرى لا بأس به وما أحب أن تفعله انتهى كلام الفيض **رَضِيَ**.

**وأقول** أنما ذكرنا كلامهما بتعامة لتعلم صدق ما قلناه في صدر البحث من وجود الاختلاف في كلماتهم وهكذا تفاسير العامة فَأَنَّ المفسرين منهم اختلفوا في المراد بقوله: **فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ** وأنما أعرضنا عن نقل كلماتهم مراعاة للإختصار فَمَنْ شاء الإطلاع على أقوالهم فعليه بالتفاسير ولا سيما المطولات منها والذي حصل لنا في المقام بعد الفحص في كلماتهم حول الآية هو أَنَّ منشأ الخلاف كلمة، **أَنْتِ**، والإحتمالات فيها لا تخلو عن ثلاثة. **أحدها:** أن تكون بمعنى الحال وأن شئت قلت كيف.

**ثانيها:** أن تكون بمعنى المكان.

**ثالثها:** بمعنى الزمان وهذا هو المراد بقول القائل، **أَنْتِ** تستعمل بمعنى، أين، ومتى وكيف، فَأَنَّ الأين للمكان ومتى للزمان والكيف للحال فعلى قول من قال أنها في الآية بمعنى، أين، يصير معنى الآية **فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِ شِئْتُمْ** أين شئتم أي جامعوهن في كل مكان أردتم ولو كان في الزاحلة، وعلى قول من قال أنها في الآية بمعنى، متى، أي متى شئتم فالمعنى جامعوا حرثكم في أي زمان شئتم لئلا كان أو نهاراً خرج عنه موارد المنع وبقي الآخر داخلاً في الإطلاق، وعلى قول من قال أنها بمعنى كيف فالمعنى جامعوا حرثكم كيف شئتم وعلى أي حال أردتم ومن المعلوم أَنَّ الواطئ في الدبر داخل في هذا القسم لا في القسمين الأولين إذ الوطئ في الدبر كيفية خاصة من أقسام الوطئ ولا ربط له بالزمان والمكان وأن كان فيهما لا محالة إذا عرفت هذا فنقول:

المشهور بين أهل اللغة هو أَنَّ، **أَنْتِ**، لا تستعمل بمعنى، متى، إذ لا معنى



لقوله، أُنِّي لك هذا، بل الأمر دائر بين، أين لك هذا، أو كيف لك هذا، أي من أي مكان جاء، أو كيف جاء، قال الرَّاعِب في المفردات، أُنِّي، للبحث عن الحال والمكان ولذلك قيل هو بمعنى، أين وكيف، لتضمّنه معناهما قال الله تعالى، أُنِّي لك هذا أي من أين وكيف، انتهى.

فلو صَحَّ بحثه عن الزّمان لذكره فالقول بأنّه بمعنى، متى، ساقطٌ من أصله خارج عن البحث و عليه فمعنى الآية فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أين شتّم وكيف شتّم أي في أي مكانٍ وعلى أيّة كَيْفِيَّةٍ في القُبَل أو في الدُّبُر، بل الأقوى في الظّن هو أنّ المراد بالآية بيان جواز الكَيْفِيَّة في الجماع كيف إتفق دون إفادة المكان إذ هو معلوم لا يحتاج إلى بيانٍ فأَنَّ قوله نساؤكم حرث لكم، يدل على جواز الإستمتاع والجماع في أي مكانٍ إذ لا خصوصيّة في المكان حتّى يحتاج إلى الذّكر وذلك لأنّ المرء والمرأة من أفراد الإنسان وكلّ إنسانٍ له جسم لا محالة وكلّ جسم يحتاج إلى مكانٍ فلا بدّ لهما من حيّزٍ في جميع شؤونهما و أطوارهما من الأكل والشّرب والحركة والسّكون وبالجملة في جميع الأفعال ومنها الجماع فهو لا محالة يكون في مكانٍ من الأمكنة فلو حملنا الآية على إفادة هذا المعنى الَّذي هو من البديهيّات والمستقلّات العقليّة التي لا يشكّ فيها أحد من العوام فضلاً عن العلماء، لزم منه توضيح الواضح وهو كما ترى فالأقوى في النّظر حمل الكلام على الحال وكيف الَّذي كان خفياً على النّاس قبل الآية من حيث الحكم وهو أنّه هل يجوز لنا هذا النّوع من الوطئ الَّذي ليس موضع الحرث أم لا يجوز بعد العلم بكون الوطئ في القُبَل جائزاً لقوله تعالى نِساؤُكُمْ حَرْثُكُمْ وبعبارةٍ أخرى المجامعة في موضع الحرث ممّا لا كلام فيه لقوله تعالى: نِساؤُكُمْ حَرْثُكُمْ، وأنّما الكلام في غير موضع الحرث وهو الدُّبُر فأفادت الآية جوازه على ما قرّرناه هذا ما فهمنا من الآية و يؤيّد أنّ المشهور بين الأصحاب الجواز كما أنّ المشهور بين العامة عدم

الجواز إلا مالك، فأنه قال ما أدركتُ أحداً إقتدى به في ديني يشك في أن وطئ المرأة في دبرها حلال ثم قرأ الآية المذكورة، لنا الأصل، وعدم المانع من جهة العقل و الآية المذكورة فإن ظاهرها ذلك لأن استعمال انى لو لم نقل بأنه منحصر في المكان فلاشك أن استعماله أكثر في المكان واولى فحمل الآية عليه اولى من حملها على الأقل النادر الذي هو كالمعدوم واما الاخبار الواردة في الجواز.

فمنهما ما رواه الشيخ عن عبدالله ابن ابي يعفور قال: سئلت ابي عبدالله عليه السلام عن الرجل ياتي المرأة في دبرها قال عليه السلام: لا بأس اذا رضيت فاين قول الله فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ قال عليه السلام: هذا في طلب ولد من حيث امركم الله ان الله تعالى يقول: نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ انتهى.

وروي عن زرارة عن أبي جعفر في قول الله عَزَّ وَجَلَّ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ قال عليه السلام حيث شاء انتهى.

و عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: كتبت الى الرضا عليه السلام في مسألة فورد منه الجواب سألت عمن أتى جاريته في دبرها والمرأة لعبة لا تؤذى وهي حرث كما قال الله والدلالة ظاهرة... ويمكن الاستدلال على المدعى بقوله تعالى في قصّة لوط: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ <sup>(١)</sup> وجه الدلالة أنه تعالى علم رغبتهم، أي قوم لوط، في الدبر فيكون

الإذن مصروفاً اليه ويدل عليه ما رواه الشيخ في الصحيح عن موسى بن عبد الملك بأسناده عن رجل قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها فقال عليه السلام: أحلّتها آية من كتاب الله قول لوط هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ، وقد علم أنهم لا

يريدون الفرج وفي بعض النسخ، القبل، بدل الفرج، ومما يستدل به على المدعى عموم قوله تعالى: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ<sup>(١)</sup> والتقريب ما مر.

وأيضاً قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ يُفَرِّجُهُمْ خَافِضُونَ، إِلَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ<sup>(٢)</sup> ووجه الدلالة ظاهر ومن الأخبار أيضاً ما رواه في التهذيب وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ.

والكافي عن علي بن الحكم قال: سمعت صفوان بن يحيى يقول للرضا عليه السلام أَنَّ رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك عن مسألة هابك واستحي منك أن يسألك قال عليه السلام: ما هي قلت الرجل يأتي امرأته في دبرها قال عليه السلام: ذلك له قلت فأنت تفعل قال عليه السلام: إِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ. انتهى.

وعن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يأتي المرأة في دبرها قال عليه السلام: لَا بَأْسَ بِهِ.

والأخبار الدالة على الجواز كثيرة وفيما ذكرناه كفاية نعم فيه كراهة شديدة وهي لا تنافي الجواز ولأجل الكراهة قال الرضا عليه السلام: إِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ فَأَنَّ الْمُعْصُومَ لَا يَفْعَلُ مَكْرُوهاً أَبَداً ثُمَّ أَنَّ الأخبار نقلناها عن كتاب آيات الأحكام للجزائري رحمه الله<sup>(٣)</sup>.

وَقَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.

معناه قَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ وَالْقَرَبَاتِ أَيْ لَا تَكُونُوا فِي قَيْدِ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ بَلْ كُونُوا فِي قَيْدِ تَقْدِيمِ الطَّاعَةِ، ثُمَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَكَدَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي وَالْمَحْرَمَاتِ وَمَوَاضِعِ الشُّبْهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ

التَّسْمِيَةَ عِنْدَ الْجَمَاعِ أَوْ الدَّعَاءَ عِنْدَهُ، أَوْ طَلَبَ الْوَلَدِ ثُمَّ أَرَدَفَهُ بِقَوْلِهِ: **وَأَعْلَمُوا**  
**أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ** وَعَدٌّ وَعِيدٌ وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ التَّأْكِيدِ لِسَابِقِهِ، وَبَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ،  
 الَّذِينَ لَا يَخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ وَلَا يَرْتَكِبُونَ مَنَاهِيهِ وَمَعَاصِيهِ فَأَنَّ الْعَمَلَ شَرْطٌ فِي  
 تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ عِنْدَنَا وَقَدْ مَرَّ الْبَحْثُ فِيهِ مَرَارًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ  
تَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ (٢٢٤)

### ◀ اللغة

عُرْضَةً: العُرْضَةُ بضم العين ما يُجعل مُعَرَّضاً للشيء، وبغير عُرْضَةٍ للسفر أي يجعل مُعَرَّضاً له.

لَا يُؤْمِنُكُمْ: الأيمان بفتح الألف جمع اليمين بمعنى الحلف لأنَّ اليمين في الأصل الجارحة ولذلك قيل أنَّه في الحلف مستعارٌ من اليد إعتباراً بما يفعله المعاهد والمخالف وغيره.

تَبَرُّوا: مأخوذ من البر وهو التوسع في فعل الخير.  
وَتُصْلِحُوا: الإصلاح ضدَّ الإفساد.

### ◀ الإعراب

أَنْ تَبَرُّوا في موضع نصب مفعولٌ من أجله أي مخافة أن تَبَرُّوا وعند الكُوفيين، لئلا تَبَرُّوا وقال أبو إسحاق، هو في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف أي أن تَبَرُّوا وتَتَّقُوا خيرٌ لكم وقيل التقدير، في أن تَبَرُّوا، فلمَّا حذف حرف الجرّ، نصب وقيل هو في موضع جرٍّ بالحرف المحذوف انتهى.

### ◀ التفسير

قيل أنَّها نزلت في عبد الله في راحة حين حلف أن لا يدخل على ختنه و لا يكلمه و لا يصلح بينه وبين امرأته فكان يقول أنِّي حلفت بهذا فلا يحلّ لي أن أفعله فنزلت الآية و قال القرطبي والبيضاوي أنَّها نزلت بسبب أبي بكر إذ

حلف أن لا ينفق على مسطح حين تكلم في عائشة كما في حديث الأفك و كيف كان السبب.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَنَهَى صريح عن جعل الله عرضة للإيمان وفي معناه ثلاثة أقوال أو أكثر.

أحدها: أن العرضة علة كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر والتقوى وبه قال الحسن وطاوس وقتادة.

الثاني: أن العرضة حجة كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع، أن تبرّوا وتتقوا، بأن تكونوا قد سلف عنكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها فأفعلوا الذي هو خير وهو قوله ابن عباس ومجاهد.

الثالث: بمعنى ولا تجعلوا اليمين بالله مبتذلة في كل حق وباطل لأن تبرّوا في الحلف بها وإتقوا المآثم فيها وقال بعض المحققين، العرضة، فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي إسم ما تقرضه دون الشيء من عرض العود على الأثناء فيعترض دونه ويصيرها حاجزاً ومانعاً منه يقال فلان عرضة دون الخير، والمعرض أيضاً المعرض للامر كما قيل: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ و معنى الآية على الأول أن الرجل كان على يحلف على بعض الخيرات من الرحم وغيرها ثم يقول اخاف الله ان احسنت في يميني فيشرك البر ففعل لهم وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أي حاجز لما خلفتم عليه ومعناه على الأخرى ولا تجعلوا الله لايمانكم فتبذلوه بكثرة الحلف به ولذلك، ذم من أنزل فيه: وَلَا تَطْغِ كُلَّ خَلَفٍ مَهِينٍ<sup>(١)</sup> وَلِلَّهِ سَمِيعٌ بما تقولون عليهم بما تفعلون، أو تقصدون في ضماثركم والذي يستفاد من الآية هو النهي عن الحلف بالله إلا في موارد معينة في الشريعة المقدسة.

و هو كذلك عن أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عز وجل: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ الآية قال عليه السلام: إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل على يمين أن لا أفعل، وفي تفسير علي بن إبراهيم قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ قال عليه السلام هو قول الرجل في كل حالة لا والله، بلى والله انتهى.

و عن الكافي بسنده عن أبي أيوب الخزار قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإن الله عز وجل يقول: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ وعن تفسير العياشي بأسناده عن أبي جعفر و أبي عبد الله في قوله تعالى: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ قال هو الرجل يصلح بين الرجلين فيحمل ما بينهما من الإثم انتهى.

و عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام و محمد ابن مسلم عن أبي جعفر في قول الله: وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ قال عليه السلام يعني الرجل يحلف إلا يكلم أخاه وما أشبه ذلك أو لا يكلم أمه انتهى والأحاديث بهذه المضامين كثيرة.



لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ  
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ  
حَلِيمٌ (٢٢٥)

### ◀ اللّغْوُ

اللّغْوُ: مصدر لغى يُلغُو إذا أتى بما لا يحتاج اليه في الكلام أو بما لا خير فيه أو بما يلغي إثمه.

### ◀ الإعراب

فِي أَيْمَانِكُمْ يجوز أن تتعلّق في، بالمصدر كما تقول لغا في يمينه ويجوز أن يكون حالاً منه وتقديره باللغو كائناً في أيمانكم بِمَا كَسَبَتْ يجوز أن تكون ما، مصدرية فلا تحتاج إلى ضمير وأن تكون بمعنى، الذي، أو نكرة موصوفة فيكون العائد محذوفاً.

### ◀ التفسير

لَمَّا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ السَّابِقَةِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عُرْضَةً لِلْإِيمَانِ عَلَى مَا مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ قَالَ فِي هَذِهِ آيَةِ.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وإختلفوا في يمين اللغو في هذه الآية فقال ابن عباس والشَّعْبِيُّ هو ما يجري على عادة اللسان من لا والله و بلى و الله من غير عقدٍ على يمين يقتطع بها مال، يظلم بها أحد وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله وقال الحسن ومجاهد هي يمين الظان وهو يرى أنه حلف فلا إثم عليه ولا كفارة ونقل عن بعض آخر أنها يمين الغضب لا يؤاخذ بالحنث فيها وبه قال سعيد بن جبير إلا أنه أوجب فيها الكفارة وقال



مسروق، كلّ يمين ليس له الوفاء بها فهي لغو ولا يجب فيها الكفّارة وقيل أنّ لغو اليمين ما يجب فيه الكفّارة ونقل عن إبراهيم أنّها يمين النّاس اذا حنث و قال زيد بن أسلم هو قول الرّجل أعمى الله بصري أو أهلك الله مالي، فيدعوا على نفسه.

**أقول** أصل اللّغو هو الكلام الذي لا فائدة فيه وكلّ يمينٍ جرت مجرى ما لا فائدة فيه صارت بمنزلة ما لم يقع فهي لغو ولا شيء فيها هكذا قال الرّماني ثمّ أنّ الأيمان على ضربين: أحدهما لا كفّارة فيها، والثّاني يجب فيها الكفّارة.

فالأوّل هو اليمين على الماضي اذا كان كاذباً فيه مثل أن يحلف أنّه ما فعل وكان فعل، أو يحلف أنّه فعل وما كان فعل فهاتان لا كفّارة فيهما عندنا وكذلك اذا حلف على مالٍ ليقطعه كاذباً فلا كفّارة عليه ويلزمه الخروج ممّا حلف عليه و التّوبة وهي اليمين الغموس وفي هذه أيضاً خلاف ومنها أن يحلف على أمرٍ فعل أو ترك وكان خلاف ما حلف عليه أولى من المقام عليه فليحالف فلا كفّارة عليه عندنا وفيه خلاف عند أكثر الفقهاء وما فيه كفّارة فهو أن يحلف على أن يفعل أو يترك وكان الوفاء به أمّا واجباً أو ندباً أو كان فعله وتركه سواء فمتى حالف كان عليه الكفّارة هكذا قرّره الشّيخ رحمته الله في التّبيان ثمّ نقل عن الحسن أنّه قال، الأيمان على ثلاثة أقسام منها أن يحلف على أمرٍ وهو يرى أنّه على ما حلف فهذا هو اللّغو لا عقوبة فيه ولا كفّارة.

ومنها أن يحلف على أمرٍ وهو يعلم أنّه كاذب فهذا آثم فاجر عليه التّوبة ولا كفّارة عليه ومنها أن يحلف لا يفعل كذا فيفعل، أو يحلف ليفعلنّ ولا يفعل ففي ذلك الكفّارة وساق الكلام الى أن قال:.

قال اليمين على أربعة أوجه في قول أكثر الفقهاء، اثنتان لا كفّارة فيها و اثنتان

فيها الكفارة، فالأول قول الرجل والله ما فعلت وقد فعل وقوله والله لقد فعلت، وما فعل فهاتان لا كفارة فيهما لأنه لا حنث فيهما والثاني قول الحالف والله لا فعلت ثم يفعل وقوله والله لأفعلن ثم لا يفعل فهاتان فيهما الكفارة انتهى ما ذكره الشيخ في التبيان قال في آيات الأحكام.

روي في الفقيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، قال عليه السلام هو لا والله وبلى والله.

وعنه عليه السلام في حديث آخر هو لا والله وبلى والله ولا يعقد على شيء انتهى.

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ أَي ما قصدته قلوبكم وعزمت عليه على أنه يشترط في العقاد اليمين نيته فلا يستعمل يمين الجنون ولا السكران ولا الساهي ولا لناتم والغضبان ولا المجهور ولا المكروه ولا من سبق لسانه جرياً على عادة اللسان أو في اللجاج أو العجلة ونحو ذلك مما تجرد عن القصد.

و يدل عليه ما رواه الشيخ بأسناده عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبا الحسن عن الرجل يحلف وضميره على غير ما حلف قال عليه السلام اليمين على الضمير، وعن مسعدة بن صدقة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسأل عما لا يجوز من النية على الإضمار في اليمين فقال عليه السلام يجوز في موضع ولا يجوز في آخر فأما ما يجوز فإذا كان مظلوماً فما حلف به ونوى اليمين فعلى نيته وأما إذا كان ظالماً فاليمين على نية المظلوم.

وعن أبي الصباح قال والله لقد قال: لي جعفر بن محمد عليه السلام أن الله

عَلَّمَ نَبِيَّهِ ﷺ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَ فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا  
 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَّمَنَا اللَّهُ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا صَنَعْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَوْ حَلَفْتُمْ عَلَيْهِ  
 مِنْ يَمِينٍ فِي تَقِيَّةٍ فَأَنْتُمْ مِنْهُ فِي سَعَةِ انْتَهَى.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَمِينُ فِي غَضَبٍ  
 وَلَا فِي قَطِيعَةٍ رَحِمٍ وَلَا فِي جَبَرٍ وَلَا فِي إِكْرَاهٍ قَالَ قُلْتُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ  
 فَمَا فَرْقُ بَيْنَ الْجَبَرِ وَالْإِكْرَاهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَبَرُ مِنَ السُّلْطَانِ وَيَكُونُ  
 الْإِكْرَاهُ مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْأُمِّ وَالْأَبِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ انْتَهَى.

أَقُولُ وَبِذَلِكَ أَفْتَى الْأَصْحَابُ وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْعَامَّةِ فَحُكِمَ بِإِنْعِقَادِ  
 الْيَمِينِ بِالْقَسَمِ الصَّرِيحِ وَأَنْ لَمْ يَقْصِدْ قَالَ وَأَتَمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْقَصْدِ مَا لَيْسَ  
 بِصَرِيحٍ كَالْكِنَايَةِ بِالْحَقِّ وَالْقُدْرَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ انْتَهَى وَضَعْفُهُ ظَاهِرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ  
 حَلِيمٌ أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى غَفُورٌ لِأَيْمَانِكُمُ اللَّغْوِ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ رَفْعَ الْمُؤَاخَذَةِ مَجْرَدُ  
 إِحْسَانٍ مِنْهُ تَعَالَى وَإِمْتِنَانٍ حَيْثُ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ يَعْسُرُ التَّحَرُّزُ عَنْهُ غَالِبًا  
 فَيَحْلُمُ عَنْ مُؤَاخَذَتِكُمْ بِذَلِكَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ  
 قُلُوبَكُمْ بِالْكَفَّارَةِ أَوْ بِالتَّوْبَةِ أَوْ مُطْلَقًا بِإِحْسَانِهِ الْجَمِيلِ وَلَطْفِهِ الْجَزِيلِ وَسَيَأْتِي  
 الْكَلَامُ فِي الْحَلْفِ وَأَقْسَامِهِ وَأَحْكَامِهِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ.



لِّلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ  
فَإِنْ فَأَوْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ  
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

### ◀ اللغة

يُؤْتُونَ: الإيلاء الحلف يقال الى الرجل من امرأته، يؤلي إيلاءً وألية  
وألوة وهو الحلف فهو مأخوذ من الألية قال الشاعر:

كفينا من تغيب من نزارٍ وأحسنا ألية مُقسمينا  
وقال الآخر:

أَنِّي أَلَيْتُ عَلَى حَلْفَةٍ وَلَمْ أَقْلَهَا سِحْرَ السَّاحِرِ  
وجمع ألية، ألياء وأليات كعشية وعشايا، وعشايات.

تَرِيصٌ: مصدر باب التفعّل وفعله تَرِيصٌ قال تعالى: فَتَرِيصُوا بِهِ حَتَّى  
حِينٍ<sup>(١)</sup> والتَرِيصُ بالشئ إنتظارك به خيراً أو شراً يحلّ.

فَأَوْ: أي رجعوا ومنه قوله تعالى حَتَّى تَفِيَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، أي ترجع من  
الخطأ إلى الصواب.

وَإِنْ عَزَمُوا: العزم القصد.

### ◀ الإعراب

لِّلَّذِينَ يُؤْتُونَ اللَّامُ متعلّقة بمحذوف وهو الإستقرار وهو خبر، قدّم على  
المبتدأ وهو قوله: تَرِيصٌ وعلى قول الأخفش هو فعل وفاعل وأما مِنْ، فقبل  
هو يتعلّق بِيُؤْتُونَ، وإضافة التَرِيصِ إلى الأشهر إضافة المصدر إلى المفعول فيه

في المعنى وهو مفعول به على السعة، والألف في فاؤوا، متقلبة عن ياء، لقولك فاء يفي، فينة وإن عزموا الطلاق أي على الطلاق فلما حذف الحرف نصب، والطلاق إسمٌ للمصدر وهو التطلق.

### ◀ التفسير

المراد بالإيلاء في الآية الشريفة إعتزال النساء وترك جماعهن على وجه الإضرار بهن بسبب الحلف لا مطلقاً ولذلك قالوا بالإيلاء هو الحلف على ترك وطئ الزوجة وكان التعدية بمن لتضمن معنى الإنتفاع ثم أن اليمين التي يكون الرجل بها مولياً هي اليمين بالله عز وجل أو بشيء من صفاته التي لا يشركه فيها غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ويكون الحلف على الإمتناع من الجماع على جهة الغضب والضرار وقال سعيد بن المسيب على ما نقل عنه هو في الجماع وغيره من الضرار نحو الحلف ألا يكلمها وهو قول ضعيف والى ما ذكرناه في معنى الإيلاء أشار الله تعالى بقوله:

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ قَالَ فِي الْجَوَاهِر بعد ما بين معنى الإيلاء بحسب اللغة على ما مر ذكره ما هذا لفظه:

و شرعاً حلف الزوج الدائم على ترك وطئ زوجته المدخول بها قبلاً أو مطلقاً مقيداً بالزيادة على الأربعة أشهر أو مطلقاً للإضرار بها والأصل فيه قوله تعالى: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ ﷻ وقد كان طلاقاً في الجاهلية كالظهار فغير الشارع حكمه وجعل له أحكاماً خاصة أن جمع شرائطه والآفهو يمين يعتبر فيه ما يعتبر في اليمين وحينئذ فكل موضع لا ينعقد إيلاء مع إجتماع شرائط اليمين يكون يمينا كما ذكره غير واحد بل أرسلوه المسلمات انتهى.

بَابُ التَّرَبُّصِ فِي نِسَاءِ الْيُؤْلُونَ

جزء ٢

الجدد الثاني

**أقول** تحقيق الكلام في الإيلاء يستدعي التكلم فيه إجمالاً في عدة مسائل:  
**الأولى:** في صيغة الإيلاء، لا ينعد الإيلاء إلا بأسماء الله سبحانه مع التلّفظ بها بالجملة القسمية فلو قال المولي لأتركك وطنك لم يقع للأصل ويقع بكلّ لسانٍ لأنه ليس زائداً على اليمين الذي يقع بكلّ لسانٍ.

**الثانية:** القصد فلا يقع من السّاهي والنّائم والسّكران ونحوهما ثمّ أنّ اللفظ لا بدّ أن يكون صريحاً مثل أن يقول والله لا جامعتك ولا وطنتك ناوياً به الإيلاء فلا يقع بالكنايات مثل أن يقول قيل أنّ يقول لا جمع رأسى ورأسك بيت او مخدّة وامثال ذلك من الكنايات وان لا يكون مطلقاً على الشرط على ان ظهر الثالثه يشترط في المولى البلوغ والعقل والاختيار والقصد فلا اعتبار يقول الصبي والجنون والمجبور وغير القائل.

**الرابعة:** يشترط في الزّوجة المولي منها أن تكون منكوحه بالعقد الدائم على المشهور والأقوى فلا يقع الإيلاء بالمملوكه والمستمتع بها وأن تكون مدخولاً بها فلا يقع الإيلاء بمجرد العقد قبل الدّخول وأن يكون قصد المولي الإضرار بها فلو حلف لصالح اللّبن أو لعذرٍ في مرضٍ لم يكن له حكم الإيلاء.  
**الخامسة:** لا ينعد الإيلاء حتّى يكون التّحريم بالحلف مطلقاً أو مقيداً بالدوام أو مقروناً بمدة تزيد على الأربعة أشهر ولو لحظة فلا ينعد لأربعة أشهر فما دون ولا معلقاً بفعل ينقضي قبل هذه المدة.

**السادسة:** مدة التّربص أربعة أشهر لقوله تعالى: **تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** فالمدة حقّ للزوج وليس للزّوجة المطالبة له فيها بالفئة قال الباقر والصادق **عليهما السلام** إذا آل الرجل أن لا يقرب امرأته فليس لها قول ولا حقّ في الأربعة أشهر ولا إثم عليه في كفّه عنها في الأربعة أشهر فأن مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسخها فما سكنت ورضيت وهو في حلّ وسعة وإن رفعت أمرها قيل له إمّا أن تقبلي فتمسخها وأمّا أن تطلقى وعزم الطّلاق أن يخلي عنها فإذا حازت و

طُهِرَتْ طَلَقَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِرَجْعَتِهَا مَا لَمْ تَمُضْ ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ فَهَذَا إِيلَاءُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَ سُنَّةَ رَسُولِهِ إِنَّتَهَى فَإِذَا انْقَضَتْ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرُ لَمْ تَطْلُقْ بِانْقِضَاءِ الْمَدَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لِلْحَاكِمِ طَلَاقُهَا لِأَنَّ الطَّلَاقَ بِيَدِ مَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ فَإِذَا رَافَعْتَهُ مَخِيرَ بَيْنِ الطَّلَاقِ وَالْفَيْئَةِ فَإِنْ طَلَّقَ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ حَقِّهَا وَيَقَعُ الطَّلَاقُ رَجْعَةً عَلَى الْمَشْهُورِ عِنْدَنَا لِهَذَا هُوَ الْإِيلَاءُ عَلَى مَذْهَبِنَا.

### أَمَّا الْعَامَّةُ

قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ وَالْإِيلَاءُ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ يَقُولَ وَاللَّهِ لَا أَقْرَبُكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَصَاعِدًا عَلَى التَّقْيِيدِ بِالْأَشْهُرِ أَوْ لَا أَقْرَبُكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَا يَكُونُ فِيمَا دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا مَا يَحْكِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَحُكْمُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا فَاءَ إِلَيْهَا فِي الْمَدَّةِ بِالْوُطِيِّ إِنْ أَمَكْنَهُ أَوْ بِالْقَوْلِ إِنْ عَجَزَ صَحَّ الْفَيْئُ وَحَنْثُ الْقَادِرِ وَلَزِمَتْهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ وَلَا كَفَّارَةَ عَنِ الْعَاجِزِ وَأَنْ مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ بَانَتْ بِتَطْلِيقِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَعَدَ الشَّافِعِيُّ لَا يَصَحُّ الْإِيلَاءُ إِلَّا فِي أَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ يُوقِفُ الْمُؤَلِّيَ فَأَمَّا أَنْ يَفِيَّ وَأَمَّا أَنْ يَطْلُقَ وَإِنْ أَبَى طَلَّقَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ ثُمَّ قَالَ: فَإِنْ فَأَءُو أَيُّ فَاؤُوا فِي الْأَشْهُرِ بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنْ فَاؤُوا فَيَهِنَ إِنَّتَهَى مَا ذَكَرَهُ وَبِهِ قَالَ غَيْرُهُ مِنْ مَفْسَرِي الْعَامَّةِ وَعَلَى مَا ذَكَرُوهُ فِي الْإِيلَاءِ وَحُكْمِهِ فَمَوَارِدُ الْإِخْتِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَعَةٌ.

**أَحَدُهَا:** أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِوُقُوعِ الْإِيلَاءِ فِي حَلْفِ الرَّجُلِ عَلَى تَرْكِ مَجَامِعَتِهَا فِي الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَصَاعِدًا، وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ بَلْ نَقُولُ لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ الْحَلْفُ أَزِيدَ عَلَى الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَلَوْ بِلَحْظَةٍ وَأَمَّا فِيهَا فَلَا.

**ثَانِيهَا:** أَنَّ مَضْتَ الْأَرْبَعَةِ فَقَدْ بَانَتِ الْمَرْأَةُ بِتَطْلِيقِهِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ لِأَنَّ الطَّلَاقَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّلْفِظِ بِهِ.

**ثَالِثُهَا:** قَوْلُهُ، فَإِنْ فَأَءُو أَيُّ فِي الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ، وَنَحْنُ نَقُولُ بَعْدَهَا وَقِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ فَإِنْ فَاؤُوا فَيَهِنَ تَرْجِعَ إِلَى قَارِئِهَا وَلَيْسَتْ مِمَّا يَعْتَمَدُ عَلَيْهِ خُصُوصًا إِذَا

كانت مخالفة سائر القراءات ولنرجع الى تفسير الألفاظ فقوله تعالى: **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَخَلَفُوا عَلَىٰ تَرَكَ مَجَامِعَتِهِمْ مَطْلَقًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَيْ التَّوَقُّدِ وَالتَّثَبُّتِ فِيهَا فَإِنْ قَاءُوا أَيْ رَجَعُوا عَنْ إِيْلَاتِهِمْ بَعْدَ الْمَدَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** أَيْ أَنَّهُ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَرْحَمُهُمْ.

**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** وَقَدْ مَرَّ أَنَّ عَزِيمَةَ الطَّلَاقِ عِنْدَنَا أَنْ يَعْزِمَ ثُمَّ يَتَفَلَّظَ بِهِ فَمَتَى لَمْ يَتَفَلَّظْ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَبِينُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: **فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى يَسْمَعُ قَوْلَهُ وَيَعْلَمُ ضَمِيرُهُ وَ قِيلَ يَسْمَعُ إِيْلَاءَهُ وَيَعْلَمُ نِيَّتَهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.





وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا  
يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ  
إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ  
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ  
الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)

### ◀ اللغة

الْمُطَلَّقَاتُ: جمع المطلقة قال الرَّاغِب أصل الطَّلَاق التَّخْلِيَةُ مِنَ الْوِثَاقِ  
يقال أطلقت البعير من عقاله وطلّفته وهو طالق بلا قيد ومنه استعير طلّقت  
المرأة نحو خلتها فهي طالق أي مَخْلَاةٌ عن حَبَالَةِ النِّكَاحِ.  
قُرُوءٍ: جمع قرء والقُرء عند أهل الحجاز الطَّهْرُ وعند أهل العراق الحيض و  
كُلُّ أَصَابٍ لِأَنَّ أَصْلَ الْقُرء خُرُوجٌ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَخَرَجَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْضِ  
إِلَى الطَّهْرِ وَمِنَ الطَّهْرِ إِلَى الْحَيْضِ وَقِيلَ أَتَى الْقُرءُ، الْوَقْتُ يُقَالُ رَجَعَ فُلَانٌ لِقُرْئِهِ  
أَي لَوَقْتِهِ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ فَالْحَيْضُ ثَانٍ لَوَقْتِ الطَّهْرِ وَالطَّهْرُ فَانٍ لَوَقْتِ  
الْحَيْضِ.  
يَكْتُمْنَ: يقال يكتمن أي تَسْتَرُّنَ وَالباقِي وَاضِحٌ.

في القرآن في تفسير القرآن

### ◀ الإعراب

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ انتصاب ثلاثة هنا على الظرف مَا خَلَقَ اللَّهُ يجوز أن تكون ما  
بمعنى الذّي و أن تكون نكرة موصوفة والعائد محذوف أي خلقه الله في  
أَرْحَامِهِنَّ سيتعلّق، بخلق، ويجوز أن يكون حالاً من المحذوف وهي حال  
مقدرة في ذَلِكَ قِيلَ ذَلِكَ كناية عن العِدَّة فعلی هذا سيتعلّق، بأحقّ، أي

جزء ٢

المجلد الثاني

يَسْتَحَقُّ رَجْعَتَهَا مَا دَامَتْ فِي الْعِدَّةِ الْمَعْرُوفِ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ الْبَاءُ بِالِاسْتِقْرَارِ فِي قَوْلِهِ: وَلَهُنَّ أَيُّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَيَجُوزُ وَأَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الرِّفْعِ صِفَتُهُ لِمَثَلٍ لَأَنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ بِالْإِضَافَةِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ دَرَجَةٌ مَبْتَدَأٌ وَ لِلرِّجَالِ خَبَرٌ وَعَلَيْهِنَّ مُتَعَلِّقٌ بِالِاسْتِقْرَارِ.

## ◀ التفسير

بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ الْمَطْلَقَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

وَالْمُطْلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أَيُّ أَنَّ الْمَطْلَقَاتِ بَعْدَ الطَّلَاقِ يَنْتَظِرْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ أَطْهَارٍ فَلَا يَجُوزُ لَهُنَّ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ قِيلَ لَفْظُهُ خَبَرٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ ثُمَّ قَالَ وَالْمَرَادُ بِالْقُرْءِ الْأَطْهَارِ عِنْدَنَا وَبِهِ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَ عَائِشَةُ وَابْنُ عُمَرَ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ الْقُرْءَ الطَّهْرُ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ الْقُرْءَ الْحَيْضُ وَالْمَرَادُ بِثَلَاثَةِ قُرُوءٍ ثَلَاثَةَ حَيْضٍ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ وَ أَسْتَشْهَدُوا بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمُسْتَحَاضَةِ دَعِيَ الصَّلَاةُ أَيَّامَ أَقْرَانِكَ وَالصَّلَاةُ إِنَّمَا تَتْرَكَ فِي أَيَّامِ الْحَيْضِ وَ أَسْتَشْهَدُ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْقُرْءَ الطَّهْرُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أَيُّ فِي طَهْرٍ لَمْ تُجَامِعْ فِيهِ وَسَاقَ الْكَلَامُ إِلَى مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ظَاهِرًا وَ ذَلِكَ لِأَنَّ أَهْلَ اللَّغَةِ ذَكَرُوهُ أَنَّ الْقُرْءَ عِنْدَ أَهْلِ الْجِجَارِ الطَّهْرُ وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْحَيْضُ وَالْأَصْلُ فِيهِ خُرُوجٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ فَخَرَجَتْ الْمَرْأَةُ مِنَ الْحَيْضِ إِلَى الطَّهْرِ وَمِنْ الطَّهْرِ إِلَى الْحَيْضِ وَأَنَّ قُلْنَا أَنَّ الْقُرْءَ فِي الْأَصْلِ الْوَقْتُ كَمَا يَقَالُ رَجَعَ فُلَانٌ يُقَرِّئُهُ أَيُّ لَوَقْتِهِ الَّذِي كَانَ يَرْجِعُ فِيهِ فَالْحَيْضُ وَقْتُ ثَانٍ لِلطَّهْرِ تَأْنٍ لَوَقْتُ الْحَيْضِ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّغَةِ الْإِضَافَةُ فِيهِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ لِأَنَّهُ لَا يَقَالُ ثَلَاثَةُ فَلْبُوسِ بَلْ يَقَالُ ثَلَاثَةُ أَفْلَسٍ وَ أَجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ عَلَى التَّأْوِيلِ وَ

التقدير، ثلاثة من قروءٍ لأنَّ العدد يضاف إلى مُميّزه وهو من ثلاثة إلى عشرة قليل فلا يميّز القليل بالكثير وأحتمل البعض أن يكون قد وضع أحد الجمعين موضع الآخر إتساعاً لفهم المعنى و ذهب آخرون إلى أنَّ تميّز الثلاثة إلى العشرة يجوز أن يكون جمع كثرة من غير تأويل فيقال خمسة كلاب وستة عبيد ولا يجب عند هذا القائل أن يقال خمسة أكلب ولا ستة أعبد، قال الزاغب في المفردات، القراء في الحقيقة إسمٌ للدخول في الحيض عن طهرٍ ولما كان إسماً جامعاً للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كلّ واحدٍ منهما لأنَّ كلّ إسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كلّ واحدٍ منهما إذا انفرد كالمائدة للخوان والطعام ثمَّ قد يُسمّى كلّ واحدٍ منهما بانفراده به وليس القراء إسماً للطهر مجرداً ولا للحيض مجرداً بدلالة أنَّ الطاهر التي لم تر أثر الدّم لا يقال لها ذات قُراء وكذلك الحائض التي استمر بها الدّم، والنفساء لا يقال لها ذلك وقوله تعالى: يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ أي ثلاثة دخول من الطهر في الحيض وقوله <sup>عَلَيْهَا</sup> أقعدي عن الصلاة أيام أقرائك، أي أيام حيضك وقول أهل اللغة أنَّ القُراء من قرأ أي جمع، فأنهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض جسماً ذكرت لإجتماع الدّم في الرّحم إنتهى ما ذكره.

وإنما نقلناه بطوله لما فيه من كثير الفائدة وقمع مادّة الاختلاف في تفسير القُروء ومن المعلوم أنَّ كلامه حجّة في المقام وغيره ومنه يظهر أنَّ الخلاف إنّما نشأ من استعمال اللفظ في المعنيين فظنَّ كلّ فريقٍ وضع اللفظ للمستعمل فيه ولم يعلم أنّه موضوع للقدر الجامع بينهما هذا تمام الكلام في معنى القُروء في الآية إذا عرفت هذا فنقول هذا الحكم أعني به التّربص بأنفسهنّ ثلاثة قُروء، ثابت لذات الأقرء وهي المستقيمة الحيض وهي التي يأتيها حيضها في كلّ شهرٍ مرّة على عادة النساء وفي معناها معتادة الحيض فيما دون الثلاثة أشهر وربما قيل أنّها التي تكون لها فيه عادة مضبوطة وقتاً

سواءً إنضبط العدد أو لا فهي التي تعتد بثلاثة قُرُوء وأما إذا كانت المطلقة من ذات الشهور وهي التي لا تحيض خُلقةً أو لعارضٍ وهي في سَنٍّ من تحيض فهي تعتد من الطلاق بثلاثة أشهر لقوله تعالى: **وَالتِّي يَتُسَّنُّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ<sup>(١)</sup>**.

وأما اليائسة التي بلغت سَنَّ اليأس من خمسين أو ستين، والأول لغير القرشية والثاني لها وهكذا التي لم تبلغ التسع الذي هو أول سَنٍّ امكان الحيض فقليل أنهما تعتدان بثلاثة أشهر وقيل لا عدة عليهما وتفصيل الكلام في الفقه وأما كيفية الطلاق وشرائطه فسيأتي الكلام فيها في المستقبل.

**وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ** قيل المراد به الحيض أي لا يكتمن حيضهن وذلك لأن الطلاق في الحيض باطل والعلم بوجوده لا يحصل إلا من قبلها، وقيل أن المراد به الحمل أي لا يكتمن حملهن، والقول الثالث الحيض والحمل معاً بناءً على أن الحامل تحيض وكيف كان فالمقصود من الآية أنه لما دار أمر العدة على الحيض والإطهار ولا إطلاع عليهما إلا من جهة النساء جعل القول قولها إذا ادعت إنقضاء العدة أو عدمها، قيل أن معنى النهي عن الكتمان النهي عن الإضرار بالزوج وإذهاب حقه ولذلك قال تعالى:

**إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** وذلك لأن سبيل المؤمنين والمؤمنات عدم كتمان الحق **وَيَعُولُتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا**.

البعولة جمع البعل وهو الزوج سمي بعلًا لعلوه على الزوجة بما قد ملكه من زوجيتها ومن قوله تعالى: **اتَّعَدُونَ بَعْلًا** أي رباً يعلوه في الربوبية والهافى بقوله زائدة مؤكدة لتأنيث الجماعة سماعاً لا قياساً فلا يقال لعب ولعوبة وقيل هي التأنيث دخلت على فعول والبعولة أيضاً مصدر البعل وقيل البعل

الجماع ومنه قوله **عَلَيْهَا** لا يام التشريع أنها إيام اكل وشرب وبعال فالرجل بعلم المرأة، والمرأة بعلمته وأما أنه أي البعل أحق برذهن وبعبارة أخرى أن أزواجهن أولى وأحق بمراجعتهم أي رذهن إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدر لهن في مدة العدة فالوجه فيه أنه لا خلاف لأنه لا خلاف بين المسلمين في أنه ما دامت تلك العدة باقية كان للزوج حق الرجوع إليها ويفوت بإتقاضها ولا يشترط في ذلك أي في مراجعة الزوج رضا المرأة ولا يحتاج إلى عقد جديد وإشهاد بعد الرجوع لأن الزوج ينفرد بالمراجعة وهذا الحكم أعني به كونه أحق بردها إلى الحالة الأولى وهي الزوجية يختص بالرجعيات أي إذا كان الطلاق رجعيًا، وأما إذا كان بائنًا فلا وحيث بلغ الكلام إلى الطلاق فلا بأس بالإشارة إلى ما لا بد منه من بيان ماهية الطلاق والمقصود منه شرعاً وبيان شرائطه وأحكامه وما يتعلق بالباب إجمالاً ليكون الناظر على بصيرة في جميع الآيات الواردة في الطلاق فنقول الطلاق قيل أنه لغة حل عقد و يطلق على الإرسال والترك يقال ناقة طالق أي مرسلة ترعى حيث تشاء وطلقت القوم إذا تركتهم وشرعاً إزالة قيد النكاح بصيغة طالق وشبهها وقد ثبت أنه ليس في العقود والإيقاعات حقيقية شرعية ضرورة وجودها في هذه المعاني قبل زمن النبي ولكن أعتبر في الصحيح منه أمور وبهذا المعنى جعله الأصحاب معنى شرعياً مقابلاً للمعنى اللغوي وكيف كان فالمقاصد ثلاثة.

**المقصد الأول:** في المطلق، الثاني في المطلق، الثالث في شرائط الطلاق.

**أما الأول:** فنقول يعتبر في المطلق شروط أربعة، الأول، البلوغ فلا اعتبار بعبارة الصبي وأن بلغ عشرًا على الأقوى المشهور بين الفقهاء.

**الشرط الثاني:** العقل، فلا يصح طلاق المجنون ولا السكران ولا من زال عقله بإغماء أو شرب فرقد أو نوم ونحو ذلك لعدم القصد الذي يترتب عليه الحكم.

**الشرط الثالث:** الإختيار فلا يصح طلاق المكره.

**الزابع:** العقد فلا يتحقق طلاق الساهي و النائم والغالط.

**المقصد الثاني:** في المطلقة وشروطها خمسة.

**الأول:** أن تكون زوجة فلو طلق الموطونة بالملك لم يكن له حكم قطعاً وكذا لو طلق الأجنبية وأن تزوجها بعد ذلك ولو علق الطلاق بالتزويج لم يصح سواء عين الزوجة أم لا بأن قال إن تزوجت فلانة فهي طالق أو قال كل من أتزوجها فهي طالق.

**الثاني:** أن يكون العقد دائماً فلا يقع الطلاق بالأمة المحللة ولا المتمتع بها ولو كانت حرة.

**الثالث:** أن تكون المرأة طاهراً من الحيض والنفاس ويعتبر هذا الشرط في المدخول بها الحائل دون غير المدخول بها ودون الحامل فإنه يصح طلاقهما حائضين بناءً على مجامعة الحيض للحمل وذلك لأن غير المدخول بها لا عدة لها كما أن الحامل عدتها وضع الحمل على كل حالٍ وهكذا يعتبر هذا الشرط في الحاضر زوجها و أما الغائب عنها في طهر موافقتها مدة يعلم بمقتضى عاداتها إنتقالها من القرء الذي وطئها فيه الى وقت آخر، فلا.

**الزابع:** أن تكون المرأة مستبرة من المواقعة التي واقعها أيّاه بما جعله الشارع طريقاً الى ذلك من الحيضة أو المدة في الغائب والمستربة فلو طلقها في طهر واقعها فيه لم يقع الطلاق نعم يسقط إعتبار ذلك في اليائسة التي لا عدة لها وفيمن لم تبلغ سنّ الحيض الذي هو التسع وكذا يسقط في الحامل بشرط أن يمضي عليها ثلاثة أشهر لم تردماً معتزلاً لها.

**الخامس:** التعيين وهو أن يقول زوجتي فلانة أو يشير إليها بما يرفع الإحتمال مع فرض التعدّد وأما إذا كان له زوجة واحدة فقال زوجتي طالق صحّ لعدم الإحتمال ولا بدّ له من اجراء الطلاق بالصيغة المخصوصة المتلقة

من الشَّرْع مثل أن يقول أنتِ طالق أو فلاة أو هذه ونحو ذلك فلو قال أنتِ الطَّلَاق أو قال أنتِ من المطلقات لم يقع وأن كان نوايياً بها الطَّلَاق وأيضاً يجب على المطلق الإشهاد بمعنى وجوب حضور عدلين فيه فلو طلق إمرأته بغير الأشهاد لم يقع إجماعاً وكتاباً وسنةً.

قال الصادق عليه السلام: في خبر أبي الصباح من طلق بغير شهود فليس بشئٍ وقال الباقر عليه السلام: الطَّلَاق لا يكون بغير شهودٍ

والأخبار كثيرة ولم يخالف في هذا الحكم أحد من فقهاءنا فلا يقع الطَّلَاق بشاهدٍ واحدٍ فضلاً عن عدمهما وأن كملت شروطه الآخر وأن يكونا عادلين وفي الاقتصار على إعتبار الإسلام فقط فيهما خلاف والأظهر عدم الإكتفاء به المقصد الثالث، في أقسام الطَّلَاق وهو ينقسم بحسب اللفظ على البدعة والسنة فيقال طلاق سُنيّ وطلاق بدعيّ نسبته اليهما بمعنى البدعة المحرمة والسنة المشروعة فطلاق البدعة اصطلاحاً ثلاث.

**أحدها:** طلاق الحائض لحائل بعد الدخول مع حضور الزوج معها ومع غيبته دون المدّة المشترطة وكذا النفساء.

**ثانيها:** أن يكون الطَّلَاق في طهر قُرْبهما فيه مع عدم اليأس والصغر والحمل ومضي المدّة مع حضور الزوج أو مطلقاً.

**ثالثها:** طلاق الثلاث من غير رجعة بينهما مرسلّة او مترتّبة والكلّ محرّم بعنوان الشرعيه باطل عندنا إلاّ الاخير فإنّه لاخلاف في وقوع الواحدة به اذ كان رسلاً وفيه خلاف واما القسمان الاولان فلا خلاف في بطلانهما عند جميع الفقهاء هذا في البدعيّ، واما السنة فهي تنقسم أقساماً ثلاثة، بائنٌ، ورجعيٌّ، وعديٌّ، هكذا قالوا والحقّ أنّ العديّ قسمٌ من الرجعي لا قسيماً له فالحقّ أن يقال أنّ طلاق السنة ينقسم الى بائنٍ، ورجعيٍّ، ثمّ الرجعي الى عديٍّ وغيره، فالبائن ما لا يصحّ للزوج بعده الرجعية بها وهو ستّة بلا خلاف.

**أحدها:** طلاق التّي لم يدخل بها.

**ثانيها:** طلاق اليائسة وهي من بلغت خمسين أو ستين سنة.

**ثالثها:** من لم تبلغ سنّ إمكان الحيض أي التسع.

**رابعها وخامسها:** طلاق المختلعة والمباراة ما لم ترجعا في البذل.

**السادس:** المطلقة ثلاثاً بينها رجعتان وحرمتها عليه حتّى تنكح زوجاً غيره.

وَأَمَّا الرَّجْعِيُّ فَهُوَ الَّذِي لِلْمَطْلُوقِ مَرَاغَعَتُهَا فِيهِ سِوَاءِ رَاجِعٍ أَمْ لَمْ يَرَاغِعْ.  
وَأَمَّا الْعَدِّيُّ فَهُوَ أَنْ يَطْلُقَ عَلَى الشَّرَاطِ ثُمَّ يَرَاغِعُهَا قَبْلَ خُرُوجِهَا مِنْ عَدَّتِهَا  
وَيُوقِعُهَا ثُمَّ يَطْلُقُهَا فِي طَهْرٍ أُخْرٍ غَيْرِ طَهْرِ الْمَوَاقِعَةِ ثُمَّ يَرَاغِعُهَا وَيُوقِعُهَا ثُمَّ  
يَطْلُقُهَا فِي طَهْرٍ أُخْرٍ فَأَتَتْهَا تَحْرِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَنْكَحَ زَوْجاً غَيْرَهُ وَلَا يَقَعُ هَذَا  
الطَّلَاقُ مَا لَمْ يَطَّأَهَا بَعْدَ الْمَرَاغَعَةِ هَذَا إجمال الكلام في المطلق والمطلقة و  
الطلاق وتفصيلها في الفقه إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ العدة لا تكون في  
اليائسة والتّي لم يدخل بها والتّي لم تبلغ سنّ من حيض وهو التسع و  
المختلة والمباراة فقوله تعالى: **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ** لا يشملها لعدم العدة  
فيها قوله:

**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** معناه أنّ للنساء على أزواجهنّ مثل  
الذي لأزواجهنّ عليهنّ من الحقّ بالمعروف أي كما أنّ للزوج حقّاً على  
الزوجة مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له وأن لا تدخل فراشه غيره تحفظ  
مائه فلا تحتال في إسقاطه وأن تكون مأمونة على ماله في غيابه وحضوره  
فكذلك لها عليه أيضاً حقوق يجب عليه مراعاتها في حقّها قال رسول  
الله ﷺ **إَتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَاتَّكُمُ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ** وإستحللتكم  
فزوجهنّ بكلمة الله الحديث.



وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ قِيلَ معناه فضيلة، منها الطّاعة ومنها أن يملك  
التّخلى ومنها زيادة الميراث على قسم المرأة والجهاد وقيل غير ذلك والله  
عَزَبُ حَكِيمٌ لّأنّه قادر على ما يشاء حكيمٌ في أفعاله.

في تفسير العيّاشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى:

وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ إِلَى قوله فِي أَرْحَامِهِنَّ يعني لا  
يحلّ لها أن تكتم الحمل اذا طلقت وهى حبلى والزّوج لا يعلم بالحمل فلا  
يحلّ لها أن تكتم حملها وهو أحقّ بها في ذلك الحمل ما لم تضع انتهى.

وفي من لا يحضره الفقيه سأل إسحاق بن عمّار أبا عبد الله عليه السلام عن حقّ  
المرأة على زوجها قال يشبع بطنها ويكسو جثتها وأن جهلت غفر لها انتهى.

وروي الحسن بن محبوب عن مالك بن عطية عن محمّد بن مسلم  
عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت  
يا رسول الله ما حقّ الزّوج على المرأة فقال لها تطيعه ولا تعصيه و  
لا تتصدّق من بيتها إلّا بأذنه ولا تصوم تطوعاً إلّا بأذنه ولا تمنعه  
نفسها وأن كانت على ظهر قتب (الرّحل) ولا تخرج من بيتها إلّا  
بأذنه فأن خرجت بغير أذنه لعنتها ملائكة السّماء وملائكة الأرض  
وملائكة الغضب وملائكة الرّحمة حتّى ترجع الى بيتها فقالت  
يا رسول الله من أعظم النّاس حقّاً على الرّجل قال عليه السلام والداه قالت  
فمن أعظم النّاس حقّاً على المرأة قال زوجها قالت فمالي من الحقّ  
عليه بمثل ماله عليّ قال صلى الله عليه وآله لا ولا من كلّ مائة واحدة فقالت  
والذي بعثك بالحقّ نبياً لا يملك رقبتي رجل أبداً أنتهى.

أقول وفي هذا الحديث كفاية لما نحن بصدده من حقوق الطّرفين والله  
أعلم بحقيقة الأمر.

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحُ  
 بِاِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوا مِمَّا  
 اَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَا اِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ  
 اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ  
 عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهٖ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلَا  
 تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ  
 الظَّالِمُوْنَ (٢٢٩)

### ◀ اللغة

فَاِمْسَاكُ، اَمَسَكَ اِمْسَاكًا: قال الرَّاغب اِمْسَاكُ الشَّيْءِ التَّعْلُقُ بِهِ وَحِفْظُهُ.  
 تَسْرِيحُ: مصدر باب التَّفْعِيل يقال سَرَّحَ تَسْرِيحًا، قال الرَّاغب السَّرْحُ شَجَرٌ  
 لَهُ ثَمَرٌ وَسَرَحْتُ الْإِبِلَ أَصْلُهُ أَنْ تَرْعِيَهُ السَّرْحُ ثُمَّ جَعَلَ لِكُلِّ إِرْسَالٍ فِي الرَّعْيِ،  
 وَالسَّارِحِ الرَّاعِي وَالتَّسْرِيحِ فِي الطَّلَاقِ مُسْتَعَارٌ مِنْ تَسْرِيحِ الْإِبِلِ كَالطَّلَاقِ فِي  
 كَوْنِهِ مُسْتَعَارًا مِنْ إِطْلَاقِ الْإِبِلِ انْتَهَى.

### ◀ الإعراب

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ مبتدأ وخبر وتقديره عدد الطَّلَاقِ الَّذِي يَجُوزُ مَعَهُ الرَّجْعَةُ  
 مَرَّتَانِ فَاِمْسَاكُ أي فعليكم اِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ صِفَةُ لِإِمْسَاكِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي  
 مَوْضِعِ نَصَبٍ بِهِ أَنْ تَاْخُذُوا مَفْعُولُهُ شَيْئًا وَمِمَّا وَصَفَ لَهُ قَدَمٌ عَلَيْهِ فَصَارَ حَالًا،  
 وَ«مَنْ» لِلتَّبْعِيضِ، وَمَا، بِمَعْنَى، الَّذِي، وَآتَيْتُمْ، تَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَقَدْ  
 حُذِفَ أَحَدُهُمَا وَهُوَ الْعَائِدُ عَلَى، مَا، تَقْدِيرُهُ، آتَيْتُمُوهُنَّ، إِيَّاهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَنْ  
 وَالْفِعْلُ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى الْحَالِ وَالتَّقْدِيرِ، إِلَّا خَائِفَيْنِ، وَفِيهِ حُذْفُ  
 مُضَافٍ تَقْدِيرُهُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَاْخُذُوا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَوْ فِي كُلِّ حَالٍ إِلَّا فِي

حال الخوف الَّا يُقِيمَا فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ بِيَخَافَا تَقْدِيرَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَا تَرَكَ حُدُودَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا خَيْرٌ، لَا فِيمَا مَتَعَلَّقٌ بِالِاسْتِقْرَارِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ، عَلَيْهِمَا، فِي فِى مَوْضِعِ النَّصَبِ بِجَنَاحٍ وَفِيمَا افْتَدَتْ الْخَبْرُ جَنَاحَ اسْمٍ لَا إِذَا عَمِلَ يَنْوِنُ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ مُبْتَدَأً وَتَعَدُّوْهَا بِهِ مَعْنَى تَتَعَدُّ وَهَآخِرُ حُدُودَ اللَّهِ مَفْعُولٌ يَتَعَدُّوْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ مُبْتَدَأٌ وَخَبْرٌ.

### ◀ التفسير

نقلوا في تفسير الآية قولين.

**أحدهما:** ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما أنَّ معناها البيان عن تفصيل الطَّلَاق في السَّنة وهو أنَّه إذا أراد طلاقها فیتبغی أن یطلقها فی طهر لم یقربها فیہ بجماع تطلیقة واحدة ثم یترکها حتّی تخرج من العدة أو تحيض و تطهر ثم یطلقها ثانية.

**ثانيهما:** ما قاله عروة وقَتادة أنَّ معناه البيان عن عدد الطَّلَاق الذي یوجب البینونة ممّا لا یوجبها وفي الآية بیان أَنَّهُ لیس بعد التّطلیقتین إلّا الفرقة البائنة.

**وقول ثالث:** عن الرّجّاج وهو أنَّ فی الآية حذف لأنّ التقدير الطَّلَاق الَّذی یملك فیہ الرّجعة مرّتان بدلالة قوله: **فَامْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ** والمرّتان معناه، دَفَعْتَانِ وَكَيْفَ كَانَ الْمَعْنَى فَقُولُهُ:

**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَامْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ** ومعناه أَنَّهُمْ مَخِيرُونَ بَيْنَ أَنْ يُمَسْكُوا النِّسَاءَ بِحَسَنِ الْعِشْرَةِ وَالْقِيَامِ بِمَوَاجِبِهِنَّ وَبَيْنَ أَنْ يَسْرِحُوهُنَّ السَّرَّ الْجَمِيلِ الَّذِي عَلِمَهُمْ وَالْمَرَادُ بِالتَّسْرِيحِ فِي الْمَقَامِ الطَّلَاقِ كَمَا أَنَّ الْمَرَادَ بِالِامْسَاكِ عَدَمَ الطَّلَاقِ وَیُمْكِنُ أَنْ یَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ الطَّلَاقَ الرَّجْعِيَّ مَرَّتَانٍ لِأَنَّهُ لَا رَجْعَةَ بَعْدَ الثَّلَاثِ، فَامْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ، أَيِ بَرَجْعَةٍ أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ أَيِ بَأَنْ لَا یَرَاغِبُهَا حَتّی تَبیینَ الْعِدَّةَ أَوْ بِأَنْ لَا یَرَاغِبُهَا

مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث، وروي أنّ سائلاً سأل رسول الله ﷺ أين الثالثة فقال ﷺ أو تسريح بإحسان، وعند أبي حنيفة وأصحابه الجمع بين التلطيقين والثلاث بدعة والسنة أن لا يُوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث.

روي أنّ جميلة بنت عبد الله ابن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأنت رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضاً أني رفعت جانب الخباء فرأيتُه أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامَةً وأقبحهم وجهاً فنزلت الآية وكان قد أصدقها حديقة فاختلفت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام، ذكره الزمخشري في الكشف.

أقول الحق أنّ الآية تُبين أمرين:

أحدهما: أنّ الطلاق الذي فيه الرجوع للزوج وهو الطلاق الرجعي مرتان واليه الإشارة قوله تعالى الطلاق مرتان إلى قوله بإحسان وذلك لأن الرجل كان في عهد الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن ينقضي عدتها كان له ذلك طلقها ألف مرة إذ لم يكن للطلاق عندهم حد فنزلت الآية وقال الطلاق مرتان فجعل حد الطلاق ثلاثاً والطلاق الثالث.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَّكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ.

ثانيهما: طلاق الخلع واليه أشار تعالى بقوله: إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ونحن نتكلم في الآية فنقول، أمّا قوله الطلاق مرتان إلى قوله

بإحسانٍ فقد مرَّ الكلام فيه وقوله: وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ففيه دلالة على عدم جواز أخذ شيء مما آتوا نساءهم من مهرٍ وغيره حال الطلاق ثم إستثنى الله تعالى من ذلك حلية الأخذ لهم من نساءهم في حالة و هي ما اذا عرضت بعض الأسباب كقدم المحبة والبغض فحصل الطن بعدم إقامة حدود الله المقررة في أمر الزوجية فعند ذلك يحل لها أن تفدى نفسها وتخلصها من حكمه ويحل للزوج أخذ الفدية فقال:

إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا. أي على المرء والمرأة فيما إفتدت المرأة به، أي بما إفتدت، ويُسمى هذا الطلاق بالخلع أن كان المأخوذ منها تمام المهر أو أزيد، و بالمباراة أن كان المأخوذ دون المهر بيان ذلك هو أن الخلع بضم الخاء وفتحها في الأصل بمعنى التزع لغَةً و شرعاً إزالة قيد النكاح بفدية من الزوجة وكراهية منها له خاصة دون العكس وقيل في وجه التسمية أن كلاً منهما بمنزلة اللباس للأخر لقوله تعالى: هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ <sup>(١)</sup> فَخَلَعَهُ إِيَّاهَا نَزَعٌ منه لها و المخالفة بينهما تكون بذلك منه وبفدائها نفسها وكراهتها له، وأما المباراة فهي في الأصل، المفارقة يقال براء الرجل شريكه اذا فارقه و شرعاً إزالة قيد النكاح بفدية منها مع كراهية من الجانبين قاله في الجواهر وعليه فالفرق بينهما هو أن الكراهية في الخلع من جانب المرأة فقط وفي المباراة من الجانبين ولا يشترط فيها كون الفدية أقل من المهر وقد حملوا قول من قال بإشتراط كون الفدية أقل من المهر على الإحتياط وعلى أي تقدير فالمشهور عند الفقهاء أن الخلع لا يحتاج الى الطلاق بعده بل هو يكفي في حصول الإفتراق وقال الشيخ <sup>(٢)</sup> لا يكفي حتى يتبع بالطلاق.

بَابُ  
النِّقَاحِ  
فِي  
نَفْسِ  
النِّقَاحِ

جزء ٢

المجلد الثاني

وأما في المبراة فلا خلاف عندهم أنَّ المقتضي للفرقة هو التَلَفُظ بالطلاق بعدها و تفصيل الكلام فيهما وبيان أحكامهما و شرائطهما في الفقه وينبغي التفسير على أمور:

**أحدها:** أنَّ قوله تعالى **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ظَاهِر فِي الْإِبَاحَةِ لِلزَّوْجَةِ خَاصَّةً**.  
**ثانيها:** أنَّ ظاهر الآية عدم اثم المرنّة في اعطاء ما تخلص به نفسها.  
**ثالثها:** أنَّ مقتضى ظاهر الآية أنَّ جواز الاخذ انما يكون مع خوف عدم اقامة محدود من الجانبين اى خصوص الكلامه من كل واحد منها.  
**رابعها:** ان قلنا تضمن الآية المختلفة فليس ما يدل فيها على الوجوب اى عدم وجوب الخلع وهو واضح.

**خامسها:** لو خالعه ولم يكن هناك كراهة من جانبها سواء كانت الكراهة من جانبها أم لا لم يصح الخلع ولم يملك الفدية لفقدان الشرط وهو موضع وفاق و الأخبار صريحة الدلالة عليه ولو طلقها والحال هذه بعوض لم يملك العوض و هو الذي تقتضيه الآية ففي هذه الصورة هل يقع الطلاق و يكون رجعيّاً أم يقع باطلاً صرح المحقق في الشرايع والعلامة في التحرير بالأول و وجهه أنه عقد صدر من أهله مع حصول شروطه فيقع صحيحاً و يبطل العوض لأنه مخالف للكتاب فيرد اليه فيقع رجعيّاً لعدم ما يقتضي دخوله في البائن و قيل يقع باطلاً لأنه غير مقصود والعقود تابعة للمقصود فما وقع لم يقصد و ما قصد لم يقع و تفصيل البحث فيه موكول الى الفقه.

**سادسها:** إطلاق الآية يدل على جواز أخذ الفدية أي قدرٍ شاء و أن زاد على المهر كذا قيل وفيه تأمل لأن الاستثناء راجع الى أخذ شيء مما آتيتموهن فيكون هو المعنى بقوله: **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اقْتَدَتْ بِهِ** أي في الذي إفتدت به من المهر ثم أنه لا بد من تعيين الفدية جنساً و قدراً مما يصح تملكه و يتمول.

**سابعها:** مقتضى قوله **فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَبْذُل الْفِدْيَةَ مِنْ مَالِهَا فَلَوْ تَبَرَّعَ بِهِ غَيْرُهَا بِالْبَذْلِ مِنْ مَالِهِ فَقَوْلَانِ أَشْهَرُهُمَا، وَأُظْهَرُهُمَا الْمَنْعُ لِأَنَّ الْأَصْلَ بَقَاءُ النِّكَاحِ حَتَّى يَثْبُتَ الْمَزِيلُ وَلَمْ يَثْبُتْ كَوْنُ الْخَلْعِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَزِيلًا فَيَبْقَى النِّكَاحُ عَلَى الْأَصْلِ وَلَا نَعْلَمُ مِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ بِالصَّحَّةِ نَعَمْ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْعَامَّةِ وَالسَّرُّ فِي عَدَمِ الصَّحَّةِ هُوَ أَنَّ الْبَذْلَ الْمُتَنَازِعَ فِي صَحَّتِهِ هُوَ مَا إِقْتَضَى بِكَوْنِ الطَّلَاقِ مَعَهُ خَلْعًا لِيَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ الْمَخْصُوصَةُ لَا مَجْرَدُ بَذْلِ الْمَالِ فِي مَقَابِلَةِ الْفِعْلِ عَلَى وَجْهِ الْجَعَالَةِ نَعَمْ هَذَا لَا مَانِعَ فِيهِ فِي الطَّلَاقِ.

**ثامنها:** مقتضى الآية كَوْنُ الْخَالْعِ بِالْغَا عَاقِلًا مُخْتَارًا قَاصِدًا لِذَلِكَ وَكَوْنِهَا مَعَ الدَّخُولِ فِي طَهْرٍ لَمْ يَقْرَبْهَا فِيهِ إِذَا كَانَ حَاضِرًا وَمِثْلُهَا تَحِيضٌ مَعَ حَضُورِ شَاهِدَيْنِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ طَلَاقٌ فَيَلْزِمُ فِيهِ مَا لَزِمَ فِيهِ وَصَحِيحَةُ مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ **لَا طَلَاقَ وَلَا خَلْعَ وَلَا مَبَارَاةَ وَلَا خِيَارَ إِلَّا عَلَى طَهْرٍ** مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، صَرِيحٌ فِي الْمُدْعَى.

**تاسعها:** لَوْ أَرَادَ مُرَاجَعَتَهَا بَعْدَ أَنْ رَجَعَتْ بِالْبَذْلِ لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَى عَقْدٍ لِصَيُورَتِهِ رَجْعِيًّا وَأَنْ لَمْ تَرْجِعْ بِالْبَذْلِ وَأَرَادَ ذَلِكَ وَرَضِيَتْ إِفْتَقَرَتْ إِلَى الْعَقْدِ سِوَاهُ كَانَ ذَلِكَ فِي الْعِدَّةِ أَمْ بَعْدَهَا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ تَطْلِيقٌ بَاطِلٌ وَلِنَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِ الْأَلْفَاظِ فَقَوْلُهُ **وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَتْكُمْوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ** قِيلَ هَذَا الْخَوْفُ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أَيْ أَلَّا أَنْ يَعْلَمَا إِلَّا أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْحُدُودِ فِي لَايَةِ هُوَ الْوُضَائِفُ الْمَقْرُورَةُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَيْ حَقُوقُ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ وَحَقُوقُ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ فَأَنْ خَفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ: **فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** قَدْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ  
 زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ  
 يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ  
 حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)

### ◀ اللَّعَّة

فَلَا جُنَاحَ: الجُنَاحُ بضم الجيم الإثم وقيل هو الإثم المائل بالإنسان عن الحق.  
 إِنْ ظَنَّا: الظنّ بفتح الظاء إسم لما يحصل عن إمارة، فمتى قويت أدت إلى  
 العلم ومتى ضعفت لم يتجاوز حدّ التوهم.  
 حُدُودَ اللَّهِ: الحدّ الحاجز بين الشئين الذي يمنع إختلاط أحدهما بالآخر  
 يقال، حددت كذا، جعلت له حدّاً يُمَيِّز وَحدّ الدار ما تتميز به عن غيرها وحدّ  
 الشئ الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره.

### ◀ الإِعْرَاب

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا أي في أن يتراجعا يُبَيِّنُهَا الجملة في موضع  
 نصب من الحدود والعامل فيها معنى الإشارة.

### ◀ التفسير

قيل في سبب نزولها أنه جاءت امرأة رفاعة بن وهب القرظي إلى رسول  
 الله فقالت أني كنت عند رفاعة فطلّقني فبّت طلاقي وأنّ عبد الرّحمن بن  
 الزبير تزوّجني وأنا معه مثل هدبة الثوب وأنه طلقني قبل أن يمسني فقال  
 رسول الله ﷺ أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتّى تذوقي عسلية ويذوق  
 عسليةك فنزلت الآية وبيّن الله تعالى فيها حكم التّطليقة الثالثة فقال:



فَإِنْ طَلَّقَهَا يَعْنِي التَّطْلِيقَ الثَّالِثَةَ فَلَا تَحِلُّ أَي لَا تَحِلُّ الْمَرْأَةُ لَهُ، أَي لِلزَّوْجِ حَتَّى تَنْكِحَ الْمَرْأَةُ زَوْجًا، آخَرُ غَيْرِ الْمَطْلُوقِ فَإِنْ طَلَّقَهَا الزَّوْجُ الثَّانِي فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَي لَا إِثْمَ عَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ وَالْمَرْأَةِ أَنْ يَتَرَاجَعَا أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا عَقْدَ النِّكَاحِ وَيَعُودَا إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى إِنْ ظَنُّوا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ أَي أَنْ رَجِيا أَوْ عِلْمًا أَوْ اعْتِقَادًا إِقَامَةَ حُدُودِ اللَّهِ فِي حَسَنِ الصَّحْبَةِ وَالْمَعَاشِرَةِ وَأَنَّهُ يَكُونُ بَيْنَهُمَا الصَّلَاحُ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ قِيلَ إِشَارَةً إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي النِّكَاحِ وَالطَّلَاقِ وَالرَّجْعَةِ وَحُدُودِ اللَّهِ أَمْرُهُ وَنَوَاهِيهِ يُبَيِّنُهَا أَي يَفْصِلُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ خَصَّ الْعُلَمَاءُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ يَنْفِقُونَ بَيَانَ الْآيَاتِ أَوْ أَنَّ التَّخْصِصَ لِلتَّشْرِيفِ كَمَا خَصَّ جِبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ مِنْ بَيْنِ الْمَلَائِكَةِ اعْلَمْ أَنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ نَزَلَتْ فِي بَيَانِ حُكْمِ التَّطْلِيقِ الثَّالِثَةِ وَنَحْنُ قَدْ بَيَّنَّا أَقْسَامَ الطَّلَاقِ سَابِقًا وَالْآنَ بَيِّنُ كَيْفِيَّتَهُ الطَّلَاقُ فَنَقُولُ قَدْ عَرَفْتَ فِيمَا مَضَى أَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَقَعُ إِلَّا بِالشَّرَاطِ الْمَقْرَرَةِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْقَصْدِ وَالْبَلَاحِ وَالِاخْتِيَارِ وَإِنْ يَكُونُ الْعَقْدُ دَائِمِيًّا وَهَكَذَا فَإِذَا تَمَّتِ الشَّرُوطُ فِي الْمَطْلُوقِ وَالْمَطْلُوقَةِ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الشَّرُوطِ أَنْ يَكُونَ الطَّلَاقُ فِي طَهَرٍ غَيْرِ الْمَوَاقِعَةِ فِي حُضُورِ عَدْلَيْنِ عَلَى مَا مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ.

روي في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: يَطْلُقُهَا تَطْلِيقَةً عَلَى طَهَرٍ غَيْرِ جَمَاعٍ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ ثُمَّ يَدْعُهَا حَتَّى تَمْضِيَ أَقْرَأَهَا فَإِذَا مَضَتْ أَقْرَأَهَا فَقَدْ بَانَتَ مِنْهُ وَهُوَ خَاطِبٌ مِنَ الْخُطَّابِ أَنْ شَاءَتْ أَنْ نَكِحْتَهُ وَأَنْ شَاءَتْ فَلَا وَأَنْ أَرَادَ يَرَاغِبُهَا قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ أَقْرَأَهَا فَتَكُونُ عِنْدَهُ عَلَى التَّطْلِيقِ الْمَاضِيَةِ انْتَهَى.

فهذه كَيْفِيَّةُ الطَّلَاقِ عَلَى النَّهْجِ الْمَقْرَرِ فِي الشَّرْعِ ثُمَّ أَنَّ الزَّوْجَ أَنْ رَاغِبُهَا قَبْلَ مَضِيِّ الْعِدَّةِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى عَقْدٍ جَدِيدٍ وَأَنْ رَاغِبُهَا بَعْدَ الْعِدَّةِ فَلَا يَبْدَأُ مِنَ الْعَقْدِ، لِأَنَّ الزَّوْجَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ صَارَ أَجْنَبِيًّا عَنْهَا كغَيْرِهِ مِنَ الْخُطَّابِ وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْلُقَهَا عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ فِي الطَّلُوقِ الْأَوَّلِيِّ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ

٢٢٨ - البقرة =

المرأة له حتى تنكح زوجاً غيره، وأما قوله:

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا فُقِيل المراد به الزوج الثاني أي أنه أن طلقها الثاني أيضاً فلا جناح عليه في الرجوع اليها لأنه لم يطلقها ثلاثاً حتى تحرم عليه إلا بالمحلل وأنما أضاف المراجعة اليهما لأنه قد يكون الطلاق ممّا لا يملك فيه الرجعة مثل أن يكون بائناً أو كان ذلك بعد إنقضاء العدة و عليه فقوله: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أي على الزوج الثاني والزوجة أن يراجعا، وقيل أن الضمير في قوله: عَلَيْهِمَا عائد الى الزوجة والزوج الأول بعد التحليل ولما كان الرجوع لا يكون إلا بعقدٍ ومهر في هذه الحال وهو موقوف على رضاها نسبه تعالى اليهما وقوله: إِنْ ظَنَّا أي رجح عندهما بقرائن الأحوال أن يقيما حدود الله التي عدّها للزوجة وهذا الشرط ليس لصحة العقد لأنه يصح وأن ظنا خلافه كيف وهو خارج عن الأمور المعتمدة في صحته غايته حصول الإثم إذا حصل موجه الثانية إطلاق الآية يقتضي أنه لا فرق في الإحتياج الى المحلل بين كون الرجعة بعد إستيفاء العدة بمهرٍ وعقدٍ جديد أو في إثباتها و يدل على ذلك غير واحدٍ من الأخبار مذهب الأصحاب لا نعلم فيه مخالفاً إلا ابن بكير فإنه جعل إستيفاء العدة هادماً للتحريم في الثالثة.

الثالثة: يشترط في المحلل أمور.

الأول: البلوغ وهو المتبادر من إطلاق الآية ويدل عليه خصوصاً ما رواه في الكافي عن علي بن الفضل الواسطي قال كتبْتُ الى الرضا رجل طلق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى تنكح غيره فتزوجها غلام لم يحتمل قال عليه السلام لا حتى يبلغ انتهى.

الثاني: الوطئ في القبل فلا يكتفي الدبر وإكتفى بعض العامة بمجرد العقد لأن

النِّكَاحِ يَسْتَعْمَلُ فِيهِ وَهُوَ ضَعِيفٌ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَأَهْلُ الْعِلْمِ هَاهُنَا عَلَيَّ أَنَّ  
النِّكَاحَ الْجَمَاعَ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ، زَوْجاً غَيْرَهُ فَقَدْ تَقَدَّمَتِ الزَّوْجِيَّةُ فَصَارَ النِّكَاحُ  
الْجَمَاعَ وَأُظِّنُ أَنَّ حَدِيثَ الْعَسَلِيَّةِ لَمْ يَبْلُغِ الْمَخَالَفَ أَوْ لَمْ يَصُحَّ عِنْدَهُ فَأَخَذَ  
بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ ثُمَّ قَالَ رَوَى الْأَثَمَةُ وَاللَّفْظُ لِلدَّارِ قَطْنِي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً  
غَيْرَهُ وَيَذُوقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَسَلَ صَاحِبِهِ ثُمَّ نَقَلَ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ  
الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ مَنْ عَقَدَ عَلَى مَذْهَبِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَلِلْقَاضِي أَنْ يَفْسَخَهُ وَ  
لَا يَعْتَبَرُ فِيهِ خِلَافَةٌ لِأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ أَجْمَاعِ عُلَمَاءِ عَلَى وَنَافَهُمْ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ  
حَتَّى يَذُوقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَسِيلَةَ صَاحِبِهِ اسْتَوَا تَهُمَا فِي إِدْرَاكِ لَذَّتِ  
الْأَجْمَاعِ وَهُوَ صَخَةٌ لِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَنَا فِي أَنَّهُ لَوْ وَطَّاهَا خَاتِمَةٌ أَوْ فَعَمَى عَلَيْهَا  
لَمْ تَحْ لِمَطْقِهِمَا لِأَنَّهُمَا لَمْ تَذُقِ الْعَسِيلَةَ إِذْ لَمْ تَدْرِكْهَا.

الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُ بِالْعَقْدِ الدَّائِمِ فَلَا يَكْفِيهِ الْمَتْعَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جَنَاحَ  
عَلَيْهِمَا الْآيَةُ وَالْمَتْعَةُ لَيْسَ فِيهَا طَلَاقٌ وَكَذَا الْمَلِكُ وَالتَّحْلِيلُ.

الرَّابِعُ: إِذَا طَلَّقَهَا فَأَدْعَتْ أَنَّهَا تَزَوَّجَتْ وَطَلَّقَتْ وَكَانَ ذَلِكَ فِي مَدَّةٍ يُمْكِنُ فِيهَا  
ذَلِكَ صَدَقَتْ وَقَبْلَ قَوْلِهَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَتَعَسَّرُ عَلَيْهَا إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ فَتَكُونُ هِيَ  
الْمُصَدِّقَةُ وَلِأَنَّهُ يَقْبَلُ قَوْلَهَا فِي أَمْرِ الْعِدَّةِ وَلَا يَشْتَرِطُ فِي النِّكَاحِ الْإِشْهَادَ.

الخَامِسُ: لَوْ وَطَّاهَا الْمُحَلَّلُ فِي وَقْتٍ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْوُطْئُ فِيهِ كَالْحَائِضِ وَالصَّائِمِ  
فَالظَّاهِرُ حُصُولُ التَّحْلِيلِ عَمَلًا بِالْأُطْلَاقِ وَبِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَخَالَفَ فِيهِ  
مَالِكٌ.

السادس: لَوْ كَانَ عَقْدُ الْمُحَلَّلِ فَاسِدًا ثُمَّ حَصَلَ مِنْهُ الْجَمَاعُ فَالظَّاهِرُ عَدَمُ  
حُصُولِ التَّحْلِيلِ لِأَنَّ الْمُتَبَادِرَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ هُوَ

النَّكَاحُ الصَّحِيحُ السَّابِعُ: لو كان النِّكَاحُ بِشَرطِ التَّحْلِيلِ أَيْ بِشَرطِ أَنْ يُطْلَقَهَا لِتَحُلِّ عَلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْأَصْحَابِ فساد العقد والشرط وبه قال أكثر الشافعية وذهب أبو حنيفة إلى الكراهة تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ الْإِشَارَةُ إِلَى جَمِيعِ الْأَحْكَامِ الْمَذْكُورَةِ إِذْ لَا يَعْنِي بِحُدُودِ اللَّهِ إِلَّا أَحْكَامَهُ وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّا لَمُتَنَفِعْ بِكَلَامِ اللَّهِ حَقًّا لَيْسَ إِلَّا الْعَالِمُ بِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ.



وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ  
 بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ  
 ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ  
 وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ  
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ  
 وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ  
 اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)

### ◀ اللغة

قد مرّ الكلام في الطلاق والنساء، بحسب اللغة لَجَلَهُنَّ، الأجل بفتح الجيم  
 المدة المضروبة للشئ.

ضِرَارًا: الضرّة أصلها الغفلة التي تَصُرُّ.  
 لِّتَعْتَدُوا: الإعتداء التجاوز عن الحُد وهو الظلم.  
 هُزُوعًا، الهُزء: مزحٌ في خفية وقد يقال لما هو كالمزح.

### ◀ الإعراب

ضِرَارًا مفعول لأجله ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال أي  
 مضارين لِّتَعْتَدُوا اللّام متعلّقة بالضّرار ويجوز أن تكون لام العاقبة نِعْمَتَ اللَّهِ  
 عَلَيْكُمْ يجوز أن يكون، عليكم، في موضع نصب بنعمة لأنها مصدر أي أن أنعم  
 الله عليكم ويجوز أن يكون حالاً منها فيتعلّق بمحذوف ما أنزلَ يجوز أن يكون،  
 ما، في موضع نصب عطفاً على النّعمة فعلى هذا يَعِظُكُمْ، حالاً أن شئت من ما،  
 والعائد إليها الهاء في، به، وأن شئت من إسم الله ويجوز أن تكون، ما، مبتدأ و  
 يعظكم خبره، مِنْ الْكِتَابِ حال من الهاء المحذوفة تقديره وما أنزله عليكم.

## التفسير

يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَفْعَلُ بَعْدَ الطَّلَاقِ الَّذِي أَوْقَعَهُ بِالشَّرْطِ الْمَقْرَّرَةِ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ فَقَالَ:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَي قَارِبْنَ أَجَلَهُنَّ وَالْمَرَادُ بِالْأَجْلِ هُوَ مَدَّةُ الْعِدَّةِ وَ أَمَّا فَسْرُ بُلُوغِ الْأَجْلِ بِقَرْبِهِ لِأَنَّ الزَّوْجَ بَعْدَ بُلُوغِ الْأَجْلِ لَا خِيَارَ لَهُ فِي الْإِمْسَاكِ فَهَذَا كَمَا تَقُولُ بَلَّغْتُ الْبَلَدَ إِذَا قَرَبْتُ مِنْهُ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَي فَامْسِكُوهُنَّ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَبَاحَهُ اللَّهُ مِنَ الْقِيَامِ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ النِّفْقَةِ وَ حَسَنِ الْعِشْرَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَي إِتْرَكُوهُنَّ حَتَّى تَنْقُضِيَ عِدَّتَهُنَّ وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا أَي لَا تَرَاغِبُوهُنَّ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ لَكُمْ فِيهِنَّ قِيلَ كَمَا الرَّجُلُ يَطْلُقُ إِمْرَأَتَهُ ثُمَّ يَرَاغِبُهَا وَلَا حَاجَةَ لَهُ بِهَا وَلَا يَرِيدُ إِمْسَاكَهَا كَيْمَا يَطُولُ بِذَلِكَ الْعِدَّةَ عَلَيْهَا وَلِيَضَّارَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَقَالَ وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا، أَي لَتَظْلِمُوهُنَّ وَقِيلَ لَتَلْجُوهُنَّ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَي مَنْ أَمْسَكَهُنَّ ضِرَارًا لِيَعْتَدِيَ عَلَيْهِنَّ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِتَعْرِيزِهَا لِعِتَابِ اللَّهِ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا أَي جَدَّوْا فِي الْأَخْذِ بِهَا وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهَا وَ أَرَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا وَالْأَفْقَدُ إِتَّخَذَ تَمَوُّهَا هُزُوءًا وَلِبَاءً وَقِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَطْلُقُ وَيَعْتَقُ وَيَتَزَوَّجُ وَيَقُولُ لَاعِبًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ، مَا أَبَاحَهُ لَكُمْ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَقْوَالِ وَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَقِيلَ الْمَرَادُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ لِتُؤْجِرُوا بِفَعْلٍ مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ وَ تَرَكَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ أَيِ اتَّقُوا عَذَابَ اللَّهِ بِاتِّقَاءِ مَعَاصِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ مِمَّا تَعْلَنُونَ وَ تَسْرُونَ فَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَهُوَ ظَاهِرٌ فَعَنِ الْفَقِيهَةِ بِأَسْنَادِهِ عَنِ الْحَلْبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَّجُلُ يَطْلُقُ إِذَا كَادَتْ أَنْ يَخْلُو رَاغِبًا ثُمَّ طَلَّقَهَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَفِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

بِ  
الْقُرْآنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

جزء ٢

الجلد الثاني

روي البزنطي بأسناده عنه عليه السلام قال: لا ينبغي للرجل أن يطلق  
 إمرأته ثم يراجعها وليس له فيها حاجة ثم يطلقها فهذا الضرار الذي  
 نهى الله عنه إلا أن يطلق ثم يراجع وهو ينوي الإمساك انتهى.  
 وروي الطبري بأسناده عن سليمان بن أرقم أن الحسن حدثهم أن  
 الناس كانوا على عهد رسول الله يطلق الرجل أو يعتق فيقال ما  
 صنعت فيقول أنما كنت لاعباً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق لاعباً  
 أو اعتق لاعباً فقد جاز عليه قال الحسن وفيه مزلة ولا تتخذوا  
 آيات الله هزواً انتهى.

اقول الامر اوضح عن مخفى على احد فلا يحتاج الى اكثرهما اوضحنا.





وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ  
 أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ  
 بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ  
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

### ◀ اللِّغَةُ

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ: العضلة في الأصل كُلِّ لَحْمٍ صُلْبٍ فِي عَصَبٍ وَتَجُوزُ بِهِ فِي  
 كُلِّ مَنَعٍ شَدِيدٍ أَيْ فَلَا تَمْنَعُوهُنَّ.  
 أَزْكَى: أَصْلُ الزَّكَاةِ النَّمُو يُقَالُ زَكِيَ الزَّرْعُ يَزْكُو إِذَا حَصَلَ مِنْهُ نَمُو وَبَرَكَةٌ وَ  
 قَدْ يَرَادُ مِنْهَا الْحَلَالُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا، إِشَارَةً إِلَيْهِ.

### ◀ الإِعْرَابُ

أَنْ يَنْكِحْنَ قِيلَ تَقْدِيرُهُ مَنْ أَنْ يَنْكِحْنَ، أَوْ عَنْ أَنْ يَنْكِحْنَ فَلَمَّا حُذِفَ  
 الْحَرْفُ صَارَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عِنْدَ سَيِّبِيهِ وَأَمَّا عِنْدَ الْخَلِيلِ فَهُوَ فِي مَوْضِعٍ  
 جَرٍّ إِذَا تَرَاضَوْا ظَرْفٌ لِأَنْ يَنْكِحْنَ أَوْ لَتَعْضُلُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ  
 حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ وَأَنْ يَكُونَ صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ أَيْ تَرَاضِيًا كَانُوا بِالْمَعْرُوفِ  
 وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِنَفْسِ الْفِعْلِ أَزْكَى الْأَلْفُ فِيهِ مِنْ وَاوٍ لِأَنَّهُ مِنْ زَكِيَ يَزْكُو، لَكُمْ  
 صِفَةٌ لَهُ.

نبأ القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

### ◀ التَّفْسِيرُ

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ السَّابِقَةِ حُكْمَ مَا يَفْعَلُ بَعْدَ الطَّلَاقِ وَقَبْلَ إِنْقِضَاءِ  
 الْعِدَّةِ فَأَمَرَ النَّاسَ بِإِمْسَاكِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحِهِنَّ كَذَلِكَ وَنَهَايَهُنَّ عَنْ إِمْسَاكِهِنَّ

ضراراً اعتداءً عليهنّ بينَ في هذه الآية حكم ما يفعل بهنّ بعد إنقضاء الأجل  
فنهاهم عن منعهنّ عن التّزوج فقال تعالى:

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ عَلَى النَّهْجِ الْمَقْرَّرِ فِي الشَّرْعِ فَلْيَنْعَنَّ أَجَلَهُنَّ أَيَّ أَنْقَضْتَ  
عِدَّتَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَيَّ لَا تَمْنَعُوا الْمُطَلَّقاتِ عَنِ التَّزْوِجِ ثَانِيًا أَوْ ثَالِثًا،  
وَالْخَطَابُ قِيلَ أَنَّهُ لِلأُولِيَاءِ وَقِيلَ لِلزَّوْجِ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ أَيَّ  
إِذَا أُرِدْنَ أَنْ يُتَكَحَّنَ أزْوَاجُهُنَّ فَلَا تَمْنَعُوهُنَّ عَنْهُ قِيلَ الْمُرَادُ مِنْ رَضِيْن بِهِمْ  
أَزْوَاجاً لَهُنَّ كَانَتْ مِنْ كَانَ وَقِيلَ الْمُرَادُ الَّذِينَ كَانُوا أَزْوَاجاً لَهُنَّ مِنْ قَبْلِ وَإِطْلَاقِ  
الْكَلَامِ يَشْمَلُ الْمُرْدِينَ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ أَيَّ بِمَا  
لَا يَكُونُ مُسْتَنْكَراً فِي عَادَةٍ وَلَا خَلْقٍ وَلَا عَقْلِ، وَقِيلَ إِذَا تَرَاضَى الزَّوْجَانِ  
بِالنِّكَاحِ الصَّحِيحِ وَقِيلَ إِذَا تَرَاضِيََا بِالمهر قليلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ  
مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَيَّ عَدَمَ مَنَعَهُنَّ عَنِ النِّكَاحِ أَوْ  
مُطْلَقَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِمَّا يُوَعَّظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْمِناً بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،  
تَخْصِصُ الْمُؤْمِنَ بِالذَّكْرِ لِأَنَّهُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ أَوْ أَنَّهُ أَوْلَى بِالِاتِّعَاضِ لِإِيْمَانِهِ وَأَمَّا  
غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيتَاعَ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ذِكْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ  
أَيَّ مَا ذَكَرْنَاهُ لَكُمْ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ مِنْ أَدْنَى الْأَثَامِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
لَأَنْتُمْ مَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً.

روى بعض العامة أَنَّ السَّبَبَ فِي نَزُولِهَا أَنَّ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ كَانَتْ أُخْتَهُ تَحْتَ  
أَبِي الْبَدَاحِ (أَبِي الدَّحْدَاحِ خ ل) فَطَلَّقَهَا وَتَرَكَهَا حَتَّى أَنْقَضَتْ عِدَّتَهَا ثُمَّ نَدِمَ  
فَخَطَبَهَا فَرَضِيَتْ وَأَبَى أَخُوها أَنْ يَزَوِّجَهَا وَقَالَ وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إِنْ  
تَزَوَّجْتِيهِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ مَقَاتِلُ فِدَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعْقِلًا فَقَالَ أَنْ كُنْتُ  
مُؤْمِناً فَلَا تَمْنَعُ أَخْتِكَ عَنْ أَبِي الْبَدَاحِ فَقَالَ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَزَوَّجْتُهَا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ وَ  
رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ أُخْتَهُ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجَهَا حَتَّى أَنْقَضَتْ  
عِدَّتَهَا فَخَطَبَهَا فَأَبَى مَعْقِلَ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

ثم قال الثانية اذا ثَبَّتْ هذا ففي الآية دليل على أَنَّهُ لا يجوز النكاح بغير وَلِيٍّ لأنَّ أخت معقل كان ثَيِّباً ولو كان الأمر اليها دُونَ وَلِيِّها لزوجت نفسها ولم تحتجِ إلى وَلِيِّها معقل فالخطاب إذاً في قوله: **فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ** للأولياء وأنَّ الأمر اليهم في التزويج مع رضاهنَّ، وقيل أَنَّ الخطاب في ذلك للأزواج وساق الكلام إلى أن قال والأول أصح لما ذكرناه من سبب النزول انتهى.

**أقول** ما ذكره لا يصح أما أولاً فلأنَّ الطَّبْرِي نقل في تفسيره ما ذكره القُرطبي ثم رَجَّح القول الثاني وهو أعلم من القُرطبي وأقدم ومع ذلك هو أعرف بمواضع الكتاب والسُّنة.

ثانياً: ما ذكره في سبب النزول مع ضعفه مخالف لنص الكتاب حيث قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ<sup>(١)</sup>** وسيأتي الكلام فيها فأَنَّ قوله فلا جناح عليكم فيما فعلنَّ بأنفسهنَّ نص في المدعى وَأَنَّ الثَّيْب لا يحتاج إلى وَلِيٍّ وتفصيل البحث في موضعه إن شاء الله تعالى.



وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ  
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ  
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ  
إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ  
بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا  
فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ  
عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ  
اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

### ◀ اللغة

وَالْوَالِدَاتُ: جمع الوالدة وهى الأم.

يُرْضِعْنَ: يقال رَضَعَ المولود يَرْضَع، وأَرْضَعَت المرثة كان لهما ولد يرضع  
إى اقتبس ثديها.

فِصَالًا: الفصال بكسر الالف التفريق بين الصَّبِي والرِّضَاع، والباقي واضح.

### ◀ الاعراب

وَالْوَالِدَاتُ، الوالد، الوالدات صفتان غالبتان فذالك لا يذكر الموصوف  
معها لجرهما مجرى الاسماء حَوْلَيْنِ ظرف كَامِلَيْنِ صفته له لِمَنْ أَرَادَ تقديره  
ذالك لمن اراد على الْمَوْلُودِ الف واللام بمعنى الذى له قائم مقام الفاعل  
بِالْمَعْرُوفِ حال من الرِّزْق والكسوة والعامل فيها معنى الإستقرار فى، على إِلَّا  
وُسْعَهَا مفعول ثانٍ لِأَنَّ كَلَّفَ، تتعدى الى مفعولين تَسْتَرْضِعُوا مفعوله محذوف

تقديره أجنبيّه، أو غير الأمّ **أَوْلَادَكُمْ** مفعول حذف منه حرف الجر تقديره، لا ولادكم **فَلَا جُنَاحَ** الفاء جواب الشرط **إِذَا سَلَّمْتُمْ** أيضاً شرط وجوابه ما يدلّ عليه الشرط الأول وجوابه وذلك المعنى هو العامل في، إذا ما آتَيْتُمْ يُقرأ بالمدّ والمفعولان محذوفان تقديره ما أعطيتموهنّ آياه ويقرأ بالقصر تقديره ما جئتم به فحذف وقال أبو عليّ تقديره، ما جئتم نقده أو تعجيله.

### ◀ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ عَقَبَهُ بِبَيَانِ أَحْكَامِ الْأَوْلَادِ مِنْ حَيْثُ الرِّضَاعِ وَالتَّوْبَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَقَالَ:

**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** قِيلَ صِيغَتُهُ صِيغَةُ الْخَبَرِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْأَمْرُ أَيُّ لِيَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ كَقَوْلِهِ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ وَالْقَائِلُ الطَّبْرَسِيُّ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ تَبَعاً لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّبَيُّانِ وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَبَرًا لَكَانَ كَذِبًا لَجَوَّازُ أَنْ يَرْضَعْنَ أَكْثَرَ مِنْ حَوْلَيْنِ أَوْ أَقَلَّ ثُمَّ قَالَ، وَقِيلَ هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ وَتَقْدِيرُهُ وَالْوَالِدَاتُ يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ فِي حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي أَوْجِبَهُ عَلَى عِبَادِهِ فَحَذَفَ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ وَهَذَا أَمْرٌ بِاسْتِحْبَابِ لَا أَمْرٌ بِإِجْبَابِ وَالْمَعْنَى أَنَّهُنَّ أَحَقُّ بِرِضَاعِهِمْ مِنْ غَيْرِهِنَّ أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

**وَأَنَا أَقُولُ لَا خِلَافَ وَلَا إِشْكَالَ** عِنْدَنَا أَنَّ الْإِرْضَاعَ لَا يَجِبُ عَلَى الْأُمِّ بِقَوْلٍ مُطْلَقٍ نَعَمْ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ كَأَنَّ لَا تَوْجُدَ مَرْضُوعَةً سِوَاهَا أَوْ يَكُونُ الْأَبُ مَفْقُودًا وَلَا مَالٌ لِلطِّفْلِ أَوْ مَعَ وَجُودِ الْأَبِ وَفَقْرِهِ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِالْوَجُوبِ عَلَى الْأُمِّ حِفْظًا لِلصَّبِيِّ عَنِ التَّلَفِّ وَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ وَأَمَّا فِي غَيْرِ هَذِهِ الصُّورِ فَالْمَشْهُورُ وَجُوبُ الرِّضَاعِ عَلَى الزَّوْجِ لَا عَلَى الزَّوْجَةِ وَلِذَلِكَ عَيَّنَ الشَّارِعُ الْأَجْرَةَ لَهَا عَلَيْهِ وَيَدَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: **فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ** <sup>(١)</sup> فَقَوْلُهُ: **فَإِنْ أَرْضَعْنَ**

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ عَقَبَهُ بِبَيَانِ أَحْكَامِ الْأَوْلَادِ مِنْ حَيْثُ الرِّضَاعِ وَالتَّوْبَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَقَالَ:

جزء ٢

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ عَقَبَهُ بِبَيَانِ أَحْكَامِ الْأَوْلَادِ مِنْ حَيْثُ الرِّضَاعِ وَالتَّوْبَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَقَالَ:

لَكُمْ، يَدَّل عَلَى عَدَمِ وَجُوبِهِ عَلَيْهِنَّ، وَالْأَحْسَنُ حَمَلَ الْأَمْرِ عَلَى مَطْلَقِ الرَّجْحَانِ الشَّامِلِ لِلوَاجِبِ وَغَيْرِهِ وَيَدَّل عَلَى عَدَمِ الْوَجُوبِ عَلَيْهَا بَعْدَ الْآيَةِ.

ما رواه في عن سليمان بن داود المنقري قال سأل أبو عبد الله عن الرِّضَاعِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَجْبِرُ الْحَزَّ عَلَى الرِّضَاعِ لِلْوَلَدِ وَتَجْبِرُ أُمَّ الْوَلَدِ أَنْتَهَى.

وهو المفتي به بين الأصحاب وأما التقييد بالحوالين يَدَّل عَلَى أَنَّ الْحوالِينَ مَدَّةُ الرِّضَاعِ وَوَصْفُهُمَا بِالْكَامِلِينَ لِدَفْعِ إِحْتِمَالِ التَّجَوُّزِ فِي إِطْلَاقِ الْحَوْلِ عَلَى مَا نَقَصَ عَنْهُ عِزْمًا بَلْ وَشَرْعًا كَمَا فِي حَوْلِ الزَّكَاةِ حَيْثُ يَتَحَقَّقُ بِهِلَالِ الثَّانِي وَأَنْ لَمْ يَتِمَّ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْكَامِلِ الشَّمْسُ لِأَنَّهُ الَّذِي يَوْصَفُ بِهِ دُونَ الْقَمَرِيِّ لِنَقْصَانِ بَعْضِ أَشْهُرِهِ وَلَا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنَ الْبُعْدِ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى جَوَازِ الْإِقْتِصَارِ فِيهِ عَلَى مَا دُونَ ذَلِكَ.

وُثِّقَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ الْخَوْلَانُ الْكَامِلَانِ لَيْسَ لِكُلِّ مَوْلُودٍ بَلْ لِمَنْ وَلِدَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ وَأَنْ وَلِدَ لِسَبْعَةِ فَثَلَاثَةِ وَعِشْرُونَ وَأَنْ وَلِدَ لثَمَانِيَةِ فَرَضَاعِهِ أَثْنَانِ وَعِشْرُونَ شَهْرًا وَأَنْ وَلِدَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَرَضَاعُهُ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ شَهْرًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا<sup>(١)</sup> وَقَالَ الثَّوْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ هُوَ لِكُلِّ مَوْلُودٍ وَأَنَّهُ إِذَا اِخْتَلَفَ وَالدَّاهِ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ وَهَذَا هُوَ الْمَعْتَمَدُ لِلْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ وَ لِقَوْلِهِ، وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ وَلِلزَّوَايَاتِ وَأَمَّا لِقَوْلِهِ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَقَلِّ مَدَّةِ الْحَمْلِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ فَلَا تَنَافِي بَيْنَ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَاتُ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ مِنْ كَوْنِ مَدَّةِ الْحَمْلِ قَدْ تَكُونُ سِتَّةَ وَقَدْ تَكُونُ سَبْعَةً وَقَدْ تَكُونُ ثَمَانِيَةً وَهَكَذَا.

بَابُ التَّحْقِيقِ فِي الرِّضَاعِ

جزء ٢

بَابُ التَّحْقِيقِ فِي الرِّضَاعِ

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ والمراد بالمولود له، الأب لأنه الذي ينسب اليه الولد حقيقة الأم فهي وعاء ومع ذلك ففي التعبير بذلك دون الزوج تنبيه على أن الزوج قد يكون غير المولود له، كالمطلق ولا نفقة عليه وإنما يجب من حيث كونه والدًا والنفقة عليه من هذه الحيثية، و لفظ على، يقتضي الوجوب عليه، والمراد بالرزق هو ما يحتاج اليه من المأكل والمشروب وفي إضافة الرزق والكسوة اليهن إشارة إلى أن المعتبر فيهما حالها بحسب شأنها وزنها وقوله: بِالْمَعْرُوفِ هو قيل للرزق والكسوة أي أن قدر الواجب منهما أن لا يتجاوز المعروف عند أهل العرف ففيه دلالة على أن ذلك من قبيل أجرة المثل وقوله تعالى:

لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا إشارة إلى أنه لا يجوز أن تنقص النفقة عما تناسب حال مثلها من الأجرة وأنه لا يجب على الزوج إلا ما دخل في وسعه وكان من قدرته والآن سقطت عنه النفقة ويفهم من ذلك عدم وجوب نفقة الرضاع على الأب اذا كان فقيراً وأنها تجب على الأم وهذا كله مع إعسار الطفل وإلا فلا نفقة عليهما بل هي من ماله وحيث ظهر من الآية لزوم النفقة للمرضعة على الوالد من حيث كونه والدًا أو أن نفقة ولده عليه وأن الإرضاع ليس بواجب على الأم ظهر لك أنه يجوز للأم الحرة أن تأخذ الأجرة على الإرضاع وأنه يجوز للوالد إستيجارها لذلك سواء كانت في حباله او مطلقة هذا هو المشهور بين الاصحاب المدلول عليه بقوله تعالى: فَأَنزَوْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ ولاكن نقل عن الشيخ في المبسوط القول بالمنع وكذاك قال ابوحنيفة ذاك ان الزوج لك منافع الزوجة كالاجير الخاص فلا يجوز ان يوقع عليهما عقد اجارة فعلى هذا فعلى هذا يكون الرزق والنفقة المذكورة في هذه الآية لِنَفَقَةِ الزَّوْجِيَّةِ لا أَجْرَةَ الرِّضَاعِ ولا يخفى ما فيه لأن الزوج أنما يملك البضع دون سائر المنافع وأما قوله تعالى:

لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَّهُ بِوَلَدِهِ أَنَّمَا قِيلَ، تَضَارَّ، والفعل من واحدٍ قيل لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة من اثنين وذلك لأنه يضربه أن رجع عليه منه ضرورة فكأنه قيل لا تَضَارَّ والدته من الزوج بولدها وكذلك فرض الوالد

و عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أي لا يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع ولا مولود له بولده، يعني لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضرب ذلك بالأب وقيل، لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا بأن ينزع الولد منها ويسترضع امرأة أخرى مع إجابتها إلى الرضاع بأجرة المثل وَلَا مَوْلُودُهُ لَّهُ بِوَلَدِهِ أي لا تمتنع هي من الإرضاع إذا أعطيت أجرة مثلها والأولى حمل الآية على عموم ذلك قاله الشيخ في التبيان وقيل معناه أن على الوالدة ألا تَضَارَّ بولدها فيما يجب عليها من تعاوده والقيام بأمره ورضاعه وغذاؤه وعلى الوالد أيضاً ألا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه وعلى أمه وفي حفظه وتعاوده، نقله الشيخ أيضاً في التبيان وقال القرطبي المعنى لا تأبى الأم أن ترضعه إضراراً بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها ولا يحل للاب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع انتهى.

أقول والكل محتمل ولكل وجه أعلم أن تَضَارَّ أصله تضار بكسر الراء الأولى بالبناء للفاعل أي لا تمنع زوجها من الجماع بسبب مخافتها على ولدها وكذا المولود له لا يجوز له أن يترك جماعها لذلك ويحتمل جعلها من المبني للمفعول وعلى الأول، والدته، مرفوع على الفاعلية وكذا، مولود له، وعلى الثاني على النيابة عنه ويدل على هذا المعنى.

ما رواه في الكافي عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَّهُ بِوَلَدِهِ فقال عليه السلام كانت المراضع مما يدفع إحداهن الرجل



إذا أراد الجماع تقول لا أدعك أني أخاف أن أحبل فأقتل ولدي هذا  
الذي أرضعه و كان الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أجامعك  
فأقتل ولدي فيدعها فلا يجامعها فنهي الله عز وجل عن ذلك بأن  
يضار الرجل المرأة انتهى.

فالتنهي على هذا المعنى يحتمل أنه على الكراهة أو التحريم بناءً على أن  
في تركه مضرة كالمرض والوقوع في الزنا ونحو ذلك أو بعد الأربعة أشهر  
بالنسبة إلى المرأة فإنه لا يجوز ترك جماعها زيادةً عليها قيل وهاهنا وجه آخر  
يفهم من الرواية المذكورة وهو أن المضارة منعها من الأجرة إذا أرضعته و  
مضارة المولود له، هي أن تكلفه زيادةً على أجرة المثل أو خلاف قدرته فهو  
من قبيل البيان لقوله: لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا وفي المقام وجه آخر وهو  
أن لا توقع به الضرر بأن تترك إرضاعه تعتأ أو غيضاً على أبيه فأنها أشفق عليه  
من الأجنبية ولا يوقع الأب أيضاً الضرر بولده بأن ينزعه من أمه و يمنعها من  
إرضاعه فعلى هذا تكون المضارة بمعنى الإضرار ويكون الإتيان بصيغة  
المفاعلة لجهة المبالغة و أمّا قوله:

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَقِيلَ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ الْخ وَالْمَعْنَى أَنَّ  
وارث المولود له وهو الأب، بعد موته يقوم مقامه في لزوم رزق المرضعة و  
كسوتها وأن يكون ذلك بالمعروف و تجنبه المضارة على ما مرّ بيانه، فعن  
تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال سألته عن قوله  
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ قَالَ عليه السلام لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة فيقول لا  
أدع ولدها يأتيها ويضار ولدها أن كان له عندهم شيء ولا ينبغي أن يقتر عليه  
انتهى.

و أيضاً عنه عن أحدهما قال سألته وعلى الوارث مثل ذلك، قال عليه السلام هو  
في النفقة على الوارث مثل ما على الوالد انتهى.

وقد عرفت ممّا أشرنا اليه فيما مرّ أنّ نفقة الولد على الوالد ومع فقدّه فعلى الجدّ وهكذا ثمّ على الأمّ وأتّه مع يسار الولد فنفقته على نفسه لأنّه غنيّ و عليه فالمراد بالوارث الأقرب من أجداد الأب من باب إطلاق وإرادة المقيدّ و يدلّ عليه إطلاق الزوايتين ويحتمل أن يكون المراد بالوارث وارث الأب أي الطفل كما يدلّ عليه قوله في الزاوية الأخيرة أن كان لهم عنده شيء، و ما رواه في الفقيه أنّه قضى أمير المؤمنين في رجل توفى وترك صبيّاً واسترضع له أنّ أجر رضاع الصبي ممّا يرث من أبيه وأمه انتهى.

و ما رواه في الصحيح عن ابن سنان عن أبي عبد الله في رجل مات وترك إمراة و معها منه ولد فألقته على خادم لها فأرضعته ثمّ جاءت تطلب رضاع الغلام من الوصي فقال أجر مثلها ولى للوصي أن يخرج من حجرها حتّى يدرك ويدفع اليه ماله ويكون الذي يلي هذا الأمر الولي والوصي والحاكم انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد ما يشمل الطفل أن كان ذا مال، وأجداده للأب أن لم يكن له مال، ويحتمل أن يكون المراد ما يشمل الأم على الترتيب الذي أشرنا اليه سابقاً وقيل المراد بالوارث الباقي من الأبوين والمعنى على الباقي من الأبوين الرزق والكسوة ويحتمل أن يكون المراد من الوارث مطلق الوارث، قال في مجمع البيان وفي أخبارنا أنّ على الوارث كائناً من كان النفقة قال وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة وأحمد بن إسحاق انتهى.

**أقول** الأقوال من العامة والخاصة كثيرة جداً وليس في المقام قول يعتمد عليه في تفسير الآية وذلك لأنّه قد ثبت أنّ نفقة الولد على الوالدين وعليه فما معنى قوله: **وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ** بناء على أن يكون قوله: **وَعَلَى الْوَارِثِ** معطوفاً على المولود له ولازم العطف أنّه يجب على الوارث من النفقة والكسوة على المرضعة مثل ما كان واجباً على المولود وهو الأب وهذا

هو الاشكال الذى اوقع المفسرين فى الحيص والبيص فقالوا فى معنى الآية قالوا ووقعوا فيما وقعوا فتارة حملوا الوارث على الجد وتارة على الأم وتارة على علي وارث الصبي لو مات وتارة عليه لأنه الوارث بعد موت أبيه وتارة على مطلق الوارث كائناً من كان وهكذا وهكذا ومن العامة من قال بأنها منسوخة فهذه الاحتمالات كلها ظنيات بل وهميات لا يمكن الإعتماد عليها والزكون بها تفسير كلام الله تعالى اللهم إلا أن يقال أن وجوب الثقة والكسوة على المولود له وهو الأب، مشروط بحياته فلو مات الأب فهو على الوارث كائناً من كان كما يظهر ذلك من بعض الأخبار المذكورة سابقاً، هذا كله إذا كان قوله و على الوارث مثل ذلك معطوفاً على قوله وعلى المولود له وما بينهما إعتراض لبيان تفسير المعروف كما هو المشهور بين المفسرين ونص عليه صاحب الكشف فيلزم المولود له، كما مرّ بيانه مفصلاً.

و أما إذا قلنا أن قوله: وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ معطوف على قوله: لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وكان المشار اليه، بذلك، هو عدم الأضرار فيكون المعنى وعلى الوارث من تحريم الأضرار على الأم ما على الأب أي كما أن الأضرار عليها من جانب الأب كان ممنوعاً محرماً كذلك من جانب الوارث وعليه فلا يرجع، ذلك الى جميع ما تقدّم حتى يشمل الثقة والكسوة بل يرجع الى تحريم الأضرار ويؤيد هذا الإحتمال أنه لو أراد الجميع من الإرضاع والإنفاق وعدم الضرر لقال وعلى الوارث مثل هؤلاء وحيث لم يقل فهو دليل على أنه معطوف على المنع من المضارة والله تعالى أعلم بالمقصود.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

العبد المذنب

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا.

أي فأن أراد الوالد والوالدة، فصلاً، أي فطاماً عن الرضاع أي عن الإغتذاء بلبن أمه الى غيره من الأقوات، قالوا الفصال والفصل الفطام وأصل الفطام

التفريق بين الصبي وثدي أمه ومنه سُمي الفصيل لأنه مفصول عن أمه عن تراضي منهنهما قبل الحولين فلا جناح عليهما، أي في فصله وذلك لأن سببانه لما جعل مدة الرضاع حولين بين أن فطامهما هو الفطام وفصالهما هو الفصال ليس لأحدٍ عنه فنزع إلا أن يتفق الأبوان على أقل من ذلك العدد من غير مضارة بالولد وظاهر قوله عن تراضي منهنهما عدم كفاية الرضا عن أحدهما سواء كان الراضي بالفصال هو الأب أم الأم وهو كذلك والمراد بتشاورهما تشاور الأبوين بما يصلح حال الطفل وعدم إضراره ثم أن إعتبار رضا الأب لا شك فيه لأنه وليه وأما الأم فكذلك لأن لها فيه حق بل هي أعرف بحال الطفل غالباً مع كثرة شفقتها ويستفاد من مفهوم الآية أن الفصال قبل الحولين إذا كان فيه ضرر على الطفل ففيه جناح، أن قلت أن الله تعالى أضاف الرضا بهما فقال عن تراضي منهما، أي من الأبوين وأما التشاور فلم يضيف إليهما فلم يقل وتشاورهما، قلت لعل الوجه أن التشاور ينبغي أن يكون مع العارفين بحال الصبي كالطبيب مثلاً أو من كان له تجربة في أمثال هذه الأمور فإن أكثر الآباء والأمهات لا علم لهم بحقيقة الأمر وهو واضح.

وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف.

أي أن أردتم أن تسترضعوا المراضع أولادكم بأن تطلبوا لهم مرضعة غير الأم فحذف أحد المفعولين إكتفاء بما دل عليه من القرائن والخطاب للأزواج بالرخصة لهم بذلك ويكون الإطلاق مقيداً بما إذا كانت الأم مفقودة أو أبت عن قبول إرضاعه أو نحو ذلك من المحاذير ويحتمل أن يكون لهم أي لجميع الآباء والأمهات فإن ذلك حق لهما وفي قوله تعالى: إذا سلمتم الخ إشارة إلى أن المراضع إذا سلمتم اليهن الأجرة بالفعل أو مؤجلاً فلا إشكال فيه فيصير المعنى أن أردتم الإسترضاع لأولادكم فلا جناح أي ولا إثم عليكم في ذلك

الإسترضاع اذا سَلَّمْتُم الى تلك المراضع، ما آتَيْتُم، أي ما أردتم إعطاؤه إِيَّاهن و شرطتم لهنَّ بالمعروف أي بالوجه المتعارف الحسن شرعاً و عقلاً فكأنَّ جزاء الشَّرْط محذوف، والتَّقْيِيد للْحَثِّ والتَّرْغِيب على إعطاء الأُجرة وغاية الإهتمام بإعطاء حقوق النَّاس أو الإهتمام بتربية الصَّبِي فَأَنَّهُا مع الأخذ بتصير راضية بالرَّضاع فتعمل غاية الجُهد كما في المَهر، لا لعدم الجواز والصَّحة بدونه على ما قالوه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ مبالغة في المحافظة على ما شرَّع من أمر الأطفال والمراضع بل في مطلق الواجبات والمحرمات، وقوله وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْخَبِيرُ وَتَهْدِيدٌ وَخَوْفٌ وَوَعْدٌ وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِّمَّا تَقُولُونَ أو تعملون.



وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا  
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا  
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي  
أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ  
خَبِيرٌ (٢٣٤)

### ◀ اللغة

يُتَوَفَّوْنَ: التوفي كناية عن الموت أي يموتون.  
يَذَرُونَ: يقال فلان يذر الشيء أي يقضه لقلة اعتداده به لم يستعمل ماضيه.  
أَزْوَاجًا أزواج جمع زوج وهو يقال لكل واحد من القرينتين من الذكر و  
الانثى في الحيوانات المتزاوجة.  
يَتَرَبَّصْنَ: التربص التأني والتصبر عن النكاح الاعراب.

### ◀ الإعراب

في هذه الآية أقوال:

أحدها: أَنَّ الَّذِينَ، مبتدأ والخبر محذوف، تقديره وفما يتلى عليكم حكم  
الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ منكم ومثله، السَّارِق والسَّارِقَة والزَّانِيَة والزَّانِي وقوله، يَتَرَبَّصْنَ  
بيان الحكم المتلّو وهذا قول سيبويه.

ثانيها: أَنَّ المبتدأ محذوف و الَّذِينَ قام مقامه، وتقديره وأزواج الَّذِينَ  
يُتَوَفَّوْنَ منكم، والخبر يَتَرَبَّصْنَ وَ دَلْ على المحذوف قوله: وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا.  
ثالثها: أَنَّ الَّذِينَ، مبتدأ، يَتَرَبَّصْنَ، الخبر والعائد محذوف، تقديره بعدهم  
أو بعد موتهم.

رابعها: أن، الذين، مبتدأ وتقدير الخبر، أزواجهم يتربصن، فأزواجهم مبتدأ و يتربصن الخبر، فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه.

خامسها: أنه ترك الأخبار عن الأذنين، وأخبر عن الزوجات المتصل ذكرهن بالذين، لأن الحديث معهن في الإعتداد بالأشهر فجاء الأخبار عما هو المقصود وهذا قول القراء والجمهور على ضم الياء في، يتوفون على ما لم يسم فاعله و يقرأ بفتح الياء على تسمية الفاعل والمعنى يستوفون آجالهم منكم في موضع الحال من الفاعل المضمر وعشراً أي عشر ليالٍ لأن التاريخ يكون بالليلة إذا كانت هي أول الشهر واليوم تبع لها بالمعروف حال من الضمير المؤنث في الفعل أو مفعول به أو نعت لمصدر محذوف وقد تقدم مثله.

### التفسير

لما ذكر عز وجل عدة الطلاق واتصل بذكرها الإرضاع ذكر عدة الوفاة لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق فقال:

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَي والرِّجَالُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً أَي يتركون أزواجاً، أي ولهم زوجات يتربصن الأزواج بعدهم والتربص التأني والتصبر عن النكاح وترك الخروج عن مسكن النكاح وذلك بأن لا تفارقه ليلاً بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً قيل تعتبر الال شهر بالهلال ما أمكن فلو مات في أول جزء من الشهر إعتبرت أربعة أشهر وعشراً من الشهر الخامس وخرجت عن غروب الشمس من اليوم العاشر فلو مات في أثناء الليلة الأولى منه بل وفي أول يوم منه فهو كذلك لصدقه عزمًا على ذلك وأن مضى منه جزء والأحوط أن يضاف إلى ذلك بقدر ما مضى من الكسر وكذا لو مات وقد بقي من الشهر عشرة أيام بالزيادة ولا نقصان فأنها تخرج من العدة

بهلال الشهر الخامس و أمالو مات وقد بقي منه أكثر من العشرة أو أقل فيجري فيه الخلاف المذكور في عدة الطلاق وفي عد المنكسر ثلاثين والإكتفاء بما فات منه خاصة والأحوط مراعاة العد ثلاثين فيه فإذا بلغن أجلهن أي اذا إنقضت العدة فلا جناح ولا إثم عليكم فيما فعلن الأزواج في أنفسهن بالمعروف يريد به التزوج من التزین وإطراح الأحداد وقوله بالمعروف أي بما أذن فيه الشرع من إختيار الأزواج وتقدير الصداق وأمثال ذلك والله بما تعملون خبير أعلم أن هنا مسائل:

**الأولى:** كانت عدة الوفاة في صدر الإسلام سنة والنفقة والإسكان على ما قاله تعالى: **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ** و سيأتي الكلام فيها ثم نسخت بقوله:

**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ، وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا** و عليه فالآية المبحوثة عنها في المقام ناسخة لها وأن كانت متقدمة عليها في التلاوة وعند الشافعي الإسكان ثابت ولم ينسخ وقال أبو مسلم الأصفهاني أن حكمها باق في الحامل وكل ذلك باطل عندنا للأخبار المروية عن أئمتنا الدالة على النسخ.

**الثانية:** ظاهر الآية بإطلاقها يتناول كل زوجة توفى عنها زوجها دائماً أو منقطعاً مسلمة أو كافرة حائلاً أو حاملاً صغيرة أو كبيرة مدخولة بها أم لا حرة أو أمة زوجها صغيراً أو كبيراً حراً أو عبداً وقد خرج عن هذا العموم أمور:

**الأول:** المستمتع بها فقد نقل عن المفيد والمرتضى أن عدتها شهران وخمسة أيام لمرسلة علي بن شعبة الحلبي عن أبيه عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن رجل تزوج امرأة متعة ثم مات عنها ما عدتها قال عليه السلام خمسة وستون يوماً أنتهى.



وهذه الرواية ضعيفة بالإرسال لا تصلح لتخصيص القرآن مع أنه قد ورد في صحيحة زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام ما عدة المتعة اذا مات عنها الذي تمتع بها قال عليه السلام: أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرًا قال ثم قال عليه السلام يا زرارة كلّ النكاح اذا مات الزوج فعلى المرأة حرة كانت أو أمة أو على أي وجه كان النكاح متعةً أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدة أربعة أشهر وعشراً و عدة المطلقة ثلاثة أشهر والأمة المطلقة عليها نصف ما على الحرة وكذلك المتعة عليها ما على الأمة وروي ابن بابويه في الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج عن المرأة يتزوجها الرجل متعةً ثم يتوفى عنها هل عليها العدة فقال تعتد أربعة أشهر وعشراً انتهى.

والى هذا القول ذهب الأكثر وهو الأقوى.

**الثالثة:** الحامل فإن عدتها أبعد الأجلين على المشهور بين الأصحاب لأنه مقتضى الجمع بين الأيتين، قال المحقق في الشرائع ولو كانت حاملاً اعتدت بأبعد الأجلين، وقال صاحب الجواهر في الشرح، من وضع الحمل وقضى الأربعة أشهر وعشراً ثم قال المحقق فان وضعت قبل استعمال الأربعة الأشهر وعشرة الأيام صبرت الى انقضائها قال الشارع وكذا العكس وان مضت الأربعة الأشهر وعشراً ولم تضع صبرت الى ان وضعت الحمل وهذا مجمع عليه بين الاصحاب بل ادعى عليه الاجماع بقسمه مضافاً الى النصوص المستنفضة او المتواتره بل قيل أنه مقتضى الجمع بين آيتي الإحمال والوفاة لدخول الحامل ح تحت عامين فإمثالهما الأمر فيهما يحصل بإعتدائها بأبعد الأجلين.

**الرابعة:** أن الظاهر وجوب العدة من حين الوفاة وقيل من حين وصول الخبر الى الزوجة وهو الأقوى أمّا أولاً فللإجماع، وثانياً لأن قوله تعالى:

يَتَرَبِّصْنَ أَيْضاً إِشَارَةَ إِلَيْهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الْعِدَّةِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ بِدُونِ وَصُولِ الْخَبَرِ لَا يُمْكِنُ وَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الضَّعْفِ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَبْسَ النَّفْسِ عَلَى الْعِدَّةِ الَّذِي يَسْتَفَادُ مِنَ التَّرَبُّصِ لَا يَنَافِي إِحْتِسَابَ الْمُدَّةِ مِنْ حِينَ الْفَوْتِ بَعْدَ ظَهْوَرِهِ فَقَوْلُهُ: يَتَرَبِّصْنَ لَا دَلَالَةَ لَهُ عَلَى الْمَدْعَى نَعَمْ لَوْ ثَبَتَ الْإِجْمَاعُ فَهُوَ وَالْأَفْهَمُ بوجوب العِدَّةِ مِنْ حِينَ الْوَفَاةِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ.



وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةٍ  
النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ  
سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ  
تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ  
حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ  
مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
حَلِيمٌ (٢٣٥)

### ◀ اللغة

عَرَّضْتُمْ: التعريض ضد التصريح وهو إفهام المعنى بالشئ المحتمل له و  
غيره وهو من عرض الشئ وهو جانبه وقيل هو من قولك عرضت الرجل أي  
أهديت إليه تحفة.

خِطْبَةُ النِّسَاءِ، الخِطْبَةُ: بكسر الخاء فعل الخاطب من كلام وقصد و  
إستلطاف بفعل أو قول يقال خَطَبَهَا يَخْطُبُهَا خُطْبًا وَخِطْبَةً وَرَجُلٌ خُطَّابٌ  
كثيراً التصرف في الخِطْبَةِ.

أَكُنْتُمْ: الإكِنان الستر والإخفاء يقال كُنْتَهُ وَأَكْنَتَهُ بمعنى واحد و عليه  
فقوله: أَكُنْتُمْ، أي سَتَرْتُمْ وَأَضْمَرْتُمْ من التزوج بها بعد إنقضاء عدتها.  
وَلَا تَعْزِمُوا: العزم القصد أي ولا تعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة.

### ◀ الإعراب

مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ الجار والمجرور في موضع الحال من الهاء المجرورة  
فيكون العامل فيه عَرَّضْتُمْ، ويجوز أن يكون حالاً من ما، فيكون العامل فيه  
الإستقرار مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ مصدر مضاف الى المفعول والتقدير من خطبتكم

النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ أَوْ، للإباحة والمفعول محذوف تقديره، أو أكنتموه سراً مفعول به لأنه بمعنى النكاح أي لا تواعدوهن نكاحاً وقيل هو مصدر في موضع الحال تقديره مستخفين بذلك والمفعول محذوف تقديره لا تواعدوهن النكاح سراً ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي مواعدة سراً إلا أن تقولوا في موضع نصب على الاستثناء من المفعول وهو منقطع وقيل متصل ولا تعزموا عقدة أي على عقدة النكاح، والعقدة بمعنى العقد فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول.

### ٤ التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ عَدَّةَ النِّسَاءِ وَجَوَازَ الرِّجْعَةِ فِيهَا لِلْأَزْوَاجِ عَقِبَ الْكَلَامِ بَيَانَ حَالِ غَيْرِ الْأَزْوَاجِ فَقَالَ تَعَالَى:

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَي لَا حَرَجَ وَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ يَامَعْشَرَ الرِّجَالِ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ الْمَعْتَدَاتِ بَأَن تَذْكُرُوا لَهُنَّ مَا يَدُلُّ عَلَى رَغْبَتِكُمُ الْيَهْنَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ بِهِ مِثْلُ أَنْ يُقَالَ لَهَا أَنِّي أُرِيدُ النِّكَاحَ، أَوْ أَنَّكَ لَجَمِيلَةٌ، أَنَّكَ لَصَالِحَةٌ، أَنِّي فِيكَ لِرَاغِبٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْرِضَاتِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أَي وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بِالتَّزْوُجِ بِهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا لِأَنَّ النِّكَاحَ مَشْرُوعٌ مَرَعَبٌ فِيهِ إِذَا كَانَ عَلَى النَّهْجِ النَّقَرَرِ فِي الشَّرِيعَةِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ إِمَّا سَرّاً وَآمَّا إِعْلَاناً فِي نَفُوسِكُمْ وَبِالْسَّتِّكُمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَخْطُبُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُهُنَّ سَرّاً أَي عَلَى سِرِّ فَحَذَفَ الْحَرْفَ لِأَنَّهُ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ أَحَدُهُمَا بِحَرْفٍ جَرَّ ثَمَّ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: سَرّاً، فَقِيلَ مَعْنَاهُ نِكَاحاً أَي لَا يَقِلُّ الرَّجُلُ لِهَذِهِ الْمَعْتَدَةِ تَزْوِجِيَنِي بَلْ يَعْزِضُ أَنَّ الْمُرَادَ وَلَا يَأْخُذُ مِيثَاقَهَا وَعَهْدَهَا عَلَى أَنْ لَا تَنْكَحَ غَيْرَهُ فِي إِسْتِسْرَارٍ وَخَفِيَةٍ وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ جَبْرِ وَمَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ،

وعلى هذا التأويل فقوله، سرّاً نصب على الحال أي مستسرّين وقيل السرّ الزّنا أي لا يكونن منكم مواعدة على الزّنا في العدة ثمّ التّزوج بعدها وبه قال الضّحّاك والنّخعي وقتادة وأختاره الطّبري ومنه قول الأعشى.

فلا تقرّين جارةً أنّ سرّها عليك حرامٌ فأنكحن أو تأبداً  
وقال الحطيئة.

ويُحرم سرّ جارتهم عليهم ويأكل جارههم أنف الإقصاع  
وقيل السرّ، الجماع أي لا تصفوا أنفسكم لهنّ في النّكاح فإنّ ذكر الجماع مع غير الزّوج فحشٌ وهذا قول الشّافعي - قال أمرؤ القيس.

ألا زعمت بسبّانة اليوم إتنى - كبرت وإلا يحسن السرّ أمثالي  
وقيل السرّ عقدة النّكاح سرّاً كان أو جهراً قال الأعشى.

فلن يطلبوا سرّها إلغنى ولكنّ يسلموها لإزهادها  
والمعنى لن يطلبوا نكاحها لكثرة مالها ولن يسلموها لقلة مالها فهذه هي الأقوال المنقولة في تفسير السير.

إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا يعنى التعريض الذى الاحه الله تعالى و الا  
بمعنى لاكن لان ما قبلها هو المعنى عنه وما بعد ما هو الماذون فيه وتقديره و  
لاكن قولوا قولاً معروفاً ولا تغزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله  
تقديره على عقدة النكاح حذف، على، لدلالة الكلام عليه لأنه لا يكون إلا  
على معزوم عليه كما يقال ضربه الظهر والبطن أي على الظهر والبطن قاله في  
التبيان والمعنى ولا تعتدوا عقدة النكاح لأن معنى، تغزموا، وتعتدوا، واحد و  
قوله: حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ معناه حَتَّى انقضت العدة والكتاب الذي يبلغ  
أجله هو القرآن ومعناه، فرض الكتاب أجله، ويجوز أن يكون الكتاب نفسه هو  
الفرض ذكره الزجاج و وجه ثالث أن يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب  
الدين ذكره الحبائي قال القرطبي والكتاب هنا هو الحد الذي جعل والقدر

الَّذِي رَسَمَ مِنَ الْمُدَّةِ سَمَاهَا كِتَابًا إِذْ قَدْ حُدَّهُ وَفَرَضَهُ كِتَابَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى  
كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ الْآيَةُ وَكَمَا قَالَ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا  
فَالكِتَابَ الْفَرَضُ أَيَّ حَتَّى يَبْلُغَ الْفَرَضُ أَجَلَهُ، وَقِيلَ فِي الْكَلَامِ حَذْفُ وَتَقْدِيرُهُ  
حَتَّى يَبْلُغَ فَرَضَ الْكِتَابِ أَجَلَهُ فَالْكِتَابَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ بِمَعْنَى الْقُرْآنِ وَعَلَى  
الْأَوَّلِ لَا حَذْفَ فَهُوَ أَوْلَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ أَيَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُ  
أَسْرَارَكُمْ وَضَمَائِرَكُمْ لِأَنَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاحْذَرُوا مِنْ مَخَالَفَتِهِ أَوْ  
فَاحْذَرُوا عَنِ التَّفَاقُ أَوْ فَاحْذَرُوا عَنْ عِقَابِهِ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَى مَخَالَفَةِ أَوْامِرِهِ  
وَارْتِكَابِ نَوَاهِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ غَفُورٌ لِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ  
جَمِيعًا، حَلِيمٌ لِأَنَّهُ يُمَهِّلُ الْعُقُوبَةَ الْمَسْتَحَقَّةَ وَلَا يُعَجِّلُ لَهَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ  
حَالٍ وَلِنَشْرَ إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ، عَنْ كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ  
بِأَسْنَادِهِ عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الثَّانِي عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ  
يَقُولُ فِيهِ وَأَمَّا فَأَشْرَطَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ عِدَّتُهُنَّ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرًا، يَعْنِي إِذَا تَوَفَّى  
عَنْهَا زَوْجَهَا فَأَوْجِبَ عَلَيْهَا إِذَا أُصِيبَتْ بِزَوْجِهَا وَتَوَفَّى عَنْهَا مِثْلُ مَا أَوْجِبَ  
عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ إِذَا لَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَعَلِمَ أَنَّ غَايَةَ صَبْرِ الْمَرْأَةِ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فِي تَرْكِ  
الْجَمَاعِ فَمَنْ ثُمَّ أَوْجِبَ عَلَيْهَا وَلَهَا أَنْتَهَى.

وَعَنْ تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا  
عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ فَهُوَ أَنْ يَقُولَ  
الرَّجُلُ لِلْمَرْأَةِ إِذَا تَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا لَا تَحْدِثِي حَدَثًا وَلَا يَصْرَحْ لَهَا  
النِّكَاحَ وَالتَّزْوِيجَ فَتَنْهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ وَالسَّرْفِ فِي النِّكَاحِ فَقَالَ:  
لَا تُؤَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَالَ مِنَ السَّرِّ أَيْضًا  
أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ فِي عِدَّةِ الْمَرْأَةِ لَهَا مَوْعِدَكَ بَيْتَ فُلَانٍ أَنْتَهَى.

وعن الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الرَّجُل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدتها أو أعدك بيت فلان، ليعرض لها بالخطبة، ويعني بقوله: إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا التَّعْرِيزُ بِالْخُطْبَةِ وَلَا يَعْزِمُ عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجْلَهُ انْتَهَى.

وأسناده عن علي بن أبي حمزة قال سألت أبا الحسن عن قول الله عزَّ وجلَّ، ولكن لا تؤاعدوهنَّ سِرًّا، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول الرَّجُلُ أو أعدك بيت آل فلان يفرض لها بالزَّفْتِ ويرفث يقول الله عزَّ وجلَّ، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا والقول المعروف التَّعْرِيزُ بِالْخُطْبَةِ عَلَى وَجْهِهَا وَجِلُّهَا (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ أجله انتَهَى) <sup>(١)</sup>

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ  
تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ  
عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّاعاً  
بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)

### ◀ اللغة

تَمَسَّوْهُنَّ: التمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس وكُنِيَ به عن النكاح.  
تَفَرَّضُوا: الفرض في الأصل قطع الشيء والتأثير فيه كفرض الحديد وفرض  
الزَّند والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال إعتباراً بوقوعه وثباته والفرض  
بقطع الحكم فيه قاله الراغب في المفردات ثم قال وكل موضع ورد فرض الله  
عليه ففي الإيجاب الذي أدخله الله فيه انتهى وهو في المقام وأمثاله كناية عن  
المهر الذي أوجبه الزوج على نفسه.

المَوْسِعُ: يقال أوسع فلان إذا كان له الغنى وصار ذا سعة.

قَدَرُهُ: القدر بفتح القاف والدال مصدر يقال قَدَرَ وَقَدَّرَ، الطاقة والقوة.

الْمُقْتَرِ: بضم الميم اسم فاعلٍ من إقتر بمعنى الفقر وذلك لأن القتر تقليل  
النفقة وهو بأزاء الإسراف يقال قد قترت الشيء وأقترته وقترته أي قللته وأصله  
من القطار.

### ◀ الإعراب

مَا لَمْ تَمَسَّوْهُنَّ ما، مصدرية والزمان معها محذوف وتقديره في زمن ترك  
مَسَّوْهُنَّ وقيل، ما، شرطية أي أن لم تَمَسَّوْهُنَّ فَرِيضَةً يجوز أن تكون مصدراً  
وأن تكون مفعولاً به، وفعلية هنا بمعنى مفعوله والموصوف محذوف تقديره  
متعة مفروضة وَمَتَّعُوهُنَّ معطوف على فعلٍ محذوف وتقديره فطلَّقوهنَّ



ومتعوهنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرَهُ والجمهور على الرَّفْع والجملة في موضع الحال من الفاعل تقديره بقدر الوُسْع و في الجملة محذوف تقديره على الموسع منكم ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة لا موضع لها و يقرأ، قدره بالنصب وهو مفعول على المعنى و القدر لغتان و قد قرأ بها و قيل القدر الطَّاقَة والقدر بالتحريك المقدار متاعاً إسم للمصدر والمصدر التمتع وإسم المصدر يجري مجراه حقاً مصدر حق ذلك حقاً وعلى متعلقة بالنائب للمصدر.

### التفسير

إِعلم أنَّ هذه الآية أيضاً نزلت لبيان أحكام المطلقات حيث بين الله تعالى فيها حكم الطلاق قبل الغرض والمسييس فهي ابتداء إخبار برفع الحرج عن المطلق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أو لم يفرض والمعنى أنَّ عده مس الزوجة لا يمنع عن صحة الطلاق فكذا عدم ذكر المهر فقال تعالى:

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِي لَّا اثم ولا حرج إِيهَا الرِّجَالُ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ والمراد بالمس الجماع أو تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً إِي مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ ولم تفرضوا لهن فريضته وهو كناية عن الصِّدَاقِ وَ مَتَّعُوهُنَّ إِي افطوهنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدْرَهُ إِي على الغنى ما يناسب حاله وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ إِي على الفقر ما يناسب حاله مَتَّاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ أي متعوهن متاعاً، بالمعروف، ليس فيه إسراف ولا تقتير و قيل متاعاً معتبراً بحال الرجل في اليسار والإقتار، معتبراً بحالهما جميعاً إذ لا يسوي بين حرّة شريفة وبين أمة مُعْتَقَة ليكون ذلك خارجاً عن التّعارف، حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ أي أَنَّهُ واجب على الَّذِينَ يحسنون الطّاعة ويجتنبون المعصية والتّخصيص بالمحسنين لأجل التّشريف لا أَنَّهُ لا يجب على غيرهم.

إِعلم أنَّ المطلقات أربع.

بَابُ الطَّلَاقِ فِي نِصْفِ النِّسَاءِ

جزء ٢

بَابُ الطَّلَاقِ فِي نِصْفِ النِّسَاءِ

**الأولى:** المطلقة المدخولة بها المفروض لها المهر وقد ذكر الله تعالى حكمها قبل هذه الآية وأنه لا يسترد منها شيء من المهر وأن عدتها ثلاثة قروء.

**الثانية:** المطلقة غير مفروض لها المهر ولا مدخول بها فهذه الآية في شأنها وحكمها أن لا مهر لها بل أمر الرب بإمتاعها بحسب الوسع والقدرة.

**الثالثة:** المطلقة التي فرض لها مهر ولكنها غير مدخول بها ذكر حكمها بعد هذه الآية وسيأتي بيانه.

**الرابعة:** المطلقة التي دخل بها ولكن لم يفرض لها مهر ذكرها الله تعالى في قوله: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** <sup>(١)</sup> هكذا قيل والحق أن الرابعة ليست من أقسامها على ما يأتي بيانه وعلى أي حال ذكر الله تعالى في هذه الآية والتي بعدها مطلقة قبل الميسس وقبل الفرض ومطلقة قبل الميسس وبعد الفرض فجعل للأولى المتعة وجعل للثانية نصف الصداق على ما يأتي الكلام فيه ولا بد لنا في المقام من التنبيه على أمور.

**الأول:** أن المراد بالمس في الآية في قوله: **مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ**، الجماع أو هو كناية عنه وذلك لأنه هو المتبادر الشائع في عرف الشرع وفي الكتاب العزيز، كقوله: **وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** وقوله تعالى: **وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ** ونحو ذلك.

ويدل على ذلك ما رواه الشيخ في الصحيح عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال ملامسة النساء هي الإيقاع بهن انتهى.

و عن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله قال سمعته يقول لا يوجب المهر إلا الوقاع في الفرج انتهى.

و عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام متى يجب المهر فقال عليه السلام: إذا دخل بها انتهى.

و في الكافي بأسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل  
دَخَلَ بِأَمْرَةٍ قَالَ عليه السلام: إِذَا لَتَقِيَ الْخَتَانَانِ وَجَبَ الْمَهْرُ وَالْعِدَّةُ انْتَهَتْ.  
و في رواية داود بن سرحان إِذَا أَوْلَجَهُ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ وَالْجِلْدُ  
وَالزَّحْمُ وَوَجَبَ الْمَهْرُ انْتَهَى.

و أمثال ذلك من الأخبار و أمّا المسّ بمعناه اللّغوي أو العرفي فلا يوجب  
شيئاً من ذلك وعليه فلو مسّ المرأة ولم يدخل بها ولو بالتقبيل فليس عليه  
شيء ويدل عليه ما روى.

في الموثق عن يونس بن يعقوب قال: سألت أبا عبد الله عن رجل  
تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَأَعْلَقَ بِأَبَاً وَأَرْخَى سِتْرًا وَلَمَسَ وَقَبَلَ ثُمَّ طَلَّقَ أَيُوجِبُ  
عَلَيْهِ الصَّدَاقُ قَالَ عليه السلام لَا يُوجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَاقُ إِلَّا الْوَقَاعُ انْتَهَى.

والأخبار الدالة على أَنَّ المعتبر في وجوب المهر هو الجماع دون الخلوة  
كثيرة ويفهم منها أَنَّ الوقاع في الدبر مثل الوقاع في القبل في إثبات الحكم وبه  
صرح المحقق في الشرائع.

الثاني بعض الأخبار يدل على أَنَّ الخلوة في حكم الجماع.  
منها ما رواه الشيخ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قَالَ عليه السلام: إِذَا  
تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فَأَعْلَقَ بِأَبَاً وَأَرْخَى سِتْرًا ثُمَّ طَلَّقَهَا فَقَدْ وَجَبَ  
الصَّدَاقُ وَخَلَاؤُهُ بِهَا دَخُولُ انْتَهَى.

و نحوها رواية محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام: وَغَيْرَهَا مِنْ  
الْأَخْبَارِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ إِشْكَالٍ.

أمّا أولاً: فلأنَّ الخلوة معها لا تلازم المسّ العرفي فضلاً عن الجماع الذي  
قلتم أَنَّ المسّ في الآية بمعناه أو هو كناية عنه.

ثانياً: أَنَّ الجماع والوقاع لا يتحقق إلا بالتقاء الختانين وقد ثبت أَنَّ الغسل لا  
يجب إلا به فكذا المهر لعدم القول بالفعل اللهم إلا أن تدعى المرأة الوقاع بها

والرَّجُلَ يَنْكُرُهُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ لَا يَبْعُدُ الْقَوْلُ بِهِ مَعَ نِكُولِ الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِ الزَّوْجِ وَلِذَلِكَ اِخْتَلَفَ الْأَصْحَابُ فِيهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ.

**الأول:** أَنَّ الْخُلُوةَ تَقُومُ مَقَامَ الدَّخُولِ فِي إِسْتِقْرَارِ الْمَهْرِ وَلِزُومِ الْعِدَّةِ حَكَاهُ الشَّيْخُ فِي الْخِلَافِ وَالْمَبْسُوطِ وَكِتَابِي الْأَخْبَارِ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا وَنَسَبَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى الصَّدُوقِ وَمُسْتَنْدَهُمُ الْأَخْبَارُ الْمَذْكُورَةُ.

**القول الثاني:**، ذَهَبَ ابْنُ الْحُبَيْدِ إِلَى إِشْتِرَاطِ قَيْدِ آخِرِ مَعَ الْخُلُوةِ الْأَوَّلِ الْوَقَاعِ.

**الثاني:** إِنْزَالُ الْمَاءِ مِنْ غَيْرِ إِيْلَاجٍ أَوْ لِمَسِّ عَوْرَةٍ أَوْ نَظَرٍ إِلَيْهَا أَوْ قَبْلَةٍ فَإِنْ تَلَذَّذَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ خَصِيًّا كَانَ أَوْ عَنِينًا أَوْ فَحْلًا لَزِمَهُ الْمَهْرُ وَمَعَ عَدَمِ ذَلِكَ فَلَا يَحِلُّ لَهَا أَكْثَرُ مِنَ التَّصَفِّ وَأَنْ وَجِبَ قَبُولُ قَوْلِهَا فِي الطَّاهِرِ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ هُنَاكَ مَانِعٌ كَالْعَنَنِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْمَوَانِعِ وَنَقَلَ عَنِ الشَّهِيدِ فِي الْمَسَالِكِ عَدَمَ الْوُقُوفِ عَلَى شَاهِدٍ لَهُ.

**الثالث:** ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى عَدَمِ إِعْتِبَارِ الْخُلُوةِ وَمَقْدَمَاتِهَا عَمَلًا بِالْأَخْبَارِ السَّابِقَةِ وَصَرَّحَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ الزَّوْجِ مَعَ يَمِينِهِ إِذَا أَنْكَرَهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُهُ.

**الرابع:** عَدَمُ إِعْتِبَارِ الْخُلُوةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكِنَّ الْخُلُوةَ لَمَّا كَانَتْ مَظْنَةً لَهُ بِحَيْثُ لَا تَنْفَكُ عَنْهُ غَالِبًا وَجِبَ أَنْ لَا يَنْفَكُ عَنْ إِيْجَابِ كِمَالِ الْمَهْرِ الْمُسْتَنْدِ إِلَى الدَّخُولِ غَالِبًا وَهُوَ كَمَا تَرَى فَهَذِهِ هِيَ الْأَقْوَالُ الْمُنْقُولَةُ فِي الْمَقَامِ وَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالتَّنْقُلُ هُوَ ثُبُوتُ الْجَمَاعِ وَالْوَقَاعُ بِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ فَإِنْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِهِ فَهُوَ وَإِلَّا فَهُوَ مَدْفُوعٌ بِالْأَصْلِ وَلِبَسُطِ الْكَلَامِ فِيهِ مَقَامٌ آخَرُ.

**الثالث:** أَنَّ الْغَرَضَ فِي قَوْلِهِ: **أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ قَرِيبَةً** التَّسْمِيَةُ بِالْفَرِيضَةِ الْمَهْرِ الْمَقْدَرِ، فَفَعِيلٌ هُنَا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَالتَّاءُ لِلنَّقْلِ إِلَى الْإِسْمِيَّةِ فَتَكُونُ مَفْعُولًا بِهِ، وَأَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ أَيْ وَتَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، وَجِزَاءُ الشَّرْطِ، لَا جَنَاحَ،

المقدّم ذكره أو محذوف أي لا إثم عليكم في الطلاق قبل المسّ والغرض كما لا إثم فيه بعده وخصّه بالتنبيه عليه لأنه فطنة للإثم حيث لم يقع الغرض من النكاح المندوب اليه ولأن الآيات السابقة في هذه السّورة دلّت على الإباحة بعده أو لأن الطلاق الواقع بعده يحتاج الى امر آخر كاشتراط كونه في ظهر الغير الواقعة ويجوز ان يكون المعنى لاتعته عليكم من ايجاب وهو في هذا ويمكن ان يكون أو في الآية بمعناها على أنّ المراد رفع الجناح على سبيل منع الخلو فقط وجوّز بعضهم كونه بمعنى، إلا، أي إلا أن ترضوا للهّن فريضة وكيف كان.

ففي رواية أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلها نصف مهرها وأن لم يكن سمّي لها مهر فمتاعٌ بالمعروف على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليس لها عدّة تتزوج من شاءت من ساعتها وفي الآية دلالة على صحّة العقد مع إخلائه عن المهر وهو المسمّى في عُرف الشّرع بتفويض البضع وهو مجمعٌ عليه بين الأصحاب.

الرّابع: المتعة والإمتاع بمعنى النّفع والجملة معطوفة على الجزاء أي أن طلقتموهنّ في هذه الحال فأعطوهنّ من مالكم ما يمتّعهن به جبراً لإباحش الطلاق والإنكسار الحاصل منه وقد قلنا أنّ الموسع الغني والمقتر القليل المال من القنار وهو الغبار سمّي بذلك لمشابهة له في القلّة أو التّغير أحواله فكأنّ عليه غبار.

روي الشّيخ عن جابر عن أبي عبد الله في قوله تعالى فمتّعوهنّ وسرحوهنّ سراحاً جميلاً، قال عليه السلام: متّعوهنّ أي جمّلوهن ممّا قدرتم عليه من معروفٍ فأنّهن يرجعن بكأبةٍ وحياوهنّ عظيم وشماتة من أعدائهن فأنّ الله كريمٌ يستحي ويحبّ أهل الحياء أنّ أكرمكم أشدّكم إكراماً لحلائلهم.

**الخامس:** أَنَّ الآية دالة على أَنَّ المعتبر في المتعة حال الزوج لا حال الزوجة و من المعلوم أَنَّ الجمع بين الحالين أولى وأحسن وقال بعض الأصحاب بالإستحباب.

**السادس:** الظاهر من الآية إنقسام حال الزوج الى أمرين اليسار والإعتسارالأصحاب فقد قسّموها الى ثلاثة نظراً الى الواقع عزمًا وعَيْنوا لكل مرتبة أشياء فالغني بالدابة والعبد والأمة والثوب المرتفع والدّار ونحو ذلك، والوسط بالثوب الوسط، والفقر بالخاتم والدينار والحنطة والزبيب وأمثالها والأخبار خالية عن ذكر الوسط.

**السابع:** إطلاق الآية والأخبار يقتضي أن يمتنع الزوج بذلك وأن زاد عن نصف مهر المثل بل وعن تمامه وهو كذلك ومنع أبو حنيفة فيما زاد على النصف وهو باطل عاطل لعدم الدليل عليه.

**الثامن:** مقتضى الإطلاق والأصل اختصاص الحكم بالمطلقة قبل المسيس والفرض فلو جعلت البينونة بينهما بفتح أو موت أو لعان أو غير ذلك من قبله أو قبلها فلا مهر ولا متعة واليه ذهب أكثر الأصحاب وهو الأقوى.

**التاسع:** يظهر من إطلاق الآية أنه لو خلا العقد من المهر ثم فرضه بعد ذلك ثم طلقها قبل المسيس أنها داخلة في المفروض لها لأن قوله تعالى: **أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً** ظاهر في فرضها حين العقد وأما بعده فالآية لا تشملها وهو ظاهر.

**العاشر:** دلّت الآية بمفهومها على أنه لو طلقها بعد المس وقبل الفرض فليس لها المتعة وأما قوله: **مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ** فالمراد به ما يليق بحال الزوج وقد مرّ الكلام فيه هذا ما فهمناه من الآية والعلم عند الله.

وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ  
فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ  
يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ  
تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ  
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

### ◀ اللّغة

يَعْفُونَ: العفو هو التجافي عن الذنب قال تعالى: وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ  
لِلتَّقْوَى.  
وَلَا تَنْسُوا: النسيان ترك الإنسان ضبط ما إستودع أمّا لضعف قلبه وأمّا عن  
غفلة وأمّا عن قصدٍ حتّى يَنحذف عن القلب ذكره.  
الْفَضْلُ: الزيادة عن الإقتصار.

### ◀ الإعراب

وَقَدْ فَرَضْتُمْ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ فَنِصْفُ أَيِ فَعَلَيْكُمْ نِصْفٌ، أَوْ فَالْوَاجِبُ  
نِصْفٌ وَلَوْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ فَوَجْهَهُ، فَأَدَّوْا نِصْفَ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ  
وَالْفِعْلُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ وَالتَّقْدِيرُ فَعَلَيْكُمْ نِصْفٌ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا فِي حَالِ الْعَفْوِ  
وَالنَّوْنُ فِي، يَعْفُونَ، ضَمِيرُ جَمَاعَةِ النِّسَاءِ وَالْوَاوُ قَبْلَهَا لَامُ الْكَلِمَةِ لِأَنَّ الْفِعْلَ هُنَا  
مَبْنِيٌّ فَهُوَ مِثْلُ يَخْرُجْنَ وَيَقْعَدْنَ.

فَأَمَّا قَوْلُكَ الرِّجَالُ يَعْفُونَ أَصْلُهُ يَعْفَوْنَ مِثْلُ يَخْرُجُونَ فَحَذَفْتَ الْوَاوَ الَّتِي  
هِيَ، لَامُ وَيَقِيتُ وَאו الضَّمِيرُ وَالنَّوْنُ عَلَامَةُ الرَّفْعِ وَفِي قَوْلِكَ النِّسَاءُ يَعْفُونَ لَمْ  
يَحْذَفْ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ أَنَّ تَعْفُوا مُبْتَدَأٌ وَأَقْرَبُ خَبَرُهُ وَلِلتَّقْوَى مُتَعَلِّقٌ،  
بِأَقْرَبِ وَتَاءِ التَّقْوَى مُبَدِّلَةٌ مِنْ وَاوٍ وَءَاءِهَا مُبَدِّلَةٌ مِنْ يَاءٍ لِأَنَّهُ مِنْ وَقِيتَ بَيْنَكُمْ  
ظَرَفٌ لِنَسَاوٍ وَحَالٌ مِنَ الْفَضْلِ.

بَابُ التَّوْقُفِ فِي تَقْوَى

جزء ٢

المجلد الثاني

## التفسير

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ قَبْلَ الْمَسِّ وَالْفَرْضَ بَيْنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُكْمَ الطَّلَاقِ بَعْدَ الْفَرْضِ وَقَبْلَ الْمَسِّ وَقَدْ قُلْنَا أَنَّهُمْ إِنْ تَقَوُّوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَسِّ الْجَمَاعَ وَالْوَقَاعَ أَمَّا حَقِيقَةُ أَوْ كُنَايَةُ فَقَالَ تَعَالَى:

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ أَيْ أَنْ طَلَّقْتُمُ الْأَزْوَاجَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ أَيْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلُوا بِهِنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً أَيْ أَنْتُمْ قَدْ فَرَضْتُمْ وَأَوْجَبْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَهُنَّ أَيْ لِلْأَزْوَاجِ فَرِيضَةٌ أَعْنِي بِهَا الصَّدَاقُ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ أَيْ فَعَلَيْكُمْ نِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ مِنَ الْمَهْرِ لَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ النِّسَاءَ فَيَتَرَكْنَ مَا يَجِبُ لَهُنَّ مِنْ نِصْفِ الصَّدَاقِ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مِنْكُمْ شَيْئاً أَوْ يَغْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَهُوَ الْوَلِيُّ لِأَنَّهُ لَا وِلَايَةَ لِأَحَدٍ عِنْدَنَا عَلَى الْبِكْرِ غَيْرِ الْبَالِغِ إِلَّا الْأَبُ أَوْ الْحَدُّ فَأَمَّا مَنْ عَادَاهَا فَلَا وِلَايَةَ لَهُ إِلَّا بِتَوَلِيَّةٍ مِنْهُمَا وَأَنْ تَغْفُوا خُطَابَ لِلزَّوْجِ وَالْمَرْأَةِ جَمِيعاً أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى لِإِتِّعَاءِ ظِلْمِ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبِهِ مِمَّا يَجِبُ مِنْ حَقِّهِ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ قِيلَ فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى إِسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ عَمَّنْ كَانَ مُحْتَاجاً مِنَ الزَّوْجَيْنِ.

إِعْلَمُ أَنَّهُمْ قَالُوا أَنَّ الْفَرْضَ تَقْدِيرُ الْمَهْرِ تَفْصِيلاً أَوْ إِجْمَالاً فَيَدْخُلُ فِيهِ مَنْ تَزَوَّجَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسِتَّةَ نَبِيٍّ إِذْ هُوَ مَقْدَرٌ بِخَمْسِ مِائَةِ دِرْهَمٍ فَيَنْتَصِفُ بِالطَّلَاقِ قَبْلَ الدَّخُولِ وَيَدْخُلُ فِيهِ مَفْوضُ الْمَهْرِ وَهِيَ أَنْ يَقَعَ الْعَقْدُ بِحُكْمِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ فَلَوْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدَّخُولِ أُلْزِمَ مِنْ إِلَيْهِ الْحُكْمُ الْحَكْمُ وَيَكُونُ لَهَا نِصْفُ ذَلِكَ، عَمَلًا بِالْآيَةِ أَمَّا الْآيَةُ وَعَلَيْهِه فَتَوَى الْأَصْحَابُ وَلَوْ مَاتَ الْحَاكِمُ قَبْلَ الدَّخُولِ فَلَا قَهْرَ لَهَا وَلَكِنْ لَهَا وَعَلَيْهِهِ دَلَّتْ صَحِيحَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَلَى مَا فِي الْكَافِي وَالْفَقِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي رَجُلٍ تَزَوَّجَ عَلَى حُكْمِهَا أَوْ عَلَى حُكْمِهِ فَمَاتَ أَوْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا الْمِيرَاثُ وَالْمَتْعَةُ وَالْمِيرَاثُ لَا قَهْرَ لَهَا قُلْتَ



فان طَلَّقَهَا وقد تزَوَّجَهَا على كلها قال **عَلَيْهَا** اذا طَلَّقَهَا وقد تزَوَّجَهَا على حكمها لم يجاوز بحكمها عليه أكثر من وزن خمس مائة درهم فَضَّة مهوَر نساء النَّبِيِّ وبه أفتى أكثر الأصحاب وقال بعضهم لها مهر المثل وقال آخر لا مهر لها ولا متعة، والحاصل أَنَّ المَطْلَقة قبل المَسِّ بعد الفرض لها نصف المهر وأما بعد المَسِّ بدون الفرض لها مهر المثل وبعد المَسِّ والفرض تستحق جميع المهر وكذا لو ماتت او مات ويدل عليه مع مفهوم هذه الآية الايات التي اشرنا اليها والروايات المستفيضة والإجماع هكذا قالوا ثم أَنَّهُمْ ذكروا في المقام مسائل.

**الأولى:** تملك المرأة المهر بالعقد وأن لم يستقر قبل الدخول لأنَّ المهر عوض البضع والزَّوج يملكه بالعقد والمرأة تملك العوض وهو المهر ويدل عليه.

قال الله تعالى: **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ**.

قال الله تعالى: **وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً** <sup>(٢)</sup> فأنَّه شامل لما قبل الدخول إلا ما خرج عنه بدليل وعليه فلها أن تمنع من الدخول بها حتَّى تقبض المهر ومقتضى ذلك أَنَّها تملكه وهكذا يدل على المدعى الروايات الدالة على أَنَّ المتوفى عنها زوجها قبل الدخول تستحق جميع المهر.

**الثانية:** ردَّة الزَّوج قبل الدخول فقد صرح جماعة من الأصحاب بأنَّه يستقر جميع المهر بالعقد فيجب الحكم باستمراره الى أن يعلم المسقط.

**الثالثة:** موت الزَّوج قبله فأنَّ مقتضى إطلاق الأيات أيضاً يقتضيه والتصنيف أنما يكون بالطلاق.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

**الرَّابِعَةُ:** العفو أعمّ من الإبراء والهبّة فأن كان متعلّقة ما في الذّمة كأن يكون المهر ديناً فهو الإبراء وأن كان عيناً فهو هبة وقد تطلق الهبة على ما في الذّمة.

**الخامسة:** إتفقوا على أنّ المراد بقوله: **إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ النِّسَاءُ الْمَطْلُقات** ومعناه إلا أن يتركن النّصف الذي وجب لهنّ عند الزّوج قالوا والإستثناء منقطع لأنّ عفوهنّ عن النّصف ليس من جنس أخذهنّ وأمّا قوله:

**أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ** فالمراد به الوّلي وهو الأب والجّد لا غير وذهب بعض العامّة الى أنّ وّلي عقدة النّكاح الزّوج واختاره أبو حنيفة والشافعي والحقّ ما ذهبنا اليه ثمّ أنّ الرّواية ثابتة لهما على البكر اذا كان غير بالغٍ وأمّا بعد البلوغ فيعتبر رضاه وأمّا بالنسبة الى الثّيب فلا ولاية مطلقاً.



## حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)

### ◀ اللغة

حَافِظُوا: المحافظة هي المداومة على الشيء والمواظبة عليه.  
الْوُسْطَى: بضم الواو تأنيث الأوسط ووسط الشيء خيره وأعدله.  
قَانِتِينَ: القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع.

### ◀ الإعراب

لِلَّهِ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ اللَّامُ، بِقُومُوا، وَأَنْ تَتَعَلَّقَ بِقَانِتِينَ وَالتَّقْدِيرُ قُومُوا قَانِتِينَ لِلَّهِ.

### ◀ التفسير

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ أي داؤوا وواظبوا عليهنّ بإتيانهنّ في مواقيتهنّ من غير تضييع وتفريطِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى هي صلاة الظهر وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ أي طائعين خاضعين، ففي الآية حثٌّ على مراعاة الصلّة ومواقيتهنّ وألا يقع فيها تضييعٌ وتفريطٌ وفيها ثلاث مسائل.

الأولى: في تفسير قوله: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ الصَّلوات بالواو جمع الصلّة وهي في أصل اللغة الدعاء ثمّ إستعملت في الشرع في الأركان المخصوصة مع النية والتّقرب بها الى الله تعالى فأن قلنا بثبوت الحقيقة الشرعية بمعنى أنّ الشارع عزلها عن معناها اللّغوي ووضعها للأركان المخصوصة فهو وألا فهو حقيقة في معناها اللّغوي مجاز في المعنى الشرعي ومن هذا القبيل لفظ الزكاة والصّوم والحجّ وأمثالها والحق أنّ الحقيقة الشرعية لم تثبت في الأصول وكيف كان فالمعنى حافظوا أي داوموا وواظبوا على

الصلوات والمراد بالمحافظة عليها شدة الإعتناء بها بأن يداوم عليها ولا يتركها وأن يأتي بمقدماتها وأفعالها على الوجه الكامل أو الأكمل وأن يحافظ على أدائها في أوقاتها فيأتي بها على الحدود المقررة في الشريعة التي أمر بها الشارع فيأتي بها في أوقاتها ولا يؤخرها من غير عذر لأن أول الوقت رضوان الله وأخر الوقت غفران الله، ولنذكر بعض ما ورد في الباب.

قال الصادق عليه السلام: الصلاة لها أربعة آلاف حد، وعن الرضا عليه السلام لها أربعة آلاف باب.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله: دخل المسجد وفيه أناس من أصحابه فقال صلى الله عليه وآله: أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وآله: أن ربكم يقول أن هذه الصلوات الخمس المفروضات من صلاتهم لوقتتهن وحافظ عليهن لقاني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله به الجنة ومن لم يصلهن لوقتتهن ولم يحافظ عليهن فذلك إلي أن شئت عذبت به وأن شئت غفرت له انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: أن العبد إذا صلى الصلاة في وقتها وحافظ عليها إرتفعت بيضاء نقية تقول حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ وإن لم يُصَلِّها لوقتتها ولم يحافظ عليها إرتفعت سواد مظلمة تقول ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ انتهى.

وعن أبي بصير قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول أن أول ما يُحاسب به العبد الصلاة فأن قبلت قبل ماسواها وأن الصلاة إذا إرتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ وإذا إرتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سواد مظلمة تقول ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ انتهى.

وقال أبو جعفر عليه السلام: لأبي بصير ما خدعوك فيه من شيء فلا يخدعونك في العصر صلّها والشمس بيضاء نقيّة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الموثور أهله وماله من ضيّع صلاة العصر قيل له عليه السلام وما الموثور أهله وماله قال لا يكون له أهل ولا مال في الجنة قال وما تضييعها قال عليه السلام يدعها حتّى تصفر أو تغيب الشمس انتهى.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منّي من استخف بصلاته لا يرد عليّ الحوض لا والله انتهى.

وقال الصادق عليه السلام: صلواتهم دائمون قال عليه السلام: هي النافلة انتهى. والأخبار الواردة في فضلها والحافطة عليها ومراعاة حدودها وشرائطها كثيرة جداً.

الثانية: قوله تعالى: وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى الْوُسْطَى معنى التوسط بين الصلوات أو الوسطى في الفضيلة أي كثيرة الفضل وخصّها بالذكر تخصيصاً بعد التعميم إهتماماً بحفظها لافضليتها أو لأمر آخر كوقوعها في وقت شديد يصعب على المكلف الاتيان بها فيه ثم أنّهم اختلفوا فيها على أقوالٍ فقليل أنّها صلاة الظهر وهو المروي عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله أيضاً وبه قال أبو حنيفة وقيل أنّها الجمعة يوم الجمعة والظهر سائر الأيام وبه قال بعض أئمة الزيدية.

الثالث: أنّها صلاة العصر عن ابن عباس.

الرابع: أنّها صلاة المغرب عن قبيصة بن ذؤيب قال لأنّها وسط في الطول والقصر من بين الصلوة.

الخامس: أنّها صلاة العشاء لأنّها بين صلواتين لا يقصران.

سادسها: أنّها صلاة الفجر، وبه قال معاذ وابن عباس وغيرهما وهو قول الشافعي.

**سابعها:** أنها إحدى الصَّلوات الخمس لم يعينها الله وأخفاها في جملة الصَّلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان وإسمه الأعظم في جميع الأسماء وساعة الإجابة في ساعات الجمعة وهذه الأقوال نقلها الطبرسي رحمته الله في تفسيره وقد زاد القرطبي في تفسيره بعد نقله ما نقلناه أقوالاً ثلاثة.

**أحدها:** أنها الصَّبح والعصر معاً قاله الشيخ أبو بكر الأبهري واحتج بقول رسول الله ﷺ حيث قال، يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. ثانيها: أنها العشاء والصَّبح.

**ثالثها:** أنها الصَّلوات الخمس بجملتها. والذي يستفاد من أخبارنا وعليه المعول في تفسير كلام الله هو أنها صلاة الظهر.

منها ما عن تفسير العياشي عن زرارة ومحمد بن مسلم أنهما سألا أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** قال عليه السلام صلاة الظهر انتهى.

ومنها ما عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصَّلَاة الوسطى هي الوسطى من صلوات النهار وهي الظهر انتهى.

ومنها ما عن الكافي، والفقيه والتَّهذيب في الصَّحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** وهي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ وهي وسط النهار ووسط الصَّلَاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر انتهى.

وعن تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له الصَّلَاة الْوُسْطَى فقال عليه السلام: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ**

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وصلاة العصر و قوموا لله قانتين والوسطى هي الظهر كذلك كان يقرأوها رسول الله انتهى.

والأحاديث نقلناها عن آيات الأحكام للجزائري رحمته أقول نقل الطبري أخباراً كثيرة في تفسيره لهذه الآية ثم إختار ما إختارناه من أنها صلاة الظهر قال وأما قيل لها الوسطى لتوسطها الصلوات المكتوبات الخمس وذلك أن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين وهي بين ذلك وسطاهن والوسطى الفعلى من قول القائل وسطت القوم أسطهم سطةً ووسطاً إذا دخلت وسطهم ويقال للذكر فيه هو أوسطنا للأثنى هي وسطانا انتهى ما ذكره.

الثالثة: قوله تعالى: **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** قال بعضهم معنى القنوت الطاعة، وقال آخرون القنوت في هذه الآية السكوت، وقول ثالث أن القنوت في الآية الركوع في الصلاة والخشوع فيها أي قوموا لله في صلاتكم خاشعين خافضين الأجنحة غير عابثين ولا لاعبين، وقيل القنوت في الآية الدعاء أي قوموا لله راغبين في صلاتكم نقل هذه الأقوال الطبري في تفسيره ثم قال وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** قول من قال تأويله مطيعين وذلك أن أصل القنوت الطاعة وقد تكون الطاعة لله في الصلاة بالسكوت عما نهى الله من الكلام فيها وساق الكلام إلى أن قال فتأويل الآية، أذن.

**خَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ فِيهَا** مطيعين بترك بعضكم فيها كلام بعض وغير ذلك من معاني الكلام سوى قراءة القرآن فيها أو ذكر الله بالذي هو أهله أو دعاء فيها غير عاصين لله فيها بتضييع حدودها والتفريط في الواجب لله عليكم فيها وفي غيرها من فرائض الله انتهى كلامه وقال بعضهم القنوت هو القيام وقال الآخرون القنوت عبارة عن الدوام على الشيء والصبر عليه والملازمة له وهو في الشريعة صار مختصاً

بالمداومة على طاعة الله والمواظبة على خدمته وعلى هذا التقدير يدخل فيه جميع ما قاله المفسرون هذه الأقوال كلها منقول عن العامة.

**أقول** القنوت يطلق في اللغة على معانٍ خمسة، الدعاء، والطاعة، والسكون، والقيام في الصلاة، والإمساك عن الكلام وأما عندنا فهو ذكرٌ مخصوص في موضع معين من الصلاة سواء كان معه رفع اليدين أم لا وربما يطلق على الذكر مع رفع اليدين ثم أنهم أي علمائنا اختلفوا في المعنى المراد في الآية الشريفة فقليل معناه قوموا لله في الصلاة ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن يذكر الله قائماً وقليل كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا عنه، وقليل هو الركود وكف الأيدي والبصر وقليل غير ذلك.





فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا  
 اللَّهُ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

### ◀ اللغة

فان خفتم: الخوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة وضده الأمن.  
 فرجالاً أو ركبناً: جمع راجلٍ وراكبٍ.  
 امنتم: الأمن ضد الخوف.

### ◀ الإعراب

فرجالاً حال من المحذوف تقديره فصلوا رجالاً ركبناً معطوف على  
 الرجال اي فصلوا ركبناً أي فصلوا ركبناً (كما علمكم) في موضع نصب أي  
 ذكراً مثل الأصحاب في صلاة ما علمكم.

### ◀ التفسير

ما غامر الله بالاتيان على الوجه المقرر في الشرح اعصبة بما يدل على ان  
 ذالك مخصوص لغير مال الضرورة واما فيها فلا حرج بل يجوز الاتيان بهما  
 ناشياً أو ركبناً على اى كيفيته اكست كما ذكره الاصحاب لاختلاف وقوله:

فإذا امنتم فادكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون أي وعند الأمن  
 يؤتى بها على الطريقة التي أمر الله بها من المحافظة على الاتيان بها في  
 حدودها وأوقاتها كما عرفت.

إعلم أن الآية الشريفة تدل على مشروعية صلاة الخوف ولا بأس بالإشارة  
 إليها إجمالاً فنقول قال العلامة رحمته في القواعد، الفصل الرابع في صلاة الخوف  
 وفيه مطلبان:

**الأول:** في الكيفية وهى أنواع، الأول صلاة ذات الرقاع وشروطها أربعة.  
الأول: كون الخصم في غير جهة القبلة أو الحيلولة بينهم وبين المسلمين بما يمنع من رؤيتهم لو هجموا.

**الثانى:** قوته بحيث يخاف هجومه على المسلمين.

**الثالث:** كثرة المسلمين بحيث يفترون فرقتين يقاوم كل فرقة العدو.

**الرابع:** عدم الإحتياج الى زيادة التفريق فينحاز الإمام بطائفة الى حيث لا تبلغهم سهام العدو فيصلّي بهم ركعة فإذا قام الى الثانية إنفردوا واجباً وأتموا الأخرى تحرسهم ثم يأخذ الأولى مكان الثانية وتنحاز الثانية الى الإمام ينتظرهم فيقتدون به في الثانية فإذا جلس في الثانية قاموا فأتوا ولحقوا به و يسلم بهم ويطول الإمام القراءة في إنتظار إتيان الثانية والتشهد في إنتظار فراغها وفي المغرب يصلّي بالأولى ركعتين وبالثانية ركعة أو بالعكس والأول أجود لثلاث تكلف الثانية زيادة جلوس وللإمام الإنتظار في التشهد أو في القيام الثالث ويخالف هذه الصلاة غيرها في إنفراد المؤتم وإنتظار الإمام إتمام المأموم وإتتمام القائم بالقاعد.

**الثانى:** صلاة بطن النخل وهى أن لا يكون العدو في جهة القبلة فيفرّقهم فرقتين فيصلّي بأحدهما ركعتين و يسلم بهم والثانية تحرسهم ثم يصلّي بالثانية ركعتين نافلة له وهى لهم فريضة ولا يشترط في هذه الخوف.

**الثالث:** صلاة عسفان بأن يكون العدو في جهة القبلة فيرتبهم الإمام صفين ويحرم بهم جميعاً ويركع بهم ويسجد بالأول خاصّة ويقوم الثانى للحراسة فإذا قام الإمام بالأول سجد الثانى ثم ينتقل كل من الصفين الى مكان صاحبه فيركع الإمام بهما ثم يسجد بالذي يليه ويقوم الثانى الذي كان أولاً لحراستهم فإذا جلس بهم سجدوا و سلم بهم جميعاً.

**الرابع:** صلاة شدة الخوف و ذلك عند إلتحام القتال و عدم التمكن من تركه فيصلي على حب الإمكان و أن كان راكباً مستديراً ولو تمكن من الإستقبال وجب وإلا فبالتكبير وإلا سقط و يسجد على قربوس سرجه أن لم يمكن النزول ولو عجز عنه أو ماء ولو اشتد الحال عن ذلك صلى بالتسبيح عوض كل ركعة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر و سقط الركوع والسجود ولا بد من النية وتكبير الإحرام والتشهد والتسليم انتهى.

إذا عرفت أقسام الصلاة فيه فقد علمت أن المراد بالآية الشريفة هو القسم الرابع منها و قد عبروا عنها بالصلاة المطاردة و قد تسمى صلاة شدة الخوف و هي التي يكون المكلف مأموراً بإتيانها رجالاً أو ركباناً واقفاً أو ماشياً بل أو مضطجعا.

قال المحقق رحمته الله في الشرائع.

وأما صلاة المطاردة وتسمى صلاة شدة الخوف مثل أن ينتهي الحال الى المعانقة والمسالفة يصلي على حسب إمكانه واقفاً أو ماشياً أو ركباناً.

قال الشارح أو مضطجعا أو غير ذلك ضرورة عدم السقوط عنه لأنها لا تسقط في حال ولا يسقط الميسور بالمعسور وما لا يدرك كله لا يترك كله و قال الله تعالى: **فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا** و قوله **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ**<sup>(١)</sup>، مضافاً الى الإجماع محصلاً ومنقولاً على ذلك انتهى.

**أقول** قال رسول الله ﷺ بعثت الى الشريعة السهلة السهلة، و قال تعالى: **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**<sup>(٢)</sup>.

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً  
لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ  
خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي  
أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)

### ◀ اللغة

يُتَوَفَّوْنَ: أي يموتون.

يَذَرُونَ: أي يتركون.

وَصِيَّةٌ: قال الراغب، الوصية التَّقدم الى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظٍ من قولهم أرضٌ واصية متصلة النَّبات.

إِلَى الْحَوْلِ: أصل الحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره ثم أنه يطلق على السنة تحول وحالت الدَّار تغيّرت.

### ◀ الإعراب

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ الَّذِينَ مَبْدَأُ والخبر محذوف تقديره يوصون وصية هذا على قراءة من نصب، وصية، وأما من رفع فالتقدير وعليهم وصية، وعليهم المقدرة، خبر لوصية لأزواجهم، نعت للوصية وقيل هو خبر الوصية وعليهم، خبر ثانٍ أو تبيين له مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ مصدر لأنَّ الوصية دَلَّتْ على يوصون ويوصون بمعنى يمتعون ويجوز أن يكون بدلاً من الوصية على قراءة من نصبها، أو صفة الوصية، وإلى الحول.

مَتَعْلَقٌ، بمتاع، أو صفة له، وقيل متاعاً، حال، أي متمتعين، أو ذوي متاع غَيْرِ إِخْرَاجٍ غير هنا تنتصب إنتصاب المصدر عند الأخفش تقديره لا إخراجاً، وقال غيره هو حال، وقيل هو صفة متاع وقيل التَّقدير من غير إخراج.

## ◀ التفسير

إِعلم أنَّ هذه الآية منسوخة بالحكم بالآية المتقدمة أعني بها قوله تعالى: وَ  
الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا<sup>(١)</sup>  
قال الشيخ في التبيان بلا خلاف في نسخ العدة إلا اباحذيفة فإنه قال العدة  
اربعة اشهر وعشراً وما زاد على الحول يثبت بالوصيته والنفقة فان امتنع الورثة  
من ذلك كلن لهما ان تسرف في نفسها انتهى.

قال القرطبي ذهب جماعة من المفسرين في تاويل هذه الآية أنَّ المتوفى  
زوجها كانت يجلس في بيت المتوفى عنها حولاً وينفق عليها من ماله ما لم  
تخرج من المنزل فأن خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة عنها  
ثم نسخ الحول بالأربعة أشهر والعشر ونسخت النفقة بالربيع والثلث في سورة  
النساء قاله ابن عباس وقنادة والضحاك وابن زيد والربيع ثم نقل عن الطبري  
أنَّ هذه الآية محكمة لانسخ فيها والعدة كانت قد تثبت أربعة أشهر وعشراً ثم  
جعل الله لهنَّ وصية عنه سكنى سبعة أشهر وعشرين ليلة فأن شاءت المرأة  
سكنت في وصيتها وأن شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل: غَيْرَ إِخْرَاجٍ  
فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ قال ابن عطية وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ  
المتفق عليه، وقال القاضي عياض، والإجماع فنعقد على أنَّ الحول منسوخ  
وأنَّ عدتها أربعة أشهر وعشر إنتهى كلام القرطبي.  
إذا عرفت وعلمت أنَّ الآية منسوخة فلنرجع الى تفسير الفاظ الآية.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَي الَّذِينَ يَمُوتُونَ لأنَّ المتوفى لا يؤمر ولا يُنهى  
وَيَذَرُونَ أَي يَتَرَكُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ أَي فليُوصُوا وَصِيَّةً  
لأزواجهم وأما على الرَّقْع فالمعنى وعليهم وصية لهنَّ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ أَي

في القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

الجلد الثاني

ما يكفي لهن حولاً كاملاً من النفقة والكسوة والسكن غير إخراج أي ليس لأولياء الميت إخراجهن وقيل لا يخرجن من بيوت الأزواج فإن خرجن من البيوت بإختيارهن قبل الحول فلا جناح عليكن أي لا حرج لأحد من أولياء الميت، وقيل لا جناح في قطع النفقة عنهن، وقيل لا جناح عليكم أن تزوجن بعد إنتضاء العدة في ما فعلن في أنفسهن بالخروج من البيوت واللّه عزيرٌ حكيمٌ صفة تقتضي الوعيد لمن خالف الحد، حكيمٌ، حيث يضع الأشياء في موضعها فهو محكمٌ لما يريد من عباده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يُسئلون.



وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى  
الْمُتَّقِينَ \* (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

## ◀ اللّغة

واضحة.

## ◀ الإعراب

وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ مبتدأ وخبر حَقًّا مصدر وقد ذكر مثله قبل كَذَلِكَ يُبَيِّنُ  
اللَّهُ قد ذكر في آية الصَّيَامِ فلا نعيده.

## ◀ التفسير

نقل في التبيان عن سعيد بن المسيب أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:  
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ وَقَالَ سعيد بن جبير وأبو العالية والزَّهْرِي المتعة  
واجبة لكل مطلقة وبه قال أبو حنيفة وقال الحسن هي للمطلقة التي لم يدخل  
بها ولم يفرض لها صداق وقال عطاء ومجاهد للمدخل بها وعن أبي علي أنها  
للمطلقة البائنة قال الشيخ بعد نقله الأقوال المذكورة وعندنا أنها مخصوصة  
بتلك أن نزلت معاً وأن كانت تلك متأخرة فالأمر على ما قال سعيد بن المسيب  
أنها منسوخة لأنَّ عندنا لا تجب المتعة إلا للتي لم يدخل بها ولم يتم لها  
مهر وأن سمي لها مهر فلها ما سمي وأن لم يدخل بها فأن فرض لها مهرأ  
كان له نصف مهرها ولا متعة لها في الحالين فلا بد من تخصيص هذه الآية  
إنتهى.

في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

إن قلت ما وجه تكرار المتعة في الأيتين، قلت أجابوا عنه بأن ذكرها في

الآية المتقدمة<sup>(١)</sup> خاصّ بالمسلمين أو بما اذ طلق الرجل إمرأته قبل المسيس والفرض وأما في المقام فذكرها عاماً ليدخل فيه الأمة وغيرها هكذا قيل، والحق أن الكفار مكلفون بالفروع كما ثبت في محله فذكر المتعة في الآية المتقدمة لا يمكن أن يكون خاصاً بالمسلمين وأما كونه خاصاً بالطلاق قبل المسّ والفرض فهو في محله وكيف كان فالمتعة على قدر وسع الرجل بظاهر الآية حيث قال وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقد مرّ الكلام فيه، وقوله بالمعروف فقول أنه إشارة الى كون المتعة بين الإفراط والتفريط على قدر الميسرة وتخصيصه بالمتقين تشریف لهم بالذكر اختصاصاً وأن كان واجباً على الفاسقين أيضاً وقال بعض المحققين أثبت الله المتعة للمطلقات جميعاً في هذه الآية بعد ما أوجبها لواحدة منهن في الآية المتقدمة وعليه فالآية المتقدمة من قبيل الخاص وهذه الآية من قبيل العام فإن ثبت نزول المتقدمة بعد هذه الآية فلاشك أن العام يحمل على الخاص بمعنى أن الخاص تخصيص العام بالقاعدة تقتضي رفع اليد عن العام أو الأخذ بالخاص.

وأما أن لم يثبت هذا فالأخذ بالعام بعد الخاص مسلّم فنرفع اليد عن الخاص ونأخذ بالعام لدخول الخاص تحت العام وعليه بالمتعة واجبة أو مستحبة على اختلاف فيه لكل المطلقات سواء كانت قبل المسّ والفرض أو بعدهما فإن قوله تعالى:

وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ يدل على إعطاء المتعة لهنّ بقول مطلق وأن كانت زائدة على الصّداق في بعض الموارد والسّر فيه هو أن الصّداق أو مهر المثل دين على ذمة الرجل للمطلقة ولا بدّ له من تسليمه إليها فليس داخل في قوله، مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وأما يدخل فيه ما زاد عليه ألا ترى أن الله تعالى قال في الآية المتقدمة حقاً على المحسنين وفي هذه الآية حقاً على الْمُتَّقِينَ أليس في قوله تعالى إشعار بما ذكرناه.



ويؤيد ما ذكرناه واستخرجناه من الآية مارواه في الفقيه عن الباقر عليه السلام قال متعة النساء واجبة دخل بها أولم يدخل بها وتمتع قبل أن يطلق انتهى.  
وقال الشيخ في التهذيب المتعة للتي لم يدخل بها وأما التي دخل بها فيستحب تمتعها اذا لم يكن لها في ذمته مهر والأول قبل الطلاق والثاني بعد إنقضاء العدة وفيه عن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن المطلقة التي يجب على زوجها المتعة فكتب عليه السلام البائنة وأمثال ذلك من الأخبار الدالة على استحبابها بقول مطلق ومحصل الكلام هو أن هذه الآية تدل على استحباب المتعة لكل مطلقة من المطلقات ليدخل الزوج بها في سكك المحسنين والمتقين وأما قوله تعالى:

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ فيه اشارة بل تصريح بالتعقل في الآيات والتدبر فيها وهو واضح.

فقول الشيخ قده وغيره من المفسرين عندنا لا يجب المتعة إلا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها فهو الى الآخر ما قال او قالوا فهو صحيح الا انا نقول ان هذه الآية ليست لبيان حكم الوجوب فيها لانه قد ثبت في الآية المتقدم قد ان قلنا باستفادة الوجوب منها في قوله ومتعوهن أو باستفادته من الأخبار والإجماع، وأنما هي بصدد بيان مطلق الرجحان الذي يشمل الاستحباب أيضاً والفرق بين المقامين واضح هذا ما استفدناه من الآية والعلم عند الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ  
أُلُوفٌ حِذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ  
أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

## ◀ اللّغة

أُلُوفٌ: جمع ألف.

حِذَرَ الْمَوْتِ: الحذر إحتراز عن مخيف والباقي واضح.

## ◀ الإعراب

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ الْأَصْلُ فِي، تَرَى، مثل تَرَعَى، وَاتَّفَقُوا عَلَى حَذْفِ الْهَمْزَةِ  
فِي الْمُسْتَقْبَلِ تَخْفِيفًا وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ وَلَمَّا حَذَفَتِ الْهَمْزَةُ بَقِيَ آخِرُ الْفِعْلِ أَلُفًا  
فَحَذَفَتْ فِي الْجَزْمِ وَالْأَلْفُ مُنْقَلَبَةٌ عَنْ يَاءٍ فَأَمَّا فِي الْمَاضِي فَلَا تَحْذِفُ الْهَمْزَةُ وَ  
أَمَّا عَدَاهُ، هُنَا، بِإِلَى، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَلَمْ يَنْتَهَ عِلْمُكَ إِلَى كَذَا وَالرُّؤْيَا هُنَا بِمَعْنَى  
الْعِلْمِ وَالْهَمْزَةُ فِي أَلَمْ، إِسْتِفْهَامٌ وَهُوَ إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّفْيِ صَارَ إِجْبَابًا وَتَقْرِيرًا وَ  
لَا يَبْقَى الْإِسْتِفْهَامُ وَلَا النَّفْيُ فِي الْمَعْنَى ثُمَّ أَحْيَاهُمْ مَعْطُوفٌ عَلَى فِعْلِ  
مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ فَمَاتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَ أَلْفٌ إِحْيَاءٌ مُنْقَلَبَةٌ عَنْ يَاءٍ.

## ◀ التفسير

روى في الكافي بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا قَالَ عليه السلام أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا فِي مَدِينَةٍ مِنْ  
مَدَائِنِ الشَّامِ وَكَانُوا سَبْعِينَ أَلْفَ بَيْتٍ وَكَانَ الطَّاعُونَ يَقَعُ فِيهِمْ فِي  
كُلِّ أَوَانٍ فَكَانُوا إِذَا أَحْسَسُوا بِهِ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ الْأَغْنِيَاءُ لِقَوْتِهِمْ وَبَقِيَ

ففيها الفقراء لِضَعْفِهِمْ فَكَانَ الْمَوْتُ يَكْثُرُ فِي الَّذِينَ أَقَامُوا وَيَقَلُّ فِي  
الَّذِينَ خَرَجُوا لَوْ كُنَّا أَقْمَنَّا لَكُنْزُ فِينَا الْمَوْتُ وَيَقُولُ الَّذِينَ أَقَامُوا لَوْ  
كُنَّا خَرَجْنَا لَقَلَّ فِينَا الْمَوْتُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ جَمِيعاً أَنَّهُ إِذَا  
وَقَعَ الطَّاعُونَ فِيهِمْ وَأَحْسَنُوا بِهِ خَرَجُوا كُلُّهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا  
أَحْسَنُوا بِالطَّاعُونَ خَرَجُوا جَمِيعاً وَتَنَحَّوْا عَنِ الطَّاعُونَ حِذْرَ الْمَوْتِ  
فَسَارُوا فِي الْبِلَادِ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَنَّهُمْ مَرُّوا بِمَدِينَةٍ خَرِبَةٍ قَدْ خَلَا  
أَهْلُهَا عَنْهَا وَأَفْنَاهُمْ الطَّاعُونَ قَنَزِلُوا لَهَا فَلَمَّا أَحْطَوْا رَحَالَهُمْ  
وَإِطْمَأَنَّنُوا قَالَ لَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوْتُوا جَمِيعاً فَمَاتُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ  
وَصَارُوا رَمِيماً تَلُوحُ وَكَانُوا عَلَى طَرِيقِ الْمَارَّةِ فَكَنَسَتْهُمْ الْمَارَّةُ  
فَنَحَّوْهُمْ وَجَمَعُوهُمْ فِي مَوْضِعٍ فَمَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ حَزْقِيلُ فَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الْعِظَامَ بَكَى وَاسْتَعْبَرَ وَقَالَ  
رَبِّ لَوْ شِئْتُ لَأَحْيَيْتَهُمُ السَّاعَةَ كَمَا أَمَّتْهُمْ فَعَمَّرُوا بِلَادَكَ وَوَلَدُوا  
عِبَادَكَ وَعَبَدُوكَ مَعَ مَنْ يَعْبُدُكَ مِنْ خَلْقِكَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ  
أَفْتَحَبَّ ذَلِكَ قَالَ نَعَمْ يَارَبِّ فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ فَأَوْحَى اللَّهُ أَنْ قُلْ كَذَا وَكَذَا  
فَقَالَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقُولَهُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ الْإِسْمُ  
الْأَعْظَمُ فَلَمَّا قَالَ حَزْقِيلُ ذَلِكَ الْكَلَامَ نَظَرَ إِلَى عِظَامٍ يَطِيرُ بَعْضُهَا إِلَى  
بَعْضٍ فَعَادُوا أَحْيَاءَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ عَزَّ وَذَكَرَهُ  
وَيُكَبِّرُونَهُ وَيُهَلِّلُونَهُ فَقَالَ حَزْقِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ قَالَ عَمْرُو بْنُ يَزِيدٍ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.  
وَعَنْ غَوَالِي اللَّئَالِي عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ يَذْكُرُ فِيهِ فَيُرَوِّضُ  
الْفَرَسَ، وَفِيهِ أَنَّ نَبِيَّاً مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَ الْقَوْمَ  
الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حِذْرَ الْمَوْتِ فَأَمَاتَهُمْ  
فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ صَبَّ الْمَاءَ فِي مَضَاجِعِهِمْ فَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فِي هَذَا

اليوم فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً فصار صبّ الماء في اليوم النّيروز سنة ماضية لا يعرف سببها إلا الرّاسخون في العلم انتهى<sup>(١)</sup>  
وعن الإحتجاج للطبرسي في حديث الصادق عليه السلام أنّه أحصى الله قوماً خرجوا من أوطانهم هاربين من الطّاعون لا يُحصى عددهم فأماهم الله دهرأ طويلاً حتّى بُليت عظامهم وتقطّعت أوصالهم وصاروا تراباً فبعث الله في وقتٍ أحبّ أن يرى خلقه قدرته نبياً يقال له حزقيل فدعاهم فاجتمعت أبدانهم ورجعت فيها أرواحهم وقاموا كهيئة يوم ماتوا لا يفتقدون من أعدادهم رجلاً فعاشوا بعد ذلك دهرأ طويلاً<sup>(٢)</sup>

قال القرطبي في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هَذِهِ رُؤْيَا القلب بمعنى ألم تعلم وبه قال الطبري والمعنى عند سيبويه، تنبيه إلى أمر الذين الخ ولا تحتاج هذه الرّؤية إلى مفعولين إلى أن قال قصّة هؤلاء أنّهم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء وكانوا بقرية يقال لها (داوردان) فخرجوا منها هاربين فنزلوا وادياً فأماهم الله تعالى قال ابن عباس كانوا أربعة آلاف خرجوا من الطّاعون وقالوا نأتي أرضاً ليس بها موت فأماهم الله تعالى فمرّ بهم نبي فدعا الله تعالى فأحياهم وقيل أنّهم ماتوا ثمانية أيّام وقيل سبعة والله أعلم وقال عند قوله تعالى: وَهُمْ أَلُوفٌ قال الجمهور هي جمع ألف قال بعضهم كانوا ستّ مائة ألف وقيل كانوا ثمانين ألفاً وقيل سبعين ألفاً وساق الكلام في نقل كلماتهم حتّى قال والصّحيح أنّهم زادوا على عشرة آلاف لقوله تعالى: وَهُمْ أَلُوفٌ وهو جمع الكثرة ولا يقال في عشرة فما دونها ألاف ثمّ نقل عن بان زيد أنّه قال في لفظة ألاف، أنّما معناها وهم مؤتلفون أي لم تخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم أنّما كانوا مؤتلفين فخالفت هذه الفرقة فخرجت فرارا من الموت وإبتغاء

الحياة بزعمهم فأماتهم الله في منجاهم بزعمهم، فألوف على هذا جمع، ألف، كجلوس جمع جالس وقعود جمع قاعد انتهى.

وكيف كان فالآية الشريفة دالة على أمرين:

**أحدهما:** قدرة الله وأنه قادر على الإقامة كما هو قادر على الأحياء وهو كذلك لأنه على كل شيء قدير.

**ثانيهما:** أن الفرار من الموت لا ينفع للكفار.

قال الله تعالى: **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ** (١).

قال الله تعالى: **قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ** (٢)

و سيأتي الكلام فيه من المستقبل بوجه البسط و أما قوله:

**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** فيستفاد منها أيضاً أمران.

**أحدهما:** أن الله تعالى ذو فضل على الناس.

**الثاني:** أن أكثر الناس لا يشكرون بل يكفرون به أو يغفلون عنه وهو عجيب.

**الأول:** أعني أنه ذو فضل على الناس فيدل عليه العقل والنقل.

**أما العقل،** فلأن الفضل على ما فسره الرّاعب في المفردات هو الزيادة من الإقتصار قال والفضل إذا أستعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب، فضل من حيث الجنس كفضل الحيوان على النبات وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على الحيوان وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر فالأولان جوهران لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه كالفرس والحصان

هذا  
النقار في تفسير القرآن

جزء ٢

المجلد الثاني

لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خصّ بها الإنسان والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على إكتسابه انتهى.

إذا عرفت هذا فأعلم أنّ الله تعالى ذو فضل على الناس بجميع أقسامها، لأنّ فضل الإنسان على النبات والجماد جنساً وعلى الحيوان نوعاً.

**وأما القسم الثاني:** أعني الفضل الإكتسابي فهو أيضاً لا يحصل لأحد من النّاس إلّا بتوفيقه وإعانتة وهو واضح لا خفاء فيه فالإنسان من بدو وجوده مشمول لفضله وعنايته أن قلت الفضل على ما فسره الرّاعب الزيادة عن الإقتصار فأين الزيادة في المقام، قلت كلّ ما أعطاه الله لنا من الوجود والعلم والقدرة والرّزق وأمثالها فهو فضل لكونه زائداً على الإستحقاق بل المخلوق على قول بعض المتكلمين لا يستحق شيئاً فكّل ما أعطاه الله آياه فهو من فضله ورحمته ولذلك قالوا أنّ وجوده وإحسانه على الإطلاق بمحض التّفصل منه والإمتنان إذ لم يسبقه سؤال ولا إستحقاق بل هو تعالى يبتدأ بالنعم قبل إستحقاقها كما قيل بالفارسية.

داد حقّ را قابليت شرط نيست بلکه شرط قابليت داد اوست والوجه فيه هو أنّه قد ثبت في العلوم العقلية أنّ الفعل مقدّم على القوة بجميع أنحاء التّقدم إذ لا قوة حيث لا فعل فما لم يستفص الأشياء في العين بالفيض المقدّس لم يحصل لها قوة كما أنّها مالم تقرّر في العلم بالفيض الأقدس لم يثبت لها قابلية ولا لسان إستعداد وسؤال ولا إمتنان لأمر الحقّ تعالى فإنّ القابليات وأن كانت للأشياء ذاتيات لكن ظهورها أنّما هو بنور منبع الفعليّات.

**وأما النقل:**

قال الله تعالى: **فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (١)

قال الله تعالى: **وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **وَ اتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** <sup>(٢)</sup>

والآيات كثيرة وقد ورد، يا دائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالعطية، وأمثال ذلك من الأدعية الماثورة كقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا من هو في إحسانه قديم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يا من ملكه قديم يا من فضله عميم، وقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يا ذا الجود والنعم يا ذا الفضل والكرم الخ.

**الثاني:** أعني به قوله: **أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**، فهو أوضح من أن يخفى على أحد كيف وحقيقة الشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه في موضعه ومن يقدر عليه وقد تكلمنا في معنى الشكر وأقسامه وكيفية وما يتعلق به في أوائل سورة الحمد عند الفرق بين الحمد والشكر وسيأتي الكلام فيه في تفسير الآيات الواردة فيه إن شاء الله.



## وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)

### ◀ اللغة

وَقَاتِلُوا: المقاتلة المحاربة وتَحْرِي القتل.  
سَمِيعٌ: قال الرَّاعِب السَّمِيع، السَّامِع، المُسْمَع وهو للمبالغة أحد الأسماء الحسنى وهكذا العليم.

### ◀ الأعراب

وَقَاتِلُوا المعطوف عليه محذوف تقديره، فأطيعوا وقاتلوا أو فلا تحذروا الموت كما حذره من قبلكم ولم ينفعهم الحذر.

### ◀ التفسير

قيل أَنَّ الآية خطاب لأمة مُحَمَّد ﷺ بالقتال في سبيل الله، وقيل الخطاب للذين أحيوا من بني إسرائيل على ما مرَّ في الآية السابقة أي بعد ما أحياهم الله بدعوة النبي أمرهم بالقتال في سبيله وعليه فالواو في قوله: وَقَاتِلُوا عاطفة على الأمر المتقدم وفي الكلام حذف تقديره وقال لهم قاتلوا، أو فأطيعوا وقاتلوا، وأما على القول الأول وهو أن يكون الخطاب لأمة مُحَمَّد ﷺ فالواو للإستئناف أو أنها عاطفة جملة كلام على جملة تقدّم ولا حاجة إلى إضمار في الكلام وكيف كان فالآية حائثة على الجهاد في سبيله لأنَّ عِزَّة الدِّين وشرف المسلمين في ظلال السيوف وقوله: أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إشارة إلى أَنَّ الله تعالى يسمع قولكم ويعلم مرادكم ولا يخفى عليه شيء أي أَنَّهُ تعالى عالم بالسموعات والضمائر وستتكلّم إن شاء الله في معنى السَّمع والبصر في حقّه تعالى في موضعه بما لا مزيد عليه و أَنَّ علمه يرجع إلى سمعه وبصره لا أَنهما يرجعان إليه كما توصّوه.



مَنْ ذَٰلَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ  
أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

### ◀ اللّٰغَة

يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: يقترض بضمّ الياء من اقترض نقض اقراضاً، قال  
الزّاعب، القرض ضربٌ من القطع وسمي قطع المكان و تجاوزه قرضاً كما  
سمي قطعاً وسمي ما يدفع الى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً.  
فَيُضَاعِفُهُ: الضّعف من الألفاظ المتضايقة الذي يقتضي وجود أحدهما  
وجود الآخر كالنصف والزّوج، وهو تركّب قدرين متساويين ويختصّ بالعدد  
فاذا قيل أضعفت الشّيء وضعفته وضاعفته ضمنت اليه مثله فصاعداً قال  
بعضهم، ضاعفت أبلغ من ضعفتُ ولذلك قال تعالى: فيضاعفه ولم يقل  
فَيُضَعِّفُهُ.

يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ: القبض تناول الشّيء بجميع الكّف نحو قبض السيف  
والبسط خلافه والمعنى يسلب تارّة ويعطي أخرى أو يسلب قوماً ويعطي  
قوماً، أو يجمع مرّة ويفرق أخرى أو يميت ويحيي وقد يكتنى به عن الموت  
فيقال قبضه الله والإيقباض جمع الأطراف ويُستعمل في ترك التّبسّط.

بَابُ الْفَرَاغِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

### ◀ الإِعْرَاب

مَنْ ذَٰلَّذِي من إستفهام في موضع رفع بالإبتداء وذا خبره، والذي، نعت،  
لذا أو بدل منه يُقْرِضُ صلة الذي ولا يجوز ان تكون من و ذا بمنزلة اسم  
واحد كما كانت ماذا لأنّ ما اشدّ ابهاماً من من اذا كانت من لمن يعقل  
والقرض اسم للمصدر ومصدر على الحقيقة الاقراض ويجوز وان يكون

جزء ٢

المجلد الثاني

القرض بمعنى المقرض كالخلق بمعنى المخلوق فيكون مفعولاً به حَسَنًا يجوز وان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا قراضاً حَسَنًا ويجوز أن يكون صفة للمال ويكون بمعنى الطَّيِّب أو الكثير فَيُضَاعَفُهُ يُقرء بالزَّع عطفًا على، يقرض، أو على الإستئناف أي فالله يضاعفه، و يقر بالنَّصْب وفيه وجهان.

أحدهما: أن يكون معطوفاً على مصدر يقرض، في المعنى ولا يصح ذلك إلا باضمار أن يصير مصدرًا معطوفاً على مصدر تقديره، من ذا الذي يكون منه قرض فمضاعفة من الله.

**والوجه الثاني:** أن يكون جواب الإستفهام على المعنى لأنَّ المستفهم عنه كان المقرض في اللفظ فهو عن الإقراض في المعنى فكأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه أَضْعَافًا جمع ضعف والضعف هو العين وليس بالمصدر وإنما المصدر الأضعاف والمضاعفة فعلى هذا يجوز أن يكون حالاً من الهاء في يُضَاعَفُهُ ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على المعنى لأنَّ معنى، يُضَاعَفُهُ، يصيره إضعافاً ويجوز أن يكون بجمع ضعف والضعف إسم وقع موقع المصدر كالعطاء فإنه إسمٌ لِلْمُعْطَى وقد إستعمل بمعنى الإعطاء قال القطامي:

أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي      وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرِّتَاعَا

فيكون إنتصاب إضعافاً على المصدر، فأن قيل فكيف جُمع، قيل الإختلاف جهات التَّضْعِيف بحسب إختلاف الإخلاص وإختلاف أنواع الجزاء يَبْسُطُ يُقرء بالسَّين وهو الأصل وبالضاد على إبدالها من السَّين لتجانس الطاء في الإستعلاء.

### ◀ التفسير

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا قال ابن زيد القرض الذي دَعَا الله إليه الجهاد أقول أن كان مراده من الجهاد معناه العام الشامل للمال أيضاً فهو

مِمَّا لَا بَأْسَ بِهِ وَأَنْ كَانَ مِرَادُهُ الْجِهَادَ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ حَمَلَ الْقَرْضَ عَلَيْهِ فَهُوَ بَعِيدٌ إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ فَحَقَّ الْكَلَامُ أَنْ يُقَالَ مِنْ ذَا الَّذِي يُجَاهِدُ فِي جِهَادٍ حَسَنًا وَحَيْثُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ بِمِرَادٍ إِلَّا عَلَى مَا قُلْنَاهُ مِنْ تَعْمِيمِ اللَّفْظِ ثُمَّ أَنْ قَوْلَهُ يُقْرِضُ اللَّهُ قِيلَ أَنَّهُ مُجَازٌ فِي اللَّغَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْقَرْضِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي الْحَاجَةِ وَهِيَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى مُحَالٌ وَالْحَقُّ أَنَّهُ قَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْحَاجَةِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَخْلُطَنَّ جَسَنِيَّاتٍ بِطَيِّبَةٍ

وَأَخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا وَأَنْحَ عَرِيَانَا

كُلَّ إِمْرٍ سَوْفَ يَجْزِي قَرْضُهُ حَسَنًا

أَوْ سَيِّئًا وَمَدِينًا كَالَّذِي دَانَا

فِإِقْرَاضِ اللَّهِ مَثَلٌ لِتَقْدِيمِ الْعَمَلِ الَّذِي يُطْلَبُ ثَوَابُهُ فَالْمِرَادُ الْأَمْرُ وَلَيْسَ بِقَرْضٍ حَاجَةٍ عَلَى مَا ظَنَّهُ الْيَهُودُ كَمَا حَكَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ<sup>(١)</sup> بَلْ سَمِيَ الْإِنْفَاقَ قَرْضًا تَلَطُّفًا لِلدَّعَاءِ إِلَى فِعْلِهِ وَتَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَفُوتُهُمْ وَفِيهِ حَتٌّ لَهُمْ عَلَى فِعْلِهِ حَيْثُ كَانَ هُوَ سَبْحَانَهُ الْمَطَالِبُ بِهِ وَأَمَّا وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ حَسَنًا إِشْعَارًا بِأَنَّ الْقَرْضَ الْحَسَنَ هُوَ الْمَقْرُونُ بِالْإِخْلَاصِ الَّذِي لَا يَبْتَغِي بِهِ سَوَى اللَّهِ وَقِيلَ أَنَّ الْقَرْضَ الْحَسَنَ مَا تَسْتَرُهُ وَتَصْغُرُهُ عِنْدَكَ، وَقِيلَ مَا كَانَ مِنَ الْحَلَالِ وَلَا يَفْسُدُهُ بَمَنْ وَلَا أَدَى، أَوْ مَا نَوَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَيَكُونُ طَيِّبًا بِهِ نَفْسُهُ أَوْ مَا كَانَ حَسَنَ الْمَوْقِعِ عِنْدَ الْإِنْفَاقِ وَالْأَحْسَنُ حَمَلَ اللَّفْظِ عَلَى الْعُمُومِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ الْوَاقِعَةِ لَوَجْهِهِ تَعَالَى الْبَدْنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ وَمِنْ ذَلِكَ إِقْرَاضُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحْتَاجِينَ الْمَالَ فَتَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْقَرْضِ وَرَجْحَانِهِ بَلْ عَلَى شِدَّةِ التَّحْرِيزِ عَلَيْهِ وَالتَّرْغِيبِ بِإِعْتِبَارِ مَا رَتَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَضْعَافِ الْكَثِيرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء ٢

المجلد الثاني

فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِيهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ يَارَسُولَ اللَّهِ أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ قَالَ ﷺ نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ قَالَ أَرْنِي يَدَكَ، فَنَاولَهُ - قَالَ فَأَتَنِي أَقْرَضْتُ اللَّهَ حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ ثُمَّ جَاءَ يَمْشِي حَتَّى أَتَى الْحَائِطَ وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا - فَنَادَاهَا يَا أُمُّ الدَّحْدَاحِ قَالَتْ لَبَّيْكَ قَالَ أَخْرِجِي، قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَائِطًا فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ وَنَقَلَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَ مَنْ ذَلِكَ الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَارَسُولَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ يَسْتَقْرِضُنَا وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْقَرْضِ قَالَ ﷺ نَعَمْ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَكُمْ بِهِ الْجَنَّةَ قَالَ فَأَتَنِي أَقْرَضْتُ رَبِّي قَرْضًا يَضْمَنُ لِي بِهِ وَلِصَبِيَّتِي الدَّحْدَاحَةَ مَعِيَ الْجَنَّةَ قَالَ ﷺ نَعَمْ فَنَاولَنِي يَدَكَ فَنَاولَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ فَقَالَ أَنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا بِالسَّافِلَةِ وَالْأُخْرَى بِالْعَالِيَةِ وَاللَّهُ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا قَدْ جَعَلْتُهُمَا قَرْضًا لِلَّهِ تَعَالَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْعَلُ أَحَدَهُمَا لِلَّهِ وَالْأُخْرَى دَعَاهَا مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ قَالَ فَأَشْهَدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ حَائِطٌ فِيهِ سِتُّ مِائَةِ نَخْلَةٍ قَالَ ﷺ إِذَا يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ فإِنْطَلِقْ أَبُو الدَّحْدَاحِ حَتَّى جَاءَ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صَبِيَّانِهَا فِي الْحَدِيقَةِ تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ فأنشأ يقول:

هَذَاكَ رَبِّي سَبِيلَ الرَّشَادِ إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالسَّادِدِ  
بَيْنِي مِنَ الْحَائِطِ بِالْوُدَادِ فَقَدْ مَضَى قَرْضًا إِلَى التَّنَادِ  
أَقْرَضْتُهُ اللَّهَ عَلَى إِعْتِمَادِي بِالطَّوْعِ لِأَمْنٍ وَلَا إِرْتِدَادِ  
إِلَّا رَجَاءَ الضَّعْفِ فِي الْمَعَادِ فَإِرتَحَلِي بِالنَّفْسِ وَالْأَوْلَادِ  
وَالْبَرِّ لِأَشْكَ فُخَيْرٍ زَادٍ قَدَمَهُ الْمَرءَ إِلَى الْمَعَادِ

قَالَتْ أُمُّ الدَّحْدَاحِ رَجَعَ بَيْعُكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا اشْتَرَيْتَ ثُمَّ أَجَابَتْهُ أُمُّ الدَّحْدَاحِ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

بشرك الله بخير وفرح مثلك أدّى ما لديه ونصح  
 قد منع الله عيالي و منح بالعجوة السوداء والزّهُو البلح  
 والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح  
 ثمّ أقبلت أمّ الدّحداح على صبيانها تُخرج ما في أفواههم وتنفض ما في  
 أكمامهم حتّى أفضت الى الحائط الآخر فقال النبي ﷺ كم من عذقي رداح و  
 دار فياح لأبي الدرداء

قال بعض العرفاء إنقسم الخلق بحكم الخالق وحكمته وقدرته ومشئته  
 وقضاءه وقدره حين سمعوا هذه الآية أقساماً فتفرّقوا فرقاً ثلاثة:

**الفرقة الأولى:** الرذلي، قالوا أنّ ربّ محمّدٍ محتاج فقير اليينا ونحن أغنياء  
 فهذه جهالة لا تخفى على ذي لبّ فردّ الله عليهم بقوله: **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ  
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** <sup>(١)</sup>

**الفرقة الثانية:** لما سمعت هذا القول أثرت الشح والبخل وقدمت الرغبة  
 في المال فما الفقت في سبيل الله ولا فكت اسيراً ولا اعانت احداً تكاسلاً  
 عن الطاعة وكوناً الى هذه الدار.

**الفرقة الثالثة:** لما سمعت بادرت على امثاله و أثر المجيب منهم بسرعة  
 بماله كابي الدصلاح.

**وَاللَّهُ يَقْضِي وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** قيل المعنى والله يقبض الرزق عن  
 أقوامٍ بن يقتره عليهم ويبسطه على الآخرين بأن يوسّعه عليهم وقيل أنّه تعالى  
 يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها أجلاً وعاجلاً، وقول ثالث أنّه يقبض  
 الرزق بموت واحد ويبسطه لوارثه واليه ترجعون، أي الى الله تعالى رجوعكم  
 بالآخرة بعد الموت قال تعالى: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، فإنّ كلّ شيء يرجع الى  
 أصله كما قيل:

جاء القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

القول الثاني

لقد سألوا وقالوا ما النهاية فقلت هي الرجوع الى البداية  
ثم بعد الرجوع لايه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة  
شراً يره ولنذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار فمن الآيات:  
قال الله تعالى: **يَنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ  
لَكُمْ** <sup>(١)</sup>

قال الله تعالى: **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا** <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى: **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا** <sup>(٣)</sup>

قال الله تعالى: **وَأَمِنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا** <sup>(٤)</sup>

والآيات كثيرة.

و من الأخبار مارواه في معاني الأخبار عن أبي أيوب الخزاز  
بسنده عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام: لما نزلت آية من جاء بالحسنة  
فله خير منها قال رسول الله صلى الله عليه وآله رب زدني فأنزل سبحانه من جاء بالحسنة  
فله عشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يارب زدني فأنزل من ذلك الذي  
يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أَنْ الْكَثِيرُ مِنَ اللَّهِ لَا  
يُخْفَى وَلَيْسَ لَهُ مُنْتَهَى.

روي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لأن أقرض  
قرضاً أحب إلي من أن أتصدق بمثله و كان يقول من أقرض قرضاً  
و ضرب له أجلاً فلم يؤت به عند ذلك الأجل كان له من الثواب في

كَلَّ يَوْمٍ يَتَأَخَّرُ عَنْ ذَلِكَ الْأَجَلِ بِمِثْلِ صَدَقَةِ دِينَارٍ وَاحِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ  
انتهى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنِ الْفَضِيلِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا مِنْ مُسْلِمٍ  
أَقْرَضَ قَرْضًا حَسَنًا يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَسِبَ لَهُ أَجْرَهَا كَحِسَابِ  
الصَّدَقَةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله  
مَنْ أَقْرَضَ مُؤْمِنًا قَرْضًا يَنْظُرُ بِهِ مَيْسُورُهُ كَانَ مَالُهُ فِي زَكَاةٍ وَكَانَ  
هُوَ فِي صَلَاةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يُوَدِّيَهُ انْتَهَى.

وَبِأَسْنَادِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي حَدِيثٍ قَالَ عليه السلام: وَمَنْ أَقْرَضَ  
أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ دَرَاهِمٍ أَقْرَضَهُ وَزَنَ جَبَلٍ أَخَذَ مِنْ جِبَالِ  
رَضْوَى وَطُورِ سَيْنَاءَ حَسَنَاتٍ وَأَنْ رَفَقَ بِهِ فِي طَلْبِهِ تَعَدَّى (جَازَ)،  
بِهِ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ اللَّامِعِ بَغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ وَ  
مَنْ شَكَى إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمَ فَلَمْ يَقْرَضْهُ حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ  
الْجَنَّةَ يَوْمَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ انْتَهَى <sup>(١)</sup>.

وَرَوَى بِأَسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ  
النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَلْفَ دَرَاهِمٍ أَقْرَضَهَا مَرَّتَيْنِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهَا  
مَرَّةً وَكَمَا لَا يَحِلُّ لَغَرِيمِكَ أَنْ يَمْطَلَكَ وَهُوَ مُؤَسَّرٌ فَكَذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ  
أَنْ تَعْسِرَهُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَعْسُورٌ انْتَهَى <sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من الأخبار الواردة في الباب.



أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ  
 مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ائْتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
 الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا  
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ  
 عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

### ◀ اللّغة

إِلَى الْمَلَأِ: الملاء بفتح الميم واللام جماعة يجتمعون على رأي.  
 تَوَلَّوْا، التَوَلَّى: الإدبار والإعراض، أي أدبروا وأعرضوا.

### ◀ الإعراب

مِنْ بَنَى إِسْرَآئِيلَ مَنْ، تتعلّق بمحذوف لأنها حال أي كائناً من بني إسرائيل  
 مِنْ بَعْدِ متعلّق بالجَارِ الأول أو بما يتعلّق به الأول والتقدير من بعد موت موسى  
 واذ بدل من بعد لأنهما زمانان نُقَاتِلَ الجمهور على التّون والجزم على جواب  
 الأمر وقد قرأ بالرفع في الشاذ على الاستثناف وقرأ بالياء والرفع على أنه صفة  
 لملك، وبالياء والجزم على الجواب عَسَيْتُمْ الجمهور على فتح السّين ويُقرأ  
 بكسرهما وهي لغة والفعل منه عسى مثل خشى وإسم الفاعل، عسّ مثل عمّ،  
 حكاه ابن الإعرابي وخبره أَلَّا تُقَاتِلُوا والشّرط معترض بينهما ما كنّا ما  
 إستفهام في موضع رفع بالابتداء و، لنا، الخبر ودخلت الواو ليبدّل على ربط هذا  
 الكلام بما قبله وهو إستفهام في اللفظ وإنكار في المعنى أَلَّا نُقَاتِلَ تقديره في  
 أن لا يقاتل أي في ترك القتال، فتعلّق، في، بالإنستقرار أو بنفس الجار فيكون أن



لا نقاتل، في موضع نصب عند سيويه و جرّ عند الخليل قَدْ أَخْرَجْنَا جملة في موضع الحال والعامل، يقاتل وَأَبْشَاءُنَا معطوف على ديارنا وفيه حذف مضاف تقدّيره ومن بين أبنائنا.

## ◀ التفسير

ذكر الله تعالى قصّة أخرى على القتال جرت في بني إسرائيل فقال:  
**أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ أَيُّ أَلَا تَعْلَمُ** لأنّ الرؤية هنا بالقلب والمعنى، تَعْلَمُ، لأنّ  
 النَّفْيَ فِي النَّفْيِ يفيد الإثبات كقوله تعالى: **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** <sup>(١)</sup> أي تعلم قطعاً وقوله أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا الْآيَةُ أَيُّ قَدْ آتَى وَأَمْثَالُ ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ إِلَى الْمَلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْمَلَاءُ الجماعة من النَّاسِ وَقِيلَ  
 الْأَشْرَافُ مِنْهُمْ كَأَنَّهُمْ مَمْتَلُونَ شَرَفًا، والمراد به في المقام، القوم مِنْ بَعْدِ  
 مُوسَى أَيُّ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ قِيلَ هُوَ شَمُوِيلُ بْنُ عُلْقَمَةَ وَ  
 يَعْرِفُ بِابْنِ الْعَجُوزِ وَيُقَالُ فِيهِ شَمْعُونُ سَمْعُونُ بِالسَّيْنِ وَالسَّيْنُ تَصِيرُ شَيْئًا بُلُغَةً  
 الْعَبْرَانِيَّةُ وَهُوَ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ وَقَالَ مُقَاتِلُ هُوَ مِنْ نَسْلِ هَارُونَ وَقَالَ قَتَادَةُ هُوَ  
 يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَعَنْ الْمُحَاسَبِيِّ وَأَنْ إِسْمَهُ إِسْمَاعِيلُ وَكَيْفَ كَانَ فَهَذِهِ الْآيَةُ خَبِرٌ  
 عَنْهُمْ حَيْثُ نَالَتْهُمْ ذَلَّةٌ بِغَلْبَةِ عَدُوِّ عَلَيْهِمْ فَطَلَبُوا الْإِذْنَ فِي الْجِهَادِ وَأَنْ يُؤْمَرَ  
 بِهِ يَوْفَرُ بِهِ فَلَمَّا أَمُرُوا صَبَرَتْهُمْ الْأَقْلُ فَمَنْضَرَهُمُ اللَّهُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ وَآمَنَّا سَأَلُوا مَلِكًا لِيَكُونَ آخِرًا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَسْتَقِيمَ مَالَهُمْ فِي جِهَادِ  
 عَدُوِّهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ أَيُّ لَعَلَّكُمْ أَنْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْمُحَارَبَةَ تَحْتَ لُؤَاءِ الْمَلِكِ**  
**أَنْ لَا تُقَاتِلُوا، أَيُّ أَنْ لَا تُفَوَّا بِمَا تَقُولُونَ قَالُوا أَيُّ الْمَلَاءِ وَمَا لَنَا أَلَّا تُقَاتِلَ فِي**  
**سَبِيلِ اللَّهِ أَيُّ أَيُّ شَيْءٍ لَنَا فِي تَرْكِ الْقِتَالِ أَوْ لَيْسَ لَنَا تَرْكُ الْقِتَالِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا**

بِالنَّفْسِ  
فِي الْقِتَالِ

جزء ٢

بِالنَّفْسِ  
فِي الْقِتَالِ

مَنْ دِيَارُنَا أَيْ وَالْحَالُ إِنَّا أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا أَيْ أَدْبَرُوا عَنْهُ فَلَمْ يَقَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ عَلَى مَا يَأْتِي وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ بِتَرْكِهِمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ رَوَى أَبُو بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْقَلِيلُ سِتِّينَ أَلْفًا، وَأَيْضًا عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَغَيَّرُوا دِينَ اللَّهَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَكَانَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فَلَمْ يَطِيعُوهُ، وَرَوَى أَنَّهُ أَرْمَا النَّبِيَّ فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ وَهُوَ مِنَ الْقَبْطِ فَأَذْلَهُمْ وَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَاسْتَعْبَدَ نِسَاءَهُمْ فَفَزَعُوا إِلَى نَتِيبِهِمْ وَقَالُوا سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَانَتِ النَّبُوءَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فِي بَيْتِ آخِرٍ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ النَّبُوءَةَ وَالْمَلِكُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَمَنْ ذَلِكَ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ إِبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُمْ هَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تَقَاتِلُوا فَقَالُوا وَمَا لَنَا لَا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءُنَا وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَهَذَا شَأْنُ الْأُمَمِ الْمُنْتَعِمَةِ الْمَائِلَةِ إِلَى الدَّعَةِ تَمْتَنِي الْحَرْبَ أَوْقَاتَ الْأَنْفَةِ فَإِذَا حَضَرَتِ الْحَرْبُ كَعَبٌ وَانْقَادَتْ لَطَبْعَهَا.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ  
 مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ  
 أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ  
 إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ  
 وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ  
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)

### ◀ اللغة

بَسْطَةً: بَسَطَ الشَّيْءُ نَشْرَهُ وَتَوَسَّعَ فَتَارَةً يَتَصَوَّرُ مِنْهُ الْأَمْرَانِ وَتَارَةً يَتَصَوَّرُ مِنْهُ  
 أَحَدَهُمَا يُقَالُ بَسَطَ الثَّوبَ، نَشْرَهُ وَمِنْهُ الْبَسَاطُ.

### ◀ الإعراب

طَالُوتَ إسم أعجمي فلذلك لم ينصرف وليس بمشتق من الطول كما أن  
 إسحاق ليس بمشتق من السحق وأنما هي ألفاظ تقارب ألفاظ العريية مَلِكًا  
 حال وَاَتَى بمعنى أين أو بمعنى كيف وموضعها نصب على الحال من الملك  
 والفاعل فيها، يكون، ولا يعمل فيها واحد من الطرفين لأنه عالم معنوي فلا  
 تتقدم الحال عليه يَكُونُ يجوز أن تكون ناقصة فيكون الخبر له وَعَلَيْهَا حال من  
 الملك والعامل فيه يكون، أو الخبر، ويجوز أن تكون تامة وَنَحْنُ أَحَقُّ فِي  
 موضع الحال، والباء و من، يتعلقان بأحقَّ سَعَةً أصا السعة وسعة بفتح الواو  
 حقها في الأصل الكسر وأنما حذفت في المصدر لما حذفت في المستقبل و  
 أصلها، في المستقبل الكسر وهو قولك، يسع، فالفتحة عارضة فأجرى عليها  
 حكم الكسرة وأنما فتحت من أجل حرف الحلق، ثم جعلت في المصدر  
 مفتوحة لتوافق الفعل ويدل ذلك على ذلك أَنَّ قولك، وعد يعد مصدره، عدة،

بالكسر على أصله مِّنَ الْمَالِ نَعَتْ لِلْسَّعَةِ فِي الْعِلْمِ يجوز أن يكون نعتاً للبسطة وأن يكون متعلقاً بها وَاسِعٌ قِيلَ هو على معنى النسب أي هو ذو وسعة وقيل جاء على حذف الزائد والأصل أَوْسَعُ فهو مُوسِعٌ، وقيل هو فاعل من، وَسِعَ فالتقدير على هذا واسع الحكم لأنك تقول وسعنا علمه.

### التفسير

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ أَي أجابكم الى ما سألتهم، قيل، كان طالوت سقاًً وقيل دباغاً، وقيل مكاريا وكان عالماً فلذلك رفعه الله وكان من سبط بنيامين ولم يكن من سبط النوبة ولا من سبط الملك وكانت النوبة في بني لاوي، والملك في سبط يهوذا فلذلك أنكروه نُقِلَ عن وَهَب بن مبنه أَنَّهُ قال، لَمَّا قال الملاء من بني إسرائيل لشمويل بن بال نا قالوا سأل الله تعالى أن يبعث اليهم ملكاً ويذله عليه فقال الله تعالى له، أنظروا الى القرن الذي فيه الدهن في بيتك فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فأدهن رأسه منه ومَلَكه عليهم قال وكان طالوت دباغاً فخرج في إبتغاء دابةً أَضْلَهَا فَقَصَدَ شمويل عسى أن يدعو له في أمر الدابة أو يجد عنده فرجاً فنش الدهن على ما زعموا، قال فقام اليه شمويل فأخذه ودهن منه رأس طالوت وقال له أنت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى بتقديمه ثم قال لبني إسرائيل أأن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً، وطالوت وجالوت إسمان أعجميان معربان ولذلك لم ينصرفا وكذلك داوود.

قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ أَي لَمَّا جعل الله تعالى، طالوت، ملكاً عليهم وكان ذلك بسبب سؤالهم كما مرَّ إعترضوا وقالوا كيف يملكنا ونحن أحقُّ وأولى بالملك منه وهو مع ذلك فقير لا مال وهذا الكلام منهم جرئ على سُنتهم في تعنتهم و

تمردّهم للإبياء كما كانوا لموسى ولم يعلموا أنّ المال والعشيرة والنّسب و أمثالها من الأقوال الإعتباريّة لا دَخَلَ لها في ذلك ولذلك قال لهم نبيهم.

إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ أَي أَنَّ اللَّهَ إِخْتَارَهُ وَ جَعَلَهُ مَلَكًا (وزاده بسطةً في العلم والجسم وفيه إشارة الى أنّ الملاك عنه الله تعالى هو هذين الوصفين اعني بهما العلم والجسم لاما زعموه من المال والنسب وهما موجودان فيه دونكم.

وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ أَي لَنَّهُ تَعَالَى ذُو سَعْدٍ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ نَعْمَةٍ عَلِيمٌ بِمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْتِيَهُ الْفَضْلَ أَمَّا لِلِاسْتِعْلَاحِ أَوْ أَمَّا لِلِاخْتِيَارِ قَالَ الْبَلْخِي فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى فُسَادِ قَوْلٍ مِنْ قَالَ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ وَرَاثَةٌ لِأَنَّ اللَّهَ رَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَنْكَرُوهُ مِنَ التَّعْلِيلِ عَلَيْهِمْ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ النُّبُوَّةِ وَلَا الْمَمْلَكَةِ وَبَيَّنَّ أَنَّهُ يَجِبُ بِالْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ لَا بِالْوَرَاثَةِ انْتَهَى.

و عندنا أنّ في الآية دلالة على أنّ من شرط الإمام أن يكون أعلم رعيته و أفضلهم في خصال الفضل لأنّ الله تعالى علّل تقديمه بكونه أعلم و أقوى فلو لا أنّه شرط فلا معنى له، و دلالة أخرى و هي أنّ الإمام مجعول منصوب من قبل الله تعالى ولذلك سألوا ربّهم بواسطة النّبي أن يجعل لهم ملكاً، فأجابهم الله تعالى: وَبَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، فلو صحّ أن يكون هذا الأمر بيد النّاس لقال لهم نبيهم إجعلوا لأنفسكم ملكاً و حيث لم يقل لهم ذلك علّمنا أنّ الأمر بيد الله تعالى دون النّاس، و دلالة ثالثة و هي أنّ الإمام إذا كان أعلم النّاس و أقواهم كما في الآية فكلّ من لا يكون كذلك فهو ليس بإمام للزّوم تقديم المفضول على الفاضل و هو قبيح عقلاً و لتفصيل الكلام فيه موضع آخر، قال ابن، عبّاس كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل و جملة و أتمّه و زيادة الجسم ممّا يهيب العدو و قيل سُمّي طالوت لطوله و قيل زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير و الشّجاعة ولم يرد عظم الجسم كما قال الشّاعر:

تَرَى الرَّجُلَ التَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ هَضُورٌ  
وَيَعْجَبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيَخْلِفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرَ  
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لَبٍّ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالْعَظْمِ الْبَعِيرُ  
فَعَن كِتَابَ الْإِحْتِجَاجِ لِلطَّبْرَسِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كَلَامٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَسْمَعُوا مَا أَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ  
الْمُرْسَلِ لَتَتَّعَظُوا فَأَنَّهُ وَاللَّهِ عِظَةٌ لَكُمْ فَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ  
وَإِنْ جُرُوا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ فَقَدْ وَ عَظْمُكُمْ بِغَيْرِكُمْ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ، أَلَمْ تَرَ  
إِلَى الْمَلَأَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِلَى قَوْلِهِ: وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عِبْرَةٌ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ  
الْخِلَافَةَ وَالْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأَنَّهُ فَضَّلَ طَالُوتَ وَ  
قَدَّمَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِإِصْطِفَاءِهِ إِيَّاهُ زِيَادَةَ بَسْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ  
فَهَلْ يَجِدُونَ اللَّهَ إِصْطَفَى بَنِي أُمِّيَّةٍ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَزَادَ مَعَاوِيَةَ  
عَلَى بَسْطَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ انْتَهَى.

وَعَنْ أُمِّ الْيَسْرِ الشَّيْخِ بِأَسْنَادِهِ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ أَرَبْعَ أُنْزِلَ اللَّهُ  
تَعَالَى تَصَدِيقِي بِهَا فِي كِتَابِهِ إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُلْتُ قَدْرًا وَقَالَ قِيَمَةُ  
كُلِّ إِمْرٍ مَا يَحْسُنُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي قِصَّةِ طَالُوتَ أَنَّ اللَّهَ إِصْطَفَاهُ  
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ انْتَهَى.

وَعَنْ الْعِيُونِ عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ الْإِمَامَةِ وَالْإِمَامُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ  
وَالْأَئِمَّةَ يَوْفَقُهُمُ اللَّهُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ مَخْزُونِ عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ مَا لَا يُؤْتِيهِ  
غَيْرُهُمْ فَيَكُونُ عِلْمُهُمْ فَوْقَ كُلِّ عِلْمِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:  
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ  
تَحْكُمُونَ<sup>(١)</sup> وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي طَالُوتَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ

زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
وَاسِعٌ عَلِيمٌ اُنْتَهَى.

أقول وقد روي أَنَّ طَالُوتَ كَانَ أَعْظَمَهُمْ جِسْماً وَكَانَ شَجَاعاً قَوِيّاً وَكَانَ  
أَعْلَمَهُمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيراً فَعَابُوهُ بِالْفَقْرِ وَقَالُوا لِمَ يَأْتِي سَعَةً مِنَ الْمَالِ.



وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ  
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ  
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ  
الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ  
مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)

### ◀ اللغة

آيَةً: الآية العلامة

مُلْكِهِ: المُلْك بضم الميم الحَقَّ الدائم لله ولذلك قال تعالى: له المُلْك وله  
الخِمْد وقيل الملك ضبط الشئ المتصرف فيه بالحكم والملك كالجنس للملك  
فكل ملكٍ ملكٍ ولا عكس قاله الراغب في المفردات.  
التَّابُوتُ: معروف بيننا وقيل كان شيئاً مَنُحُوتاً من الخشب فيه حكمة عبارة  
عن القلب و السكينة و عما فيه من العلم و سمي القلب سَفَط العلم و بيت  
الحكمة و تابوته و وعاءه و صندوقه.

سَكِينَةٌ: السكينة يفتح السين والسكن واحد وزوال الرعب قاله الراغب في  
المفردات ثم قال وعلى هذا قوله: أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن  
رَّبِّكُمْ.

### ◀ الإعراب

أَنْ يَأْتِيَكُمُ خبر أن التَّابُوتُ أصل وزنه فاعول، ولا يعرف له اشتقاق فيه  
سَكِينَةٌ الجملة في مفعول الحال وكذلك تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ وقوله: مِّن رَّبِّكُمْ  
نعتٌ للسكينة وقوله: مِّمَّا تَرَكَ نعت، لبقية، وأصل البقية، لبقيته ولام الكلمة،  
ياء.



## ◀ التفسير

اختلفوا في المراد بالتَّابُوت والسَّكِينَة إختلافاً شديداً لا يكاد يضبط فقال بعض المفسرين من العامة أَنَّ التَّابُوت أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده الى أن وصل الى يعقوب عليه السلام فكان في بني إسرائيل يغلبون به مَنْ قاتلهم حتَّى عصوا فغلبوا على التَّابُوت غلبهم عليه العمالقة جالوت وأصحابه في قول السَّدي و سلبوا التَّابُوت منهم نقل هذا القول القُرطبي في تفسيره ثم نقل عن النَّحاس أَنَّ الآية في التَّابُوت أَنَّهُ كان يسمع فيه أُنَيْنٌ فاذا سمعوا ذلك ساروا لحربهم واذا هَدَّ الأُنَيْن لم يسيروا ولم يسر التَّابُوت، وقيل كانوا يضعونه في مأزق الحرب فلا تزال تغلب حتَّى عصوا فغلبوا وأخذ منهم التَّابُوت و ذلَّ أمرهم فلما رأوا آية الإصطلام و ذهاب الذكر أنف بعضهم وتكلموا في أمرهم حتَّى إجنم ملؤهم أن قالوا للنبي الوقت أبعث لنا ملكاً فلما قال لهم، ملككم طالوت راجعوه فيه كما أخبر الله عنهم فلما قطعهم بالحبَّة سألوه البينة على ذلك انتهى كلامه.

وقال البيضاوي أَنَّهُ كان من خشب الشَّمشاد مُموهاً بالذهب نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، وقال الزَّمخشري في الكشاف، التَّابُوت صندوق التَّوراة و كان موسى عليه السلام اذا قاتل قَدَّمَهُ فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. وقال الطبري التَّابُوت الَّذي كانت بنو إسرائيل اذا لحق عدواً لهم قَدَّموه أمامهم وزحفوا معه فلا يقوم لهم معه وأما عندنا فالتَّابُوت هو الَّذي أنزله الله على موسى فوضعت فيه أُمّه فألقته في اليم فكان في بني إسرائيل يتبركون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح وذرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه فلم يزل التَّابُوت بينهم حتَّى استخفوا به وكان الصَّبيان يعلبون به في الطَّرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عزٍّ و شرفٍ مادام التَّابُوت عندهم فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتَّابُوت رفعه الله عنهم فلما سألوا

النَّبِيِّ بَعَثَ اللَّهُ طَالُوتَ الْيَهُمَ مُلْكًا يُقَاتِلُ مَعَهُمْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ.

وَأَمَّا السَّكِينَةُ فَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ هِيَ فَعِيلَةٌ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّكُونِ وَالْوَقَارِ وَالطَّمَأْنِينَةِ فَقَوْلُهُ: فِيهِ سَكِينَةٌ أَيُّهُ هُوَ سَبَبُ سَكُونِ قُلُوبِكُمْ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ طَالُوتَ، وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّ التَّابُوتَ كَانَ سَبَبَ سَكُونِ قُلُوبِهِمْ، وَنَقَلَ عَنْ وَهَبِ بْنِ مَنْبَهٍ أَنَّهُ قَالَ السَّكِينَةُ رُوحٌ مِنَ اللَّهِ تَتَكَلَّمُ فَكَانُوا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِ نَطَقَتْ بِبَيَانٍ مَا يَرِيدُونَ وَإِذَا صَاحَتْ فِي الْحَرْبِ كَانَ الظَّفَرُ لَهُمْ، وَنَقَلُوا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ، هِيَ رِيحٌ هَفَافَةٌ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ، أَوْ هِيَ رِيحٌ خُجُوجٌ لَهَا رَأْسَانِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ هِيَ حَيَوَانٌ كَالْهَرَلِ جَنَاحَانِ وَذَنْبٌ وَلَعَيْنِيهِ شِعَاعٌ فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْجَيْشِ إِنْهَزَمَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هِيَ طُسْتُ مَنْ ذَهَبَ مِنَ الْجَنَّةِ كَانَ يَغْسِلُ فِيهَا قُلُوبَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كَثِيرَةٌ وَالْمُعْتَمَدُ هُوَ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّهَا كَانَتْ تَوْجِبُ سَكُونِ قُلُوبِهِمْ وَأَمَّا أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ مَا هِيَ فَلَا عِلْمَ لَنَا بِهِ وَهَكَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَبَقِيَّةٌ فَقِيلَ أَنَّهَا عَصَا مُوسَى وَعَصَا هَارُونَ وَرِضَاضُ الْأَلْوَحِ لِأَنَّهَا إِنْكَسَرَتْ حِينَ أَلْقَاهَا مُوسَى قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ، الْبَقِيَّةُ، عَصَا مُوسَى وَثِيَابُهُ وَثِيَابُ هَارُونَ وَلَوْحَانِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَيُظْهِرُ مِنَ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَقِيَّةِ فِي آيَةِ ذُرِّيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.



فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ  
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ  
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ  
 إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ  
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ  
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

### ◀ اللغة

**فَصَلَ:** الفصل في الأصل أبانه أحد الشَّيْثِينَ من الآخر حتَّى يكون بينهما  
 فرجة ومنه قيل، المفاصل، يقلَّ فَصَلَتِ الشَّاةُ، قَطَعَتْ مفاصلها، وفصل القوم  
 عن مكان كذا وإنفصلوا فارقه قاله الرَّاغِبُ وقال صاحب الكشَّاف فصل عن  
 موضع كذا، انفصل عنه وجاوزه انتهى.

**الْجُنُودُ:** بضم الجيم جمع الجُنْد وهو العسكر.

**بِنَهَرٍ:** النَّهْر والنَّهْر لغتان وإشتقاقه من السَّعة ومنه النَّهَار وهو في الأصل  
 مجرئ الماء الفائض وجمعه، أنهار.

**اغْتَرَفَ:** الغرف رفع الشَّيْ وتناوله، والغرفة بضم الغين ما يغترف.  
**فِئَةٍ:** الفئَة، الجماعة من النَّاس والقِطعة منهم من فأوت رأسه بالسَّيْف و  
 نأبته، أي قطعته.

## ◀ الإعراب

بِالْجُنُودِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيِ فَصْلٍ وَمَعَهُ الْجُنُودُ مُبْتَلِيبُكُمْ الْبَاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنْ  
وَإِلَّا مِنْ بَلَى يَبْلُو إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ إِسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْجِنْسِ وَمَوْضِعُهُ، نَصَبٌ، وَ  
هُوَ، مُتَعَدٍّ عَرْفَةً بَضْمٌ الْغَيْنِ وَفَتْحُهَا وَقَدْ قُرَأَ بِهِمَا وَهُمَا لُغَتَانِ وَعَلَى هَذَا  
يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْغَرَفَةُ مُصَدَّرًا بِمَعْنَى الْمَغْرُوفِ وَقِيلَ الْغَرَفَةُ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ  
الْوَّاحِدَةُ وَبِالضَّمِّ قَدْرٌ مَا تَحْمِلُهُ الْيَدُ بِيَدِهِ مُتَعَلِّقٌ بِاعْتَرَفَ إِلَّا قَلِيلًا مَنْصُوبٌ  
عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الْمَوْجِبِ طَائِفَةٌ مِنَ الطُّوقِ وَهُوَ الْقُدْرَةُ وَعَيْنُهَا وَوَ فِي الْأَصْلِ  
كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ كَمْ هُنَا خَبَرٌ وَمَوْضِعُهَا رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ عُلِّبَتْ خَبَرُهَا وَمِنْ زَائِدَةٍ  
وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، صِفَةٌ لَكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ عَلَى  
الْحَالِ وَالتَّقْدِيرُ بِأَذْنِ اللَّهِ لَهُمْ.

## ◀ التفسير

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قِيلَ فِي الْكَلَامِ حَذَفَ لِدَلَالَةِ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ  
فَاتَاهُمُ التَّابُوتُ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَعُدُوا بِهَا فَصَدَّقُوا وَإِنْقَادُوا لَطَالُوتَ فَلَمَّا فَصَلَ أَيِ  
خَرَجَ مِنْ مَكَانِهِ وَقَطَعَ الطَّرِيقَ بِالْجُنُودِ قَالَهُ الطَّبْرَسِيُّ قُلْتُ ثُمَّ أَنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي  
عَدَدِ الْجُنُودِ فَقِيلَ أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا وَقِيلَ سَبْعِينَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيبُكُمْ  
يَنْهَرُ أَيِ قَالَ لَهُمْ طَالُوتُ كَذَلِكَ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ أَنَّ الْمِيَاهَ لَا تَحْمِلُنَا فَأَدَعَ  
اللَّهُ أَنْ يَجْرِيَ لَنَا نَهْرًا فَقَالَ لَهُمْ طَالُوتُ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيبُكُمْ، أَيِ مُخْتَبِرُكُمْ بِنَهْرٍ لِأَنَّ  
الْإِبْتِلَاءَ الْإِحْتِبَارُ تُغْلَى عَنْ قِتَادَةِ النَّهْرِ الَّذِي يُبْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِهِ هُوَ نَهْرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَ  
فِلَسْطِينَ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي أَيِ لَيْسَ مِنْ أَصْحَابِي فِي هَذَا الْحَرْبِ  
وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي الطَّعْمُ الذَّوْقُ يُقَالُ أَطْعَمْتُ الشَّيْءَ أَيِ ذُقْتُهُ وَ  
أَطْعَمْتُهُ الْمَاءَ أَيِ أَذَقْتُهُ، قِيلَ لَمْ يَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَشْرِبْهُ، حَذَرًا مِنْ تَكَرُّارِ اللَّفْظِ  
فَأَنَّ لُغَةَ الْقُرْآنِ أَفْصَحُ اللَّغَاتِ وَإِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ عَرْفَةً بِيَدِهِ الْإِعْتِرَافُ الْأَخْذُ

من الشَّيِّ باليد وبأَلَةٍ ومنه المغرفة والغرف مثل الإغتراف والمعنى أن من إغترف غرفةً بيده فلا بأس به وقيل المعنى إلا من أخذ الماء مرةً واحدةً باليد هذا بناءً على قراءة الضمِّ فمعناه إلا من شَرِب مقدار مَلَأَكَه قاله الطَّبْرسي في المجمع وقيل الغرفة بالفتح، بالكُف الواحد، والغرفة بالضم الكُفَّين، والحق ما ذكرناه من أنَّهما لغتان بمعنى واحد الكافر والمؤمن إلا أن الكافرين إنخرلوا عنهم وبقي المؤمنون على عدد أهل بدر وهذا قَوِي لقوله تعالى بعد ذلك فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ انتهى ما قاله الشيخ في التبيان.

أقول لا نفهم وجه القوة في كلامه فأنَّ قوله تعالى فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، يدلُّ على أنَّ المجاوزين طالوت ومن معه من المؤمنين وأما الكافرون فليس في الآية ما يدلُّ على تجاوزهم معه فالآية دالة على أنَّ المجاوزين طالوت ومن معه من المؤمنين ولأجل ذلك قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ وَأَمَّا قَالُوا ذلك لِقَلَّةِ عَدَدِهِم بِالنِّسْبَةِ إلى أصحاب جالوت فلو جاوزه الكافر والمؤمن كما قيل فلم لم يقولوا ذلك قبل المجاوزة ففيه دلالة على أنَّ المجاوزين كانوا قليلاً وهو المطلوب قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ الظَّن في الآية بمعنى اليقين والمعنى قال الذين يستيقنون وهو قول السدِّي وعليه قول الشاعر حيث قال:

فقلتُ لهم ظنُّوا بألْفِي مُدَجِّجٍ سراتهم في الفارسي المُسرَد  
أي أيقنوا.

الثاني: معناه يحدثون أنفسهم وهو أصل الظَّن لأنَّ حديث النفس بالشَّيِّ قد يكون مع الشكِّ وقد يكون مع العلم إلا أنَّه قد رُكِبَ ما كان مع الشكِّ.

الثالث: معناه يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ بالقتل في تلك الواقعة وفي المقام

قول رابع:

وهو أنه إستعارة فيما يكفي فيه الظن حتّى يلزم العمل فكيف المعرفة فجاء على وجه المبالغة في لزوم العمل وقال القرطبي الظن هنا بمعنى اليقين ويجوز أن يكون شكّا لا علماً أي قال الذين يتّوهمون أنهم يقتلون مع طالوت فيلقون الله شهداء فوقع الشك في القتل انتهى.

وقال صاحب الكشاف قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عمّا قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوح البصيرة انتهى.

أقول ذكروا في تفسير الآية وجوهاً غير ما نقلناه لا بأس بالإشارة إليها: أحدها: قول قتادة وحاصله أن المراد من لقاء الله لقاء الموت وهؤلاء المؤمنون لما وطّنوا أنفسهم على القتل وغلب على ظنونهم أنهم لا يتخلصون من الموت لقلّة عددهم وكثرة عدوهم قيل في وصفهم أنهم يظنون أنهم ملائقوا الله أي الموت.

الثاني: أن الكلام بتقدير مضاف أي يظنون أنهم ملائقوا ثواب الله، بسبب هذا الطاعة وذلك لأنّ أحداً لا يعلم عاقبة أمره فلا بد أن يكون ظاناً راجياً وأن بلغ في الطاعة ما بلغ وهذا قول أبي مسلم.

الثالث: أن المضاف المحذوف في الكلام، الطاعة، أي يظنون أنهم ملائقوا طاعة الله لعدم إمكان العلم بأنّ هذا العمل مثلاً طاعة أمّا الظن بكونه طاعة فهو حاصل لكلّ أحد.

الرابع: أن التقدير ملائقوا وعد الله بالنصر والظفر.

الخامس: أنهم كانوا يعلمون و يوقنون إلا أنه أطلق لفظ الظن على اليقين على سبيل المجاز لما بين الظن واليقين من المشابهة في تأكد الاعتقاد فهذه هي الوجوه المحتملة منهم في تفسير الآية والذي يقوّي في النظر هو قول أبي مسلم يظنون أنهم ملائقوا ثواب الله أو جزاء الله، أن كان الضمير في قوله: أنهم،

و يَظُنُّونَ رَاجِعاً إِلَى غيرِ الْمُؤْمِنِينَ و بعبارةٍ أُخرى أَن كَانَ قَوْلُهُ: قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ حكايةً عن قول الكافرين الَّذِينَ إِنِخْذَلُوا عَنْهُمْ فَالْكَلامُ عَلَى ظَاهِرِهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ الثَّوَابَ لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ وَاقِعاً، وَأَمَّا أَن كَانَ الْكَلامُ حكايةً عن قول المؤمنين فَالْحَقُّ أَنَّ الظَّنَّ بِمَعْنَى الْيَقِينِ وَالتَّعْبِيرُ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ كَمَا مَرَّ وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَهُ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ قَالَ الظَّنُّ إِسْمٌ لَمَّا يَحْصُلُ عَنْ إِمَارَةٍ وَ مَتَى قَوِيَتْ أَذَتْ إِلَى الْعِلْمِ وَسَاقَ الْكَلَامِ إِلَى أَن قَالَ فَقَوْلُهُ: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ، فَمَنِ الْيَقِينِ وَكَذَا قَوْلُهُ: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ<sup>(١)</sup> أَيِ عِلْمِ انْتَهَى.

وَمِنْهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَطْلُقُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ (وَلَمَّا بَرَزُوا النَّصْرَ وَالْغَلْبَةَ عَلَى الْعَدُوِّ وَلَيْسَ بِالْكَثْرَةِ وَ أَنَّمَا هُوَ يَحْصُلُ بِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَشِيئَةُ اللَّهِ وَتَأْيِيدُهُ.

ثَانِيهِمَا: الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ وَ الْإِسْتِقَامَةُ فَالَّذِي يَحْصُلُ بِهِ النَّصْرُ هُوَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ مَعاً فَلَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا وَهُوَ وَاضِحٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ<sup>(٢)</sup>.



وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ  
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

### ◀ اللغة

أَفْرِغْ: الفراغ خلاف الشغل وقد فَرَّغَ فراغاً وفروغاً وهو فارغ قال تعالى: وَ  
أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا<sup>(١)</sup> يقال أفرغت الدلو صببت ما فيه ومنه أُسْتَعِيرَ،  
أفرغ علينا صبراً.

### ◀ الإعراب

لِجَالُوتَ: تتعلّق اللام بِبَرَزُوا ويجوز أن تكون حالاً، أي بَرَزُوا قاصدين  
لجالوت.

### ◀ التفسير

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ أصل البروز الظهور ومنه المباراة للقتال  
الظهور من الصّف، وجالوت ملك العمالقة وأميرهم، وأما جنوده فقليل ثلاث  
مائة ألف فارس وقليل تسعون والمعنى لما ظهروا وتهيئوا للقتال قَالُوا رَبَّنَا  
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا أي اجعلنا من الصّابرين وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وهو كناية عن  
الثبات والاستقامة وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ طلب النصرة والغلبة وفيه  
إشارة إلى الصبر والاستقامة والنصرة كلّها من إفاضات الحق فلا بد من القبه من  
الدعّا وعلى الله الاجابة لقوله: أَذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وسيأتى الكلام فى هذه  
الامور بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى وإنّما قدّم فى الآية الصبر على الثبات



وَالنَّصْرَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَحْصُلِ الصَّبْرُ لَا يَحْصُلِ الثَّبَاتُ وَالِاسْتِقَامَةُ فَأَنَّ مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ  
كَيْفَ يَحْصُلِ الثَّبَاتُ وَمَنْ لَا يَحْصُلُ لَهُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ لَا يَنْصُرُهُ اللَّهُ أَصْلًا.



فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَاتَّاهُ  
اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا  
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

### ◀ اللغة

فَهَزَمُوهُمْ: هُزِمَ بفتح الهاء الكسر يقال هَزَمْتُ الجيش، كَسَرْتَهُ وفي الدِّعَاءِ،  
هَزَمَ الأحزاب وَحَدَهُ، كَسَرَهُمْ.  
دَاوُدُ: إسم أعجمي كطالوت و جالوت.

### ◀ الإعراب

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ هو حال أو مفعول به وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ هو مضاف الى  
الفاعل النَّاسُ مفعوله بَعْضُهُمْ بَدَلٌ من النَّاسِ بَدَلٌ بَعْضٍ من كُلِّ بَعْضٍ هو  
المفعول الثاني يتعدى اليه الفعل بحرف جرّ.

### ◀ التفسير

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ رَوَى فِي الْبَحَارِ بِأَسْنَادِهِ عَنْ  
الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ آبَائِهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مُوسَى صَابِرًا  
مِنَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى اللُّوَاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْجُهْدِ وَالْبَلَاءِ حَتَّى مَضَى مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ  
طَوَاغِيتٍ فَقَوَّى بَعْدَهُمْ أَمْرَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ مُنَافِقِي قَوْمِ مُوسَى بِصَفَرَاءِ  
بَنَتِ شُعَيْبٍ إِمْرَأَةً مُوسَى فِي مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ فَقَاتَلُوا يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ فَغَلِبَهُمْ وَقَتَلَ  
مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَهَزَمَ الْبَاقِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْرَ صَفَرَاءَ بَنَتِ شُعَيْبٍ  
يَوْشَعَ لَهَا عَفْوُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَنْ نَلْقَى نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى فَأَشْكُو مَا لَقِيتُ

منك ومن قومك فقالت صفراء واويلاه والله لو أبيحت لي الجنة لا أستحييتُ أن أرى فيه رسول الله وقد هتكتُ حِجابه وخرجت على وصيّه بعده فأستتر الأئمة بعد يوشع الى زمان داود أربعمائة سنة وكانوا أحد عشر وكان قوم كل واحدٍ منهم يختلفون اليه في وقته يأخذون منه معالم دينه حتّى إنتهى الأمر الى آخرهم فغاب عنهم ثم ظهر فبشّره بداود وأخبرهم أن داود هو الذي يطهر الأرض من جالوت وجنوده ويكون فرجهم في ظهوره وكانوا ينتظرونه فلما كان زمان داود كان له أربعة إخوة وأبوهم شيخ كبير وكان داود من بينهم حامل الذكر وكان أصغر إخوته لا يعلمون أنه داود النبي الذي يطهر الأرض من جالوت وجنوده وكانت الشيعة يعلمون أنه قد ولد وبلغ أشده وكانوا يرونه ويشاهدونه ولا يعلمون أنه هو فخرج داود وإخوته وأبوهم لما فصل طالوت بالجنود وتخلف عنهم داود وقال ما يصنع بي في هذا الوجه و أستهان به إخوته وأبوه وأقام في غنم أبيه يرعيها فأشدت الحرب وأصاب الناس الجهد فرجع أبوه وقال لداود أحمل الى إخوتك طعاماً يتقوون به على العدو وكان داود رجلاً قصيراً قليل الشعر طاهر القلب أخلاقه نقيّة فخرج والقوم متقاربون بعضهم من بعض قد يرجع كل منهم الى مركزه فمرّ داود على حجرٍ فقال له الحجر بنداءٍ رفيع يا داود خُذني فأقتل بي جالوت فأني إمّا خلقت لقتله فأخذه ووضعه في مخلاته التي كان فيها حجارتها التي كان يرمي بها غنمه فلما دخل العسكر سمعهم يعظمون أمر جالوت فقال لهم ما تعظمون من أمره فو الله إن عانيته لأقتلنه فتحدّثوا بخبره حتّى أدخل على طالوت فقال له يافتي ما عندك من القوة وما جرّبت من نفسك قال قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأدركه وأخذ برأسه وأقلب لحيه عنها فأخذاها من فيه و قد كان الله تبارك وتعالى أوحى الى طالوت بأنّه لا يقتل جالوت إلّا من لبس درعك فملاها بدرعه فلبسها داود فاستوت عليه فراغ ذلك طالوت ومن

حضره من بني إسرائيل فقال عسى الله أن يقتل جالوت به فلمّا أصبحوا و  
التقى الناس قال داوود أروني جالوت فلمّا رآه أخذ الحجر فرماه به فصكّ به  
بين عينيه فدفعه وتكسّر عن دابّته فقال الناس قتل داوود جالوت وملكه  
الناس حتّى لم يسمع لطالوت ذكر واجتمعت عليه بنو إسرائيل وأنزل الله  
تبارك وتعالى عليه الزّبور وعلمه صنعة الحديد فليّنسه له وأمر الجبال و  
الطّير تسبّح معه وأعطاه صوتاً لم يُسمع مثله وأعطى قوّة في العبادة وأقام في  
بني إسرائيل نبياً، الخبر<sup>(١)</sup>

أقول و أمّا العمامة فقد ورد في تفاسيرهم غير ذلك إن شئت فراجعه.

وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ قيل أتاها الله أي داوود، ملك  
طالوت ونبوّة شمعون والذي علّمه هو صنعة الدّروع ومنطق الطّير وغير ذلك  
من أنواع ما علّمه الله تعالى من العلوم، قاله السّدي وقيل هو أنّ الله تعالى  
أعطاه سلسلة موصولة بالمجرّة والفلك ورأسها عند صومعة داوود فكان لا  
يحدث في الهواء حدثٌ إلّا صلّصت السّلسلة فيعلم داوود ما حدث ولا يمسه  
ذو عاهة إلّا برّئ وكانت علامة دخول قومه في الدّين أن يمسّوها بأيديهم ثمّ  
يمسحون أكفّهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون إليها بعد داوود عليه السّلام  
الذي أن رفعت قال ابن عبّاس.

وقيل أتاها الله الملك في مشارق الأرض ومغاربها وما اجتمعت يشعر بأنّ  
ما أتاها الله أنّما هو بعد قتل داود جالوت فكأنّ قتله إيّاه صار سبباً لإعطاء  
الملك والحكمة والعلم أمّا الملك فلا شك أنّ المراد به الملك بمعنى  
السّultan الذي كان قبله لطالوت وهذا المعنى هو الظّاهر من الآية وأمّا الحكمة  
فقليل أنّ المراد بها النّبوة وذلك لأنّ الحكمة في الأصل هي وضع الأمور

مواضعها على الصّواب والصّلاح وكمال هذا المعنى أنّما يحصل بالنبوة وأما العلم الذي أعطاه فهو علم الفرائض والسّنن أو كلّ ما يحتاج اليه النّاس في دينهم ودنياهم.

**ثانيها:** أن يكون المراد بالملك كونه مالكا لقلوب النّاس و أن شئت قلت السّلطنة على القلوب أو على ما هو أعمّ منه والملك بهذا المعنى أنسب بشأن الأنبياء من الملك الظّاهر فقط ولا سيّما أنّ الله تعالى في مقام الإمتنان يكون المراد بالحكمة العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه اذ التعبير عن النبوة بالحكمة بعيد غاية البعد وفي قوله: وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ إشارة الى العلم الذي خصّ الله تعالى به الأنبياء والأوصياء كالعلم بالمغيبات مثلاً.

**ثالثها:**، أن تكون الآية إشارة الى أنّ الملك اذا كان خالياً عن الحكمة والعلم لا عبرة به لأنّه قد يحصل للفاسق والكافر أيضاً وأما الملك مع الحكمة والعلم لا يحصل إلاّ للأنبياء والأوصياء قال الله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا<sup>(١)</sup>

**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ.**

فقد اختلفوا في النّاس المدفوع بهم الفساد، فقليل هم الأبدال وهم أربعون رجلاً كلّما مات واحد بدّل الله مكانه آخر فإذا كان عند القيامة ماتوا كلّهم، إثنان وعشرون منهم بالشّام وثمانية عشر بالعراق قاله القرطبي في كتابه الذي سمّاه بالتفسير ثمّ روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول أنّ الأبدال يكونون بالشّام وهم أربعون رجلاً كلّما مات منهم رجل أبدال الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء ويصرف بهم عن أهل الأرض البلاء إنتهى.

بلى القرآن في تفسير القرآن

جزء ٢

بلى القرآن في تفسير القرآن

نقله عن كتاب الترمذي (نوادير الأصول) ثم زاد في الطنبور نعمة أخرى قوله، وخرج أيضاً عن أبي الدرداء قال أنَّ الأنبياء كانوا أوتاد الأرض فلما إنقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بحسن الخلق وصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب لجميع المسلمين والنصيحة لهم إبتغاء مرضاة الله بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفاء الأنبياء قوم إصطفاهم الله لنفسه وإستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقاً منهم ثلاثون رجل على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن يدفع الله بهم المكاهة عن أهل الأرض والبلايا عن الناس وبهم يمتطرون ويرزقون، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه انتهى.

أقول أنما نقلنا كلامه بطوله لتعلم مقدار جهله بالأحكام وانحرافه عن الدين ألا يستحي المسلم المؤمن بالله وبرسوله أن يتقوه بهذه الأراجيف والخرافات التي نشأت من أفكار الصوفية وكم لهم من هذه الكلمات التي لفقوها في خلساتهم ثم أدخلوها في الدين بل نسبوها إلى سيد المرسلين ولم يعلموا أنَّ هذه الأخبار من مجعولات أعداء الدين الذين لم يؤمنوا بالله طرفة عين وأنما جعلوها ليسدوا بها أبواب البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وأساس هذه الفتنه من بني أمية ولا سيما معاوية ابن أبي سفيان فأنهم إستمدوا من كعب الإخبار وسمرة بن جندب وأبو هريرة وأنس بن مالك وأمثالهم لجعل هذه الأكاذيب ولذلك تُعد هذه الأخبار بالإسرائيليات ولا يعتمد عليها من له أدنى عقل ودين اذ لقائل أن يقول لناقل هذه الأخبار، أيها القُرطبي أين كان الشام محل الأبدال، قبل الإسلام أو بعده فإن كان قبله فلا كلام لنا فيه اذ الآية الشريفة لم تنزل على الأمم السالفة وأن كان المراد بهم بعد الإسلام كما هو ظاهر الخبرين وأمثالهما فأين الأربعون بل أين الواحد منهم

ليدفع البلاء عنا وأخرجنا عما نحن فيه من الذلة والحقارة، ثم أية خصوصية كانت في الشّام حتّى يجعل الله فيه الأبدال ولم يجعل واحداً منهم في المدينة ومكة، نعم لو كان مراد القائل منهم خلفاء بني أمية فلا كلام لنا معه اذ لم نعلم في الشّام أبداً غير الأشرار وأعجب من ذلك كلّ تفسير كلام الله تعالى بهذه الأكاذيب أنّ كتابنا هذا ليس موضوعاً لتحقيق هذه الموضوعات فالسكوت أولى.

ونقل عن ابن عباس أنّه قال المعنى: **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الْعِدَّوْ بِجُنُودِ الْمُسْلِمِينَ** لغلب المشركون فقتلوا المؤمنين وخربوا البلاد والمساجد، وقال السّفيان، هم الشّهود الذين تستخرج بهم الحقوق.

وقال بعض آخر المعنى، ولولا أنّ الله يدفع بمن يصليّ وبمن يتقيّ عمن لا يتقيّ لأهلك النّاس بذنوبهم ظاهر الآية يدلّ على وجود المصالح في الحروب الواقعة بين النّاس في كلّ عصرٍ وزمانٍ.

منها أنّ نسل البشريّ في مسير التّزايد والتّكاثر دائماً فلو لم تقع الحروب بين النّاس يلزم الفساد في الأرض بسبب التّراحم النّاشئ عن إزدياد الخلق بل يبلغ الأمر إلى حدٍّ لا تسع الأرض لهم فلذلك يجب في نظام الكلّ وقوع الحرب و الزّلزلة وأمثالهما من الحوادث الموجبة لتقليل الخلق وهو ظاهر.

ومنها - أنّ النّاس على قسمين ظالم ومظلوم فلو لا دفع المظلوم الظّالم عن نفسه بالقتال والمحاربة للزم الفساد في الأرض وذلك لأنّ الظّالم اذا لم يدفع عن ظلمه والمفروض أنّه يديم على ظلمه في الأرض فلا محالة يكون باعثاً على فسادها وأيّ فسادٍ أفحش من الظّلم وعليه فالمصلحة في الجهاد هي حفظُ لنظام الاجتماع وصونهم عن إشاعة الفساد فالآية حائّة على الجهاد مع الأعداء.

ومنها أن يكون من دفع الباطل بالحقّ: **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** إنّ

أَلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا<sup>(١)</sup> ومن المعلوم أن دفع الباطل بالحق لا يمكن إلا بقيام أتباع الحق لدفع أتباع الباطل ضرورة أن وجودهما في الخارج منوط بوجود أفرادهما وإلهما مفهومان لا وجود لهما في الخارج ولذلك يجب على كل مُكَلَّفٍ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شرائطهما وعليه فالمقصود من الكلام هو النهي عن السكوت في غير موضعه وأن هذا الدِّفع من وظائف النَّاس فيجب عليهم الدِّفاع عن الحق مهما أمكن فإن فيه مصلحة، فهذه الوجوه وأمثالها مما يستنبطها العقل من الآية الشريفة وأما ما ورد عن أهل البيت في المقام فهو الحق الحقيق بالإتباع.

فعن الكافي بأسناده عن أبي عبد الله قال **إِنَّمَا** أَنْ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَصَلِّي مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يُصَلِّي مِنْ شِيعَتِنَا وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ لَهَلَكُوا وَأَنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يُزَكِّي عَنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يُزَكِّوْا وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ لَهَلَكُوا، وَأَنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بِمَنْ يَحْجُّ مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَحْجُّ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ لَهَلَكُوا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ قَوْلَ اللَّهِ مَا نَزَلْتُ إِلَّا فِيكُمْ وَلَا عَنِي بِهَا غَيْرُكُمْ انتهى.

وعن تفسير علي ابن إبراهيم كذلك إلا قوله، قَوْلَ اللَّهِ مَا نَزَلْتُ الْخ<sup>(٢)</sup>

وفي قوله: **وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** إشارة إلى أن الله تعالى لا يفعل ولا يأمر إلا بفضلهم وكرمه وأن الخلق مشمول لعنايته.





## تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

### ◀ اللغة

واضحة.

### ◀ الإعراب

تِلْكَ مبتدأ و آيَاتُ اللَّهِ الخبر نَتْلُوهَا يجوز أن يكون حالاً من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن يكون مستأنفاً بِالْحَقِّ إمّا مفعول به وأما حال من ضمير الآيات المنصوب أي ملتبسة بالحقّ ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل أي ومعنا الحقّ أو من الكاف، أي ومعك الحقّ.

### ◀ التفسير

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ إشارة الى ماتقدّم من الآيات التي كلّها علامات وإمارات على وجود الصّانع الخبير والخالق اللطيف وأنه لا يفعل شيئاً عبثاً والمراد بالآيات إمّا الآيات التكوينية و أمّا التدوينيّة أو كلّتاها فإنّ الجمع مهما أمكن أولى ولنعم ما قيل:

وفي كلّ شيء له آية - تدلّ على أنّه واحد والحاصل أنّه ليس المراد من ذكرها في الكتاب نقل القصص و الحكايات بل المراد سقّ العباد الى الواقعيّات وفي قوله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ إشارة بما ذكرناه وأما قوله وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فهو نصّ على رسالة الرّسول وأنّ كلّ ما قاله للناس فهو من الله تعالى لأنّه لا ينطق عن الهوى كما هو شأن الرّسول و سنتكلّم في معنى الرّسالة عموماً و خصوصاً في المباحث الآتية بحول الله وقوته.

هذا آخر الكلام في تفسير الجزء الثاني من الكتاب و يتلوه الجزء الثالث  
أوله، تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض الآية بعون المَلِك الوهاب.





## الفهرست

سورة البقرة ..... ٩

الآيات ١٤٢ الى ١٤٥ ..... ٩

اللغة ..... ٩

الإعراب ..... ١٠

التفسير ..... ١٢

الآيات ١٤٦ الى ١٤٨ ..... ٣٩

اللغة ..... ٣٩

الإعراب ..... ٣٩

التفسير ..... ٤٠

الآيات ١٤٩ و ١٥٠ ..... ٤٦

اللغة ..... ٤٦

الإعراب ..... ٤٦

التفسير ..... ٤٦

الآية ١٥١ ..... ٥١

اللغة ..... ٥١

الإعراب ..... ٥١

التفسير ..... ٥١

٥٣	..... الآية ١٥٢
٥٣	..... اللّغة
٥٣	..... الإعراب
٥٣	..... التّفسير
٦١	..... الآية ١٥٣
٦٢	..... الآية ١٥٤
٦٢	..... اللّغة
٦٢	..... الإعراب
٦٢	..... التّفسير
٧٥	..... الآيات ١٥٥ الى ١٥٧
٧٥	..... اللّغة
٧٦	..... الإعراب
٧٦	..... التّفسير
٨٨	..... الآية ١٥٨
٨٨	..... اللّغة
٨٩	..... الإعراب
٨٩	..... التّفسير
٩٢	..... الآية ١٥٩
٩٢	..... اللّغة
٩٢	..... الإعراب
٩٢	..... التّفسير
٩٩	..... الآيات ١٦٠ الى ١٦٢
٩٩	..... اللّغة
٩٩	..... الإعراب

٩٩	التفسير
١٠٢	الآية ١٦٣
١٠٢	اللغة
١٠٢	الإعراب
١٠٢	التفسير
١١٠	الآية ١٦٤
١١٠	اللغة
١١٠	الإعراب
١١١	التفسير
١٢٧	الآيات ١٦٥ الى ١٦٧
١٢٧	اللغة
١٢٧	الأعراب
١٢٨	التفسير
١٣٨	الآيات ١٦٨ و ١٦٩
١٣٨	اللغة
١٣٨	الإعراب
١٣٨	التفسير
١٤٥	الآيات ١٧٠ و ١٧١
١٤٥	اللغة
١٤٦	الإعراب
١٤٦	التفسير
١٥٢	الآيات ١٧٢ الى ١٧٦
١٥٢	اللغة
١٥٣	الإعراب

١٥٣	التفسير
١٦٦	الآية ١٧٧
١٦٦	اللغة
١٦٧	الإعراب
١٦٧	التفسير
١٧٢	الآيات ١٧٨ و ١٧٩
١٧٢	اللغة
١٧٣	الإعراب
١٧٣	التفسير
١٨٣	الآية ١٨٠
١٨٣	اللغة
١٨٣	الأعراب
١٨٣	التفسير
١٩٢	الآيات ١٨١ و ١٨٢
١٩٢	اللغة
١٩٢	الإعراب
١٩٣	التفسير
١٩٦	الآيات ١٨٣ و ١٨٤
١٩٦	اللغة
١٩٦	الإعراب
١٩٧	التفسير
٢١١	الآية ١٨٥
٢١١	اللغة
٢١٢	الإعراب

٢١٢	التفسير
٢١٨	الآية ١٨٦
٢١٨	اللغة
٢١٨	الإعراب
٢١٨	التفسير
٢٢٦	الآية ١٨٧
٢٢٦	اللغة
٢٢٧	الإعراب
٢٢٧	التفسير
٢٤٢	الآية ١٨٨
٢٤٢	اللغة
٢٤٢	الإعراب
٢٤٢	التفسير
٢٤٨	الآيات ١٨٩ و ١٩٠
٢٤٨	اللغة
٢٤٨	الإعراب
٢٤٩	التفسير
٢٥٦	الآية ١٩١
٢٥٦	اللغة
٢٥٦	الإعراب
٢٥٦	التفسير
٢٦٣	الآيات ١٩٢ و ١٩٣
٢٦٣	اللغة
٢٦٣	الإعراب



٢٦٣	التفسير
٢٦٨	الآية ١٩٤
٢٦٨	اللغة
٢٦٨	الإعراب
٢٦٩	التفسير
٢٧٢	الآية ١٩٥
٢٧٢	اللغة
٢٧٢	الإعراب
٢٧٢	التفسير
٢٨٦	الآية ١٩٦
٢٨٦	اللغة
٢٨٧	الإعراب
٢٨٨	التفسير
٣٠٨	الآية ١٩٧
٣٠٨	اللغة
٣٠٨	الإعراب
٣٠٩	التفسير
٣١٣	الآية ١٩٨
٣١٣	اللغة
٣١٤	الإعراب
٣١٤	التفسير
٣٢٠	الآيات ١٩٩ إلى ٢٠٣
٣٢٠	اللغة
٣٢٠	الإعراب

٣٢١	التفسير .....
٣٣٥	الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٦ .....
٣٣٥	اللغة .....
٣٣٥	الإعراب .....
٣٣٦	التفسير .....
٣٤٢	الآية ٢٠٧ .....
٣٤٢	اللغة .....
٣٤٢	الإعراب .....
٣٤٢	التفسير .....
٣٥٦	الآيات ٢٠٨ و ٢٠٩ .....
٣٥٦	اللغة .....
٣٥٧	الإعراب .....
٣٥٧	التفسير .....
٣٦٣	الآية ٢١٠ .....
٣٦٣	اللغة .....
٣٦٤	الإعراب .....
٣٦٤	التفسير .....
٣٦٩	الآية ٢١١ .....
٣٦٩	اللغة .....
٣٦٩	الإعراب .....
٣٧٠	التفسير .....
٣٧٢	الآية ٢١٢ .....
٣٧٢	اللغة .....
٣٧٢	الإعراب .....

٣٧٢	التفسير
٣٧٨	الآية ٢١٣
٣٧٨	اللغة
٣٧٨	الإعراب
٣٧٩	التفسير
٣٨٨	الآية ٢١٤
٣٨٨	اللغة
٣٨٨	الإعراب
٣٨٩	التفسير
٣٩٠	الآية ٢١٥
٣٩٠	اللغة
٣٩٠	الإعراب
٣٩٠	التفسير
٣٩٤	الآية ٢١٦
٣٩٤	اللغة
٣٩٤	الإعراب
٣٩٥	التفسير
٣٩٨	الآيات ٢١٧ و ٢١٨
٣٩٨	اللغة
٣٩٩	الإعراب
٣٩٩	التفسير
٤٠٧	الآية ٢١٩
٤٠٧	اللغة
٤٠٧	الإعراب

٢٠٨	التفسير
٢١٥	الآية ٢٢٠
٢١٥	اللغة
٢١٥	الإعراب
٢١٥	التفسير
٢١٩	الآية ٢٢١
٢١٩	اللغة
٢١٩	الإعراب
٢١٩	التفسير
٢٢٤	الآية ٢٢٢
٢٢٤	اللغة
٢٢٤	الإعراب
٢٢٥	التفسير
٢٢٨	الآية ٢٢٣
٢٢٨	اللغة
٢٢٨	الإعراب
٢٢٨	التفسير
٢٣٦	الآية ٢٢٤
٢٣٦	اللغة
٢٣٦	الإعراب
٢٣٦	التفسير
٢٣٩	الآية ٢٢٥
٢٣٩	اللغة
٢٣٩	الإعراب

٤٣٩	التفسير
٤٤٣	الآيات ٢٢٦ و ٢٢٧
٤٤٣	اللغة
٤٤٣	الإعراب
٤٤٤	التفسير
٤٤٨	الآية ٢٢٨
٤٤٨	اللغة
٤٤٨	الإعراب
٤٤٩	التفسير
٤٥٧	الآية ٢٢٩
٤٥٧	اللغة
٤٥٧	الإعراب
٤٥٨	التفسير
٤٦٣	الآية ٢٣٠
٤٦٣	اللغة
٤٦٣	الإعراب
٤٦٣	التفسير
٤٦٩	الآية ٢٣١
٤٦٩	اللغة
٤٦٩	الإعراب
٤٧٠	التفسير
٤٧٢	الآية ٢٣٢
٤٧٢	اللغة
٤٧٢	الإعراب

٤٧٢	التفسير
٤٧٥	الآية ٢٣٣
٤٧٥	اللغة
٤٧٥	الاعراب
٤٧٦	التفسير
٤٨٥	الآية ٢٣٤
٤٨٥	اللغة
٤٨٥	الاعراب
٤٨٦	التفسير
٤٩٠	الآية ٢٣٥
٤٩٠	اللغة
٤٩٠	الاعراب
٤٩١	التفسير
٤٩٥	الآية ٢٣٦
٤٩٥	اللغة
٤٩٥	الاعراب
٤٩٦	التفسير
٥٠٢	الآية ٢٣٧
٥٠٢	اللغة
٥٠٢	الاعراب
٥٠٣	التفسير
٥٠٦	الآية ٢٣٨
٥٠٦	اللغة
٥٠٦	الاعراب

٥٠٦	التفسير
٥١٢	الآية ٢٣٩
٥١٢	اللغة
٥١٢	الإعراب
٥١٢	التفسير
٥١٥	الآية ٢٤٠
٥١٥	اللغة
٥١٥	الإعراب
٥١٦	التفسير
٥١٨	الآيات ٢٤١ و ٢٤٢
٥١٨	اللغة
٥١٨	الإعراب
٥١٨	التفسير
٥٢١	الآية ٢٤٣
٥٢١	اللغة
٥٢١	الإعراب
٥٢١	التفسير
٥٢٧	الآية ٢٤٤
٥٢٧	اللغة
٥٢٧	الأعراب
٥٢٧	التفسير
٥٢٨	الآية ٢٤٥
٥٢٨	اللغة
٥٢٨	الإعراب

٥٢٩	التفسير
٥٣٥	الآية ٢٤٦
٥٣٥	اللغة
٥٣٥	الإعراب
٥٣٦	التفسير
٥٣٨	الآية ٢٤٧
٥٣٨	اللغة
٥٣٨	الإعراب
٥٣٩	التفسير
٥٤٣	الآية ٢٤٨
٥٤٣	اللغة
٥٤٣	الإعراب
٥٤٤	التفسير
٥٤٦	الآية ٢٤٩
٥٤٦	اللغة
٥٤٧	الإعراب
٥٤٧	التفسير
٥٤٧	الآية ٢٥٠
٥٤٧	اللغة
٥٤٧	الإعراب
٥٤٧	التفسير
٥٥٣	الآية ٢٥١
٥٥٣	اللغة
٥٥٣	الإعراب



التفسير.....	٥٥٣
الآية ٢٥٢.....	٥٦٠
اللغة.....	٥٦٠
الإعراب.....	٥٦٠
التفسير.....	٥٦٠



